المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مركز إحياء التراث الإسلامي
مكة المكرمة



من التراث الإسلامي

معاني القرآن الكريم

للإمام أبي جعفر النحاس
المتوفى سنة ٣٣٨ هـ

تحقيق
الشيخ محمد علي الصابوني
الأستاذ بجامعة أم القرى

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مركز إحياء التراث الإسلامي
مكة المكرمة



من التراث الإسلامي

معاني القرآن الكريم

للإمام أبي جعفر النحاس
المتوفى سنة ٣٣٨ هـ

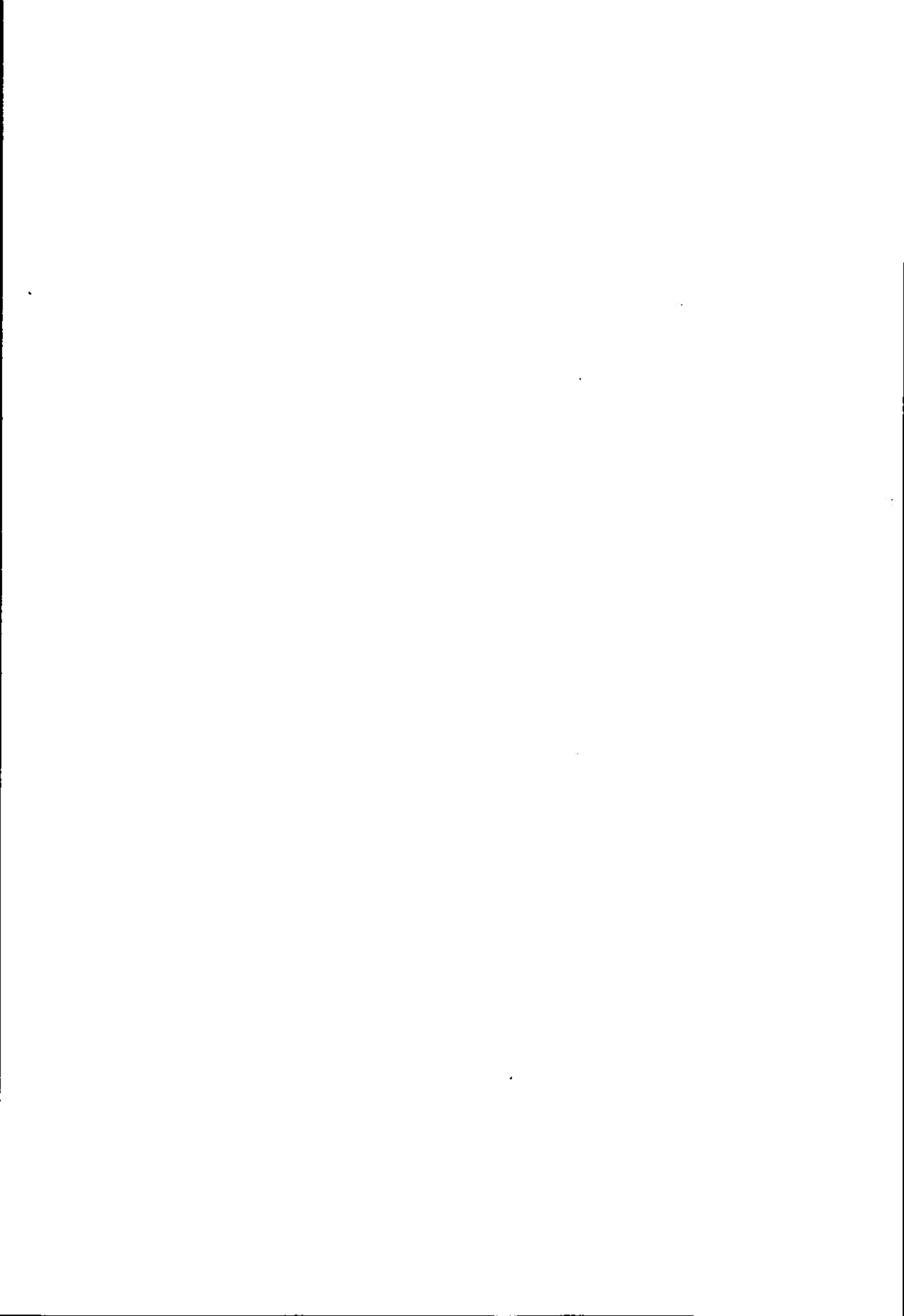
تحقيق
الشيخ محمد علي الصابوني
الأستاذ بجامعة أم القرى

الجزء الخامس

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ / ١٩٨٩م

إني لأعجب ممن يقرأ القرآن، كيف
يلتذ بتلاوته ولم يفهم معناه

« الإمام الطبري »



تفسير سورة الفرقان

مكية وآياتها ٧٧ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفرقان وهي مكية[1]

حدثني يموتُ بن المزرّع ، قال : حدثنا أبو حاتم ، قال :
حدثنا أبو عُبيدة قال : حدثنا يونس بن حبيب[2] ، قال : سمعتُ أبا عَمْرو بنَ العلاءِ يقول : سألتُ مجاهداً تلخيصَ الآي « المدنيِّ » من « المكِّيِّ » فقال مجاهد : سألتُ ابن عباس ، وذكر الحديث ، وقال فيه « نزلت سورة الفرقان بمكة ، فهي مكِّية .

١ ـــ **من ذلك قولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِه ..﴾** [آية ١] .

وقرأ عبدُ الله بنُ الزُّبير ﴿ عَلى عِبَادِهِ ﴾[3] .

---

(١) قال في البحر ٤٨٠/٦ : هذه السورة مكية في قول الجمهور ، وقال ابن عباس : إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ﴾ إلى قوله ﴿ وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ .

(٢) في المخطوطة « يونس بن منبت » وصوابه « يونس بن حبيب » وهو النحوي القارىء كذا في تهذيب الكمال ١٦٣١/٣ وهو أحد تلامذة أبي عمرو بن العلاء .

(٣) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب ١١٧/٢ : ووجهُ القراءة : أنه وإن كان إنزالُه على رسول الله ﷺ ، فإنه لمَّا كان عليه السلام موصلاً له إلى العباد ، ومخاطباً به إليهم ، صار كأنه منزَّل عليهم . اهـ . وانظر البحر ٤٨٠/٦ .

﴿ **تَبَارَكَ** ﴾ تَفَاعَلَ من البَرَكة ، وهي حلولُ الخير[1] .

ومنه : فلانٌ مُبَارَكٌ ، أي : الخيرُ يحِلُّ بحلولِهِ ، مشتَقٌّ من البَرْك ، والبَرَكة ، وهما المصدرُ .

و ﴿ **الفُرْقَانُ** ﴾ : القرآنُ ، لأنه فَرَقَ بينَ الحقِّ والباطلِ ، والمؤمن والكافر .

و « **النَّذيرُ** » : المخوِّفُ عذابَ اللهِ تبارك وتعالى ، وكلُّ مخوِّفٍ : نذيرٌ ، ومنذِرٌ .

٢ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً .. ﴾** [آية ٢] .

أي قدَّر لكل شيءٍ ما يُصْلِحُه ، ويقومُ به .

٣ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً ، وَلَا حَيَاةً ، وَلَا نُشُوراً ﴾** [آية ٣] .

يُقال : أَنْشَرَ اللهُ المَوْتى ، فَنَشَروا[2] .

---

(١) قال الزجاج في معانيه ﴿ تبارك ﴾ تفاعل من البركة ، وهي كثرة الخير وزيادتُه ، وقال الخليل : تمجَّد وتعظَّم ، ومنه قول الطرمَّاح :

تباركتَ لامعطٍ لشيءٍ منعتَهَ ... وليس لما أعطيتَ ياربِّ مانِعُ

واختار المصنف كما في إعراب القرآن ٢/٤٥٧ أن المعنى : دام وثبت إنعامه ، لانه من بَرَك الشيء ، إذاثَبتَ ، ومنه بَرَكَ الجملُ .

(٢) ومنه قوله تعالى﴿ ثُمَّ إذا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾ أي أحياه، وعبارة القرطبي أوضح فقد قال في تفسيره ١٣/٣ : النشورُ : الإحياءُ بعد الموت ، أنشرَ الله الموتى فَنَشَرُوا، ومعنى الآية : أنهم لايميتونَ أحداً ولايحيونه .

٤ ـــ ثم قال تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ .. ﴾ [آية ٤] .

قال مجاهد وقتادة : ﴿إِفْكٌ﴾ أي كذبٌ(١) .

ثم قال تعالى ﴿ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ﴾ .

رَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : اليهودُ(٢) .

٥ ـــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ فَقَدْ جَاءُوا ظلماً وَزُوراً ﴾ [آية ٤] .

قال مجاهد : أي كذباً .

قال أبو جعفر : والتقدير فقد جاءوا بظلمٍ وزُورٍ .

٦ ـــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَقَالُوْا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ [آية ٥] .

قال مجاهد : أي أحاديثُ الأولين(٤) .

قال قتادة : ﴿ وَأَصِيلاً ﴾ أي عَشِيّاً(٥) .

٧ ـــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُوْلِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ .. ﴾ [آية ٧] .

(١ ـــ ٥) انظر الآثار في الطبري ١٨/١٨١ والقرطبي ١٣/٣ والبحر المحيط ٦/٤٨١ وعبارة البحر عن مجاهد ﴿ وَأَعَانَهُ عَلَيه قَوْمٌ آخَرُوْنَ ﴾ : قومٌ من اليهود ألقوا اليه أخبار الأمم .

أيْ أيُّ شيءٍ له آكلاً وماشياً[1] ؟ .

ثم طلبوا أن يكون معه مَلَكٌ شَريكاً فقالوا : ﴿ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ ؟ وقد قال عز وجلَّ **﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُوْنَ ﴾**[2]

أي لو أنزلنا مَلَكاً ، لم يكونوا يفهمون عنه حتى يكون رجلاً ، وإذا كان رجلاً ، لم يؤمنوا أيضاً إلاَّ بتأويل .

٨ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ تَبَارَكَ الَّذي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرَاً مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ .. ﴾** [آية ١٠] .

رَوَى سُفيانُ عن حَبِيبِ بن أبي ثابتٍ عن خَيْثَمةَ قال :

قيل للنبي ﷺ : « إن شئتَ أن نُعطيكَ خزائنَ الدُّنيا ومفاتِحهَا ، ــ ولم يُعْط ذلك مَنْ قَبْلك ، ولا يُعْطاه أحدٌ بعدك ــ وليس ذلك بناقِصكَ في الآخرةِ شيئاً !!

---

(١) عبارة النحاس في إعراب القرآن ١٥٢/٣ قال : والمعنى : أيُّ شيء لهذا الرسول في حال مَشْيه وأَكْله ؟ قال في البحر ٤٨٣/٦ : وهذا استفهام يصحبه استهزاء ، أي كان يجب أن يكون مستغنياً عن الأكلِ والتعيُّش ، فأنكروا عليه ما هو عادةٌ للرسل كما قال تعالى ﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ﴾ .

(٢) الآية من سورة الأنعام رقم ٩ .

وإن شئتَ جمعنا ذلكَ لك في الآخرةِ ، فقال :يُجْمَعُ لي ذلكَ في الآخرة »[1] .

فأنزل اللهُ عز وجل ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ، وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً** ﴾ [آية ١٠] .

٩ ـ **وقولُه جلّ وعز** : ﴿ **إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً** ﴾ [آية ١٢] .

قيل في معنى هذا قولان :

أحدهما : سمعوا لِمَنْ فيها من المعذَّبين تَغَيُّظاً وزفيراً .

واستشهدَ صاحبُ هذا القولِ بقوله عزَّ وجل : ﴿ **لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وشَهِيقٌ** ﴾[2] .

والقولُ الآخرُ : أن المعنى سمعوا لها تغيُّظاً عليهم ، كما قال تعالى ﴿ **تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ** ﴾[3] .

---

(١) الأثر أخرجه الفريابي ، وابنُ أبي شيبة ، وابن مردويه ، كذا في الدر المنثور ٥/٦٣ وهو في البحر ٦/٤٨٤ والقرطبي ١٣/٧ وفي بعض الروايات أنَّ « رضوان » مالك الجنَّة ، جاءه بأمر الله وخيَّره ، فأشار إليه جبريل أن تواضعْ ، فقال له النبيُّ ﷺ : بل أكون عبداً صابراً شكوراً ، فأعطاه الله عز الدنيا والآخرة .

(٢) سورة هود آية رقم ١٠٦ .

(٣) سورة الملك آية رقم ٧ .

والقولُ الثاني أَوْلى ، لأنـه قال ﴿ سَمِعُوْا لَهَـا ﴾ ولم يقـل : سمعوا فيها ، ولا منها .

والتقديرُ : سمعوا لها صوتَ تغيُّظ[1] .

١٠ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوْرَاً﴾** [آية ١٣] .

قال مجاهد والضحَّاكُ : أي هلاكاً .

قال أبـو جعفـر : يُقـال : ماثَبَـركَ عن كذَا ؟ أي ما صرَفكَ عنه[2] ؟

فالمثبورُ : هو المصروفُ عن الخير .

والمعنى : يقولون : واثُبُورَاهُ .

ورَوَى عليُّ بنُ زَيْـد عن أَنَسِ بنِ مالكٍ عن النبـي ﷺ أنـه قال : « أوَّلُ من يُكْسَى حُلَّـةً من جَهنَّـم « إبلـــيسُ » فيضَعُهـــا على

---

(١) ويؤيد هذا القول ما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس قال : « إنَّ العبـد لِيُجَرُّ إلى النار ، فتشْهَقُ إليه شَهْقَةَ البغلةِ إلى الشَّعير ، ثم تزفر زفرةً لا يبقـى أحـد إلاَّ خاف ، وإنَّ الرجلَ من أهـلِ النـار ، ما بين شحمةِ أُذُنَيْه وبين منكبيـهِ مسيرةُ سبـعين سنـةً ، وإنَّ فيها لأَودِيةً من قيح ، تُكال ثم تُصَبُّ في فيه » وانظر الدر المنثور ٦٤/٥ .

(٢) قال الفراء في معاني القرآن ٢٦٣/٢ : الثبورُ مصدرٌ ، فلذلك قال ﴿ ثبوراً كثيراً ﴾ لأن المصادر لاتجمع ، والعرب تقـول : ما ثَبَـرَك عن كذا ؟ أي ما صرفك عنـه ؟ وكـأنهم دعـوا بما فعلـوا ، كما يقول الرجل : وانَدَامتاه . اهـ .

[جبينه][1] ويسحبُها ، يقول : وَاثُبُورَاهُ وتتبعُهُ ذريته يقولـون : وَاثُبـوراهُ فيُقال لهم : لا تَدْعُوا اليومَ ثُبوراً واحداً ، وادْعُوا ثُبُورَاً كثيراً[2] .

١١ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الخُلْدِ الَّتي وُعِدَ المُتَّقُونَ ..﴾ [آية ١٥] .

وليس في ذلك خيرٌ ، فإنما هو على عملكم ، وعلى ما تفعلون[3] .

١٢ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدَاً مَسْئُولاً ﴾ [آية ١٦] .

قال **محمد بن كعب** : أي يُسألُه[4] ، وهوقول الملائكة صلَّى الله عليهم ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ ﴾ .

---

(١) هكذا في المخطوطة « جبينه » وفي الدر المنثور ٦٤/٥ : «فيضعها على حاجبيه» وكذا في الطبري ، والقرطبي ، وابن كثير « على حاجبيه » .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ١٥٢/٣ ورواه ابنُ أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي ، بسندٍ صحيح ، وانظر الدر المنثور ٦٤/٥ والقرطبي ٨/١٣ .

(٣) عبارة المصنف فيها غموضٌ ، وقد وضَّحها الإمام القرطبي ٩/١٣ فقال : إن قيل : كيف قال ﴿أذلِكَ خيرٌ﴾ ولا خير في النَّار ؟ فالجواب أنه ليس من باب أفعل التفضيل وإنما هو كقولك : عنده خير ، وحكى سيبويه عن العرب : الشَّقاءُ أحبُّ إليكَ أم السَّعادةُ ؟ وقد علم أنَّ السعادةَ أحبُّ إليه . اهـ .

(٤) أي يُسأله المولى جلَّ وعلا قال في التسهيل : سأله المؤمنون أو الملائكة ، وقيل معناه : واجب الوقوع لأنه حتَّمه . التسهيل ١٦٣/٣ وقال الفراء في معاني القرآن ٢٦٣/٢ : وعدهم الله الجنة فسألوها إيَّاه في الدنيا إذ قالوا ﴿ رَبَّنَا وآتنا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ ﴾ أي على ألسنة رسلك .

وقيل : إن ذلك يُراد به قولهم ﴿ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً . أو يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا .. ﴾ ؟

١٣ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ .. ﴾ [آية ١٧] .

قال مجاهد : المسيحَ ، وعزيراً ، والملائكة[١] .

١٤ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْماً بُوراً .. ﴾ [آية ١٨] .

قال مجاهد : أي هالكين[٢] .

قال أبو جعفر : يُقال لِمَا هَلَكَ ، أو فَسَدَ ، أو كَسَدَ : بائرٌ ، ومنه : بارتِ السُّوقُ ، وبارتْ الأَيِّمُ ، و« بورٌ » يقع للواحد والجماعة ، على قول أكثر النحويين .

وقال بعضهم : الواحدُ بائرٌ ، والجمع بورٌ ، كما يُقال : عَائِدٌ ، وعُوْذٌ ، وهَائِدٌ ، وهُوْدٌ[٣] .

١٥ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ .. ﴾ [آية ١٩] .

أي بقولكم : إنهم آلهةٌ .

---

(١) و(٢) ذكرهما الطبري ١٨٩/١٨ والقرطبي ١٠/١٣ والسيوطي في الدر المنثور ٦٥/٥ .

(٣) ومنه قوله تعالى ﴿ وقالوا كونوا هُوْداً أو نصارى تهتدوا ﴾ أي يهوداً جمع يهودي .

وحكى الفراء أنه يُقرأ ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا يَقُولُونَ ﴾[1] .

قال أبو جعفر : والمعنى على هذا : فقد كذَّبوكم بقولهم ﴿ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أنْ نتَّخِذَ مِنْ دُوْنِكَ مِنْ أَوْلياءَ ﴾ .

١٦ ــ ثم قال تعالى ﴿ فَمَا يَسْتَطِيعُونَ[2] صَرْفاً وَلَا نَصْرَاً ﴾ [آية ١٩] .

قال يونس : الصَّرْفُ : الحيلةُ ، من قولهم : فلانٌ يتصرَّفُ في الأشياء ، أي فما يستطيعون أن يصرفوا عن أنفسهم العذابَ ، ولا ينصروها .

١٧ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيرَاً ﴾ [آية ١٩] .

قال الحسن : الشِّركُ[3] .

١٨ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً ﴾ [آية ٢٠] .

---

(١) انظر معاني الفراء ٢٦٤/٢ وهذه قراءة أبي حيوة ، وهي رواية عن ابن كثير ، وقُنْبل ﴿ يقولون ﴾ بالياء ، وقرأ الجمهور ﴿تقولون﴾ بالتاء ، وانظر القرطبي ١٢/١٣ والألوسي ٢٥٢/١٨ والبحر المحيط ٤٨٩/٦ .

(٢) ﴿ فَمَا يَسْتَطِيعُوْنَ ﴾ بالياء قراءة أكثر السبعة ، وقرأ حفص بالخطاب ﴿ فَمَا تستَطِيعُون ﴾ وانظر النشر في القراءات العشر ٣٣٤/٢ والسبعة في القراءات لابن مجاهد ٤٦٣/٢ .

(٣) هذا قول ابن عباس أيضاً حيث قال : ومن يشرك منكم ثم مات عليه ، وانظر الطبري ١٩٣/١٨ والقرطبي ١٢/١٣ وقال الألوسي ٢٥٣/١٨ : وتفسير الظلم بالكفر هو المروي عن ابن عباس ، والحسن ، وابن جريج ، والمقام يقتضيه فإن الكلام في الكفر ووعيده من مفتتح السورة .

قال قتادة : ﴿ **فتنةً** ﴾ : أي بلاءً[1] .

قال أبو جعفر : الفتنةُ في اللُّغةِ : الاختبارُ .

والمعنى : جعلنا الشَّريفَ للوضيع ، والوضيعَ للشريف ، فتنةً .

يُرْوَى أن الشريف كان يريد أن يُسْلِم ، فيمنعه من ذلك ، أنَّ من هو دونه قد أسلم قَبْلَه ، فيقول : أُعَيَّر بسبقهِ إيَّايَ .

وإنَّ بعض الزَّمْنى والفقراء كان يقول : لِمَ لَمْ أكنْ غنياً وصحيحاً فأُسلمُ[2] ؟

ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ **أتصبرون** ﴾ ؟ أي إن صبرتم ، فقد عرفتم أجر الصابرين .

١٩ ــ ثم خبَّر أنَّ الذينَ لايؤمنون بالآخرة ، يَقْترحون من الآياتِ ما لم يُعْطهُ أحدٌ فقال جلَّ وعزَّ :

﴿ وَقَالَ الَّذِيَن لَا يَرْجُوْنَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا المَلَائِكَةُ أَوْ نَرى

---

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٥/٦٥ ونسبه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٢) قال في التسهيل ٣/١٦٥ : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾ هذا الخطاب لجميع الناس ، لاختلاف أحوالهم ، فالغنيُّ فتنةٌ للفقير ، والصحيحُ فتنةٌ للمريض ، والرسول فتنةٌ لغيره ممن يحسدُه ، ويكفرُ به ، ثم قال ﴿ أَتَصْبِرون ﴾ ؟ تقديره : لننظر هل تصبرون ؟ اهـ واختار الطبري العموم .

رَبَّنا ، لَقَدِ اسْتَكْبَرُوْا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً﴾[آية ٢١] .

والعُتُوُّ : التَّجاوزُ فيما لا ينبغي[١] .

٢٠ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ المَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ ، وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً﴾ [آية ٢٢] .

رَوَى عطيَّةُ عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ ﴿ حِجْراً مَحْجُوراً ﴾ قال : حَرَاماً محرَّماً[٢] .

قال الضحاك : أي تقول لهم الملائكة : حراماً عليكم مُحَرَّماً ، أن تكون لكم البشرى اليوم ، يعني الكفَّار[٣] .

قال أبو جعفر : والمعنى حراماً عليكم البشرى ، ومن هذا حَجْرُ القاضي إنما هو منعهُ ، ومن هذا حَجْر الإنسان[٤] .

---

(١) قال أبو حيان : ﴿عَتَوا﴾ تجاوزوا الحدَّ في الظلم ، ووصفه بكبير مبالغة في إفراطه أي لم يجسروا على هذا القول العظيم ، إلاّ لأنهم بلغوا غاية الاستكبار ، وأقصى العتو ، قال ابن عباس : ﴿ عَتَوْا ﴾ كفروا أشدَّ الكفر وأفحشوا . اهـ البحر ٤٩١/٦ .

(٢ــ٣) انظر جامع البيان للطبري ٢/١٩ وزاد المسير لابن الجوزي ٨٢/٦ والدر المنثور للسيوطي ٦٦/٥ .

(٤) قال الفراء ٢٦٦/٢ : الحِجْرُ : الحَرَامُ ، كما تقول : حَجَر التاجرُ على غلامه ، وحَجر على أهله . اهـ . وقال سيبويه : هو من حَجَره إذا مَنَعه ، لأن المستعيذ طالبٌ من الله أن يمنع المكروه عنه ، بحيث لا يلحقهُ أذى ، وقال في التسهيل : « لمَّا طلبوا رؤية الملائكة أخبر الله أنه لابشرى لهم يوم يرونهم ، وتقول الملائكة للمجرمين : حرام عليكم الجنة أو البشرى » اهـ التسهيل ١٦٦/٣ .

٢١ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوْا مِنْ عَمَلٍ ..﴾ [آية ٢٣] .

قال مجاهد : ﴿ وَقَدِمْنَا ﴾ أي عَمَدْنا[1] .

قال أبو جعفر : وأصلُ هذا أنَّ القادم إلى الموضع يعْمِدُ له ، ويقصِدُ إليه .

٢٢ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾ [آية ٢٣] .

رَوَى أبو إسحقَ عن الحارثِ عن علي قال : الهَبَاءُ المنثورُ : شُعاع الشَّمسِ [الذي يدخلُ من الكُوَّةِ[2] .

قال أبو جعفر : وهباءٌ جمعُ هباءة ، فيقال لما يكونُ من شُعاع الشمسِ][3] .

وهو شبيهٌ بالغبار : هَبَاءٌ منثورٌ ، ويُقالُ لِمَا يطيرُ من تحت سَنَابكِ الخيل : هباءٌ مُنبثٌّ .

---

(١) الأثر رواه الطبري في تفسيره ٤/١٩ والحافظ ابن كثير ١١١/٦ والفراء ٢٦٦/٢ .

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٦٦/٥ وابن كثير ١١١/٦ .

(٣) قال الزمخشري في الكشاف ٩٤/٢ : والهباءُ : ما يخرج من الكُوَّة مع ضوء الشمس ، تشبيه بالغبار ، وفي أمثالهم : أقلُّ من الهباء . اهـ وما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وأثبتناه من هامشها .

وأصلُه : مِنْ أَهْبَأَ التُّرابَ إهباءً : إذا أَثَاره[1] ، كما قيل :

« مَنِيناً كأنَّه أَهْبَاءُ »[2]

٢٣ ـ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ أَصْحَابُ الجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴾ [آية ٢٤] .

قال أبو جعفر : القولُ في هذا كالقول في قوله تعالى ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الخُلْدِ ﴾ ؟ .

والفرَّاءُ يذهب إلى أنه ليس في هذا سؤالٌ البتَّةَ[3] .

٢٤ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴾ [آية ٢٤] .

قال قتادة : أي مأوىً ومنزلاً .

قال أبو جعفر: المَقِيلُ في اللغة: هو المُقَامُ[4] وقتَ القيلولة خاصَّةً ، فقيل : إنَّ أهل الجنة ينصرفون إلى نسائهم ، مقدار وقت

---

(١) قال النحاس في إعراب القرآن ٤٦٣/٢ : وليس « هباء » من ذوات الهمزة وإنما هُمِزت لالتقاء الساكنين ، والتصغيرُ هبيٌّ ، والمعنى : لا يُنتفع به ، أي أبطلناه . اهـ .

(٢) هذا عجز بيت للحارث بن حِلِّزة يصف ناقته ، وتمامُه كما ذكره القرطبي ٢٢/١٣ :

فَتَرى خَلْفَها مِنَ الرَّجْعِ والوَقْعِ مَنِيناً كأنَّهُ أَهْبَاءُ

أي ترى خلف الناقة من رَجْع قوائمها ، ووقع أخفَافِها ، غباراً دقيقاً ، كأنه ذرات ناعمة متطايرة .

(٣) انظر معاني الفراء ٢٦٦/٢ .

(٤) قولُه : هو المُقَامُ وقت القيلولة : يريد الاستراحة وقت الظهيرة ، قال الأزهري القيلولة عند العرب : الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن مع ذلك نوم .

نصف النَّهار ، فَيَقِيلُ أهلُ الجنَّةِ في الجنَّـةَ ، وأهـلُ النَّـار في النَّار ذلك الوقت[1] .

٢٥ ــ **ثم قال جَلَّ وعزَّ : ﴿ وَنُزِّلَ المَلاَئِكَةُ تَنْزِيلاً ﴾** [آية ٢٥] .

قال قتادة : تنزِلُ ملائكـةُ كلِّ سَمَـاءٍ ، سماءٍ ، فيقـول الخلائـق لهم : أفيكم ربُّنا جلَّ وعزَّ ؟ وذكر الحديث[2] .

٢٦ ــ **ثم قال جَلَّ وعزَّ : ﴿ المُلْكُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ للرَّحْمَنِ ..﴾** [آية ٢٦] .

لأن مُلك الدنيا زائلٌ .

---

(١) هذا القول حكاه الطبري والقرطبي عن ابن مسعـود ، وابـن عبـاس ، وذكـره في الـدرِّ في حديث صححَّه الحاكم عن ابن مسعود قال « لاينتصف النَّهارُ من يوم القيامة حتى يَقيلَ هؤلاء وهـؤلاء » ثم قرأ الآية ، وانظر الطبري ٥/١٩ والدر المنثور ٥/٦٧ .

(٢) لم أر هذا القول عن قتادة في كتب التـفسير ، وإنما رُوي عن ابـن عبـاس حيث قال : « تتشقـق سماء الدنيا فينـزل أهلُهـا ، وهـم أكثـرُ ممن في الأرض من الجنِّ والإنس ، ثم تنشقُّ السمـاء الثانيـةُ فينزل أهلها ، وهم أكثر ممن في سماء الدنيا ، ثم كذلك حتى تنشقَّ السمـاءُ السابعـة ، ثم ينـزل الكروبيون وحَمَلَةُ العرش » اهـ . كذا في القرطبي ١٣/٢٤ .

وفي الدر المنثور للسيوطي ٥/٦٧ : روى ابن أبي حاتم والحاكم عن ابن عباس أنـه قرأ ﴿ ويـوم تَشَقَّقُ السَّمـاءُ بالغَمَـامِ ﴾ فقـال : « يجمـعُ اللّـهُ الخلـقَ يوم القيامـةِ في صعيـدٍ واحـدٍ ، الجنَّ ، والإنسَ ، والبهائمَ ، والسباعَ ، والطيرَ ، وجميعَ الخلق ، فتتشقَّقُ السماء الدنيا فينزل أهلُها ، وهم أكثرُ ممن في الأرض من الجن والإنس وجميع الخلق ، فيحيطون بالجن والإنس فيقول أهـل الأرض : أفيكم ربُّنا ؟ فيقولون : لا ، ثم تتشقق السماء الثانية .. وهكذا إلى السماء السابعة ، ثم ينزل ربُّنا في ظُلَلٍ من الغمـام وحوله الكروبيـون ــ أي رؤساء المكلائكـة ــ وحملـةُ العـرش ، لهم زَجَلٌ بالتسبيح ..» الحديث وانظر تفسير ابن كثير ٦/١١٤ .

٢٧ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ .. ﴾** [آية ٢٧] .

قال سعيد بن المسيِّب : كان « عُقْبَةُ بنُ أبي مُعَيْطٍ » خِدْناً[1] لأُميَّةَ بنِ خَلَفٍ ، فبلغَ أُمَيَّةَ أن عُقْبَةَ [عَزَمَ][2] على أن يُسْلِمَ ، فأتاهُ فقال له : وجهي من وجهِكَ حَرَامٌ ، إن لم تكفر بمحمد ﷺ !! ففعل الشقيُّ ، فأنزل الله جلَّ وعزَّ **﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً . يَاوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً ﴾**[3] .

وقال أبو رجاء : « فلانٌ » هو الشيطانُ ، واحتُجَّ لصاحب هذا القولِ بأنَّ بعدَه **﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْأِنسَانِ خَذُولاً ﴾** .

والقوْلُ الأوَّلُ هو الذي عليهِ أهلُ التفسير[4] .

٢٨ ــ **روى عثمان الجَزري**[5] عن مِقْسَم عن ابن عباس أن هذا نزل في « عُقْبة » و« أميَّة » .

---

(١) (الخِدنُ) الحبيبُ ، والصاحبُ ، كذا في لسان العرب لابن منظور مادة خدن .

(٢) في المخطوطة : « إن عُقبة على أن يُسلم » وقد سقط منها كلمة « عَزَمَ » وقد أثبتناها من الروايات المذكورة .

(٣) ذكر هذه القصة المفسرون بروايات متعددة ، وانظر الطبري ٧/١٩ والقرطبي ٢٥/١٣ والدر المنثور ٦٩/٥ .

(٤) هذا هو الراجح أن المراد بقوله ﴿ فلاناً ﴾ « أمية بن خلف » لا الشيطان ، كما في ابن كثير ١١٦/٦ وقد ذكر الطبري « أبيَّ بن خلف » بدل « أمية بن خلف » وهو الصحيح كما في الدر ٦٩/٥ .

(٥) « عثمان الجَزَري » ويقال له : عثمان المشاهد ، روى عن مِقسم ، كذا في الجرح والتعديل للرازي ١٧٤/٦ وفي المخطوطة « الحَزْري » بالحاء ، وهو تصحيف .

وفي روايـة مِقْسم فأمَّـا « عُقبـة » فكـان في الأُسَارى يوم بدر ، فأمر النبيُّ ﷺ بقتِلهِ ، فقال : أأُقتلُ دونهم ؟ فقـال : نعـم : بكُفـرِكَ وعُتُوِّك ، فقال : مَنْ للصِّبْيةِ؟ فقال : النَّارُ ، فقـام علـيُّ بنُ أبي طالبٍ فقَتَله .

وأمَّا « أُميَّـةُ بنُ خَلَـف » فقتلَـهُ النبـيُّ ﷺ بيـده ، وكان قال : « واللّهِ لأَقْتُلنَّ محمداً ، فبلَغَ ذلكَ النبيَّ ﷺ فقال : أنـا أقتلُـه إنْ شاءَ اللّهُ »[1] .

وقـال ابـنُ أبي نجيـح عن مجاهـد : قال « أُميَّــةُ » لعُقبــة : أَصَبأْتَ ؟ فقال عقبةُ : إنما صنعتُ طعاماً ، فأبى محمَّدٌ أن يأكلَ منه ، حتَّى أشهْدَ لهُ بالرِّسالةِ[2] .

والـذي قالـه « أبـو رجـاء » ليس بنـاقض لهذا ، لأن هذا كان

---

(١) ذكر هذه الرواية السيوطي في الدر المنثور ٦٩/٥ وتتمتها : فأفزعه ذلك فوقعتْ في نفسه ، لأنهم لم يسمعـوا رسول الله ﷺ قال قولاً إلاَّ كان حقـاً ، فلمَّـا كان يوم أحــد خرج مع المشركين ، فجعل يلتمس غفلة النبي ﷺ ليحمل عليه ، فيحول رجلٌ من المسلمين بين النبي وبينه ، فلمـا رأى ذلك رسولُ الله ﷺ قال لأصحابـه : خلُّوا عنـه ، فأخـذ الحَرْبـةَ فرماه بها ، فوقعتْ في ترقوته ، فلـم يخرج منـه كبيـرِ دم . واحتقـن الـدَّمُ في جوفـه ، فخـار كما يخور الثـور ، فاحتملـه أصحابه وهو يخور ، وقالوا : ماهذا ؟ والله ما بك إلاَّ خدش ، فقال : والله لو لم يُصبني إلاَّ بريقه لقتلنـي . فمـا لبث إلا يومـاً حتـى مات إلى النـار . وأنـزل الله فيـه ﴿ ويـوم يعضُّ الظــالم على يديه ... ﴾ الآية .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ٨/١٩ والسيوطي في الدر ٦٩/٥ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن المنذر .

بإغواءِ الشيطانِ وتزيينه ، فيجوز أن يكون نُسِبَ إليه على هذا .

٢٩ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾** [آية ٣٠] .

قال مجاهد وإبراهيم : أي قالوا فيه غيرَ الحقِّ(١) .

قال إبراهيم : ألم تر إلى المريض كيف يَهْجُر ؟ أي يَهْذِي(٢) .

وقيل : ﴿ مَهْجُوراً ﴾ أي متروكاً(٣) .

٣٠ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ ..﴾** [آية ٣١] .

قال أبو جعفر : يجوز أن يكون ﴿عَدُوّاً﴾ بمعنى أعداء ، ويجوز أن يكونَ لواحِدٍ(٤) .

(١ــ٢) انظر الطبري ١٩/٩ وزاد المسير ٨٨/٦ والدر المنثور ٧٠/٥ .

(٣) قال في التسهيل ١٦٧/٣ : ﴿ مَهْجُوْرَاً ﴾ من الهَجْر بمعنى البعد والترك ، وقيل : من الهُجْرِ بضم الهاء أي قالوا فيه الهُجْر حين قالوا إنه شعرٌ وسحرٌ ، والأول أظهر . اهـ . وقد نبَّه المصنف إلى القولين ، ولكنَّ القول الأوَّل أصحُّ ، لأن المعنى : أنهم جعلوه خلف ظهورهم متروكاً ، فلم يؤمنوا به ، ولم يتأثروا بوعده ووعيده ، وهذا قول مجاهد والنَّخعي .

(٤) عبارة الألوسي ١٤/١٩ : والآية تسلية للرسول ﷺ ، وحملٌ له على الاقتداء بمن قبله من الأنبياء ، والعدوُّ يحتمل أن يكون واحداً وجمعاً أي كما جعلنا لك أعداء من المشركين يقولون ما يقولون من الأباطيل ، جعلنا لكل نبي من الأنبياء أعداء .اهـ وروي عن ابن عباس أنه قال : عدوُّ النبي ﷺ « أبو جهل » لَعَنَهُ اللهُ .

وفي بعض الرواياتِ عن ابن عباس أنه يُرادُ به « أبو جهلٍ » .

٣١ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ ..﴾ [آية ٣٢] .

قيل : هذا التَّمامُ .

والمعنى : أنزلناه متفرقاً ، لنثبِّتَ به فؤادك ، كذلك التثبيت ، كما قال جلَّ وعزَّ ﴿ **وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً** ﴾[1] .

لأنه إذا أنزله متفرقاً ، كان فيه جواب ما يسألون في وقته ، فكان في ذلك تثبيتٌ ، فقيل : التمامُ قوله ﴿ **كَذَلِكَ** ﴾ .

[وقيل : التَّمامُ عند قوله جملةً واحدة][2] .

---

(١) سورة الإسراء آية ٧٤ .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة ، وهو ضروريٌّ لتوقف صحة المعنى عليه ، وقد أشار إليه الإمام النحاس نفسه ، في كتابه « إعراب القرآن » حيث قال : الكافُ في موضع نصب نعتٌ لمصدرٍ محذوف ، والمعنى : تثبيتاً كذلك التثبيت ، هذا على أن يكون التمام عند قوله جلَّ وعزَّ ﴿ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ وإن كان التَّمامُ عند ﴿ كَذَلِكَ ﴾ كان التقدير : ترتيلاً كذلك ، والأَولى أن يكون التمام « جملة واحدة » لأنه إذا وُقِفَ على « كذلكَ » صار المعنى : كالتوراة والإنجيل والزبور ، ولم يتقدَّم لهما ذكرٌ .

قال النحاس : وهذا لمَّا لم يجد المشركون سبيلاً إلى تكذيب النبي ﷺ ببرهانٍ ولا حجة قالوا : ﴿ لولا نُزِّل عليه القرآن جملة واحدة ﴾ فسألوا ما الصَّلاحُ في غيرِهِ ، لأن القرآن كان ينزل مفرقاً جواباً عما يسألون ــ وكان ذلك من علامات النبوَّة ــ ولا يسألون عن شيء إلاَّ أُجيبوا عنه ، فكان ذلك تثبيتاً لفؤاده وفؤادهم ، ولو نزل جُمْلةً لكان قد سبق الحوادث التي كان ينزل فيها القرآن ، ولو نزل جملةً لثقل ذلك عليهم ، فالصلاح في إنزاله متفرقاً لأنهم ينبهون به مرة بعد مرة ، وفيه ناسخ ومنسوخ . اهـ إعراب القرآن ٢/٤٦٦ .

والمعنى : وقال الذين كفروا لولا نُزِّل عليه القرآن جملة واحدة كالتوراة والإنجيل !! ومعنى هذا : لِمَ أُنزل متفرقاً ؟ فقال جلَّ وعز ﴿ **كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ** ﴾ أي أنزلناه متفرقاً لنثبِّتَ به فؤادَكَ .

٣٢ ـــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾** [آية ٣٢] .

رَوَى مُغيرةُ عن إبراهيمَ قال : أُنزِلَ متفرقاً[1] .

وقال الحسن : كلَّما سُئِل النبيُّ ﷺ عن شيءٍ نَزَل جوابُه ، حتى كَمُلَ نزولُه في نحو من عشرين سنة[2] .

٣٣ ـــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ﴾** [آية ٣٣] .

قال الضحاك : أي تفصيلاً[3] .

قال أبو جعفر : في الكلام حذفٌ .

والمعنى : وأحسنَ تَفْسيراً من مَثَلِهم ، ومِثْلُ هذا يُحذفُ كثيراً .

٣٤ ـــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً .. ﴾** [آية ٣٤] .

في الحديث الشريف (يُحْشَرُ النَّاسُ على ثَلاثِ طَبَقاتٍ :

(١ـــ٣) انظر الآثار في الطبري ١١/١٩ والقرطبي ٢٩/١٣ والدر المنثور ٧٠/٥ فقد روى السيوطي بسنده عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ كذلك لِنُثَبِّتَ به فؤادك ﴾ قال : كان الله يُنزل على رسوله الآية ، فإذا علمها رسولُ الله ﷺ نزلت آيةٌ أخرى ، ليعلِّمه الكتاب عن ظهر قلبه ، ويُثبِّت به فؤاده ﴿ ولا يأتونك بمثلٍ إلاَّ جئناك بالحقِّ وأحسنَ تفسيراً ﴾ يقول : أحسن تفصيلاً . اهـ .

رُكْباناً ، ومُشَاةً ، وعلَى وُجُوهِهِمْ .. قال أنسٌ : قيل يارسولَ اللَّهِ : كيفَ يُحْشرون على وجُوهِهِمْ ؟ فقال : إنَّ الذي أَمْشَاهم على أرجُلِهِمْ ، قادرٌ عَلَى أن يُمشيَهم على وجوههم)[1] .

٣٥ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴾** [آية ٣٥] .

روى سعيد عن قتادة قال : أي عَوْناً وعَضُداً[2] .

٣٦ ــ **وقوله تعالى : ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ .. ﴾** [آية ٣٧] .

قيل : هذا يوجب أن قوم نوح قد كذَّبوا غير نوح ﷺ ؟

فقيل : من كذَّب نبياً فقد كذَّب جميعَ الأنبياءِ ، لأنَّ الأنبياءَ كلهم يؤمنون باللَّهِ جلَّ وعزَّ ، وبجميع كُتُبه[3] .

وقيل : هذا كما يُقال : فلانٌ يركب الدوابَّ ، وإن لم يركب إلاَّ واحدةً ، أي يركب هذا الجنس .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في تفسير سورة الإسراء ٢٨٥/٥ رقم ٣١٤٢ ورواه أحمد في المسند ٣٥٤/٢ وأخرجه البخاري ١٣٧/٦ ومسلم ١٣٥/٨ في صفة القيامة ، ولفظ البخاري عن أنس أن رجلاً قال يا نبيِّ الله : يُحشر الكافرُ على وجهه يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أليس الدي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يُمشيه على وجهه يوم القيامة » ؟!
قال قتادة حين بلغه : بَلَى وعزَّةِ ربنا .. وانظر تحفة الأحوذي ١١٠/٧ والقرطبي ٣٣٣/١٠ .

(٢) انظر الأثر في الطبري ١٣/١٩ والدر المنثور ٧٠/٥ وابن كثير ١١٩/٦ .

(٣) قال أبو السعود : وإنما قال ﴿ كَذَّبُوا الرُّسُلَ ﴾ مع أنهم كذَّبوا نوحاً وحده ، لأن تكذيبه تكذيبٌ للجميع ، لاتفاقهم على التوحيد والإسلام . اهـ إرشاد العقل السليم ٩/٤ .

٣٧ ـــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَعَـادًا وثَمُـودَ وَأَصْحَـابَ الـرَّسِّ .. ﴾ [آية ٣٨] .

قال قتادة : كانوا أصحاب فَلْج[١] باليمامة وآبار .

قال مجاهد : « أصحابُ الرسِّ » كانوا على بئرٍ لهم ، وكان اسمُها الرَّسُّ فنُسبوا إليها[٢] .

قال أبو جعفر : الرسُّ عند أهلِ اللغة : كلُّ بئرٍ غير مطويَّةٍ ، ومنه قول الشاعر :

« تَنَابِلِةٍ يَحْفِرونَ الرِّسَاسَا »[٣]

يعني : آبار المعادن :

ويُرْوى أنهم قتلوا نبيَّهم ورسُّوه في بئر ، أي دسُّوه فيها[٤] .

---

(١) في المخطوطة : أصحاب ثلج ، وهو تصحيفٌ ، وصوابه « فَلْج » كما في الدر المنثور ٧١/٥ والبحر المحيط ٤٩٩/٦ فقد قال : قال قتادة : أهل قريةٍ من اليمامة ، يُقال لها : الرسُّ ، والفَلْجُ . اهـ .

(٢) انظر الطبري ١٤/١٩ والدر المنثور ٧١/٥ وابن كثير ١٢٠/٦ .

(٣) هذا شطر بيت للنابغة الجَعْدي وهو في ديوانه ص ٨٢ ومعنى « تنابلة » الرجال القِصَار ، وتمامه :

سَبَقْتَ إلى فَرَطٍ نَاهِلٍ   تَنَابِلَةٍ يَحْفِرُوْنَ الرِّسَاسَا

يعني يحفرون آبار المعادن ، وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٧٥/٢ والطبري ١٤/١٩ والقرطبي ٣٢/١٣ ، وفي البخاري في كتاب التفسير ١٣٧/٦ : الرَّسُّ : المعدنُ ، جمعُه رِساسٌ . اهـ .

(٤) الأثر أخرجه ابن كثير عن عكرمة ١٢٠/٦ وأخرجه السيوطي في الدر ٧١/٥ من رواية ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، عن ابن عباس أنه سأل كعباً عن أصحاب الرسِّ ، قال : هو صاحب البئر الذي قال لقومه ﴿ ياقوم اتَّبعوا المرسلين ﴾ فرسَّه قومُه ـــ أي دفنوه ـــ في بئرٍ بالأحجار . اهـ .

إلا أن قتادة قال : إن أصحاب الأيكة ، وأصحاب الرسِّ أُمَّتان ، أُرسلَ إليهم جميعاً « شعيب » ﷺ فعُذِّبتا بعذابَيْن .

٣٨ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً ﴾ [آية ٣٨] .

قال قتادة : بَلَغَنَا أنَّ القَرْنَ : سبعونَ سَنَة[١] .

ومعنى ﴿ تَبَّرْنَا ﴾ : أهلكنا ، ودمَّرنا .

٣٩ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى القَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ .. ﴾ [آية ٤٠] .

قال قتادة : يعني مدينة قوم لوط[٢] .

٤٠ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُوراً ﴾ [آية ٤٠] .

قال قتادة : أي حساباً وبَعْثاً[٣] .

قيل : ﴿ يَرْجُونَ ﴾ ههنا بمعنى : يخافون .

وقال من ينكر الأضدادَ ﴿ يَرْجُونَ ﴾ على بابه ، أي لايرجون ثواب الآخرة ، فيتَّقوا المعاصي[٤] .

---

(١) في المعجم الوسيط : القرنُ من الزمان : مائةُ سنة . اهـ هذا هو المشهور وقيل : ثمانون ، وقيل : سبعون .

(٢) في الطبري ١٦/١٩ : وهي سدوم قرية قوم لوط ﴿ ومَطَرَ السَّوءِ ﴾ : الحجارةُ التي أمطرها الله عليهم فهلكوا بها .

(٣) الأثر في الطبري ١٧/١٩ وابن كثير ١٢١/٦ والبحر المحيط ٥٠٠/٦ قال : كانوا كفرةً لا يؤمنون بالبعث .

(٤) قال ابن الجوزي ٨٩١/٦ ﴿ لايرجون نشوراً ﴾ أي لايخافون بعثاً ، هذا قول المفسرين ، وقال=

٤١ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ .. ﴾** [آية ٤٣] .

قال الحسن : لايَهْوى شيئاً إلاَّ اتَّبعه(١) .

وقال غيره : كان أحدهم يعبد الحَجَرَ ، فإذا رأى حجراً أحسن منه ، أخذه وتركَ الأول(٢) .

قال أبو جعفر : قولُ الحسنِ في هذا قولٌ جامعٌ ، أي يَتَّبع هواه ويُؤْثِرهُ ، فقد صارَ له بمنزلةِ الإلهِ .

٤٢ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾** [آية ٤٣] .

قيل : حافظاً(٣) .

وقيل : كفيلاً .

٤٣ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ؟ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾** [آية ٤٤] .

= الزجاج في معانيه ٩٦/٤ : الذي عليه أهل اللغة أن الرجاء ليس بمعنى الخوف ، وهو عندي الحقُّ ، وإنما المعنى : بل كانوا لا يرجون ثواب مَنْ عمل الخير فركبوا المعاصي . اهـ .

(١) الأثر في تفسير القرطبي ٣٦/١٣ وقد أخرجه ابن أبي شيبة ، وابنُ أبي حاتم عن الحسن ، وانظر الدر المنثور ٧١/٥ .

(٢) هذا قول ابن عباس كما في ابن كثير ١٢٢/٦ والدر المنثور ٧٣/٥ وروح المعاني ٢٤/١٩ .

(٣) هذا اختيار الطبري ، وابن كثير ، قال الطبري ١٨/١٩ المعنى : أفأنت تكون يا محمد على هذا حفظاً عليه في أفعاله ، مع عظيم جهله ؟ .

لأن الأنعام تُسبِّح ، وتجتنبُ مضارَّها[1] .

٤٤ ـ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ... ﴾ [آية ٤٥] .

« تَرَى » ههنا في موضع « تَعْلَم »[2] .

ويجوز أن يكون من رؤية العَيْنِ .

قال الحسنُ ، وأبو مالكٍ ، وإبراهيمُ التَّيْميُّ ، وقتادةُ ، والضحَّاكُ في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ .. ﴾ : هو ما بين طلوع الفجر ، إلى طلوع الشمس[3] .

٤٥ ـ ثم قال تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا .. ﴾ [آية ٤٥] .

---

(١) عبارة التسهيل ٣/١٧٠ : لأن الأنعام ليس لها عقول ، وهؤلاء لهم عقولٌ ضيَّعوها ، ولأن الأنعام تطلب ما ينفعها ، وتجتنب ما يضرُّها ، وهؤلاء يتركون أنفعَ الأشياء وهو الثوابُ ، ولا يخافون أضرَّ الأشياءِ ، وهو العقابُ اهـ .

(٢) هذا قول الزجاج في معانيه ٤/٧٠ حيث قال : يجوز أن يكون من رؤية العين ، والمعنى : ألم تر كيف مدَّ ربُّك الظلَّ ، والأجودُ أن يكون بمعنى : ألم تعلم . اهـ . واختار الألوسي الثاني فقال : ١٩/٢٥ : ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ الهمزة للتقرير ، والرؤية بصرية لأنها التي تتعدَّى بـ « إلى » أي ألم تنظر إلى صنع ربك ؟ لأنه ليس المقصود رؤية ذات الله جلَّ وعلا ، وجُوِّز أن تكون علميَّة أي ألم ينتهِ علمُك إلى أنَّ ربك كيف مدَّ الظلّ ، والأوَّل أولى .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٩/١٨ والقرطبي ١٣/٣٦ وابن كثير ٦/١٢٣ وفي البخاري في كتاب التفسير ٦/١٣٧ ﴿ مدَّ الظِّلَّ ﴾ : ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ﴿ سَاكِنًا ﴾ : دائماً ﴿ ثم جعلنا الشَّمسَ عليه دليلاً ﴾ عليه دليلاً : طلوع الشمس .

قال الحسن : أي لو شاء لتركه ظلّاً كما هو[١] .

وقال الضحَّاكُ : أي لو شاء لجعل النهارَ كلَّه ظِلّاً[٢] .

وقال قتادة : ﴿ **سَاكِناً** ﴾ أي دائماً[٣] .

﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً** ﴾ أي تتلوه وتتبعه .

﴿ **ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً** ﴾ رَوَى سفيانُ عن عبد العزيز بن رفيع ، عن مجاهد ﴿ يَسِيرَاً ﴾ أي خفيَّاً[٤] .

وقال الضحاك : سريعاً[٥] .

وقال أبو مالك وإبراهيم التيمي : ﴿ **قَبْضاً يَسِيَراً** ﴾ هو ما تقبضه الشمس من الظِّلِّ[٦] .

قال أبو جعفر : قولُ مجاهد أولى في العربيَّةِ ، وأشبهُ بالمعنى ، لما نذكره .

وَصَفَ اللهُ جلَّ وعزَّ لطفه وقدرتَه ، فقال : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ** ﴾ أي ما بين طلوع الفجر إلى طلوع

(١ـ٦) هذه الأقوال كلها وردت عن السَّلف ، كما في الطبري ١٨/١٩ وابن كثير ١٢٣/٦ والدر ٧٢/٥ وقال أبو حيان في البحر ٥٠٣/٦ قال الجمهور : الظلُّ هنا من طلوع الفجر إلى طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، مثل ظل الجنة ظلٌّ ممدودٌ ، لا شمس فيه ولا ظلمة ، وقيل : الظلُّ الليلُ وهو يغمر الدنيا كلها ، ومعنى ﴿ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ﴾ : لأدامه أبداً ، بمنع طلوع الشمس = بعد غيبوتها ، فلما طلعت الشمس دلَّتْ على زوال الظِّلِّ ، وبدا فيه النقصانُ ، فبطلوع الشمس يبدو النقصانُ في الظلِّ ، وبغروبها تبدو الزيادةُ في الظلِّ ، وكلما علت الشمس نقص الظِّلُّ ، وكلما دنت للغروب زاد اهـ .

الشمس ، كما قال أهلُ التفسير ، وبيَّنتُه لكَ في قوله جلَّ وعزَّ في وصفه الجنة ﴿ وَظِلٍّ مَمْدُوْدٍ ﴾[1] .

٤٦ ــ **ثم قال سبحانه ﴿ وَلَو شَاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً ﴾** [آية ٤٥] .

أي دائماً كما في الجنة ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيهِ دَلِيلاً** ﴾ أي تدلُّ عليه ، وعلى معناه ، لأن الشيء[2] يدلُّ على ضِدِّه ، فيدلُّ النُّورُ على الظُّلمةِ ، والحرُّ على البرد .

وقيل : دالَّةٌ على اللهِ عزَّ وجلَّ .

﴿ **ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيرَاً** ﴾ أي إذا غابت الشمس ، قُبِضَ الظِلُّ قَبْضاً خفيّاً كلما قُبِض جزءٌ منه ، جُعِلَ مكانَه جزءٌ من الظُّلمةِ ، وليس يزولُ دفعةً واحدةً ، فهذا قولُ مجاهد[3] .

وقولُ أبي مالك ، وإبراهيم التَّيمِيُّ ، أنَّ المعنَى : ثم قبضنا الظَلَّ بمجىء الشمس .

ويذهبان إلى أن معنى ﴿ **يَسِيراً** ﴾ **سهلاً علينا** .

---

(١) سورة الواقعة آية ٣٠ .

(٢) في المخطوطة : « لأن الشمس » يدل على ضِدِّه ، وهو تصحيف وصوابهُ : لأنَّ الشَّيْءَ يدلُّ على ضدِّه .

(٣) قال الطبري ١٩/٢٠ : ويتوجَّهُ لما قاله ابن عباس ومجاهد : لأن سهولة قبض دلك قد تكون بسرعةٍ وخفاء ، وقيل : إنما قيل ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيرَاً ﴾ لأن الظلَّ بعد عروب الشمس ، لايذهب كلُّه دفعةً ، ولا يُقْبِل الظلامُ كلُّه جُملةً ، وإنما يُقبضُ ذلك الظلُّ قبضاً خفياً ، شيئاً بعد شيء ، ويعقب كلَّ جزءٍ بقبضه جزءٌ من الظلام . اهـ .

وقولُ **مجاهد أولى** ، لأن « ثُمَّ » يدلُّ على أنَّ الثاني بعد الأول وقولُه أيضاً أجمعُ للمعنى .

٤٧ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً .. ﴾** [آية ٤٧] .

أي سِتْرَاً **﴿ وَالنَّوْمَ سُبَاتاً ﴾** أي راحة **﴿ وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً ﴾** أي يُنْتَشَرُ فيه[1] .

٤٨ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ نُشْراً[2] بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾** [آية ٤٨] .

أكثر القُرَّاء يقرءون ما كان في معنى الرحمة ، على « الرياح » ، وما كان في معنى العذاب على « الرِّيح » .

ويحتجُّ بعضُهم بحديثٍ ضعيفٍ ، يُروى عن النبي ﷺ ، أنه كان إذا هبَّت الريحُ قال « اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيَاحاً ، ولا تَجْعَلْهَا رِيحاً »[3] .

---

(١) عبارة الألوسي ٢٩/١٩ : ينتشر فيه الناس لطلب المعاش كقوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً ﴾

(٢) قراءة نافع بالنون ﴿ نُشْراً ﴾ وقرأ عاصم بالباء ﴿ بُشْراً ﴾ أي تبشّر بالمطر ، ويؤيده قوله تعالى ﴿ ومنْ آياتِه أن يُرسلَ الرِّياحَ مبشِّراتٍ ﴾ والقراءتان سبعيتان ، كما في النشر لابن الجزري ٢٦٩/٢ والسبعة في القراءات ٤٦٥/٢ .

(٣) الحديث ذكره الخطابي في غريب الحديث ٦٧٩/١ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٣٨/١٠ ==

قال أبو جعفر : وقيل : إنما وقع هذا هكذا ، لأن ما يأتي بالرحمة ثلاثُ رياح : وهي الصَّبَا ، والشِّمالُ ، والجَنُوبُ .

والرابعةُ : « **الدَّبُوْرُ** » ولا تكاد تأتي بمطر .

فقيل لما أتى بالرحمة : « رياحٌ ».

هذا ولا أصلَ للحديث[1] .

ومعنى ﴿ **نُشْرَاً** ﴾ : إحياءً ، أي تأتي بالسحاب الذي فيه المطر ، الذي به حياةُ الخلق ، و﴿ نُشُرَاً ﴾ جمعُ نَشُوْر[2] .

ورُوى عن عاصم ﴿ **بُشُرَاً** ﴾ جمع بَشِيرة .

وروي عنه ﴿ **بُشْرَاً** ﴾ بحذف الضمة لثقلها ، أو يكون جمع بُشْرة ، كما يقال : بُسْرةٌ ، وبُسْرٌ .

= عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ إذا هاجت ريحٌ استقبلها بوجهه وجثا على ركبتيه ، ومدَّ يديه وقال « اللهم إن أسألك من خير هذه الريح ، وخير ما أُرسلت به ، وأعوذ بك من شرِّها وشرِّ ما أُرسلت به ، اللهم اجعلها رحمة ، ولا تجعلها عذاباً ، اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً » قال : رواه الطبراني وفيه «حسين بن قيس» وهو متروك ، وقد وثَّقه حصين بن نمير ، وبقية رجاله رجال الصحيح . اهـ وأخرجه الحافظ في المطالب العليَّة ٢٣٨/٣ وعزاه لأبي يعلي .

(١) قوله « ولا أصل للحديث » هذا غير مسلم وقد ذكرنا تخريجه في الحاشية رقم ٣ من الصفحة السابقة وانظر الألوسي ٢٩/١٩ .

(٢) كل هذه القراءات واردة ﴿ نُشُرَاً ﴾ و﴿ نَشْرَاً ﴾ و﴿ بُشْرَاً ﴾ وهي من القراءات السبع ، وانظر السبعة في القراءات ٤٦٥/٢ لابن مجاهد ٤٦٥/٢ .

وعن **محمد اليماني** ﴿ **بُشْرَى** ﴾[1] أي بشارة .

﴿ **بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ** ﴾ أي المطر .

٤٩ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً . لِنُحيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامَاً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً** ﴾ [آية ٤٩] .

قال محمد بن يزيد : ﴿ **أَنَاسِيَّ** ﴾ جمعُ إنْسِيٍّ ، مثل « كُرْسِيٍّ » وكَرَاسِيَّ .

وقال غيره : ﴿ **أَنَاسِيَّ** ﴾ جمع إنسان ، والأَصلُ « أناسين » مثل سَرَاحين ، ثم أبدل من النون ياء[2] .

٥٠ ــ **ثم قال سبحانه** : ﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا** .. ﴾ [آية ٥٠] .

يعني المطر ، أي نسقي أرضاً ، ونتركُ أرضاً .

﴿ **لِيَذَّكَّرُوا** ﴾ أي ليفكِّروا في نعمِ اللهِ جلَّ وعزَّ ، ويحمدوه[3] .

---

(١) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ١٢٣/٢ قال : وهي قراءة ابن السَّمَيفع فإنه قرأ ﴿ بشرى ﴾ أي مبشِّرة .

(٢) قال في التسهيل ١٧٢/٣ : ﴿ أناسِيَّ ﴾ جمع إنسيٍّ ، وقيل : جمعُ إنسان ، والأوَّل أصحُّ . اهـ
أقول : هذا مذهب الفراء ، والمبرِّد ، والزجاج كما في الألوسي ٣١/١٩ والقرطبي ٥٦/١٣ ومذهب سيبويه أنه جمع إنسان ، والأصل أناسين مثل بستان وبساتين ، قلبت نونُه ياءً ، وأُدغمت فيما قبلها ، وعليه المفسرون ، وانظر معاني الفراء ٢٦٩/٢ .

(٣) في المخطوطة « ويحمدونه » والصواب ما أثبتناه ، لأنه معطوف على قوله « ليفكّروا » .

﴿ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إلاَّ كُفُوراً ﴾ وهو أن يقولوا : مُطرنا بنوءِ كذا ، أي بسقوط كوكب كذا ، كما يقول المنجِّمون .

فجعلهم كُفَّاراً بذلك[1] .

٥١ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيرَاً ﴾ [آية ٥٢] .

أي بالقرآنَ .

٥٢ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ..﴾ [آية ٥٣] .

أي خَلَطَهما وخلَّاهما ، فهما مختلطان في مرآة العين ، وبينهما حاجزٌ من قدرةِ اللهِ عزَّ وجلَّ .

وفي الحديث (مَرِجَتْ أماناتُهمْ)[2] أي اختلطت .

---

(١) أشار المصنف إلى الحديث الذي رواه البخاري ٢٧٧/٢ ومسلم رقم ٧١ عن زيد بن خالد قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء ــ أي مطر ــ كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : اللهُ ورسوله أعلم ، قال : أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر ، فأما من قال : مُطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمنٌ بي وكافر بالكواكب ، وأما من قال مُطِرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بي ومؤمن بالكواكب » رواه البخاري .

(٢) في النهاية ٣١٤/٤ « مَرِجتْ عهودُهم » أي اختلطت ، والحديث في باب الفتن خرَّجه النسائي ، وأبو داود ، وأخرجه البخاري تعليقاً ٤٦٨/١ في المساجد ، ولفظه : شبَّك النبي ﷺ أصابعه وقال : كيف أنت يا عبدالله بن عمروٍ إذا بقيتَ في حُثالةٍ قد مرجت عهودهم وأماناتهم .

ويُقال : مَرَجَ السُّلطانُ النَّاسَ أي خلَّاهم ، وأمرجتُ الدابَّةَ ، ومرجتُها : أي خلَّيْتُها لترعى(١) .

٥٣ ــ **ثم قال تعالى ﴿ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ..﴾** [آية ٥٣] .

أي شديد العذوبة .

﴿ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ [آية ٥٣] .

رَوَى معمرٌ عن قتادة قال : الأُجَاجُ : المُرُّ(٢) .

قال أبو جعفر : والمعروفُ عند أهل اللغة أن الأُجَاجَ : الشَّديدُ الملوحةِ ، ويُقال : ماءٌ مِلْحٌ ، ولا يُقال : مَالحٌ .

ورُوِيَ عن طلحة أنه قرأ ﴿ وَهَذَا مَلِحٌ أُجَاجٌ ﴾(٣) بفتح الميم ، وكسر اللامِ .

٥٤ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً﴾** [آية ٥٣] .

---

(١) قال الطبري ٢٣/١٩ : أصلُ المَرْج : الخلطُ ، ثم يقال للتخلية مرح ، لأن الرجل إذا خلى الشيءَ حتى اختلط بغيره ، فكأنه قد مَرَجه ، ومنه حديث (كيف بك يا عبدالله إذا كنت في حُثالةٍ من الناس قد مرجتْ عهودهم وأماناتهم ، وصاروا هكذا ، وشبَّك بين أصابعه) اهـ .

(٢) في الطبري ٢٤/١٩ ﴿ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ يقول : وهذا ملحٌ مرٌّ ، يعني بالعذب الفراتِ : مياه الأنهار والأمطار ، وبالملح الأُجاج : مياه البحار ، وقد حجر أحدهما عن الآخر بأمره وقضائه ، وقال قتادة : الأُجَاج : المرُّ . اهـ .

(٣) ذكره الألوسي ٣٤/١٩ وابن جني في المحتسب ١٢٤/٢ وصاحب البحر ٥٠٧/٦ .

﴿ **بَرْزَخاً** ﴾ أي حاجزاً

﴿ **وَحِجْرَاً مَحْجُوْرَاً** ﴾ أي مانعاً .

٥٥ ــ **ثم قال تعالى** : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ المَاءِ بَشَرَاً** ..﴾ [آية ٥٤] .

يعني بالماء : النُّطفة ، والله عز وجل أعلم .

٥٦ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ** ﴿ **فَجَعَلَهُ نَسَبَاً وَصِهْرَاً** .. ﴾ [آية ٥٤] . .

قيل : هو الماء الذي خُلِقَ منه أصولُ الحيوانِ .

وقيل : النَّسبُ : البنون ، ينتسوب إليه ، وخَلَق له بناتٍ من جهتهنَّ الأصهارُ[١] .

وقال أبو إسحاق : النَّسبُ الذي ليس بصهرٍ ، من قوله تعالى ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ** ... ﴾ إلى قوله ﴿ **وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلَّا مَاقَدْ سَلَفَ** ﴾[٢] .

والصِّهرُ : من يحلُّ له التزوج[٣] .

ورَوَى عُمَيْرة مولى ابنِ عباس عن ابن عباس رضي الله عنه ــ وهو قولُ الضحاك ــ قال : « حُرِّم من النَّسَب سبعٌ ، ومن الصِّهْرِ سبعٌ »

---

(١) عبارة الألوسي ١٩/٣٦ : ﴿ فجعلهُ نَسَباً وصِهْرَاً ﴾ أي قَسَمه قسمين ذوي نسب ، أي ذكوراً يُنْسَب إليهم ، وذوات صِهْر أي إناثاً ، يُصاهر بهنَّ ، كقوله تعالى ﴿ فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ﴾ .

(٢) سورة النساء آية رقم ٢٣ .

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٤/٧٢ .

ثم قرأ ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ** ﴾ **إلى قوله** ﴿ **وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ** ﴾ .

وقيل : من الصِّهر خمسٌ ﴿ **وَأُمَّهَاتُكُم اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ .. إلى وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمْ** ﴾ وهذا لفظ الضحاك[1].

وقد اختُلِفَ في الفرق بين « الخَتَن » و « الصِّهْرِ » .

فقال الأَصْمعيُّ : الأَخْتَانُ : كلُّ شيءٍ من قِبلِ المرأة .

مثلُ أَبي المرأةِ ، وأخيها ، وعَمِّها .

والأَصهارُ يجمع هَذَا كلَّه ، يُقال : صاهرَ فلانٌ إلى بني فلان ، وأَصهَرَ إليهم .

وقال ابن الأعرابي[1] : الأَخْتَانُ : أبو المرأةِ ، وأخوها ، وعمُّها

والصِّهْرُ : زوجُ ابنةِ الرجل ، وأخوهُ ، وأبوهُ ، وعمُّه[2] .

---

(١) الأثر في الدر المنثور ٥/٧٤ والقرطبي ١٣/٦٠ : وقال الضحاك : الصِّهرُ قرابةُ الرضاع ، قال ابن عطية : وذلك عندي وَهْمٌ أوجبه أن ابن عباس قال : حُرِّم من النسب سبع ، ومن الصِّهْرِ سبع ، ثم ذكر المحصنات ، فقد أشار بما ذكر إلى عِظَمِهِ وهو الصِّهر ، لا أنَّ الرضاع صهرٌ . اهـ .

(٢) ابن الأعرابي : هو أبو عبدالله محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي إمام في اللغة ، قال ثعلب : لزمت ابن الأعرابي تسع عشرة سنة ، وكان يحضر مجلسه زهاء مائة انسان ، وما رأيت بيده كتاباً قط ، انتهى إليه علم اللغة والحفظ ، توفى سنة ٢٣١ هـ وانظر ترجمته في سير النبلاء ١٠/٦٨٨ .

(٣) قال في تهذيب اللغة ٧/٣٠٠ : الختن بفتح الخاء والتَّاء ، رُوي عن ابن الأعرابي والأصمعي قالا : الأَحْماءُ من قِبَلِ الزَّوج ، والأَخْتَانُ من قِبَلِ المرأة ، والصِّهْرُ يجمعهما . اهـ .

وقال **محمد بنُ الحسن**[1] ـ في روايةِ أبي سليمانَ الجَوْزَجَانِيِّ[2] ـ: **أَخْتَانُ الرجلِ** : أزواجُ بناتِهِ ، وأخواتِه ، وعمَّاتِه ، وخالاتِه ، وكلِّ ذي مَحْرمٍ منه .

وأصهارُهُ : كلُّ ذي رحِمٍ مَحْرمٍ من زوجته .

قال أبو جعفر : الأَوْلى في هذا ، أنِ يكون القولُ في الأصهار ما قال الأصمعيُّ ، وأن يكون من قِبَلِهِمَا جميعاً ، لأنه يُقال : صَهَرْتُ الشَّيْءَ أي خلطُته ، فكلُّ واحد منهما قد خَلط صاحبه .

والأَوْلَى في الأَخْتَان ما قاله محمدُ بن الحَسَنِ لجهتين :

أحدهما : الحديثُ المرفوعُ ، روى محمدُ بنُ إسحقَ ، عن يزيدَ بنِ عبدِالله بن قُسَيْط عن محمد بن أسامةَ بن زيد عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ : « أمَّا أنتَ ياعليُّ ، فَخَتَني وأبو ولدي ، وأنت منيِّ ، وأنا منكَ »[3] فهذا يدلُّ على أنَّ زوْجَ البنتِ خَتَنٌ .

---

(١) هو محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني المتوفى سنة ١٨٩ هـ إمام في الفقه والأصول ، وهو الذي نشر علم أبي حنيفة ، وهو من أنبغ تلامذته ، قال عنه الخطيب البغدادي : هو إمام أهل الرأي ، وانظر ترجمته في الأعلام للزركلي ٦/٨٠ .

(٢) هو موسى بن سليمان الجوزجاني أبو سليمان ، فقيه من فقهاء الأحناف ، أخذ الفقه عن محمد بن الحسن ، وانظر ترجمته في الجواهر المضيئة ٢/١٨٦ .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٥/٢٠٤ ولفظه : « اجتمع جعفر ، وعلي ، وزيد بن حارثة ، =

والجهةُ **الأخرى** أنه يُقال : خَتَنَه إذا قَطَعه ، فالزَّوجُ قد انقطع عن أهله ، وقَطَعَ المرأةَ عن أهلها ، فهو أولى بهذا الاسم .

٥٧ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿وَكَانَ الكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيراً﴾** [آية ٥٥] .

قال مجاهدٌ : أي معيناً .

وقال الحسن : أي عوناً للشيطان على اللهِ عز وجل على المعاصي[١] .

٥٨ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾** [آية ٥٦] .

قال قتادة : أي مبشِّراً بالجنة ، ونذيراً من النَّار[٢] .

٥٩ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿قُلْ ما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ، إلاَّ مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّه سبيلاً﴾** [آية ٥٧] .

قال قتادة : بطاعة الله عزَّ وجلَّ[٣] .

= واختلفوا أيهم أحبُّ إلى رسول الله ﷺ فجاءوا إلى الرسول ودخلوا عليه فقالوا : من أحبُّ إليك ؟ قال : فاطمة ، قالوا : نسألك عن الرجال ، قال : أما أنت ياجعفر فأشبهَ خَلْقُك خَلْقي ، وأنت مني وشجرتي ، وأما أنت يا عليُّ فختني وأبو ولدي ، وأما أنت يا زيد فمولاي ، ومني وإليَّ ، وأحب القوم إليَّ » .

(١) عبارة الطبري ٢٦/١٩ : وكان الكافر معيناً للشيطان على ربه ، مظاهراً له على معصيته .

(٢) الأثر عن الحسن أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٧٤/٥ وابن كثير ١٢٧/٦ وقال في البحر المحيط ٥٠٧/٦ : سلَّى نبيَّه بذلك ، أي لا تهتمَّ بهم ، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات ، فإنما أنت رسولٌ تبشّر المؤمنين بالجنة ، وتنذر الكفرة بالنار ، ولست بمطالبٍ بإيمانهم أجمعين . اهـ .

(٣) انظر الأثر في الطبري ٢٧/١٩ والدر المنثور ٧٤/٥ .

٦٠ ــ **وقولُه تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾** [آية ٥٩] .

قال أبو إسحق[١] : أي اسأَلْ عنه ، وقد حكى هذا جماعةٌ من أهل اللغة ، أنَّ « الباء » بمعنى « عَنْ » كما قال جلَّ وعزَّ ﴿ **سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ** ﴾[٢] وقال الشاعر :

هَلَّا سَأَلْتِ الخَيْلَ يا ابْنَةَ مَالِكٍ
إنْ كنتِ جَاهِلَةً بما لم تَعْلَمي[٣]

قال عليُّ بنُ سليمان[٤] : أهلُ النظر يُنكرون أن تكون الباء بمعنى « عن » لأنَّ في هذا فساد المعاني ، قال : ولكنْ هذا مثلُ قولِ العرب : لو لقيتَ فلاناً لَلَقِيكَ به الأسدُ ، أي لَلقِيَكَ بلقائك إيَّاه الأسدُ .

والمعنى : فاسأل بسؤالك ، على ما تقدَّم .

---

(١) هو الإمام الزجاج وقد تقدمت ترجمته ١/٧٤ وانظر معاني القرآن للزجاج ٤/٧٣ فقد قال : والمعنى : فاسأل عنه خبيراً .

(٢) سورة المعارج آية ١ والمعنى : سأل سائل عن عذابٍ واقع ، والسائلُ هو « النضر بن الحارث » كما ذكره المفسرون .

(٣) البيت من معلَّقة عنترة ، التي مطلعها : « هل غادر الشعراءُ من متردَّم » وهو في ديوانه ص٢٠٧ تحقيق محمد سعيد مولوي ، وفي شرح المعلقات العشر للزَّوزني ص ٢٤٨ وفي جامع الأحكام للقرطبي ١٣/٦٣ .

(٤) هو المشهور بالأخفش الصغير المتوفى سنة ٣١٥ وقد تقدمت ترجمته .

٦١ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً ..﴾** [آية ٦١] .

قال قتادة : أي نجوماً .

ورَوَى إسماعيلُ بنُ أبي خالد . عن أبي صالح قال : البروجُ : النُّجومُ العِظَامُ .

ورَوَى إسماعيلُ عن يحيى بنِ رافعٍ ، قال : البروجُ : قصورٌ في السَّماء[1] .

قال أبو جعفر : يُقال لكل ما ظهر وتبيَّن : بُرْجٌ ، ومنه قيل : تبَّرجتِ المرأةُ ، وقد بَرَجَ[2] بَرْجاً إذا ظهر .

٦٢ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيرَاً ﴾** [آية ٦١] .

﴿ سِرَاجاً ﴾ يعني الشمس .

ويُقرأ ﴿ سُرُجاً ﴾[3] .

---

(١) في تهذيب اللغة ٥٦/١١ : قال الزجاج في قوله تعالى ﴿ جَعَلَ في السَّمَاءِ بُرُوْجَاً ﴾ البروج : الكواكب العظام ، وكلُّ ظاهرٍ مرتفع فقد بَرَجَ ، وإنما قيل لها البروج لظهورها وبيانها وارتفاعها . اهـ . وقال المفسرون : البروجُ : منازل الكواكب السيَّارة ، سميت بالبروج لأنها تشبه القصور العالية ، وهي للكواكب كالمنازل للسُكَّان .

(٢) بَرَج بفتح الراء بَرْجاً وبُرُوْجَاً ، قال في المعجم الوسيط ٤٦/١ : بَرَجَ بُرُوْجَاً : ارتفع وظهر . اهـ .

(٣) هذه من القراءات السبع ، قرأ بها حمزةُ ، والكسائيُّ ، وخَلفٌ ﴿ سُرُجاً ﴾ بالجمع ، وقرأ الباقون بالإفراد ، وانظر النشر ٣٣٤/٢ والسبعة في القراءات ص ٤٦٦ .

وقيل : من قرأ هذه القراءة ، فالمعنى عنده : وجعل في البروج سُرُجاً .

فإن قيل : فقد أعاد ذكر القمر ، وقد قال ﴿ سُرُجاً ﴾ والقمرُ داخلٌ فيها ؟

فالجواب : أنه أُعيد ذكرُ القمر لفضله عليها[(١)] ، كما قال جلَّ وعز : ﴿ **فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ** ﴾[(٢)] .

٦٣ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ والنَّهَارَ خِلْفَةً .. ﴾ [آية ٦٢] .

قال مجاهد : أي يَخْلُف هَذَا هذا ، ويَخْلُف هذا هذا[(٣)] .

وقال الحسن : من نسي شيئاً من التذكر والشكر بالنهار ، كانت له في الليل عُتْبى ، ومن نسيَهُ بالليل كانت له في النهار عُتْبى[(٤)] .

(١) عبارة التسهيل ١٧٥/٣ : ﴿ سراجاً ﴾ يعني الشمس ، وقرئ على الجمع بضم السين والراء ، يعني جميع الأنوار ، ثم خصَّ القمر بالذكر تشريفاً . اهـ .

(٢) سورة الرحمن آية رقم ٦٨ .

(٣) و(٤) انظر الآثار عن مجاهد والحسن في الطبري ٣١/١٩ وابن كثير ١٣٠/٦ والقرطبي ٦٥/١٢ قال ابن كثير : يخلف كل واحد منهما الآخر ، يتعاقبان إذا ذهب هذا جاء هذا ، وإذا جاء هذا ذهب ذاك .

وقيل : ﴿ خِلْفَةً ﴾ أي مختلفين كما قال جلَّ وعز ﴿ واخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾[1] .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال قولُ مجاهد .

والمعنى : كلُّ واحد منهما يخلُفُ صاحبَه ، مشتقٌّ من الخِلْفِ ، ومنه خَلَفَ فلانٌ فلاناً بخيرٍ ، أو شرٍّ ، ومنه قول زهير :

بها العِينُ والآرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً
وأَطْلاؤُهَا يَنْهَضْنَ منْ كُلِّ مُجْثَمِ[2]

٦٤ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً ..﴾ [آية ٦٣] .

وكلُّ واحدٍ عبدُه ، فنسبهم إليه لاصطفائه إيَّاهم ، كما يُقال : بيتُ اللهِ ، وناقةُ اللهِ[3] .

٦٥ ــ وقولُه جلَّ وعز ﴿ الَّذِينَ يَمْشُوْنَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً﴾ [آية ٦٣] .

---

(١) سورة الجاثية آية (٥) وتمامها ﴿ واختلاف الليل والنهار ، وما أنزل الله من السماء من رزقٍ ، فأحيا به الأرض بعد موتها ، وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون ﴾ .

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى وهو في ديوانه ص ٥ والعِينُ : بالكسر جمع عيناء ، والمراد بها بقر الوحش ، سُمّيت بذلك لسعة أعينها ، والآرام جمع رِئْم وهو الظبيُ الأبيض الخالص البياض كما في المصباح ، والأطلاء جمع طلا وهو ولد البقرة ، والمجثم :الموضع الذي يقيم فيه ، ومراده أنه إذا ذهب فوج من بقر الوحش وولد الظباء ، جاء فوج آخر يخلفه .

(٣) الإضافة هنا للتكريم والتشريف كما تُضاف الناقةُ والبيتُ إلى الله تكريماً وتشريفاً .

قال **مجاهد** : أي بالوقار والسكينة[1] .

وقــال **الحسن** : علمــاء ، حلمــاء ، إن جُهِــلَ عليهم لم يَجْهلوا[٤] .

٦٦ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَإِذَا خاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمَاً ﴾** [آية ٦٣] .

قال **مجاهد** : أي سَدَاداً[٣] .

قال **سيبويه** : وزعـم أبـو الخطـاب[٤] أنَّ مِثْلَـهُ قولُك للرجـلِ : سلامـاً ، تريـد تسلُّمـاً منك ، كما قلتَ : براءةً منك ، قال : وزعـم أن هذه الآية ــ فيما زعم ــ مكّيَّةٌ .

ولم يُؤمر المسلمون يومئـذٍ أن يُسلِّمـوا على المشركين ، ولكنَّـه على قوله تَسَلُّماً ، ولا خيْرَ بيننا وبينكم ، ولا شرَّ .

٦٧ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِيـنَ يَبِيتُـونَ لِرَبِّهِـمِ سُجَّــدَاً وَقِيَامَــاً .. ﴾** [آية ٦٤] .

---

(١) (٢) ذكـرهما الـطبري في تفسيره ٣٣/١٩ وقـال ابـن جريـر : ﴿ هَوْنـاً ﴾ أي بالحلـم والسكينـــة والوقار ، غير مستكبرين ولا متجبرين .

(٣) الأثر في الطبري ٣٤/١٩ والقرطبي ٦٩/١٣ فلقد جاء فيـه وقـال مجاهـد : معنـى ﴿ سلامـاً ﴾ سَدَاداً ، أي يقول للجاهل كلاماً يدفعه فيه برفق ولين ، ثم قال : والأرجح أن المراد به السَّلامة لا التسليم ، لأن المؤمنين لم يُؤمروا قط بالسَّلام على الكفرة . اهـ . وقد ذكر القرطبي قصة لطيفة في هذا الشأن ، فارجع إليه والله يرعاك .

(٤) أبو الخطاب هو عبدالحميد بن عبدالمجيد الأخفش الأكبر ، كان إماماً في العربية أخذ عنه سيبويه والكسائي وأبو عبيدة . وانظر ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي ٧٤/٢ .

يُقـال : باتَ : إذا أدركـــه الليـــلُ ، نَامَ أو لم ينـــمْ ، كما قال الشاعر :

فَبِتْنَـــا قِيَامَـــاً عنـــدَ رَأْسِ جَوَادِنـــا
يُزَاوِلُنَـــــا عَنْ نفسِهِ ونُزَاوِلُـــــهُ[1]

٦٨ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامَاً﴾** [آية ٦٥] .

قال أبو عُبيدة : أي هلاكاً ، وأنشد :

وَيَــوْمُ الــنِّسِارِ ، وَيَــوْمُ الجِفَـــارِ
كَانَـــا عَذَابـــاً ، وكَانَـــا غَرَامَـــاً[2]

وقال الفـراء : ﴿ كَانَ غَرَامَاً ﴾ أي مُلحّاً ملازمـاً[3] ، ومنـه فلانٌ غريمي أي يلحُّ في الطلب

والغَرَامُ عند أكثرِ أهلِ اللغةِ : أشدُّ العذاب .

قـال الأعشـى :

---

(١) البيت لزهير بن أبي سُلْمى وهو في ديوانه ص ١٣٢ وانظر الجامع لأحكام القرآن ٧١/١٣ .

(٢) البيت للطِّرِمَّـاح في ديوانـه ص ٥٨٤ وهـو في الـلسان مادة غرم ، وفي مجاز القـرآن لأبي عبيـدة ص٨٠ ورد البيت بلفظ « كانـوا عَذَابـاً وَكَانُـوا غرامـاً » وصوابه «كانا» كما في اللسان ، ومعجم البلدان ، وهو في ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي ص٩٠ ينسب إليه .

(٣) عبارة الفراء في معاني القرآن ٢٧٢/٢ ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامَاً ﴾ يقول : مُلِحَّاً دائماً ، والعرب تقول : إنَّ فلاناً لمغرمٌ بالنِّساءِ ، إذا كان مولَعاً بهنَّ ، وإني بك لَمُغْـرمٌ إذا لم تصبر عن الرجـل ، ونرى أن الغريم إنما سُمّي غريماً لأنه يطلب حقّه ويلحُّ حتى يقبضه .

إنْ يعـــاقِبْ يكُـــنْ غَرَامَـــاً

وإنْ يُعْـطِ جَزيـلاً فإنَّـه لايُبَـالي[1]

قال محمد بن كعب : طالبهم اللهُ بثمـنِ النِّعـم ، فلمَّـا لم يأتـوا به ، غرَّمهم ثَمَنها ، وأدخلهم النار .

٦٩ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا .. ﴾** [آية ٦٧] .

قال سفيـان : ﴿ لَمْ يُسْرِفُوا ﴾ لم يُنفقـوا في غير حقٍّ.

﴿ وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾ لم يُمسكوا عن حقٍّ[2] .

وأحسنُ ما قيل : ما حدثنـا أبـو عليٍّ « الحسنُ بن غُلَيـبٍ » قال : حدثني عِمْرانُ بنُ أبي عمرانَ ، قال : حدثنـا خلَّادُ بن سليمـان الحضرميُّ قال : حدثني عمروُ بنُ لبيدٍ ، عن أبي عبدالرحمن الحُبَلِيِّ في قوله جلَّ وعز **﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامَاً ﴾** قال :

- من أنفقَ في غير طاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ فهو الإسرافُ .
- ومن أمسك عن طاعة اللهِ عزَّ وجلَّ فهو الإقتارُ .

---

(١) البيت لأعشى بن قيس وهو في ديوانه صفحة (٩) واستشهد به الطبري ٣٥/١٩ والألـوسي ٤٥/١٩ والقرطبي ٧٢/١٣ .

(٢) الأثر أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن شهاب كما في الدر المنثور ٧٧/٥ قال : لاينفقه في باطل ، ولا يمنعه من حقٍّ ، وذكره الحافظ ابن كثير ٣٣٨/٣ عن إيـاس بن معاوية قال : ماجاوزتَ به أمر=

• ومن أنفق في طاعة الله عزَّ وجلَّ فهو القَوَامُ[1] .

﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً ﴾ أي عَدْلاً[2] .

قال أحمد بن يحيى[3] : يُقال : هذا قِوَامُ الأمرِ ، ومِلاكُه .

وقال بعضُ أهلِ اللُّغةِ : هذا غَلَطٌ ، وإنما يُقال : هذا قَوَامُ الأمر[4] ، واحتجَّ بقوله تعالى ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً ﴾ .

قال أبو جعفر : والصوابُ ما قال أحمدُ بن يحيى ، والمعنيان مختلفان ، فالقَوَامُ بالفتح الاستقامةُ والعدلُ ، كما قال لبيد :

وَاحْبُ المُجَامِلَ بالجزيلِ ، وَصَرْمُهُ
باقٍ إذا ضَلَعَتْ وَزَاغَ قَوَامُهَا[5]

= اللهِ تعالى فهو سرف ، وقال الحسن البصري : « ليس في النفقة في سبيل الله سرفٌ » . اهـ .

(١) لم أر الأثر بهذا اللفظ ، وإنما روى ابن جرير ٣٧/١٩ عن مجاهد أنه قال : لو أنفقت مثل « أبي قُبَيس » ذهباً في طاعة الله ، ما كان سَرَفاً ، ولو أنفقتَ صاعاً في معصية الله كان سَرَفاً ، وقال ابن عباس : من أنفق مائة ألِف في حقٍّ فليس بسَرَف ، ومن أنفق درهماً في غير حقه فهو سَرَف ، وانظر أيضاً ابن كثير ١٣٤/٦ والدر المنثور ٧٧/٥ .

(٢) القَوَام في اللغة : الوَسَطُ والعدلُ ، قال القرطبي : وهذا أدبُ الشرع ألاَّ يفرط الإنسانُ حتى يُضيع حقاً أو عيالاً ، وألاَّ يُضيِّق ويُقترِّ حتى يُجيع العيال ، ويُفرط في الشحِّ . اهـ ٧٣/١٣ .

(٣) هو ثعلب إمام الكوفيين ، وقد تقدمت ترجمته ٥٢/١ .

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٢٧٣/٢ وقال ابن جرير الطبري ٣٩/١٩ : القَوَامُ بفتح القاف وهو الشيءُ بين الشيئين ، تقول للمرأة المعتدلة الخَلْق : إنها لَحَسنةُ القَوَام في اعتدالها ، فأما إذا كسرتَ القاف فقلتَ : إنه قِوَام أهله ، فإنه يعني به أنَّ به يقوم أمرهم وشأنهم . اهـ .

(٥) ديوان لبيد ص ٣٠٣ يقول : أعْطِ وأجزل المجاملة لمن يجاملك،ولو كنت تعلم أنه لايودُّك حقيقةً ، ولا تظهر قطيعته بل استبقها .

والقِوامُ بالكسر : ما يدوم عليه الأمر ويستقرُّ .

٧٠ ــ **وقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُوْنَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ ..﴾** [آية ٦٨] .

قال أبو وائل[١] **قال عبدالله بن مسعود** : « سألتُ رسول الله ﷺ أيُّ الذنب أعظمُ ؟ فقال : أن تُشْرِكَ باللهِ جلَّ وعلا وهو خلقك !!

قلتُ : ثم أيٌّ ؟ قال : أن تَقتل ولَدَكَ من أجل أن يأكل معك ؟ وتزني بحليلة جارك ، ثم قرأ عبدُالله **﴿ وَالَّذِينَ لايَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخرَ .. ﴾**[٢] الآية

٧١ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ..﴾** [آية ٦٨] .

قال مجاهد : هو وادٍ في جهنم[٣] .

وقال أبو عَمْرٍو الشيبانيُّ[٤] : يقال : لقيَ أثَامَ ذلك ، أي جزاء ذلك .

---

(١) أبو وائل هو شقيق بن سلمة الأسدي كوفي ثقة مخضرم ، مات في خلافة عمر بن عبدالعزيز وله مائة سنة ، انظر ترجمته في التقريب ١/٣٥ .

(٢) الحديث رواه أحمد في المسند ١/٣٨٠ والبخاري في التفسير ٦/١٣٨ بلفظ « ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك ، ثم أن تزني بحليلة جارك » وأخرجه مسلم في الإيمان رقم ٨٦ وأبو داود في الطلاق رقم ٢٣١٠ .

(٣) انظر الأثر في الطبري ١٩/٤٥ والدر المنثور ٥/٧٨ .

(٤) أبو عمرٍو الشيباني اسمه « سعيد بن إياس الكوفي » توفي سنة ٩٦ هـ حضر القادسية وهو ابن أربعين سنة ، قال عنه ابن معين : ثقةٌ ، ووثَّقه العجلي أيضاً وابن حبان ، وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٣/٤٦٨ .

وقال القَتبيُّ : الأثام : جزاء العقوبة ، وأنشد :

« وَالعُقُوق لَهُ أَثَامُ »[1]

قال أبو جعفر : وأصحُّ ما قيل في هذا ــ وهو قول الخليل وسيبويه ــ أن المعنى : يَلْقَ جزاءَ الأثَامِ ، كما قال سبحانه ﴿ **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ** ﴾[2] .

وبيَّن جزاء الأثَام فقال ﴿ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ كما بيَّن الشاعر في قوله :

متى تَأْتِنا تُلْمِمْ بِنَا في دِيَارِنَا

تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً وَنَاراً تأجَّجا[3]

قال الضحاك : لمَّا أنزلَ اللهُ جلَّ وعزَّ ﴿ **وَالَّذِينَ لاَيَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ** .. ﴾ إلى آخر الآية ، قال المشركون : قد زعم أنه

---

(۱) هذا عجزُ بيت لبلعاء بن قيس الكِناني ، واستشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/٨١ والمبرد في الكامل ص٤٤٦ والطبري في جامع البيان ١٩/٤٠ :

جَزَى اللهُ بنَ عُرْوَةَ حِينَ أَمْسَى عَقُوقَاً والعُقُوقُ لَهُ أَثَامُ

وأنشده صاحب اللسان ونسبه إلى شافع الليثي قال القرطبي ١٣/٧٦ : يعني بالآثام : جزاءً وعقوبة .

(٢) سورة يوسف آية ٨٢ .

(٣) البيت لعُبيد الله بن الحُرّ ، كما هو في خزانة الأدب ٩/٩٠ وذكر أنه للحطيئة بلفظ : متى تأتِهِ تعشُو إلى ضوءِ نارِهِ .... الخ ثم قال في صفحة (٩١) : وعُلم من هذا أن ما أنشده الشارحُ ، مركَّبٌ من بيتين سهواً ، فصدرُه للحطيئة ، وعُجُزه لابن الحرِّ . اهـ .

لاتوبةَ لنا ، فأنزل اللهُ جلَّ وعزَّ ﴿ إلَّا مَنْ تابَ ، وَآمَنَ ، وعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً ﴾ أي تاب من الشرك ، ودخل في الإسلام .

ونزل هذا بمكة ، وأنزل الله ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إن اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعَاً ... ﴾[1] الآية ثم أنزل بالمدينة بعد ثماني سنين ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّدَاً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾[2] وهي مُبْهَمةٌ لا مَخْرجَ منها .

٧٢ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ .. ﴾ [آية ٧٠] .

روى عاصمٌ عن أبي عثمان عن سلمان قال : « يقرأُ المؤمنُ في أول كِتابه السَّيئاتِ ، ويَرَى الحسناتِ دونَ ذلك ، فينظر وجههَ ، وينظر

---

(١) سورة الزمر آية رقم ٥٣ والأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٤٦/١٩ والسيوطي في الدر ٧٩/٥ .

(٢) سورة النساء آية رقم ٩٣ وقد نبَّه المصنف رحمه الله بقوله « وهي مبهمة لا مخرج منها » إلى أنَّ قاتل المؤمن عمداً في حطر ، وأنه لا توبة له ، وهو مذهب ابن عباس رضي الله عنه ، لأن الآية نزلت بعد آية الزمر ، وآية الفرقان ، فتكون ناسخة لهما ، وفي البخاري في كتاب التفسير ١٣٩/٦ عن سعيد بن جبير قال : أمرني عبدالرحمن بن أبزى أن أسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً ﴾ فسألته فقال : لم ينسخها شيء .. الحديث .

وهذا القول مخالفٌ لمذهب الجمهور القائلين بقبول توبة القاتل ، وعدم خلوده في النار ، وانظر الأدلة مفصلة في كتابنا روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن ٢٧٦/١ .

أعلاه ، فإذا هو حسناتٌ كلُّه ، فيقول ﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴾ فأولئكَ الَّذِينَ يُبَدِّلُ اللهُ سيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ[1] .

قال مجاهد والضحاك : أي يبدلهم من الشركِ الإيمانَ[2] .

وقال الحسنُ : قومٌ يقولون : التبديلُ في لآخرة يومَ القيامة ، وليس كذلك ، إنما التَّبديلُ في الدنيا ، يُبَدِّلُهُمُ اللهُ إيماناً من الشرك ، وإخلاصاً من الشكِّ ، وإحصاناً من الفجور[3] .

قال أبو إسحق : ليس يُجْعلُ مكانَ السيئةِ حَسَنَةً ، ولكنْ يُجعل مكان السيِّئةِ التَّوبةُ ، والحسنةُ مع التوبةِ[4] .

(١ـ ٣) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ٤٦/١٩ وابن كثير ١٣٧/٦ والدر المنثور ١٧٩/٥ .

(٤) اختلف المفسرون في تبديل السيئات إلى حسنات على رأيين : الأول أن المراد أن تلك السيئات التي ارتكبوها تنقلب بنفس التوبة النصوح إلى حسنات ، فضلاً من الله وكرماً ، واستدلوا بحديث مسلم « إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً من النار ، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة ، يُؤتى برجلٍ فيقول الله : نحُّوا كبار ذنوبه ، وسلوه عن صغارها .. وفيه فيقال له : فإن لك مكان كل سيئةٍ حسنة .. » الحديث وهذا ما رجحه ابن كثير والقرطبي .

والرأي الثاني أن السيئة لاتنقلب إلى حسنة ، وإنما يوفقه الله إلى فعل الخير والإحسان ، فينقله من الشرك إلى الإيمان ، ومن عمل القبيح إلى طاعة الرحمن ، فيغيِّر حاله ، ويُصلح له أمره ، وهذا ما رجحه ابن جرير الطبري حيث قال ٤٧/١٩ : وأولى التأويلين بالصواب في ذلك ، تأويل من تأوله بأن الله يبدّل أعمالهم في الشرك إلى حسنات في الإسلام ، بنقلهم عما يسخطه الله من الأعمال إلى ما يرضى ، وأما القرطبي فقد رجح الأول وقال : ولا يبعد في كرم الله تعالى إذا صحت توبةُ العبد أن يضع مكان كل سيئةٍ حسنة ، وقد قال ﷺ « وأتْبِع السيِّئة الحسنةَ تمحُها » ثم ذكر حديث مسلم بطوله ، وكذلك الحافظ ابن كثير جنح إلى ترجيح هذا الرأي فقال : إن تلك =

٧٣ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحَاً فإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابَاً﴾ [آية ٧١] .

أي توبةً مُؤكدةً ، أي إذا عمل صالحاً بعد التوبة ، قيل : تَابَ مَتَاباً ، أي متاباً مُرْضِيَاً مَقْبُولاً .

٧٤ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ..﴾ [آية ٧٢] .

قال محمد بن الحنفية : يعني الغِناء[١] .

وقال الضحاك : يعني الشرك[٢] .

وأصلُ الزور في اللغةِ : الكذبُ ، والشركُ أشدُّ الكذب .

٧٥ ــ وقوله ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامَاً﴾ [آية ٧٢] .

قال الضحاك : باللَّغو أي بالشِّرْكِ[٣] .

ورُوي عنه أيضاً : إذا ذكروا النِّكَاحَ كَنَوْا عنه[٤] .

وقال الحسن : اللَّغْوُ : المعاصي كلُّها[٥] .

= السيئات تنقلب إلى حسنات بالتوبة النصوح ، وماذاك إلاَّ أنه كلَّما تذكَّر ما مضى ندم ، واسترجع واستغفر ، فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار ، وصحت به الآثار المروية عن السلف رحمهم الله تعالى . اهـ وهذا ما رجحناه في كتابنا صفوة التفاسير ٢/ ٢٧٠ .

(١ــ٥)انظر هذه الآثار كلها في جامع البيان للطبري ١٩/ ٤٩ وتفسير ابن كثير ٦/ ١٤٠ وزاد المسير ٦/ ١٠٩ والدر المنثور ٥/ ٨٠ .

وأصلُ اللَّغْوِ في اللُّغةِ : ما ينبغي أن يُلْغَى أي يُطرح[1] .

أي تركوه ، وأكرموا أنفسهم عنه .

٧٦ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾** [آية ٧٣] .

أي لم يتغافلوا عنها ويتركوها ، حتى يكونوا بمنزلة من لايسمع ولا يُبصر[2] .

٧٧ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾** [آية ٧٤] .

قال الضحاك : أي مطيعين لك[3] .

ثم قال ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [آية ٧٤] .

قال الضحاك : أي اجعلنا أئمةً يُقتدى بنا في الخير[4] .

وقال الحسن : أي اجعلنا نقتدي بالمتقين ، الذين قبلنا ، ويَقْتدي بنا مَنْ بعدنا[5] .

---

(١) قال الطبري : واللغْوُ : كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل ، وكلُّ ما يُستقبح كسبٌ الإنسان ، وذكر النكاح باسمه في بعض الأماكن ، وسماع الغِناء مما هو مستقبح في أهل الدين ، فكلُّ ذلك يدخل في معنى اللغو : اهـ الطبري ٥٠/١٩ .

(٢) هذا من باب التمثيل أى إنهم إذا سمعوا آيات القرآن لم يكونوا كالصمِّ العمي الذين لايعقلون بل تدبروها بتفكر وإمعان ، وخشية وإيمان ، خلافاً للكفار الذين قال الله عنهم ﴿ إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون ﴾ .

(٣ــ٥) انظر هذه الآثار في الطبري ٥٣/١٩ والدر المنثور ٨١/٥ وتفسير ابن كثير ١٤٢/٦ .

٧٨ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ .. ﴾** [آية ٧٧] .

روى ابن أبي نجيح[١] **عن مجاهد قال** : أيْ ما يفعلُ بكم ربي ، لولا دعاؤه إيَّاكم ، لِتَعبدوهُ وتُطيعوهُ ؟!

وهذا أحسنُ ما قيل في الآية ، كما قال جلَّ وعزَّ ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ .. ﴾[٢] .

وأصلُ ﴿ يَعْبَأُ ﴾ من العِبْء ، وهو الثِّقْلُ ، وقولُ الشاعر :

كأنَّ بصَدْرِهِ وبجانِبيْهِ
عَبِيَراً بَاتَ يَعْبأُهُ عَرُوسُ[٣]

أي يجعلُ بعضَهُ على بعض .

أيْ أيُّ وزنٍ لكم عند ربكم ، لولا أنه أراد أن يدعوكم إلى طاعته[٤] ؟!

---

(١) في المخطوطة : ابن نجيح ، وصوابُه ابن أبي نجيح ، وقد تكرر ورود اسمه في هذا الكتاب .

(٢) سورة النساء آية رقم ١٤٧ .

(٣) البيت لأبي زبيد الطائي يصف أسداً وهو في جامع البيان للطبري ١٩/٥٥ وفي اللسان مادة عبأ فقد رواه هكذا :

كأنَّ بنَحْرِهِ وبمنكِبَيْهِ عَبِيَراً باتَ يَعْبَؤُهُ عَرُوسُ

(٤) قال القرطبي ١٣/٨٤ : هذه آية مشكلة تعلَّقت بها الملحدةُ ، يُقال : ما عبأتُ بفلان أي ما باليتُ به ، فكأنه قال لقريش منهم : ما يبالي الله بكم لولا عبادتكم إيَّاه ، وذلك الذي يُعبأ بالبشر من أجله . وقال الطبري : المعنى أيُّ شيء يصنع بكم ربي ، لولا عبادةُ من يعبده=

وقال القُتبيُّ : المعنى ما يَعْبأُ بعذابكم ربي ، لولا دعاؤكم غيره ، أي لولا شِرْككُمُ .

٧٩ ــ **ثم قال سبحانه ﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً﴾** [آية ٧٧] .

رَوَى مَسْرُوقٌ عن عبدِالله[١] قال : يعني يوم بدر .

وكذلك قال مجاهدٌ ، والضحَّاكُ .

قال أبو إسحاق : أي فسوف يكون التكذيبُ لازماً يلزمكم ، ولا تُعطون التوبة[٢] .

وقال القتبيُّ : أي فسوف يكون العذابُ لزاماً .

وقال أبو عبيدة : ﴿ لِزَامَاً ﴾ أي فَيْصَلاً[٣] .

= منكم ، وطاعة من يطيعه منكم . اهـ ١٩/٥٥

أقول : إن الآية تشير إلى تكريم الله للإنسانية ، فلولا أن الله خلقهم لأمر عظيم ، وهو طاعتهُ وعبادته ، لكانوا كالبهائم في الاعتبار ، ولكنه تعالى كرَّم النوع الإنساني بالعقل والمعرفة ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﴾ ولهذا جاء التكليف للبشر دون سائر المخلوقات .

(١) هو عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه ، ومراده أن اللِّزامَ هو ما نزل بهم يوم بدرٍ من العذاب ، روى الطبري عن مسروق ١٩/٥٦ قال : خمسٌ قد مضين « الدخان ، واللزام ، والبطشةُ ، والقمر ، والروم » . اهـ .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٤/٧٨ فقد جاء فيه : فسوف يكون تكذيبكم لزاماً يلزمكم ، فلا تعطون التوبة ، وتلزمكم العقوبة .

(٣) انظر مجاز القرآن ٢/٨٢ وقال القرطبي ١٣/٨٦ نقلاً عن أبي عبيدة : ﴿ لِزاماً ﴾ أي جزاءً وهو الفَيْصلُ ، أي فسوف يكون فيصلاً بينكم وبين المؤمنين ، وأنشد لصخر الهُذَلي :

فإمَّا يَنْجُوَا مَن حَتْفِ يَوْمٍ ... فَقَدْ لَقِيَا حُتُوفَهُمَا لِزَامَا

وقال مسلمُ بن عمَّار : سمعتُ ابنَ عبَّاسٍ يقرؤها ﴿ فقد كذَّب الكافرون فسوفَ يكونُ لِزَاماً ﴾[1] .

وقال أبو زيد[2] : سمعتُ قَعْنَباً يقرأ ﴿ فَسَوْفَ يكونُ لَزَامَاً ﴾ بفتح اللَّام .

قال أبو جعفر : وهذا مصدر « لَزِم » والأوَّلُ مصدرُ « لُوزِمَ » .

حدثنا بكرُ بنُ سَهْل ، قال حدثنا أبو صالح ، قال حدثنا معاوية بن صالح ، عن عليِّ بن أبي طلحة ، عن ابنِ عباس ﴿ قُلْ مَا يَعْبأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ يقول : لولا إيمانكُم .

وأخبر الله جلَّ وعزَّ الكفار ، أنه لا حاجة له بهم إذا لم يخلقهم مؤمنين ، ولو كان له بهم حاجة لحبَّبَ إليهم الإيمان ، كما حبَّبه إلى المؤمنين ﴿ فسوف يكونُ لِزاماً ﴾ قال يقول : موتاً[3] .

« انتهت سورة الفرقان »

* * *

---

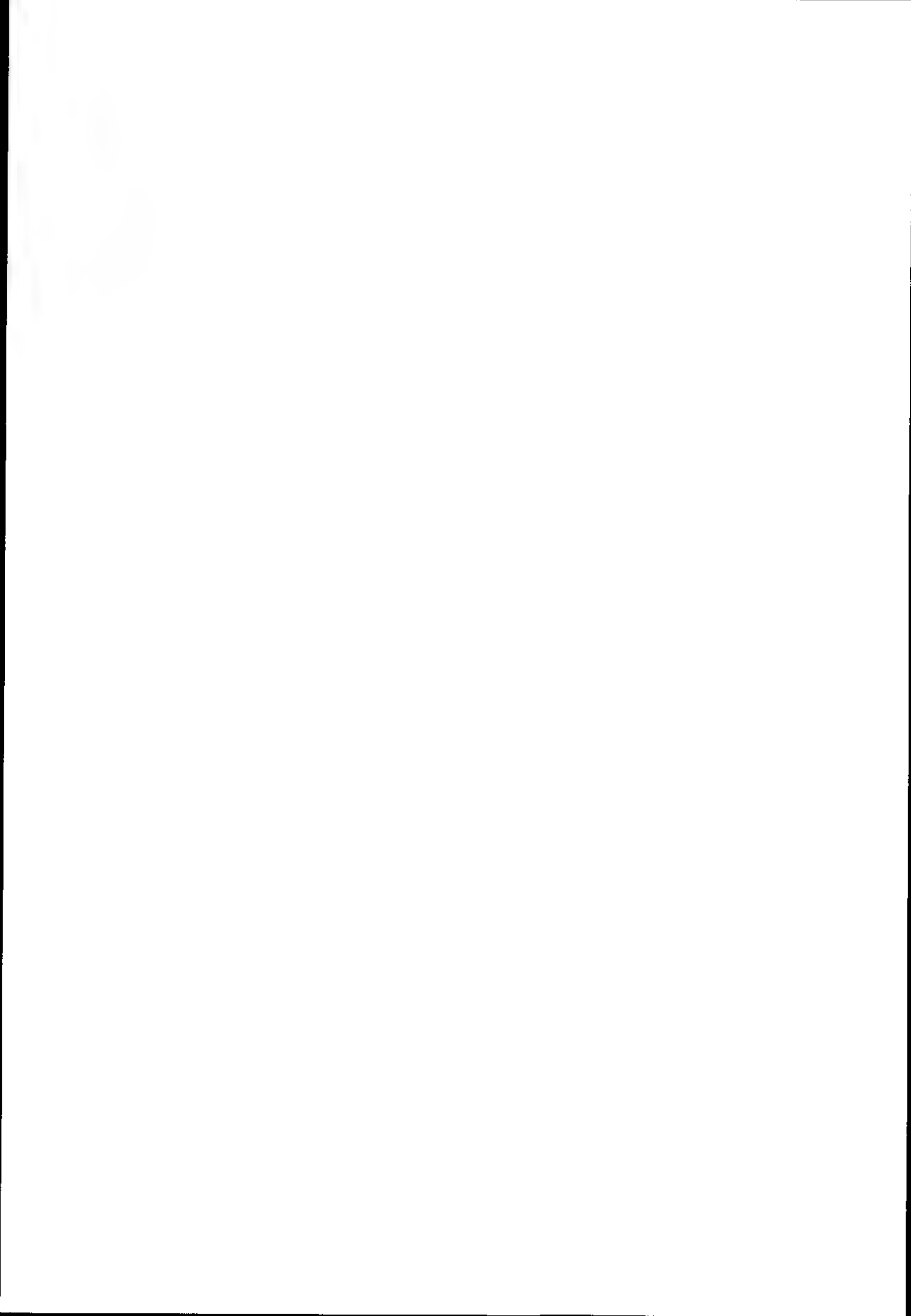
(١) هذه القراءة من الشواذ وليست من القراءات العشر ، ذكرها الطبري في تفسيره ٥٦/١٩ عن ابن عباس وابن الزبير ، وذكرها ابن جني في كتابه المحتسب ١٢٦/٢ في شواذ القراءات ، قال النحاس في إعراب القرآن ٤٧٨/٢ : وهذه القراءة مخالفة للمصحف ، وينبغي أن تحمل على التفسير . انتهى .

(٢) أبو زيد هو أحد أئمة الأدب واللغة وهو سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري المتوفى سنة ٢١٥ هـ وانظر ترجمته في الأعلام ١٤٤/٣ .

(٣) انظر الأثر في الطبري ٥٥/١٩ وابن كثير ١٤٣/٦ والدر المنثور ٨٢/٥ .

تفسير سورة الشعراء

مكية وآياتها ٢٢٧ آية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الشعراء وهي مكية[1]

١ ــ من ذلك قوله جلَّ وعزَّ ﴿ طسٓمٓ ﴾ [آية ١] .

رَوَى مَعْمَرٌ عن قتادة قال : « طسٓمٓ » اسم[2] .

٢ ــ وقولُه جلَّ وعز ﴿ تِلْكَ آياتُ الكِتَابِ المُبِينِ ﴾ [آية ٢] .

لأن القرآن مذكورٌ في التوراة والإنجيل[3] .

فالمعنى : هذه « تلك آيات الكتاب » .

وقيل ﴿ تِلْكَ ﴾ بمعنى هذه .

٣ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾ [آية ٣] .

---

(١) قال القرطبي في تفسيره ١٣/٨٧ : هي مكية في قول الجمهور ، وقال مقاتل : منها مدنيٌّ ، وهي الآية التي يذكر فيها الشعراء ﴿ والشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوون ﴾ وقوله سبحانه ﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بني إِسْرَائيلَ ﴾ وقال ابن عباس وقتادة : مكية إلاَّ أربع آيات منها نزلت بالمدينة .

(٢) عبارة القرطبي أوضح فقد نقل في تفسيره ١٣/٨٨ عن قتادة أنه قال : هي اسم من أسماء القرآن أقسم الله به .

(٣) يريد المصنف أن المراد بقوله « تلك » وهي للبعيد ، الإشارة إلى ذكر القرآن في التوراة والإنجيل ، فمن أجل ذلك حَسُن المجيءُ بلفظ البعيد عن القريب ، قال ابن كثير : والمعنى هذه آيات القرآن المبين ، أي البيِّن الواضح ، الذي يفصل بين الحق والباطل ، والغيّ والرشاد .

قال **مجاهد وقتادة** : أي قاتِلٌ[1] .

وقال **الضحاك** : أي قاتلٌ نفسك عليهم حرصاً[2] .

قال **أبو عبيدة** : ﴿ **بَاخِعٌ** ﴾ أي مُهْلِكٌ[3] .

قال **أبو جعفر** : وأصلُ هذا من بَخَعَه أيِ أَذَلَّه .

والمعنى : لعلَّك قاتلٌ نفسك لتركهم الإيمان .

٤ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً ﴾** [آية ٤] .

أي لو شئنا لاضطررناهم إلى الطاعة بأن نُهلِك كلَّ من عصى[4] .

٥ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾** [آية ٤] .

في هذا أقوالٌ :

قال **مجاهد** : ﴿ **أعناقهم** ﴾ : كبراؤُهم[5] .

---

(١) عبارة أبي عبيدة كما في مجاز القرآن ٨٣/٢ : ﴿ لعلك باخع نفسك ﴾ أي مهلكٌ وقاتل ، قال ذو الرُّمَّة :

أَلاَ أَيُّهَــذَا البَاخِــعُ الوجْــدُ نَفْسَهُ ... لِشَيْءٍ نَحَتْــه عَنْ يَدَيْــهِ المقــادِرُ

(٢ــ٣) انظر الآثار في الطبري ٥٨/١٩ وابن كثير ١٤٤/٦ والدر المنثور ٨٢/٥ .

(٤) عبارة ابن كثير كما في تفسيره ١٤٤/٦ : المعنى : لو شئنا لأنزلنا آية تضطرهم إلى الإيمان قهراً ، ولكنَّا لانفعل ذلك ، لأنا لانريد من أحدٍ إلاَّ الإيمان الاختياري .

(٥) الأعناق على قول مجاهد : هم الكبراء من الناس ، وهو على هذا القول مجازٌ لا حقيقة ، قال

وقال أبو زيد والأخفش : ﴿ **أَعْنَاقُهُمْ** ﴾ جَماعاتُهم ، يُقال : جاءني عُنُقٌ من النَّاس : أي جماعة .

وقال عيسى بن عمر[1] : ﴿ **خَاضِعِينَ** ﴾ و« خاضعةً » ههنا واحدٌ[2] .

والكسائيُّ يذهبُ إلى أن المعنى : خاضعيها[3] .

قال أبو جعفر : قولُ مجاهد ﴿ **أَعْنَاقُهُمْ** ﴾ كبراؤُهم [معروفٌ] في اللغة ، يُقال : جاءني عُنُقٌ من النَّاس أي رؤساؤهم ، وكذلك يُقال : جاءني عُنُقٌ من الناس أي جماعة ، ولهذا يُقال : على فلانٍ عتْقُ رقبةٍ ، ولا يُقال : عَتْقُ عُنُقٍ لما يقع فيه من الاشتراك .

وقولُ عيسى بن عمر أحسنُ هذه الأقوال ، وهو اختيار أبي العباس[4] .

= الألوسي في تفسيره روح المعاني ٦٠/١٩ : وقيل : المراد بها الرؤساء والمقدَّمون مجازاً ، كما يقال لهم : روسٌ وصدور . اهـ وانظر الأثر عن مجاهد في الدر المنثور ٨٣/٥ .

(١) عيسى بن عمر الثقفي ، إمام في النحو والعربية مشهور ، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء ، وصنف في النحو الإكمال ، والجامع . انظر ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي ٢٣٧/٢ .

(٢) مراده أن الضمير ﴿ خاضعين ﴾ عائد إلى أصحاب الرقاب فإذا ذلَّت رقابهم ذلُّوا ، فالإخبارُ عن الرقاب إخبارٌ عن أصحابها ، فيكون ﴿ خاضعين ﴾ و« خاضعة » بمعنى واحد ، إلا أن الأول عاد إلى أهلها ، والثاني عاد إلى نفس الرقاب ، وانظر مجاز أبي عبيدة ٨٣/٢ .

(٣) انظر معاني الفراء ٢٧٧/٢ .

(٤) أبو العباس : كنيةُ المبرِّد ، فهو الذي اختار أن الضمير يجوز أن يعود على الرقاب او على أصحابها .

والمعنى على قوله : فظلُّوا لها خاضعين ، فأخبر عن المضاف إليه ، وجاء بالمضاف مُقْحماً توكيداً ، كما قال الشاعر :

رَأَتْ مَرَّ السِّنِينَ أَخَذْنَ مِنِّي
كَمَا أَخَذَ السِّرَارُ مِنَ الهِلَالِ[1]

وكما قال الشاعر :

وتَشْرَقُ بالقَوْلِ الَّذي قَدْ أَذَعْتَهُ
كما شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ مِنَ الدَّمِ[2]

قال أبو العباس : ومثلُه : سقطتْ بعضُ أصابعه .

قال : ومثلُه :

يا تَيْمُ تَيْمَ عَدِيٍّ لا أَبَا لَكُمُ
لا يُلْقِيَنَّكُمُ في سَوْءَةٍ عُمَرُ

فجاء بـ « تَيْمَ » الأول مُقْحَماً توكيداً .

---

(١) البيت لجرير كما في مجاز القرآن ٨٣/٢ والقرطبي ٩٠/١٣ والشاهد فيه قوله « أَخَذْن مني » فأعاد الضمير على السنين ، ولو أعاده على « مَرّ » لقال أخذ مني .

(٢) البيت للأعشى كما في لسان العرب مادة « شرق » وكما في ديوانه صفحة ١٢١ والشاهد فيه أنه أنّث الفعل ، وهو « شرقت » مع أن فاعله وهو « صدر » مذكّر ، فحقه أن يقول : كما شرق صدر القناة ، ولكنه لما أضيف إلى القناة وهي مؤنثة جاز تأنيثُه .

(٣) البيت لجرير وهو في ديوانه ص ٢٨٥ وفي خزانة الأدب للبغدادي ٢٩٨/٢ يهجويه « عمر بن لَجَأٍ التيمي » والشاهد فيه أن « تيم » الأولى مقحمة ، فيجوز حذفها وأن يقول : يا تيم عدي ، كما أن « الأعناق » مقحمة فيجوز أن يُقال : فظلُّوا لها خاضعين ، في غير القرآن .

وأما **قولُ الكسائي** فخطأٌ عند البصريِّين والفرَّاء .

ومثلُ هذا الحذف لا يقع في شي من الكلام .

٦ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾** [آية ٧] .

قال مجاهد : من نباتِ الأرض ، ممَّا يأكل النَّاسُ والأنعامُ[١] .

ورُوي عن الشعبي أنه قال : النَّاسُ من نباتِ الأرض ، فمن صار منهم إلى الجنة فهو كريم ، ومن صار إلى النار فهو لئيم[٢] .

والمعنى على قول مجاهد : من كل جنس نافعٍ حسنٍ .

٧ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴾** [آية ٨] .

أي لدلالة على الله جلَّ وعزَّ ، وأنه ليس كمثله شيءٌ .

ثم قال ﴿ **وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ أي قد علم اللهُ أنهم لا يؤمنون ، كما قال سبحانه ﴿ **لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ** ﴾[٣] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٩/٦٣ والسيوطي في الدر ٥/٨٣ .

(٢) الأثر ذكره القرطبي ١٣/٩١ وابن كثير ٦/١٤٥ والألوسي ١٩/٦٢ فعلى هذا القول يدخل في النبات الإنسانُ لقوله تعالى ﴿ واللهُ أنبتكم من الأرض نباتاً ﴾ والجمهور أن المراد به الزروع والثمار ، كما قال الشاعر :

تَأَمَّلْ في نَبَاتِ الأَرْضِ وَانْظُرْ ... إلى آثارِ مَا صَنَعَ المَلِيكُ

(٣) سورة الكافرون آية ٢ ــ ٣ .

٨ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [آية ١١] .

أي واتلُ عليهم هذا ..

وبعدَهُ ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴾(١).

٩ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ . ويَضِيقُ صَدْرِي ولَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي ﴾ [آية ١٢] .

قرأ الأعرجُ ، وطلحةُ ، وعيسى ﴿ ويَضِيقَ صَدْرِي . وَلَا يَنْطَلِقَ لِسَانِي ﴾(٢) .

والقراءةُ الأُولى أحسنُ ، لأنَّ انطلاقَ اللِّسانِ ليس ممَّا يدخلُ في الخوف ، لأنه قد كان(٣) .

١٠ ـ ثم قال تعالى ﴿ فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ﴾ [آية ١٣] .

في الكلام حذفٌ .

والمعنى : فأرسلْ إلى هارون ليعينني ويؤازرني ، كما تقول : فأرسلْ إليَّ إني لَأُعينُك .

---

(١) الشعراء آية ٦٩ .

(٢) قراءة الجمهور بالرفع ﴿ ويضيقُ .. ولا ينطلقُ ﴾ قال الفراء ويُقرأ بالنصب وهي قراءة لأعرج وطلحة وعيسى ، والوجهُ الرفع . انتهى معاني القرآن للفراء ٢٧٨/٢ وانظر النشر في القراءات العشر ٣٣٥/٢ .

(٣) قال الفراء ٢٧٨/٢ : والوجهُ الرفعُ ، لأنه أخبر أن صدره يضيق ، والعلَّةُ التي كانت بلسانه فتلك مما لايخاف لأنها قد كانت .

١١ ـــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ [آية ١٤] .

قال مجاهد وقتادة : يعني قتلَ النَّفس ﴿ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ أي بقتلي رجلاً منهم(١) .

١٢ ـــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ قَالَ كَلاَّ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾ [آية ١٥] .

﴿ كَلَّا ﴾ ردعٌ وزجر أي انزجر عن هذا الخوف ، وثِقْ بالله .

ثم قال جلَّ وعز ﴿ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنا إِنا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾ [آية ١٥] .

يحتمل أن يكون ﴿ مَعَكُمْ ﴾ لموسى وهارون عليهما السلام ، لأن الاثنين جمعٌ ، كما قال تعالى ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ ﴾(٢) .

ويحتمل أن يكون لموسى وهارون ، والآيات .

ويحتمل أن يكون لموسى وهارون ومن أرسل إليهم .

---

(١) أي قتل القبطي الذي حدث من موسى خطأً ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾ سورة القصص آية ١٥ .

(٢) سورة النساء آية ١١ وهذا من باب إطلاق الجمع وإرادة المثنَّى ، أي فإن كان للميت اثنان من الإخوة فأكثر ، قال ابن جُزَّي في التسهيل ١٨١/٣ : والخطاب في قوله تعالى ﴿ إنَّا معكُم ﴾ لموسى وهارون ، وفرعون وقومه ، وقيل : لموسى وهارون خاصة ، على معاملة الاثنين معاملة الجماعة ، وذلك على قول من يرى أن أقلَّ الجمع اثنان ، انتهى .

قال أبـو جعفـر : الأوّلُ أولاهـا ، ليكـون المعنـى : إنَّـا معكـم ناصرين ومقوِّين[(١)] .

١٣ ــ **ثم قال جلَّ وعـزَّ ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾** [آية ١٦] .

قال أبو عُبَيْدة : ﴿ **رسولُ** ﴾ بمعنى رسالة ، وأنشد :

لَقَدْ كَذَبَ الوَاشُوْنَ مَا فُهْتُ عِنْدَهُـمْ
بِسِرٍّ وَلَا أَرْسَلْتُهُـــــم برسُوْلِ[(٢)]

والتقديرُ على قوله : إنَّا ذَوَا رسالةٍ .

والأخفشُ يذهب إلى أنه واحدٌ يدلُّ على اثنينِ وجَمْعٍ[(٣)] .

١٤ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾** [آية ١٧] .

المعنى : أرسَلْنا لأن تُرسِلَ معنا بني إسرائيل .

---

(١) إنما رجَّح المصنِّف هذا ، لأن معيَّة الله بالنصرة والحفظ والتأييد ، لا تكون للكافر ، ويؤيـده قولـه تعـالى في سورة طه ﴿ إنني معكمـا أسمع وأرى ﴾ فقـد ورد بلفـظ التثنيـة وقـد قال سيبويـه : إن الخطاب لهما ، ولشرفهما وعظمتهما عند الله تعـالى عومـلا في الخطـاب معاملـة الجمـع ، وانظـر روح المعاني للألوسي ١٩/٦٦ وتفسير البحر المحيط ٧/٨ .

(٢) البيت لكُثَيِّـر عَزَّة كما في ديوانـه ٢/٢٤٣ وفي اللسان مادة رسل والطبري ١٩/٦٥ والقرطبـي ١٣/٩٣ وشواهد المغني ص ١٩٨ وهو فيها بلفظ « ما بُحْتُ » بدل « ما فُهْتُ » .

(٣) انظر معاني الأخفش ٢/٦٤٥ وقال في التسهيل ٣/١٨٢ : إن قيل لمَ أفرده فقـال « إنَّـا رسولُ » وهما اثنان ؟ فالجوابُ من ثلاثة أوجه : الأول أن التقديـر : كلٌّ واحـد منـا رسول . الثـاني أنهمـا جُعلا كشخصٍ واحد لاتفاقهما في الشريعة ولأنهما أخوان فكأنهمـا واحـد . الثـالث : أن رسول هنا مصدر وصُف به ، فلذلك أُطلق على الواحد والاثنين والجماعة .

١٥ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدَاً ..﴾** [آية ١٨] .

أي مولوداً ، فامتنَّ عليه بتربيته إيَّاه صغيراً إلى أن كَبِر .

١٦ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾** [آية ١٨] .

ومن عُمْرِك ، وعَمْرِكَ[١] .

١٧ ــ **وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ .. ﴾** [آية ١٩] .

قال مجاهد : يعني قتلَ النَّفْسِ[٢] .

وقرأ الشعبيُّ : ﴿ وفَعَلْتَ فِعْلَتَكَ ﴾ بكسر الفاء ، والفتح للأول[٣] ، لأنَّهَا للمَّرة الواحدة .

والكسرُ بمعنى الهيئة والحال أي فِعْلَتك التي تُعرفُ كما قال :

كأنَّ مِشْيَتَهـــا مِنْ دَارِ جَارَتِهَـــا
مرُّ السَّحَابَةِ لا رَيْثٌ ولا عَجَـــلُ[٤]

ويُقال : كان ذلك أيام الرَّدة ، والرِّدَة[٥] .

---

(١) في إعراب القرآن للنحاس ٤٨٤/٢ : « مِنْ عُمُرِكَ » قال : وتُحذف الضمة لثقلها فيقال : مِنْ عُمْرك ، وحكى سيبويه فتح العين وإسكان الميم ومنه « لَعَمْرُكَ » ولا يستعمل في القسم عنده إلا الفتح لخفته . اهـ .

(٢) الأثر في الطبري ٦٦/١٩ وابن كثير ١٤٧/٦ والدر المنثور ٨٣/٥ .

(٣) هذه القراءة من الشواذّ كما في المحتسب لابن جنّي ١٢٧/٢ قال الفراء : ولم يقرأ بها غيره .

(٤) البيت للأعشى « ميمون بن قيس » كما في ديوانه ص ٩١ وكتاب الأفعال للسرقسطي ١٠٠/٣ .

(٥) يريد أنه يجوز في كلمة « الفَعْلة » و« الفِعلة » الفتحُ والكسر ، كما تقول : أيام الرَدَّة ، وأيامُ الرِّدة .

قال أبو جعفر : قال « عليٌّ بن سليمان »[1] ــ واختارَ ذلك ــ لأنَّ الارتدادَ لم يكن إلاَّ مرَّةً واحدةً ، والفتحُ أجودُ .

١٨ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَنْتَ مِنَ الكَافِرين ﴾** [آية ١٩] .

في معناه أقوالٌ :

أ ــ **منها أن المعنى : من الكافرين لنعمتي** ، كما قال :

« والكُفْرُ مَخْبَثَةٌ لِنَفْسِ المُنْعِمِ »[2]

ب ــ **والضحاك يذهب إلى أن المعنى** : وأنت من الكافرين لقتلك القبطي .

قال : فنفى عن نفسه الكفر ، وأخبَرَ أنه فعل ذلك على الجهل[3] .

جـ ــ **وقال الفراء** : المعنى : وأنت من الكافرين السَّاعة[4] .

د ــ **قال السدي** : أي وأنت من الكافرين ، لأنك كنتَ تتَّبعُنَا على الدِّينِ الذي تعيبُه السَّاعةَ ، فقد كنتَ من الكافرين على قولك[5] .

---

(١) هو المشهور بالأخفش الصغير المتوفى سنة ٣١٥ وقد تقدمت ترجمته .

(٢) هذا عجز بيت لعنترة وهو في ديوانه ص ١٥٢ وصدره :

نُبِّئتُ عَمْراً غير شاكرِ نعمتي والكفرُ مخبثةٌ لنفس المُنْعِمِ

(٣) الأثر في جامع البيان للطبري ٦٧/١٩ وابن كثير ١٤٧/٦ وزاد المسير ١١٩/٦ .

(٤) عبارة الفراء كما في معاني القرآن ٢٧٩/٢ : وأنت الآن من الكافرين لنعمتي أي لتربيتي إياك . اهـ فقول المصنف « الساعة » هو حكايةٌ لقوله بالمعنى ، وعبارة الفراء « الآنَ » .

(٥) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري ٦٦/١٩ والقرطبي ٩٥/١٣ وصاحب البحر ١٠/٧ .

قال **أبو جعفر** : ومن أحسن ما قيل في معناه ما قاله ابنُ زيدٍ قال : ﴿ **مِنَ الكَافِرِينَ** ﴾ لنعمتِنا ، أي لنعمةِ تربيتي لك[1] .

١٩ ــ **ثم قال عزَّ وجلَّ** ﴿ **قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّيْنَ** ﴾ [آية ٢٠] .

أي من الجاهلين .

وقال أبو عُبَيْدة[2] : ﴿ **مِنَ الضَّالِّيـنَ** ﴾ أي من النَّاسِيـنَ ، كما قال سبحانه ﴿ **أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا** ﴾[3] .

٢٠ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمَاً** .. ﴾ [آية ٢١] .

قال السُّدّي : يعني النبوة .

٢١ ــ **وقوله جلَّ وعز** ﴿ **وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِـي إِسْرَائِيـلَ** ﴾ [آية ٢٢] .

---

(١) هذا القول مرويٌّ عن ابن عباس وهو أرجح الأقوال كما في الطبري ٦٦/١٩ حيث قال : وعن ابن عـاس ﴿ وأنتَ من الكافرينَ ﴾ يقـول : كافـراً للنعمـة ، إذ لم يكـن فرعـون يعلـم ما الكفـر ، ورجحه ابن جرير في جامع البيان ٦٧/١٩ .

(٢) أبو عُبَيْدَةَ هو « مَعْمَـرُ بنُ المُثَنَّـى التَّيمـيُّ » صاحب كتـاب « مجاز القـرآن » ولم أر هذا النقـل عنـه ، وانظـر مجاز أبي عبيـدة ٨٤/٢ وقـد عزاه أيضاً الألـوسي له في تفسيره « روح المعـاني » ٦٩/١٩ وهـو غير موجـود في مجاز القرآن . وأحسنُ الأقوال أن المراد من قول موسى ﴿ وأنـا مِنَ الضَّالين ﴾ أي من المخطئين ، لأنني لم أتعمد قتله ، وإنما أردت تأديبـه ، ولا يراد به الضلال عن الهدى ، لأنه رسولٌ من أولي العزم ، والـرُّسُلُ معصومـون عن الذنـوب والمعـاصي فكيـف بالكفـر والإشراك ؟

(٣) سورة البقرة آية ٢٨٢ وتمامها ﴿ أن تَضِلَّ إحداهما فتذكِّر إحداهما الأخرى ﴾ الآية .

في هذه الآية أقوال :

أ ــ **قيل** : ألف الاستفهام محذوفةٌ ، والمعنى : أَوَ تِلكَ نعمةٌ ؟

كما قال :

تَرُوْحُ مِنَ الحَـــــيِّ أَمْ تَبْتَكِـــــرْ
ومـــــاذا يَضُرُّكَ لو تَنْتَظِـــــرْ[1]

وهذا لا يجوز ، لأن الاستفهام إذا حذفت منه الألـفُ زال المعنـى ، إلاَّ أن يكون في الكلام « أَمْ . أو ما أشبهها[2] .

وقيل : المعنى : وتلك نعمةٌ تمنُّها عليَّ أن عبَّدتني وأنا من بنـي إسرائيل ؟

لأنه يُروى أنه كان ربَّاه على أن يستعبده .

وقيل : وتلك نعمةٌ تمنُّها عليَّ أن عبَّدتَ بني إسرائيل وتركتني ؟

---

(١) البيت لامرئ القيس كما في ديوانه ص٧٧ وفيه احتلاف يسير حيث ورد بلفظ (وماذا عليك بأن تنتظر) وانظر القرطبي ٩٦/١٣ .

(١) ذهب الأخفش ٦٤٥/٢ والفراء ٢٧٩/٢ إلى أن الصيغة صيغة استفهـام وخرَّجه ابـن هشام في المغني على حذف همزة الاستفهـام ، أراد أو تلك نعمـةٌ ؟ والمعنـى : كيـف تمنُّ علـيَّ بإحسانك إليَّ ، وقد استعبدتَ قومي ؟ فما تعدُّه نِعمة ما هو إلاَّ نقمة ، قال القرطبـي ٩٦/١٣ : ومما يدلُّ على حذف ألف الاستفهام مع عدم وجود « أم » قول الشاعر :

وقولُهـــــا والـــــرِّكابُ وَاقِفَـــــةٌ   تَرَكْتَنـــــي هكـــــذا وَتَنْطَلِـــــقُ ؟

وقال الضحاك : إن الكلام خرج مخرج التبكيت ، والتبكيتُ يكون باستفهام وبغير استفهام ، والمعنى : لو لم تقتل بني إسرائيـل لربَّـاني أبَـوَايَ ، فأيُّ نعمـةٍ لك علـيَّ ؟ فأنت تمنُّ علـيَّ بما لا يجب أن تمنَّ به . اهـ . وانظر معاني القرآن للزجاج ٨٧/٤ .

وهذا أحسنُ الأقوال ، لأن اللفظ يدل عليه ، أي إنما صارت هذه نعمة لأنك اتخذت بني إسرائيل عبيداً ، ولو لم تتَّخذهُمْ عبيداً لم تكن نعمة ، فـ « أَنْ » بدلٌ من نعمة .

ويجوز أن يكون المعنى : لأَنْ عبَّدت بني إسرائيل .

٢٢ ـــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ العَالَمِينَ ﴾** [آية ٢٣] .

فأجابه موسى ﷺ بأن أخبره بصفات الله جلَّ وعزَّ ، التي يعجِزُ عنها المخلوقُونَ ﴿ **قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوْقِنِينَ** ﴾ [آية ٢٤] .

فلم يردَّ فرعونُ هذه الحجة ، بأكثرَ من أن قال : ﴿ **قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ** ﴾ ؟ أي ألا تستمعون إلى قوله[1] ؟

فأجابه موسى لأنه المراد ، وزاده في البيان.

﴿ **قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ** ﴾ فلم يحتجَّ فرعون عليه بأكثر من أن نَسَبَهُ إلى الجُنونِ ﴿ **قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ** ﴾ [آية ٢٧] .

أي لمغلوبٌ على عقله ، لأنه يقول قولاً لا يعرفه[2] ، لأنه كان

---

(١) هذا من جهله وسفهه وحماقته ، ولو كان له حجة لذكرها أمام الملأ .

(٢) سأل فرعون اللعين موسى عن حقيقة الله عز وجل ﴿ قال فرعونُ وَمَا ربُّ العَالَمِينَ ﴾ ؟ و «ما» يُسأل بها عن الماهيَّة والحقيقة ، فعدل موسى عن جوابه عن حقيقة اللّهِ ، إلى ذكر آثاره وصفاته ، وهذا يسمى بـ « الأسلوب الحكيم » فكان جوابه له ﴿ قَالَ رَبُّ السَّمواتِ والأَرْضِ وما بَيْنَهما إن كُنْتُم مُوْقِنِينَ ﴾ أي هو خالق الأكوان ، من سماءٍ وأرض ، وبحارٍ وقفار ، وأشجارٍ =

عنـد قوم فرعـون ، أنَّ الـذي يعرفونـه ربـاً لهم ، في ذلك الـوقت هو : « فرعـون » وأن الـذي يعرفـونهم أربابـاً لآبائهـم الأوَّلين ، ملـوكٌ أُخَـرُ ، كانوا قبل فرعون !!

فزاده موسى في البيان فقال ﴿ رَبُّ الـمَشْرِقِ وَالْمَغْـرِبِ وَمَـا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُوْنَ ﴾ [آية ٢٨] .

فتهدَّده فرعون **﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهَـاً غَيْـرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ المَسْجُوْنِينَ ﴾** [آية ٢٩] .

فاحتـجَّ موسى عليـه ، وعـليهم بما يشاهدونـــه ﴿ قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيءٍ مُبِينٍ ﴾ ؟ [آية ٣٠] .

أي ببرهان قاطعٍ واضحٍ يدلُّ على صدقي(١) .

٢٣ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِي ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾** [آية ٣٢] .

= وثمار ، وغير ذلك من المخلوقات البديعة ، فلـم يعجبْـهُ الجواب ، فقـال لأشرافِ قومـه على سبيـل التهكـم والاستهزاء : ﴿ قَالَ لِمَـنْ حَوْلَـه أَلَا تَسْتَمِعُـوْنَ ﴾ ؟ أي لاتسمعـون جوابـه ،وتعجبون من أمره ؟ أسأله عن حقيقة اللّـهِ ، فيجيبنـي عن صفاتـه ، فردَّ عليـه موسى وزاده في الحجَّـةِ والبيـان ﴿ قَالَ رَبُّكُـمْ وربُّ آبَائِكُـمُ الأَوَّلِيـنَ ﴾ أي هو خالقكـم وخالـق من قبلكـم من الأمم ، والخلـق والإيجادُ مظهر الربوبية والعظمة ، فعند ذلك غضب فرعونُ ونسبه إلى الجنـون ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُوْلَكُم الَّذِي أُرسِلَ إِليكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ فزاد موسى في إقامة الحجة ولم يحفـل بسخريته واتهامـه له بالجنـون ﴿ قَالَ رَبُّ المَشْرِقِ والمَغْـرِبِ وَمَا بَيْنَهُما إِنْ كُنْتُـم تَعْقِلُـوْنَ ﴾ وهـذا من أبلـغ الحجـج التـي تقصم ظهر الباطل ، لأن طـلـوع الشمس وغروبها آية باهرة لايمكن لأحـدٍ أن يدعيها ، كما قال إبراهيم الخليل للنمرود ﴿ فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فائت بها من المغـرب ﴾ فلمـا أبـلس فرعون توعده بالبطش والتنكيل .

(١) لم يذكر المصنف معنى الآية ونقلناه من تفسير ابن كثير .

يقال : الثُّعبانُ : الكبيرُ من الحيَّات ، وقد قال في موضعٍ آخر ﴿ **تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ** ﴾[1] .

والجَانُّ : الصغيرُ من الحيَّاتِ[2] .

ففي هذا دليلٌ على أن الآية كانت عظيمة ، لأنه وصف عِظَمها ، وأنَّها تهتزُّ اهتِزَازَ الصغيرِ لخفتَّها ، ولا يمنعها عِظَمُها من ذلك ، فهذا أعظمُ في الآية .

٢٤ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ [آية ٣٣] .

أي ونزع يده من جيبه ، فإذا هي بيضاءُ للناظرين ، بياضاً نورياً من غير بَرَصٍ .

فردَّ فرعونُ الآية العظيمة ، بنسَبِهِ إيَّاه إلى السِّحْرِ ﴿ **قَالَ لِلْمَلأَ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ** ﴾ [آية ٣٤] .

ثم تواضع لهم فقال ﴿ **يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ؟ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي المَدَائِنِ حَاشِرِينَ** ﴾ [آية ٣٧] .

---

(١) سورة النمل آية رقم ١٠ .

(٢) قال القرطبي في جامع الأحكام ١٣/١٦٠ : الجانُّ : هي الحيَّةُ الخفيفة ، الصغيرةُ الجسم . اهـ وقال في التسهيل ٣/٢٠٢ : الجانُّ : الحيَّةُ الصغيرةُ وعلى هذا يشكل قولُه تعالى ﴿ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ والجواب أنها « ثعبانٌ » في جُرْمِها « جَانٌّ » في سرعة حركتها . اهـ .

روى مجاهد عن ابن عباس قال : يعني الشُّرَطَ[1] .

ويُرْوَى أن السَّحرة كانوا اثنيْ عشر ألفاً .

وأن موسى بُعِثَ والسِّحرُ كثيرٌ ، وأُعْطِيَ الآياتِ العظامَ .

كما بُعث النبيُّ ﷺ والبلاغةُ أكثرُ ما كانت ، فأُعطِي القرآن ، ودُعُوا إلى أن يأتوا بسورةٍ من مثله ، فعجزوا عن ذلك .

قال قتادة : ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ ﴾ يعني موسى صلى الله عليه وسلم[2] .

٢٥ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ .. ﴾ [آية ٤٩] .

يُروى أنه أوَّلُ من قَطَعَ ، وصَلَبَ .

﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ ﴾ فيما يلحقنا من عذاب الدنيا،مع أملنا للمغفرة .

---

(١) في القاموس المحيط : الشُّرَطُ : طائفةٌ من أعوان الولاة ، الواحد شُرْطي ، وشُرَطي ، كتركي ، وجُهَني ، سمُّوا بذلك لأنهم أعلموا أنفسهم بعلامات يُعرفون بها . اهـ والمراد أبعث الشرطة والجند ليأتوك بالسحرة ، ويجمعوهم لك من كل مكان من أطراف البلاد ، وانظر جامع البيان للطبري ١٩/٧١ .

(٢) الأثر في الطبري ١٩/٢٣ يريد فرعون اللَّعينُ ، أن يلبِّس على الناس الأمر ، بعد أن آمن السحرة وسجدوا لله رب العالمين ، فاتهمهم بالتآمر مع موسى ، وزعم أنه أكبرهم سحراً ، وأعظمهم مكراً .

يُقال : ضَرَرٌ ، وضرٌّ ، وضَيْرٌ ، وضَوْرَ ، بمعنى واحد ، وأنشد أبو عُبيدة :

فإنَّكَ لا يَضُوْرُكَ بَعْـــــــدَ حَوْلٍ
أَظَبْـــيٌ كَانَ أُمُّكَ أَمْ حِمَـــارُ[1]

﴿ **أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ أي لأن كنَّا .

قال الفراء : أي أوَّلَ مؤمني أهلِ زماننا[2] .

قال أبو إسحاق : هذا كلامُ من لم يعرف الرواية ، لأنه يُروى أنه معه ستمائة ألف وسبعون ألفاً .

وإنما المعنى : أوَّلُ منْ آمن عند ظهور هذه الآية[3] .

٢٦ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوْسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ..** ﴾ [آية ٥٢] .

---

(١) البيت للعامري كما في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٨٥/٢ يريد الشاعر أن يقول : إنه لا يضرك أن تكون أمك ظبياً أم حماراً بعد مرور حولٍ على ولادتك . ومعنى الآية ﴿ لَا ضَيْرَ ﴾ أي لايضرُّنا ذلك لأننا ننقلب إلى الله .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢٨٠/٢ .

(٣) انظر معاني القرآني للزجاج ٩١/٤ فقد ردَّ فيه على الفراء فقال : ولا أحسبه عرف الرواية في التفسير ... الخ والقول الذي ذكره الفراء ، نقلهُ الطبري في تفسيره ٧٤/١٩ عن ابن زيد وما ذكره النحاس عن أبي إسحق هو الأظهر والأوجه ، لأنه لا يصح أن يكون السحرة أول المؤمنين بموسى ، لأن بني إسرائيل كانوا مؤمنين قبلهم ، وقد ذكر القرطبي ١٠٠/١٣ تلك الرواية التي ذكرها أبو إسحاق الزجاج .

يُقال : سَرَى ، وأَسْرى : إذا سـار بالليل[١] .

قال مجاهد : خرج موسى ﷺ ليلاً[٢] .

قال عَمْـرو بنُ مَيْمُـونٍ : « قالـوا لفرعـون إنَّ موسى قد خرج ببني إسرائيلَ ، فقال : لاتكلِّموهـم حتـى يصيـحَ الـدِّيكُ ، فلـم يَصِحْ ديكُ تلكَ اللَّيلـةِ ، فلمـا أصبـح أحضر شاةً فذُبحتْ ، وقـال : لايتـمُّ سلخُها حتى يحضر خُمس مائةِ ألِف فارسٍ من القبطِ فحضروا »[٣] .

ورَوَى يونسُ بنُ أبي إسحـق عن أبي بُرْدة أن رسول الله ﷺ نزل بأعرابي فأكرمه ، فقال له رسول الله ﷺ : تعهَّدْنا فأْتِنا ، فأتى رسولَ الله ﷺ فقال له : ما حاجتك ؟ فقال : ناقةٌ أرتحلُها ، وأعنزٌ يحتلبُها أهلي ، فقال رسولُ الله ﷺ : أَعَجَزَ هذا أن يكـون مثـلَ عجـوزِ بنـي إسرائيل ؟ قالوا : وما عَجُوزُ بني إسرائيـل ؟ قال : إنَّ موسى ﷺ لمَّـا أراد الخروج ببني إسرائيل ، ضلَّ عن الطريق ، فقـال : ما هذا ؟ فقـال له علماءُ بني إسرائيل : إنَّ يوسف لما حضره الموتُ ، أخذ علينـا موثقـاً ألاَّ نخرج إلاَّ بعظامه ، فقال : أين قبرُه ؟ فقالوا : ما يعرفه إلاَّ عجوز بني إسرائيـل ، فسألوهـا فقـالت : حتَّـى تعطينـي حكمـي ؟ قال : ومـا

---

(١) انظر الصحاح للجوهري مادة سرى .

(٢) الأثر في الطبري ١٩/٧٤ والدر المنثور ٥/٨٤ .

(٣) ذكر هذه الرواية السيوطـي في الـدر المنثـور ٥/٨٥ وقـال : أخرجـه ابـن أبي حاتم عن عمـرو بن ميمون ، وفيها أنهم اجتمعـوا إليـه ، فاتبَّـع بنـي إسرائيـل ، فلمـا انتهى موسى إلى البحـر ، قال له وصيُّه : يا نبيَّ اللَّهِ أين أُمرتَ ؟ قال : ههنا في البحر . اهـ .

حكمك ؟ قالت : أن أكون مَعَكَ في الجنة ، فكره ذلك ، فأوحى اللَّهُ جل وعزَّ إليه أَنْ أعطِها ففعل ، فأتتْ بهم إلى بُحَيْرة ، فقالت : أَنْضِبوا هذا الماء ، فأنْضَبُوه ، واستخرجوا عظامَ يوسف ﷺ ، فتبيَّنت لهم الطريقُ كضوءِ النهار[1] .

٢٧ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴾** [آية ٥٢] .

رَوَى عكرمةُ عن ابن عباس قال : اتَّبعه فرعونُ في ألفِ ألفِ حصانٍ ، سوى الإناثِ ، وكان موسى صلى الله عليه في ستمائةِ ألفٍ من بني إسرائيل ، فقال فرعون : **﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾**[2] .

ورَوَى سُفْيَانُ عن أبي إسحاقَ ، عن أبي عُبيدة عن عبدالله **﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾** قال : ستمائةِ ألفٍ وسبعون ألفاً[3] .

---

(١) هذه من الروايات الإسرائيلية التي لا ينبغي التعويل عليها ، وقد ذكر الإمام السيوطي في الدر المنثور ٨٥/٥ بعضها عن أبي حاتم والحاكم ، من قوله « إنَّ موسى لما أراد الخروج » ونقل عن الحاكم تصحيحه لها ، وفي تصحيحه نظر ، وذكر الحديث بتمامه الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٥٢/٦ وقال : هذا حديث غريب جداً ، والأقربُ أنه موقوف . اهـ والحاصل إنّ سياق القصة يدل على عدم الصحة ، لما فيها من الغرائب ، إذ كيف يجهل موسى موضع قبر يوسف وتعرفه عجوز ؟ وتشترط عليه العجوز أن يضمن لها دخول الجنة معه حتى تخبره عن مكان القبر ؟ .

(٢) ذكر هذه الروايات الطبري في تفسيره ٧٥/١٩ والقرطبي ١٠٠/١٣ ثم قال : والله أعلم بصحة ذلك ، وإنما اللازم من الآية الذي يُقطع به ، أن موسى عليه السلام خرج بجمع عظيم ، من بني إسرائيل ، وأن فرعون تَبِعه بأضعافِ ذلك ، والشِّرذمةُ : الجمعُ القليل المحتَقرُ ، والجمعُ شراذم . اهـ .

(٣) قال الألوسي في روح المعاني ٨٢/١٩ : وكان بنو إسرائيل على ما رُوي عن ابن عباس ستمائة ألف وسبعين ألفاً ، وأنا أقول : كانوا أقل من عساكر فرعون ، ولا أجزم بعددٍ في كلا الجمعين ، =

ورَوَى سُفْيَانُ عن أبي إسحاقَ ، عن الأسود[1] ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴾ قال : مُؤْدُون[2] .

قال أبو جعفر : المُؤْدُون : الذين معهم أداةٌ وهي السلاح ، والسِّلاحُ أداةُ الحرب[3] .

وأبو عُبَيْدة يذهب إلى أن « حَاذِرِينَ » و« حَذِرِينَ » و« حَذُرِينَ » — بضم الذال — بمعنى واحد[4] .

قال أبو جعفر : وحقيقةُ هذا أن الحاذِرَ هو المستعدُّ ،والحَذِرُ : المتيقِّظُ كأنَّ ذلكَ فيه خِلْقَةً[5] ، ولهذا قال أكثرُ النحويين : لا يتعدّى « حَذِرٌ » .

= والأخبارُ في ذلك لاتكاد تصح ، وفيها مبالغاتٌ خارجة عن العادة . اهـ .

(١) هو الأسود بن يزيد بن قيس النخعي ، وهو من كبار التابعين توفي سنة ٧٥ هـ ذكره ابن حبان في الثقات ، وانظر ترجمته في التهذيب ٣٤٢/١ .

(٢) ذكره الطبري ٧٧/١٩ عن الأسود ، ونقله أيضاً عن ابن جريج : مؤدون : معَدُّون في السلاح والكراع .

(٣) في الصحاح ٢٢٦٥/٦ : آدَاه على كذا : إذا قوّاه عليه وأعانه ، وآدى الرجلُ أيضاً أي قَوِيَ ، من الأداة فهو مؤدٍ بالهمز ، أي شاكٍ في السلاح ، وأما مود بلا همز ، فهو من أودى أي هلك .

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٨٦/٢ فقد قال : يقال حَذِرٌ ، وحَذُرٌ ، وحاذِرٌ ، وقوم حَذِرون ، وحاذرون . اهـ .

(٥) هذا مذهب الفراء والكسائي فقد قالا : الحَذِرُ : من كان الحَذَر من خِلْقَته ، فهو متيقّظٌ منتبه .

وروى حُميد الأعرجُ ، عن أبي عمَّار ، أنه قرأ ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴾[1] الدَّالُ غير معجمة ، يُقال : جملٌ حَادِرٌ إذا كان غليظاً ممتلياً ، ومنه قول الشاعر :

وَعَيْنٌ لَهَا حَدْرَةٌ بَدْرَةٌ
شُقَّتْ مآقِيهمَا مِنْ أُخُر[2]

٢٨ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ [آية ٥٧، ٥٨] .

حدَّثنا محمد بن سلمة الأسْواني ، قال حدثنا محمد بن سنجر ، قال حدثنا عبدالله بن صالح ، قال حدثني ابن لَهيعة ، عن واهبِ بن عبدالله المعافري ، عن عبدالله بن عمرٍو أنه « نيل مصرَ » سيد الأنهار ، سخَّر اللهُ له كلَّ نهرٍ بين المشرق والمغرب وذلَّله له ، فإذا أراد اللَّهُ أن يُجري نيلَ مصر ، أمَرَ كل نهرٍ أن يُمدَّه ، فمدَّته الأنهار بمائها ، وفجرَّ اللهُ له من الأرض عيوناً ، فإذا انتهى جرْيهُ إلى ما أرادَ اللهُ ، أوحى الله إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره[3] .

(١) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ١٢٨/٢ .

(٢) البيت لامرئ القيس في وصف فرسه كما في ديوانه ص٨٢ وانظر تفسير القرطبي ١٠٢/١٣ .

(٣) الأثر أخرجه القرطبي في تفسيره ١٠٣/١٣ عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، وفي هذا الخبر أنه لما افتتحت مصر أتى أهلُها إلى « عمرو بن العاص » فقالوا : أيها الأمير إن لنيلنا هذا سُنَّة ، لايجري إلاَّ بها ، فقال لهم : وماذاك ؟ فأخبروه أنه لايجري ماؤه إلا بإلقاء فتاة فيه ، فقال لهم : هذا لايكون في الإسلام ، وكتب إلى عمر فأرسل له بطاقة .. الخ القصة المشهورة .

وقـال : في قول اللهِ جلَّ وعــزَّ ﴿ **فَأَخْرَجْنَاهُـمْ مِنْ جَنَّــاتٍ وعيون . وكُنُوزٍ ومَقَامٍ كرِيمٍ** ﴾ .

قال : كانت الجنات بحافتيْ هذا النيل من أولـه إلى آخـره ، في الشقّين جميعاً ، من «أُسْوَان» إلى «رشيد» وكان له سبعة خُلُجٍ[1] « خليـجُ الاسكندريـة » و« خليـجُ دميـاط » و« خليــــجُ سَرْدُوْس » و« خليجُ مَنْفٍ » و« خليجُ الفيُّوم » و« خليجُ المنهى » متصلةٌ لاينقطـع منها شيء عن شيء ، وزروعُ ما بين الجبـلين كلّـه ، من أول مصر إلى آخرهـا ، ما يبلغـهُ الماء ، فكـانت جميـع أرضِ مصرَ كلِّهـــا تُرْوَى من ستَّ عشرة ذراعاً ، بما قدَّروا ودبَّروا ، من قناطرها وجسورها وخُلُجها .

قال : ﴿ **وَالمَقَامُ الكَرِيمُ** ﴾ المنابرُ ، كان بها ألفُ منبر[2] .

قال أبـو جعفـر : المَقَـام في اللغـة : الموضعُ ، من قولك قامَ يقوم ، وكذلك المقامات واحدها مَقَامة كما قال الشاعر :

---

(١) الخُلُج : جمع خليج وهو كما في المعجم الوسيـط : شَرْمٌ من البحـر ، والنُّهيـرُ ــ تصغير نَهْـر ــ يُقتطع من النهر الكبير ، إلى جهة يُنتفع بها . اهـ وقد ذكر المصنف أن للنيل سبعة خُلُج ، ولكنه لم يذكر هنا غير ستة منها ، والـذي سقـط هو خليـج سخـا كما في القرطبـي وفي معجـم البلـدان ٢١٠/٣ ذكر أيضاً أنَّ خحجان مصر سبعة .

(٢) الأثر أخرجه القرطبي عن ابن عباس ومجاهد ١٠٥/١٣ أن المقام الكريم المنابرُ ، وكانت ألف منبر لألف جبار . يعظِّمون عليها فرعون ومُلْكه ، والأرجـح ما رُوي عن سعيـد بن جبير أنها المساكـنُ الحِسَانُ . والمنازل العالية ، قال ابـن كثير ١٥٢/٦ تركـوا المنـازل العاليـة ، والـبساتين والأنهار ، والأرزاق والملك والجاه الوافر في الدنيا . اهـ .

وَفِيهِـمْ مَقَامَـــاتٌ حِسَانٌ وُجُوهُهَـــا
وَأَنْدِيَـةٌ يَنْتَابُهَـا القَـــوْلُ والفِعْــــلُ (1)

والمَقَـامُ أيضاً : المصدر ، والمُقَـامُ بالضمّ : الموضعُ من أقـــام يُقيم ، والمصدرُ أيضاً من أقامَ يُقيم ، إلاَّ أن ابنَ لَهِيعـةَ قال : سمعتُ أن « المَقَامَ الكريم » : الفيُّوم .

٢٩ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُشْرِقِينَ ﴾** [آية ٦٠] .

أكثر أهل التفسير على أن المعنى : وقتَ الشروق(2) .

وأبو عُبيدةَ يذهب إلى أن المعنى : ناحيةَ الشرق(3) .

والأَوَّلُ أولى ، يُقـال : أشرقنـا : أي دخلنـــا في الشُّروقِ ، كما يُقال : أصبحنا أي دخلنا في الصبـاح ، وإنّمـا يُقـال في ذلك : شرَّقنـا وغرَّبنا .

٣٠ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الجَمْعَانِ ﴾** [آية ٦١] .

أي رأى بعضُهُم بعضاً .

---

(1) البيت لزهير بن أبي سُلمى وهو في ديوانه ص١١٣ وفي القرطبي ١٠٥/١٣ .

(2) هذا هو الصحيح ، وهو المروي عن السدي وقتادة ، فقد نقل القرطبي ١٠٥/١٣ عن السدي أنه قال : تبعهم فرعونُ حين أشرقت الشمسُ بالشعاع ، وقال قتـــادة : حين أشرقت الأرضُ بالضياء ، ولو كان المراد جهة الشرق لقال : مُشَرِّقين .

(3) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٨٦/٢ قال : مجاز المشرق : مجاز الصبح . وليس فيه ما ذكره المصنِّف أنه ناحية الشرق .

﴿ **قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ** ﴾ [آية ٦١] .

وقرِئ ﴿ **لَمُدَّرَكُوْنَ** ﴾[1] والمعنى واحدٌ .

أي سيدركنا هذا الجمع الكثيرُ ، ولا طاقةَ لنا به .

٣١ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ** ﴿ **قال كلَّا إنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** ﴾ [آية ٦٢] .

﴿ **كلاَّ** ﴾ أي ارتدعوا وانزجروا عن هذا القـول :

﴿ **إنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِين** ﴾[2] .

٣٢ ــ **وقولـه جلَّ وعـزَّ** ﴿ **فَانْفَلَـقَ فَكَـانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّـوْدِ العَظِيـمِ** ﴾ [آية ٦٣] .

قال الضحـاك : ﴿ **كَالطَّـودِ العَـظِيم** ﴾ أي كالجبـلِ ، كما قال الأسودُ بن يَعْفُر :

نَزَلُـوا بأَنْقِـرَةٍ يَسِيـلُ عَلَيْهِـمُ
مَاءُ الفُـرَاتِ يَجِـيءُ منْ أَطْـوَاد[3]

جمع طودٍ أي جبل .

---

(١) هذه قراءة الأعرج وعُبيد بن عمير ، بتشديد الدال من « ادَّرك » كما في المحتسب ١٢٩/٢ والقرطبي ١٠٦/١٣ وهي من شواذ القراءات .

(٢) المراد إن اللّهَ معي بالحفظ والنصرة والتأييد ، وسَيَهديني إلى طريق النجاة .

(٣) البيت للأسود بن يعفر ، وهو في ديوانه ملحق ديوان الأعشى ص ٢٩٦ وفي القرطبي ١٠٧/١٣ ومجاز القرآن ١٠٧/٢ ومعجم البلدان ٢٧٢/١ .

٣٣ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ ﴾** [آية ٦٤] .

قال الحسنُ : ﴿ أَزْلَفْنَا ﴾ : أهلكنا .

وقال أبو عبيدة : ﴿ أَزْلَفْنَا ﴾ : جمعنا ، ومنه ليلةُ المزدلفة .

وقال قتادة : ﴿ أَزْلَفْنَا ﴾ : قرَّبناهم من البحر فأغرقناهم .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوالُ متقاربة ، لأنه إنما جمعهم للهلاك ، وقولُ قتادة أصحُّها ، ومنه **﴿ وأُزْلِفَتِ الجنَّةُ للمتَّقِين ﴾**[1] أي قُرِّبت ومنه :

« مرَّ اللَّيالي زُلَفاً فزُلَفاً »[2]

ورُوي عن أُبيّ بن كعب أنه قرأ « وأزلقنا »[3] بالقاف .

٣٤ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴾** [آية ٦٩] .

أي خبر إبراهيم .

---

(١) سورة الشعراء آية رقم ٩٠ .

(٢) هذا صدر بيتٍ للعجاج ، وقد ذكره الطبري ١٩/٨١ بلفظ : « طيَّ اللَّيالي » بدل « مرَّ الليالي » وكذا ذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/٨٧ ، وتمامه :

طَيَّ اللَّيالي زُلَفاً فزلَفا ... سَمَاوة الهلالِ حتى احْقَوقَفا

يريد أنه طواه السير في مسيره كما تطوي الليالي الأهلة حتى تنحل .

(٣) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب ٢/١٢٩ وقد ذكر القرطبي ١٣/١٠٧ أنها قراءة أبي عبدالله بن الحارث ، وابن عباس أيضاً على معنى أهلكناهم ، من قولهم أزلقت الناقةُ : إذا ألْقَتْ ولدها من بطنها .

٣٥ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ قالوا نَعْبُدُ أَصْنَامَاً فنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴾** [آية ٧١] .

أي مقيمين على عبادتها .

﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴾ ؟

قال أبو عُبيدة : أي هل يسمعون لكم[١] .

قال أبو حاتم : أي هل يسمعون أصواتكم ؟

وقرأ قتادة ﴿ هل يُسْمِعُونَكُمْ ﴾ بضم الياء[٢] ، أي هل يُسْمِعونكم أصواتَهم وكَلاَمَهم ؟

٣٦ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاَّ رَبَّ العَالَمِينَ ﴾** [آية ٧٧] .

يجوز أن يكون استثناءً ليس من الأول[٣] .

ويجوز أن يكون المعنى : كلُّ ما تعبدونه عدوٌّ لي يوم القيامة إلاَّ اللهُ جلَّ وعزَّ .

---

(١) عبارته في مجاز القرآن ٨٧/٢ أي يسمعون دعاءكم ، كما في قوله تعالى ﴿ وإِذَا كَالُوهُمْ ﴾ أي كالوا لهم .

(٢) ذكر هذه القراءة ابن جني في المحتسب ١٢٩/٢ والقرطبي ١٠٩/١٣ وهي من شواذ القراءات .

(٣) أشار به إلى أن الاستثناء منقطع ، و « إلاَّ » بمعنى « لكنْ » أي لكنْ ربُّ العالمينَ فإنه حبيبٌ لي ، ليس بعدوٌّ ، وأجاز بعضهم أن يكون الاستثناء متصلاً ، فإنهم كانوا يعبدون اللَّهَ ، ويعبدون معه الأصنام ، فأعلمهم أنه تبرأ مما يعبدون إلاَّ الله ، وهو قول الزجاج ، وانظر البحر المحيط ٢٤/٧ والقرطبي ١١٠/١٣ .

ومن أصحِّ ما قيل فيه أنَّ المعنى : فإنهم عَدُوٌّ لي لو عبدتُهم يوم القيامة[1] .

٣٧ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾** [آية ٧٨] .

وقرأ ابنُ أبي إسحق ﴿ فَهُوَ يَهْدِينِي ﴾ بإثبات الياء فيها كلِّها[2] .

وقرأ ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطَايَايَ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ .

وقال : ليست خطيئةً واحدة .

قال أبو جعفر : والتوحيدُ جيِّدٌ ، على أن تكون خطيئة بمعنى خطَايا ، كما قُرِئ **﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾**[3] .

قال مجاهد : في قوله **﴿ والَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لي خَطِيئَتِي ﴾** .

قال : هو قولُه **﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُم هَذَا ﴾**[4] وقولُه **﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾**[5] .

---

(١) هذا الذي اختاره النحاس هو رأي الفراء ، وانظر معاني الفرَّاء ٢٨١/٢ والقرطبي ١١٠/١٣ .

(٢) ذكرها صاحب البحر ٢٥/٧ وقال : هي رواية عن نافع بإثبات الياء في « يهديني ، ويسقيني ، ويشفيني » .

(٣) سورة لقمان آية رقم ٢٠ قرأ حمزة ﴿ نعمةً ﴾ بالإفراد وهذه من القراءات السبع وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥١٣ والنشر ٣٤٧/٢ .

(٤) سورة الأنبياء آية رقم ٦٣ .

(٥) سورة الصافات آية ٨٩ .

وقولُـه حين أراد فرعـونٌ من الفراعنـة أن يأخـذ « سَارَة » قال : هي أختي(١) .

٣٨ ــ **قال مجاهـــد في قولـــه جلَّ وعـــزَّ ﴿ وَاجْعَـلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴾** [آية ٨٤] .

قال : الثَّناء الحسَنُ .

ورُوي عن ابن عباس قال : اجتماعُ الأمم عليه(٢) .

٣٩ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ إلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾** [آية ٨٩] .

قال قتادة : أي سليمٍ من الشِّرك .

وقال عروة : لم يلعن شيئاً قطُّ(٣) .

---

(١) الأثـر أخرجـه الـطبري في تفسيره ٨٥/١٩ وصاحب البحـر ٢٥/٧ وكثيـرٌ من المفسريـن ، وقـال ابن جُزَيٍّ في التسهيّل ١٨٨/٣ قوله تعالى ﴿ أن يَغْفِرَ لِي خطِيئَتِي ﴾ قيل : أراد كذباتِه الثلاثـة الواردة في الحديث ، وهـي قولـه في « سارة » زوجتـه : هي أختـي ، وقولـه ﴿ إني سقيم ﴾ وقولـه ﴿ بَلْ فَعَلَـهُ كَبِيرُهُـمْ هَذَا ﴾ الخ ولم يرتض الفخـر الـرازي في التـفسير الكـــبير ١٤٦/٢٤ هذه الأقوال وقال : إن نسبة الكذب إلى إبراهيم غير جائزة ، والأنبياء منزهـون عن الخطايـا ، والجواب الصحيـح أن يُحمـل ذلك على ترك الأَوْلى ، وقـد يسمَّـى ذلك خطـأً ، فإن من مَلَك جوهـرةً وأمكنه أن يبيعها بألف ألف دينار ، فإن باعها بدينار قيل إنـه أخطـأ ، وتـركُ الأَولى على الأنبيـاء جائز ، انتهى من التفسير الكبير وهو كلام نفيس .

(٢) نقل الحافظ ابن كثير عن عكرمة قوله : كل أمةٍ تحبُّهُ وتتولاه ، وهذا معنى اجتماع الأمم عليه .

(٣) قال القرطبي ١١٥/١٣ : وروي عن عروة أنه قال : يا بنيَّ لا تكونوا لعَّانين . فإن إبراهيم لم يلعن شيئاً قط ، واستشهد بالآية .

٤٠ ـــ **ثم قال تعالى** : ﴿ **وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [آية ٩٠] .

أي قُرِّبت ، بمعنى : قَرُب دخولُهم إيَّاها .

٤١ ـــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** ﴿ **فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ** ﴾ [آية ٩٤] .

« كُبْكِبُوا » أي قُلبوا على رءوسِهم .

وقيل : طُرِح بعضُهم على بعض ، هذا قولُ أبي عبيدة[1] .

والأصلُ : كُبِّبُوا ، فأُبدل من الباء كافٌ ، استثقالاً للتضعيف .

وقيل : معنى ﴿ **فَكُبْكِبُوا** ﴾ فَجُمِّعوا ، مشتقٌّ من كَوْكَبِ الشَّيء أي معظمِه ، والجماعةُ من الخيلِ : كَوْكَبٌ ، وكبكبة[2] .

قال قتادة : ﴿ **والغَاوُونَ** ﴾ الشياطينُ .

وقال السُّدِّيُّ : ﴿ **فكُبْكِبُوا** ﴾ : أي مشركو العرب ، و ﴿ **الغَاوُوْنَ** ﴾ : الآلهة ، و﴿ **جُنُودُ إبْلِيس** ﴾ من كان من ذرّيته[3] .

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٨٧ .

(٢) أحسن ما قيل في معنى ﴿ كُبْكِبُوا ﴾ ما ذكره الإمام الفخر في التفسير الكبير حيث قال : ٢٤/١٥٢ : قال : الآلهةُ ، وعَبَدتُهم الذين بُرِّزت لهم الجحيم ، ثم قال : والكبكبةُ تكريرُ الكبِّ ، جَعَلَ التكريرَ في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى ، كأنه إذا أُلقي في جهنم ، ينكبُّ مرَّة بعد مرَّة ، حتى يستقرَّ في قعرها .

(٣) عبارة الطبري ١٩/٨٨ : ﴿ وجُنودُ إبليسَ ﴾ : كلُّ من كان من أتباعه ، سواء كان من ذريته ، أو من ذريَّة آدم ، وهذا المعنى أشمل .

٤٢ ــ قال أبو جعفر : ومعنى ﴿ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ العَالَمِينَ ﴾ نعبُدكم كما نعبُدُه .

٤٣ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ . وَلَاصَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ [آية ١٠١] .

﴿ حَمِيمٍ ﴾ أي خاصّ[1] ، ومنه حامَّةُ الرَّجُلِ ، وأصلُ هذا من الحميم ، وهو الماءُ الحارُّ ، ومنه الحَّمامُ ، والحُمَّى .

فحامَّةُ الرجل : الذين يُحْرِقُهم ما أحرقَهُ ، كما يُقال : هم حُزَانتُهم أي يُحْزِنُهُمْ ما يُحْزِنه .

٤٤ ــ وقرأ يعقوبُ وغيرُه ﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَأَتْبَاعُكَ الأَرْذَلُونَ ﴾ [آية ١١١] .

وهي قراءةٌ حسنة[2] ، وهذه الواوُ أكثرُ ما يتبعُها الأسماءُ ، والأفعالُ بعدُ ، و﴿ أَتْبَاعُ ﴾ جمع تَبَعٍ ، وتَبَعٌ يكون للواحد ، والجميع ، قال الشاعر :

---

(١) قال صاحب الكشاف ١١٢/٢ : والحميمُ من الاحتمام وهو الاهتمامُ ، وهو الذي يهمُّه ما يهمُّك ، أو من الحَامَّةِ بمعنى الخاصَّةِ ، وهو الصديقُ الخاصُّ . اهـ . وانظر أيضاً الصحاح للجوهري ١٩٠٥/٥ .

(٢) قراءة الجمهور ﴿ أنؤمنُ لكَ واتَّبعَكَ الأَرْذَلُونَ ﴾ ؟ بصيغة الماضي ، وأما قراءة الجمع ﴿ وأَتْباعُكَ الأَرْذَلُونَ ﴾ فهي من القراءات العشر كما في النشر ٣٣٥/٢ وقد ذكر الألوسي ١٠٧/١٩ وصاحب البحر ٣١/٧ أنها قراءة الأعمش ، وأبي حيوة ، وطلحة ، ويعقوب ، وعدَّها ابن جني في المحتسب ١٣١/٢ من القراءات الشاذة ، والصحيح أنها من القراءات العشر .

لَهُ تَبَـعٌ قَدْ يَعْلَـم النَّــاسُ أَنَّــه
عَلَـى مَنْ تَدَانى صَيِّـفٌ وَرَبِيـع[1]

وقيل : إنما أرادوا أنَّ أتباعَك الحجَّامـونَ والحاكةُ .
والصِناعـاتُ ليست بضارَّةٍ في الدين[2] .

ورَوَى عيسى بنُ مَيْمُونَ عن ابـنِ أبي نجيـح ، عن مجاهـدٍ وسعيد عن قتادة ﴿ **وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ** ﴾ قال : الحَاكَةُ[3] .

٤٥ ــ وقولُه تعالى ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَـهُ فِي الفُـلْكِ المَشْحُـونِ ﴾ [آية ١١٩] .

المشحونُ : المملوءُ[4] .

٤٦ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴾ [آية ١٢٨] .

---

(١) استشهد به القرطبي في تفسيره ١٢٠/١٣ دون عزوٍ ، ولم نعثر على قائله .
(٢) هكذا قال الزجاج في معانيه ٩٥/٤ : نسبوهم إلى الحياكـة والحِجامـة ، والصناعـاتُ لاتضرُّ في باب الديانات .
(٣) الأثـر أخرجـه القرطبـي ١٢٠/١٣ وابـن الجوزي ١٣٤/٦ وفي المصبـاح : حَاكَ الرجـلُ الثَّـوْبَ حَوْكاً ، والحِياكَةُ : الصناعةُ ، فهـو حائكٌ ، والجمعُ حَاكَـةٌ ، وحَوَكَـةٌ ، اهـ فالحاكـةُ الذيـن ينسجون الثياب ، ومرادهم أنهم من أصحاب الحِرَف الدنيئة ، وقال الإمـام الفخـر ١٦٦/٢٤ : يقـال أَرْذَال وأَرَاذِل ، والرَّذَالـةُ : الـخِسَّةُ ، وإنما استرذلوهـم لاتِّضاع نسبهم ، وقلَّــة نصيبهم من الدنيا ، وقيل : كانوا من أهل الصناعات الخسيسة كالحياكة والحِجَامة . اهـ .
(٤) قال صاحب الكشاف ١١٣/٢ : والمشحون : المملوء ، يقال : شحنها عليهم خيلاً ورجالاً .اهـ.

قال **قتادة والضحاك** : الرِّيعُ : الطَّرِيقُ[1] .

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿ بِكُلِّ رِيعٍ ﴾ بكلِّ فجٍّ[2] .

قال أبو جعفر : والفَجُّ : الطريقُ في الجبل .

وقال جماعةٌ من أهل اللغة : الرِّيعُ : ما ارتفع من الأرض ، جمعُ رِيعَةٍ[3] ، وكم رَيْعُ أرضك ؟ أي كم ارتفاعها ؟

ومعروفٌ في اللغة أن يُقال لما ارتفع من الأرضِ : « رَيْعٌ » وللطريقِ « رِيعٌ » واللهُ أعلمُ بما أراد .

ورَوَى عبدُ اللهِ بنُ كثيرٍ عن مجاهد ﴿ أَتَبْنُوْنَ بكلِّ رِيعٍ آيةً تَعْبَثُوْنَ ﴾ [آية ١٢٨] .

قال : بُرُوْجُ الحَمَامَاتِ[4] .

٤٧ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ [آية ١٢٩] .

---

(١) (٢) انظر الآثار في الطبري ٩٤/١٩ وابن الجوزي ١٣٥/٦ والدر المنثور ٩١/٥ .

(٣) قال الطبري ٩٣/١٩ : الرِّيعُ : كلُّ مكان مشرفٍ من الأرض مرتفع ، ومنه قول ذي الرُّمة :

طِرَاقُ الخوافي مشرقٌ فوق رِيعَةٍ ⁂ نَدَى ليلِه في ريشِهِ يترقرقُ

وكذا قال أبو عبيدَة في مجاز القرآن ٨٨/٢ وفي البخاري ١٣٩/٦ الرِّيعُ : الأَيفَاعُ من الأرض ــ أي المرتفع ــ وجمعه رِيعَةٌ ، وأرياعٌ واحدهُ الرِّيْعة . اهـ .

(٤) الأثر في الطبري ٩٥/١٩ وعبارةُ القرطبي ١٢٣/١٣ : وعن مجاهد : الرِّيعُ : بنيانُ الحمام =

روى ابنُ أبي نَجيح عن مجاهد ﴿ مَصَانِعَ ﴾ قال : قصوراً ، وحصوناً[1] .

وقال سفيان : هي مَصَانِعُ الماءِ[2] .

قال أبو إسحاق : واحدها مَصْنَعٌ ، ومَصْنَعَةٌ[3] .

قال أبو جعفر : والذي قاله مجاهد من أنَّ المَصَانع : القُصورُ والحصونُ معروفٌ في اللغة .

قال أبو عُبَيْدَةَ : يُقال لكل بناءٍ : مصنع ، ومصْنَعَة[4] .

ورَوَى عبداللّهِ بن كثير عن مجاهد ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ ﴾ قال : بالآجُرِّ والطِّين .

وفي بعض القراءات ﴿ كأنكم تَخْلُدُونَ ﴾ والمعنيان

= وبروجُه ، بَنَوْه للعبثِ واللَّهو ، ودليلُه ﴿ تَعْبثُونَ ﴾ أي تلعبون . اهـ وفي الدر المنثور ٩١/٥ عن مجاهد ﴿ وتتخذون مصانع ﴾ قال : بروج الحمام اهـ .

(١)و(٢) انظر الآثار في الطبري ٩٥/١٩ وابن الجوزي ١٣٦/٦ والدر المنثور ٩١/٥ .

(٣) انظر معاني الزجاج ٩٤/٤ .

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٨٨/٢ والقرطبي ١٢٤/١٣ ، وما ذكره النحاس أن المراد بالمصانع : القصورُ والحصونُ ، هو ما ذكره الجوهري في الصحاح ١٢٤٦/٣ ورجحه المفسرون ، وقد رُوي هذا عن ابن عباس فقد نقل القرطبي عنه في تفسيره ١٢٣/١٣ ﴿ وتَتَّخذونَ مَصَانِع ﴾ أي منازل قاله الكلبي ، وقيل : حصوناً مشيدة قاله ابن عباس ، ومجاهد ، ومنه قول الشاعر :

تركْنَا دِيَارَهُمْ منهم قِفَاراً وهَدَّمْنَا المَصَانِعَ والبُرُوْجَا

متقاربـان ، لأن معنـى ﴿ **لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ** ﴾ أنكّم على رَجـــاءٍ من الخُلودِ[1] .

٤٨ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ** ﴿ **وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ** ﴾ [آية ١٣٠] .

قال مجاهد : بالسَّيْفِ والسَّوْطِ[2] .

٤٩ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ** ﴾ [آية ١٣٧] .

قال قتادة : ﴿ **خُلُقُ الأَوَّلِينَ** ﴾ بالضمِّ : يعيشون كما عاشوا ، أي نحيا ونموتُ كما حَيُوْا وَمَاتُوا[3] .

قال عبدُاللَّـــهِ بن مسعــود : ﴿ **خَلْـــقُ الأَوَّلِيـــــنَ** ﴾ أي اختلاقهم[4] .

---

(١) قراءة ﴿ كأنكم تَخْلُدون ﴾ وُجدت في مصحف « أبيِّ بن كعب » وتُحمل على التفسير لا على القراءة ، أي كأنكم مخلَّدون في الدنيا لا تموتون ، وهي من القراءات الشاذة كما في حاشية الجمل على الجلالين ٢٨٧/٣ .

(٢) قال القرطبي في تفسيره ١٢٤/١٣ : البطشُ : السَّطْوةُ والأخـذُ بالعنـف ، وقـد بَطَش به يَبْـطِش بَطْشاً ، وقال ابن عباس ومجاهد : البَطْشُ : العَسْفُ قتلاً بالسيف ، وضرباً بالسَّوط . اهـ . وقال الإمام الفخر : وصفهـم تعـالى بثلاثـة أمـور : اتخاذ الأبنيـة العاليـة وهـو يدلُّ على السَّرف وحبِّ العلوِّ ، واتخاذ المصانـع ــ القصور المشيَّـدة والحصون ــ وهـو يدل على حب البقـاء والخلـود ، والجبَّارِيَّـة وهـي تدلُّ على حب التفـرد بالعلـوِّ ، وكـلُّ ذلك يدلُّ على أن حبَّ الدنيـا قد استـولى عليهم ، بحيث استغرقوا فيه ، حتى خرجوا عن حدِّ العبودية ، وحاموا حول ادِّعاء الربوبية ، وحبُّ الدنيا رأس كل خطيئة .

(٣) (٤) انظر تفسير الطبري ٩٧/١٩ وقال الفراء في معاني القرآن ٢٨١/٢ : « خُلُـقُ الأَوَّلين » وقـرأ الكسائي « خَلْقُ الأَوَّلين » فمن قرأ « خُلُق الأوَّلين » يقول : هذه عادةُ الأولين ، ومن قرأ « خَلْـقُ =

قال أبو جعفر : خَلَقَ الشَّيْءَ واختلَقَه بمعنىً .

٥٠ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ ﴾ [آية ١٤٨] .

قال الضحاك : أي يركبُ بعضهُ بعضاً[٥]

قال أبو جعفر : وقيل ﴿ هَضِيمٌ ﴾ أي هاضمٌ مَرِيءٌ .

لطيفٌ أوَّلَ ما طَلَعَ .

وقال مجاهد : حين يَطْلَع يقبض عليه فيهضِمُه[٦] .

قال أبو جعفر : أصلُ الهَضْم : انضمامُ الشيء ، ومنه:

« هَضِيمُ الكَشْحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ »[٧]

ومنه : فلانٌ أهضمُ الكَشْحِ أي ضَامِرُهُ ، فيُقال للطَّلع : هضيمٌ ، قبل أن يتفتَّحَ .

ورَوَى إسحاق عن بُريد ﴿ ونَخْلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ ﴾ .

= الأوَّلين » يعني اختلاقهم وكذبهُم والعربُ تقول : حدِّثْنا بأحاديث الخَلْق ، وهي الخرافاتُ المفتعلةُ وأشباهُها ، فلذلك اخترتُ الخُلُق .

(١) و(٢) انظر الآثار في الطبري ١٠٠/١٩ وزاد المسير ١٣٨/٦ والدر المنثور ٩٢/٥ .

(٣) هذا عجز بيت لامرئ القيس من معلقته المشهورة ، والبيت كما في ديوانه ١٢٩ :

هَصَرْتُ بِفَوْدَيْ رَأْسِهَا فَتَمَايَلَتْ عَلَيَّ هَضِيمَ الكَشْحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ

يقول : حذبتها من شعرها وحنيتُ جانبي رأسها ، فإذا هي ضامرةُ الوسط ، ملأى الساق وهو مكان الخلخال .

قال : منه ما قد أرطب ، ومنه مُذَنَّبٌ[1] .

٥١ ـــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** : ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ ﴾ [آية ١٤٩] .

قال أبو صالح : أي حَاذِقين بنحتِها .

وقال منصور بن المعتمِر : ﴿ فَارِهين ﴾ أي حاذِقين[2] .

وقال الحسن : ﴿ فَرِهينَ ﴾ أي آمنين[3] .

وقال عبدالله بن شدَّاد : ﴿ فارِهِينَ ﴾ بألف أي متجبرين .

وقال قتادة : ﴿ فَرِهين ﴾ أي مُعْجَبين[4] .

وقال مجاهد : ﴿ فَرِهينَ ﴾ أي أَشِرِينَ بَطِرِين[5] .

---

(١) أحسن ما قيل في تفسير الهضيم ما رُوي عن ابن عباس أنه الرطبُ اليانعُ النضيجُ ، وقد ذكر الإمام القرطبي في تفسيره اثنَيْ عشر قولاً ، ومنها قول ابن عباس ، قال المفسرون : كانت أرض ثمود كثيرة البساتين ، والماء والنخيل ، فذكَّرهم نبيهم صالح بنعم الله الجليلة من إنبات البساتين والجنات ، وتفجير عيون الماء الجاريات ، وإخراج الزروع والثمرات ، ليشكروا ربهم على نعمه الجليلة .

(٢) و(٣) في الآية قراءتان سبعيتان « فارهين » بالألف وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي ، و« فَرِهين » بغير ألف ، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ونافع ، وانظر السبعة في القراءات ص٤٧٢ .

(٤ــ٥) هذه الآثار كلها عن علماء السلف ذكرها الطبري في تفسيره ١٩/١٠٠ والقرطبي ١٣/١٢٩ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٩٢ وابن الجوزي في زاد المسير ٦/١٣٨ وأجمعُها وأظهرها ما روي عن ابن عباس ومجاهد أن المراد بفارهين : أَشِرِينَ بَطِرين ، فقد كانوا يتخذون البيوت المنحوتة في الجبال أَشَرَاً وبَطَراً وعبثاً ، من غير حاجة إلى سكناها ، كما ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٧/١٦٥ .

قال أبو جعفر : وهذا أعْرَفُها في اللَّغةِ ، وهو قولُ أبي عَمْرٍو ، وأبي عُبيدةَ ، فكأنَّ الهاءَ مُبْدلةٌ من حاءٍ ، لأنهما من حروفِ الحلْقِ .

وأبو عبيدةَ يذهبُ إلى أنَّ ﴿ **فَارِهِينَ** ﴾ و﴿ **فَرِهِينَ** ﴾ بمعنى واحد[1] .

٥٢ ــ **وقولُه عزَّ وجلَّ** : ﴿ **قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ** ﴾ [آية ١٥٣] .

أي من المسحورين[2] ، قاله مجاهد .

وأبو عُبيدة يذهب إلى أن المعنى : إنما أنتَ بشرٌ لك سَحْرٌ ، والسَّحْرُ : الرِّئةُ .

وقيل : ﴿ **مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ** ﴾ أي من المعَلَّلين بالطَّعامِ والشَّرابِ ، كما قال الشاعر :

أُرَانا مُوضِعِينَ لَحَتْمِ غَيْبٍ
وَنُسْحَرُ بالطَّعامِ وَبِالشَّرابِ[3]

٥٣ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ** ﴾ [آية ١٥٥] .

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٨٩ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٩/١٠٢ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٩٢ وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٣) البيت لامرئ القيس وهو في ديوانه ص٤٧ : بلفظ « لأمرِ غَيْبٍ » ومعنى « مُوضِعِين » أي سائرين مسرعين « لأمر غيْبٍ » أي الموت ، يريد أننا مسرعون نحو الموت الذي غُيِّب عنا وقتُه ، ونحن نتلهَّى ، ونُخْدَعُ عنه بالطَّعامِ والشراب .

والشِّرْبُ : الحظُّ من الماءِ[1] .

٥٤ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ .. ﴾ [آية ١٦٦] .

قال إبراهيمُ بنُ المهاجر ، قال لي مجاهد : كيف يَقْرأ عبدُالله بن مسعود **﴿ وتذَرُونَ ما خلَقَ لكمْ ربُّكمْ مِنْ أزواجِكُمْ ﴾** ؟ قلتُ : « وتَذَرُونَ ما أَصْلَحَ لكم ربُّكُمْ منْ أزواجكُم »[2] قال : الفرجُ ، كما قال تعالى **﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾**[3] .

ورَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد ﴿ وتَذَرُونَ مَا خلَق لكُمْ ربُّكُمْ مِن أَزْوَاجِكُمْ ﴾ .

قال : القُبُلُ : الفَرْجُ ، إلى أدبار النِّساء والرجال[4] .

٥٥ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ [آية ١٦٦] .

---

(١) هذا قول الفراء كما في تفسيره معاني القرآن ٢٨٢/٢ قال القرطبي ١٣١/١٣ : الشِّرْبُ : الحظُّ من الماء ، أي لكم شِربُ يومٍ ، ولها شِرْبُ يوم ، فكانت إذا كان يومُ شِربها ، شربتْ ماءَهم كلَّه أول النهار ، وتسقيهم اللَّبن آخر النهار ، وإذا كان يوم شُربهم ، كان لأنفسهم ، ومواشيهم وأرضهم . اهـ .

(٢) هذه القراءةُ تُحمل على أنها تفسير لا على أنها قراءة ، فلا توجد قراءة سبعية أو شاذة بلفظ « ما أصلح » بدل « ما خلق » فتنبه والله يرعاك .

(٣) سورة البقرة آية ٢٢٢ .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير وعبارة الطبري ١٠٥/١٩ : « تركتم أَقْبَالَ النِّساء ــ يعني فروجهن ــ إلى أدبارِ الرجال ، وأدبارِ النساء » قاله مجاهد . اهـ وهي أوضحُ من عبارة المصنف .

يُقال : عَدَا إذا تجاوزَ في الظلم .

٥٦ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ القَالِينَ ﴾** [آية ١٦٨] .

أي المبغضين الكارهين ، وقد قَلَاه يَقْليه[١] ، قِلى ، وقَلَاءً ، كما قال :

عَلَيْكِ السَّلامُ لا مُلِلْتِ قَرِيبَةً
ومَالَكِ عِنْدِي إنْ نَأَيْتِ قَلَاءُ[٢]

٥٧ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ إلاَّ عَجُوزاً فِي الغَابِرِينَ ﴾** [آية ١٧١] .

قال أبو عبيدة والفرّاءُ : أي الباقين[٣] .

قال أبو جعفر : يُقال للذاهبِ غابِرٌ ، وللباقي غابرٌ كما قال :

لا تَكْسَعِ الشَّوْلَ بأغْبارِهـا
إنَّك لا تَدْرِي مَنِ النَّاتِجُ[٤]

(١) قَلَاهُ أي أبغضه ومنه قوله تعالى ﴿ ما وَدَّعَكَ ربُّك وَمَا قَلَى ﴾ .

(٢) البيتُ للحارث بن حِلِّزة ، وقد استشهد به القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ١٣٣/١٣ والشاهد فيه قوله « قَلَاءُ » يريد مالكِ بغضٌ في نفسي ان ابتعدت عني .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢٨٢/٢ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٨٩/٢ والمراد كما قال الألوسي في روح المعاني ١١٧/١٩ : إلاَّ عجوزاً مقدَّرة في الباقين في العذاب . اهـ .

(٤) البيت للحارث بن حِلِّزة كما في معاني القرآن للفراء ٢٨٢/٢ وجامع الأحكام للقرطبي ١٣٣/١٣ واستشهد به في اللسان ، والصحاح ١٢٧٦/٣ قال الجوهري : الشوَّل : جمعُ شائلة ، وهي الناقةُ التي خفَّ لبنها ، وارتفع ضرعها ، وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر ، وكَسَعَ النَّاقةَ : ترك في ضرعها بقيةً من اللبن ، وبعده قوله :

واحلبْ لضيفكَ ألبَانَها فإنَّ شرَّ اللَّبَنِ الوَالِجُ

وكما قال :

فَمَــا وَنَــى محمَّــدٌ مُذْ أَنْ غَفَــر
لَهُ الإِلَـــهُ ما مَضَى ومَاغَبَــــر[1]

أي وما بقي .

والأغبارُ : بقيَّاتُ الألبـان[2] ، والشَّوْلُ : الإبـلُ التـي قد شَالَتْ بأذنابها .

٥٨ ــ وقولــه جلَّ وعــزَّ ﴿ كَذَّبَ أَصْحَــابُ الأَيْكَــةِ المُرْسَلِيــنَ ﴾ [آية ١٧٦] .

الأَيْكَةُ عند أهلِ اللغةِ : الشَّجرُ الملتَفُّ ، والجمعُ أَيْكٌ ، ويُروى أنهم كانوا أصحاب شجرٍ ملتفٍّ .

وقــد قيــل : إنَّ الأيكـــةَ اسمُ موضعٍ ، ولا يصحُّ ذلك ولا يُعرف[3] .

---

(١) البيتُ للعجّاج وهو في ديوانه ص١٥ ومجاز القرآن ٨٩/٢ وجامع الأحكام للقرطبي ١٣٣/١٣ والطبري ١٩٨/١١ .

(٢) قال في اللسان مادة « كَسَعَ » : الأغبارُ : بقيَّةُ اللَّبن في الضَّرع ، يقول : لاتُغَرِّزْ إبلَك تطلبُ بذلك قوَّة نسلها ، واحلبها لأضيافك ، فلعلَّ عدوّاً يُغِيرُ عليها فيكون نتاجها له دونك . اهـ من اللسان .

(٣) هذا قول أبي عُبيدة كما في القرطبي ١٣٤/١٣ وأصحاب اللغة والتفسير على خلافه ، فقد قال الطبري : الأيكةُ : الشجر الملتف ، وقال القرطبي : الأيكُ : الشجَرُ الملتفُّ الكثير ، الواحدةُ أيكةٌ .

٥٩ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [آية ١٧٧] .

قُرِئَ على **أحمد بن شعيب** عن عبدالحميد بن محمد قال : حدثنا مخلدٌ قال حدثنا إسرائيلُ عن سِمَاكٍ عن عكرمةَ عن ابن عباس قال : كلُّ الأنبياءِ من بني إسرائيل إلاَّ عَشَرَة « نوحٌ ، وصالحٌ ، وهودٌ ، وشعيبٌ ، وإبراهيمُ ، ولوطٌ ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوبُ ، ومحمدٌ » صلى الله عليهم[1] .

وزعم **الشَّرقيُّ بنُ قطامي** أن شعيباً هو ابن عَيْفا بن نُوَيْب بن مَدْين بن إبراهيم .

وزعم **ابن سمعان** أن شعيباً بن جَزِيّ بن يَشْجُر بن لاوي بن يعقوبَ بن إسحق بن إبراهيم صلى الله عليهم[2] .

٦٠ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ [آية ١٨٢] .

قال عبدالله بن عباس ومجاهد : ﴿القِسْطَاسُ﴾ : العَدْلُ[3] .

---

(١) يؤيد هذا الأثر قوله تعالى ﴿ اذكروا نعمةَ اللّهِ عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً ﴾ الآية فمعظم الأنبياء من بني إسرائيل ، وهم من نسل يعقوب بن إسحق بن إبراهيم .

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير ١/١٧٣ وتاريخ الرسل والملوك للطبري ١/٣٢٥ ففيه اختلاف في نسبه ، وانظر تفسير القرطبي ٧/٢٤٨ فقد ذكر الروايتين ، والاختلاف في نسبه عليه السلام .

(٣) المشهور عند أهل اللغة والتفسير أن « القِسْطَاسَ » هو الميزانُ العادلُ ، قال الزمخشري ٢/١١٥ : القِسْطاسُ : هو الميزانُ ، فإن كان من القسط ــ وهو العدلُ جُعلت السينُ مكررة ــ فوزنُه فِعْلَال .اهـ .

٦١ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَلَا تَبْخَسُوْا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ [آية ١٨٣] .

أي ولا تَظْلموا ، ومنه قولُ العرب « تحسبُها حَمْقَاءَ وهيَ بَاخِسٌ »(١) .

٦٢ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَاتَّقُوْا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ ﴾ [آية ١٨٤] .

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿ الجِبِلَّةُ ﴾ : الخَلِيقةُ .

قال أبو جعفر : يُقال : جُبِلَ فلانٌ على كَذَا أي خُلِقَ .

وقولُه ﴿ جِبِلَّةً ﴾ و﴿ جُبُلَّةً ﴾ و﴿ جُبْلَةً ﴾(٢) .

٦٣ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفاً مِنَ السَّمَاءِ .. ﴾ [آية ١٨٧] .

رَوَى عليُّ بن الحَكَمِ عن الضَّحَّاكِ ﴿ فأَسْقِطْ علينا كِسْفاً ﴾ قال : جانباً(٣) .

---

(١) هذا من أمثال العرب ، كما قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/٩٠ يقال في المثل : « تحسبُها حمقاءَ وهيَ باخِسة » اهـ . والبخسُ في اللغة : النقصُ ، ومنه قوله تعالى ﴿ وشَرَوْه بثمنٍ بَخْسٍ ﴾ .

(٢) هذا كلُّه مذكورٌ في اللغة ، وقد وردت بها القراءات ، قال الهروي : الجِبِلَّةُ ، والجبلُ ، والجُبُلُّ لغاتٌ ، وهو الجمعُ ذو العدد الكثير من الناس ، ومنه قوله تعالى ﴿ ولقد أَضَلَّ منكم جِبِلًّا كثيراً ﴾ اهـ ومنه قول الشاعر :

والمَوْتُ أَعْظَمُ حَادِثٍ ... فيما يَمُرُّ على الجِبِلَّة

(٣) الأثر ذكره الطبري عن الضحاك ١٩/١٠٩ وذكر عن ابن عباس : ﴿كِسَفاً﴾ أي قِطَعاً ، وهو =

قال أبو جعفر : ويُقرأُ ﴿ كِسَفاً ﴾ وهو جمعُ كِسْفةٍ ، وهي القطعةُ .

٦٤ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ .. ﴾ [آية ١٨٩] .

قال عبدالله بن عباس : أصابهم حرٌّ شديدٌ ، فدخلوا البيوت ، فأخذ بأنفاسهم ، فخرجوا إلى البرِّية لا يسترهم شيءٌ ، فأرسل الله إليهم سحابةً ، فهربوا إليها ليستظلُّوا بها ، ونادَىٰ بعضُهم بعضاً ، فلمَّا اجتمعوا تحتها ، أهلكهم اللَّهُ جلَّ وعزَّ[1] .

وقال مجاهد : فلمَّا اجتمعوا تحتها ، صِيحَ بهم فهلكوا .

٦٥ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴾ [آية ١٩٣] .

يعني جبريل صلَّى الله عليه .

﴿ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ أي يتلوه ، فيَعِيهِ قلْبُكَ .

= الأصحُ ، لأن الكِسْفةَ في اللغة القطعةُ ، وجمعها كِسَفٌ كما يقول أهل اللغة ، وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٩١ والصحاح للجوهري ١٤/٢١ .

(١) إنما ذكر المصنف رأي ابن عباس ورأي مجاهد ، لأنه ورد في القرآن أنَّ قوم شعيب أُهلكوا بحرّ السحابة وهي الظُّلَّة ، كما قال سبحانه ﴿ فأخذهم عَذَابُ يومِ الظُّلَّة ﴾ وفي سورة هود أهلكوا بصيحة جبريل ﴿ وأخذت الذين ظلموا الصَّيْحةُ فأصبحُوا في ديارهم جاثمين ﴾ والتحقيق أنهم أهلكوا بالعذابين : الصيَّحة ، والظلَّة ، كما قال الحافظ ابن كثير ، والله أعلم .

٦٦ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ ﴾** [آية ١٩٦] .

أي إنَّ إنزاله وذِكْرَه[١] .

٦٧ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾** [آية ١٩٧] .

وفي قراءة عبدالله[٢] ﴿ أوليسَ لكم آيةً أَنْ يعلمَهُ عُلماءُ بني إسْرائيلَ ﴾ ؟

قال مجاهد : هو عبدالله بن سلام[٣] .

وقال غيرُهُ : هو عبدُاللَّهِ ، وغيرُهُ ممَّنْ أسلَمَ .

٦٨ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ ﴾** [آية ١٩٨] .

---

(١) عبارة القرطبي ١٣٨/١٣ : « وإنَّ ذكر نزوله لفي كتب الأوَّلين يعني الأنبياء ، وقيل : إن ذكر محمد عليه السلام في كتب الأولين كما قال تعالى ﴿الَّذِي يَجِدُونَه مَكْتُوباً عندهُمْ في التَّوْراةِ والإِنْجيلِ﴾ والزُّبُر : الكُتُب ، الواحد زَبُور ، كرُسُل ورسول » . اهـ من تفسير القرطبي .

(٢) يُراد به ابن مسعود ، ولم نعثر على هذه القراءة ، لا في كتب التفسير ولا القراءات .

(٣) هذا على قول مجاهد من « العام الذي يراد به الخاصُّ » فقد كان عبدالله بن سلام رئيس أحبار اليهود ، وأسلم رضي اله عنه لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة المنورة ، والتقى به وسمع كلامه ، وقصةُ إسلامه مشهورة في كتب التفسير والسيرة ، والصحيح أن الآية عامة فيمن أسلم منهم .

الأعجمُ : الذي لا يُفصح وإن كان عربياً .

والعجميُّ : الذي أصله من العجم وإن كان فصيحاً[1] .

وقد ذكرنا قوله ﴿ **كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ** ﴾ في سورة الحج[2] .

٦٩ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** ﴿ **إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ** ﴾ [آية ٢١٢] .

أي عن استماع الوحي لممنوعون بالرَّجْمِ .

ورَوَى عُرْوةُ عن عائشَةَ قالت : « قلتُ يارسول اللـــه : إن الكُهَّـان كانـوا يُحدِّثوننـا بالشَّيء ، فنجـدُهُ كما يقولـون ؟ فقـال : تلك الكلمةُ يَخْطَفها أحدهُمْ ، فيكـذب معهـا [مائـة كذبـة][3] » وذكـر الحديث .

٧٠ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** ﴿ **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ** ﴾ [آية ٢١٤] .

---

(١) ذكره الزجاج في معانيه ١٠٢/٤ وابن الجوزي في زاد المسير ١٤٥/٦ وانظر الصحاح للجوهري ١٩٨١/٥ .

(٢) الآية ليست في سورة الحج ، وصوابه أن يقول في سورة الحجر ، وهي قوله سبحانه ﴿ كذلك نسلكهُ في قلوب المجرمين ﴾ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة سبأ ١٥٣/٦ وفي كتاب الطب ١٧٦/٣ باب الكهانة ، ومسلم رقم ٢٢٢٩ والترمذي رقم ٣٢٢٢ في التفسير ، ولفظ رواية البخاري عن عائشة قالت : سأل أناسٌ النبي ﷺ عن الكُهَّان ، فقال : إنهم ليسوا بشيء فقالوا يارسول الله : إنهم يحدِّثوننا أحياناً بالشيء يكون حقّاً !! قال : تلك الكلمةُ من الحقِّ يخطفها الجنيُّ ، فيقذفها في أُذن وليِّه ، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة » .

قال عبدُالله بنُ عبَّاسٍ : لمَّـــا نزلت صعِــدَ رسولُ الله ﷺ الصَّفا فصاحَ ياصَبَاحَاهُ ، فاجتمعوا إليه من بين رجلٍ يجيء ، وبين رجل يبعث برسول ، فقال : أرأيتم لو أخبرتكـم أن رجـلاً جاء من هذا الفـجِّ ليُغير عليكم أصدَّقتموني ؟ [قالوا نعم ، ما جرَّبنـا علـيك إلاَّ صدقـاً ، قال :][1] فإني نذيرٌ لكم بينَ يَدَيْ عذابٍ شديد .

فقال أبو لهب : ألهذا دعوتَنا ؟ تبّاً لك ، فأنـزل الله جل وعـز : ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أبِي لَهَبٍ وتبَّ** ﴾[2] .

ورَوَى هِشَامُ بنُ عُرْوةَ عن أبيهِ عن عائشةَ قالت : لمَّـا نزلت على رسول الله ﷺ هذه الآية قال : «يا صفِيَّةُ عمَّةَ رسول الله ، يافاطمةُ ابنة محمد ، يابني عبدالمطلب : إني لا أملك لكم من اللهِ شيئاً ، سَلُوني من مالي ما شئتم »[3] .

---

(١) سقطت هذه العبارة من كلام المصنف ، وأثبتناها من صحيح البخاري ٦/١٤٠ ، وهي ضرورية ليتَّسق الكلام .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٦/١٤٠ وأخرجه الطبري ١٩/١٢١ والحافظ ابن كثير ٦/١٧٦ بلفظ « أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم ... الخ الحديث .

(٣) انفرد بإخراجه مسلم في كتاب الإيمان ١/١٣٣ وأخرجه البخاري في التفسير ٦/١٤٠ والطبري ١٩/١٢٠ والحافظ ابن كثير ٦/١٧٧ بأوسع من هذا ، وعلى العموم فقد وردت روايات عديدة صحيحة ، أعمُّ وأشمل ، منها رواية أحمد في المسند ٢/٣٦٠ : « لمَّا نزلت هذه الآية ﴿ وأنـذِرْ عشيرَتَكَ الأقـربين ﴾ دعـا رسول الله ﷺ قريشاً ، فعـمَّ وخصَّ فقـال : يامعشر قريش أنقــذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني كعب أنقذوا أنفسكـم من النـار ، يامـعشر بنـي عبـد منـاف=

٧١ ــ وقولُــه جلَّ وعــزَّ ﴿ الَّـــذِي يَرَاكَ حِيـــنَ تَقُـــومُ . وَتَقَلُّـــبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ [آية ٢١٨ ــ ٢١٩] .

قال مجاهد وقتادة : ﴿في السَّاجِدين﴾ في المصلِّين .

قال مجاهد : وكان يرى من خَلْفَه كما يرى من أَمَامه[1] .

قال عكرمة : أي قائماً ، وراكعاً ، وساجداً[2] .

ورُوي عن ابن عباس أنه قال : تقلُّبُه في الظُّهورِ حتى أخرجه نبيًّاً[3] .

٧٢ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [آية ٢٢٢] .

قال مجاهد : ﴿ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ ﴾ على كلِّ كذابٍ[4] .

٧٣ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ ﴾ [آية ٢٢٤] .

قال ابن عباس : الرُّواة[5] .

= أنقذوا أنفسكم من النار ، يامعشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يافاطمةُ بنت محمد أنقذي نفسك من النار .. » الخ .

(١) قال القرطبي ١٤٤/١٣ وقول مجاهد ثابت في الصحيح ، ولكنه في تأويل الآية بعيد .

(٢ــ٤) انظر هذه الآثار في الطبري ١٢٤/١٩ وزاد المسير ١٤٨/٦ والدر المنثور ٩٨/٥ .

(٥) ذكره في الدر المنثور منسوباً إلى ابن عباس ٩٩/٥ وذكره الطبري في تفسيره ١٢٧/١٩ وقال : هم رواةُ الشِّعر ، وقال الألوسي في تفسيره روح المعاني ١٤٦/١٩ : وعن ابن عباس أن الغاوين هم الرواة الذين يحفظون شعر الشعراء ، ويروونه عهم مبتهجين .

وقال الضحاك : هما اثنان تَهَاجَيا على عهد رسول الله ﷺ ، أحدهما من الأنصار ، وكان مع كل واحدٍ منهما جماعة ، وهم الغُواةُ أي السفهاء(١) .

وقال عكرمة : هم الذينَ يتَّبعون الشاعر(٢) .

وروَى ابن أبي نجيح عن مجاهدٍ ﴿ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُوْنَ ﴾ قال : الشياطينُ(٣) .

وروَى خُصيفٌ عن مجاهد قال : هم الَّذين يتبَّعونَهم ، ويروُوْن شعرهم(٤) .

٧٤ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُوْنَ ﴾ [آية ٢٢٥] .

قال مجاهد : أي في كلِّ فنٍّ يفتَنُّوْنَ(٥) .

قال أبو جعفر : والتقديرُ في اللغة : في كل وادٍ من القول يَهيمون .

قال أبو عبيدة : الهائمُ المخالفُ للقصدِ في كل شيء(٦) .

---

(١) عبارة السيوطي في الدر المنثور ٥/٩٩ : تهاجَى شاعران في الجاهلية ، وكان مع كل واحد منهما فئامٌ ــ أي جماعة ــ من الناس ، فأنزل الله هذه الآية ﴿ والشُّعَراءُ يتَّبعهُمُ الغَاوُوْنَ ﴾ .

(٢ــ٥) انظر جميع هذه الآثار في جامع البيان للطبري ١٩/١٢٧ وزاد المسير لابن الجوزي ٦/١٥٠ والدر المنثور للسيوطي ٥/٩٩ .

(٦) انظر مجاز أبي عبيدة ٢/٩١ ولفظه : الهائم : هو المخالف للقصد ، الجائر عن كل حق وخير .

٧٥ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [آية ٢٢٧] .

قال عبدالله بن عباس : يعني عَبَدَالله بن رَوَاحَةَ ، وحَسَّاناً[1] .

وفي غير هذا الحديث لمَّا نزلت هذه الآية قال عبدُالله : قد علم اللهُ جلَّ وعزَّ أنَّا نقولُ الشعر ، وأنزل هذا ؟ فأنزل الله عزَّ وجلَّ ﴿ **إلاَّ الذين آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وانْتَصَرُوْا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوْا** ﴾ أي ناضلوا عن النبي ﷺ وعن المؤمنين من هَجَاهُم[2] .

---

(١) قال في البحر ٤٩/٧ : « استثنى الله من الشعراء من اتصف بالإيمان ، والعمل الصالح ، والإكثار من ذكر الله ، وكان ذلك أغلبَ عليهم من الشعر ، فإذا نظموا شعراً ، كان في توحيد الله والثناء عليه ، والموعظة ، والزهد ، والآداب الحسنة ، والشعرُ بابٌ من الكلام حسنهُ حسنٌ ، وقبيحُه قبيح ، وقيل المراد بالمستثنيين : حسان ، وعبدالله بن رواحة ، وكعب بن مالك ، وكعب ابن زهير ، ومن كان ينافح عن رسول الله ﷺ وقال عليه السلام لكعب : اهجُهم فوالذي نفسي بيده لهو أشدُّ عليهم من النَّبل ، وقال لحسان : اهجهم وروحُ القُدُس معك .. الخ باختصار .

(٢) روه السيوطي في الدر المنثور ٩٩/٥ ولفظُه : لما نزلت هذه الآية ﴿والشُّعراءُ يتَّبعهم الغَاوُونَ ﴾ جاء عبدالله بن رواحة ، وكعب بن مالك ، وحسان بن ثابت وهم يبكون فقالوا يا رسول الله : لقد أنزل اللهُ هذه الآية وهو يعلم أنا شعراء ، أهلَكْنا؟ فأنزل الله ﴿ إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً .. ﴾ الآية فدعاهم رسول الله ﷺ فتلاها عليهم . اهـ الدر المنثور ، وانظر الطبري ١٢٩/١٩ وتفسير ابن كثير ١٨٦/٦ وروى ابن مردويه والإمام أحمد عن =

٧٦ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ [آية ٢٢٧] .

رُوي في الحديث أنه يراد به من بينِ يديْ اللهِ جلَّ وعزَّ ، إلى النار[١] .

« انتهت سورة الشعراء »

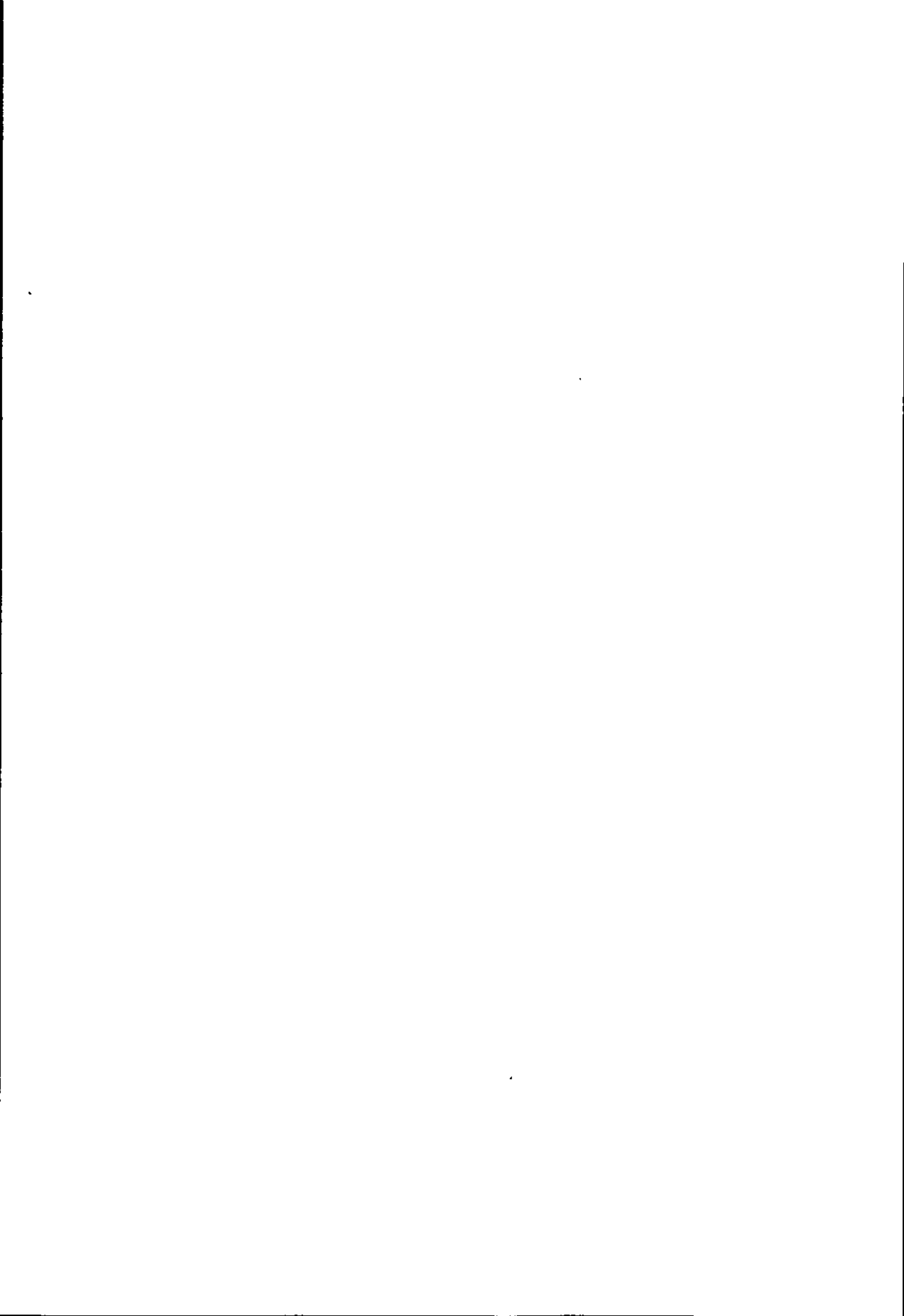
* * *

= كعب بن مالك أنه قال للنبي ﷺ : إن الله قد أنزل في الشعراء ما أنزل فكيف ترى فيه ؟ فقال ﷺ : إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذي نفسي بيده لكأنَّ ما ترمونهم به نضح النبل .

(١) عبارة القرطبي كما في تفسيره ١٣/١٥٣ ﴿ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُوْنَ ﴾ معناه أيَّ مصير يصيرون إليه ، وأيَّ مرجع يرجعون ، لأن مصيرهم إلى النار ، وهو أقبح مصير ، ومرجعهم إلى العقاب . وهو شرُّ مرجع » .

تفسير سورة النمل

مكية وآياتها ٩٣ آيـــة



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النمل وهي مكية[1]

١ ــ من ذلك قولُه جلَّ وعزَّ ﴿ طَسۤ تِلْكَ آيَاتُ القُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِيـنٍ ﴾ [آية ١] .

﴿ تِلْكَ ﴾ أي هذه[2] ﴿ آياتُ القُرآنِ ﴾ الذي كنتم تُوعدون به .

﴿ وكتَابٍ مُبِينٍ ﴾ أي وآياتُ كتابٍ مبين .

٢ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ إِنَّ الَّذِيـنَ لَا يُؤْمِنُـوْنَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّـا لَهُـمْ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [آية ٤] .

قال أبو إسحق[3] : أي جعلنا جزاءهم على الكفر هذا .

وقيـل : أي زينّـا لهم الطاعـة والإيمان[4] ، لأنهمـا من أعمـال الخَلْقِ .

---

(١) قال القرطبي في جامع الأحكام ١٥٤/١٣ : سورة النمل مكية كلُّها في قول الجميع ، وهي ثلاث وتسعون آية .

(٢) إنما جاء بأداة البعد « تلك » للإشارة إلى بعد المنزلة في الفضل والشرف ، فتنبَّه إلى أسرار القرآن .

(٣) هو الزجّاج الإمام النحوي المشهور ، وقد تقدمت ترجمته ٧٤/١ .

(٤) لا حاجة إلى هذا التأويل ، أنه تعالى زيَّن لهم الطاعة والإيمان ، فتركوهما ومالوا إلى الكفر والضلال . فإن الله تعالى هو الفاعل المختار يهدي ويُضلُّ ، فقد يُزيِّن القبيحَ لعباده ابتلاءً وامتحاناً . كما قال =

٣ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [آية ٤] .

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : فهم يترددون في الضلالة[١] .

٤ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [آية ٦] .

أي يُلْقَىٰ عليكَ ، فَتَتَلقَّاه .

٥ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ إِذْ قَالَ مُوْسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارَاً ﴾ [آية ٧] .

قال أبو عُبيدة : أي أبصرتُ[٢] .

قال أبو جعفر : ومنه قيل : إنسٌ لأنهم مرئيُّون .

٦ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ سَآتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشَهَابٍ قَبَسٍ .. ﴾ [آية ٧] .

= سبحانه ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينةً لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً ﴾ وهذا هو مذهب أهل السنة خلافاً للمعتزلة فقد قال الإمام الطبري في تفسير الآية ﴿ زَيَّنا لهمْ أَعْمَالَهُمْ ﴾ أي حبَّبنا لهم قبيح أعمالهم ، وسهَّلنا ذلك عليهم ، وقال ابن كثير : حسنَّا لهم ما هم فيه ، ومددنا لهم في غيِّهم فهم يتيهون في ضلالهم ، وقال الألوسي : زينا لهم أعمالهم القبيحة بما ركَّبنا فيهم من الشهوات حتى رأوها حسنة . اهـ الخ .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير في تفسيره ١٣٢/١٩ دون عزو ، وأخرجه السيوطي في الدر ١٠٢/٥ عن قتادة ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٩٢/٢ وعبارته ﴿ آنستُ ناراً ﴾ أي أبصرتُ وأحسستُ بها .

قال أبو عبيدة : الشِّهابُ : النَّارُ[1] .

قال أبو إسحق : يُقال لكل ذي نُوْرٍ : شهابٌ .

قال أحمد بن يحيى[2] : أصلُ الشهابِ : عُوْدٌ في أحدِ طرفيهِ جمرةٌ ، والآخرُ لا نار فيه ، والجَذْوَةُ كذلك ، إلاَّ أنها أغلظُ من الشهاب ، وسُمّيت جَذْوَةً لأنها أصلُ الشَّجرة كما هي .

قال أبو جعفر : يُقال : قَبَسْتُ النَّارَ ، أقْبِسُها ، قَبْساً ، والاسمُ القَبَسُ[3] .

٧ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾** [آية ٧] .

رَوَى عكرمةُ عن ابنِ عبَّاسٍ قال : كانوا شَاتِينَ[4] ، وكانوا قد أخطأوا الطَّريقَ .

٨ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِىَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾** [آية ٨] .

---

(١) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٩٢/٢ : ﴿ بِشهابٍ قبسٍ ﴾ أي بشعلة نار .

(٢) هو الإمام اللغوي النحوي المشهور بـ « ثعلب » وقد تقدمت ترجمته ٥٢/١ .

(٣) قال النحاس في إعراب القرآن ٥٠٨/٢ : والشهابُ كلُّ ذي نور ، نحو الكوكب والعُوْدِ الموقد ، والقَبَسُ : اسمٌ لما يُقتبس من جمرٍ وما أشبهه ، وهو أوضحُ ممَّا هنا .

(٤) « شَاتِينَ » أي كانوا في أيام الشتاء ، في ليلة مظلمة ، باردةٍ مثلجة وقد أضلَّ موسى عليه السلام الطريق ، وأخذ زوجته الطَّلْقُ . اهـ من حاشية الجمل ٢٩٩/٣ .

أي فلمَّا جاءها موسى ، نُوديَ أن بُورك مَنْ في النار ومَنْ حولها .

رَوَى عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « النَّارُ نورُ اللَّهِ جلَّ وعزَّ ، نادَى موسى ﷺ وهو في النور ﴿ **وَمَنْ حَوْلَهَا** ﴾ الملائكةُ »[1] .

وروى موسى بنُ عُبيدة عن محمد بن كعب : النَّارُ نورُ الله جلَّ وعزَّ ، ﴿ **وَمَنْ حَوْلَهَا** ﴾ موسى ، والملائكةُ صلى الله عليه وسلم[2] .

وقيل : ﴿ **مَنْ فِي النَّار** ﴾ الملائكة الموكَّلُون بها ﴿ **ومن حَوْلَهَا** ﴾ الملائكةُ أيضاً .

والمعنى : يقولون « سبحان اللَّهِ ربِّ العالمين » .

---

(١) الأثر أخرجه جرير الطبري ١٣٤/١٩ والقرطبي ١٥٨/١٣ وابن كثير ١٦٠/٦ .

(٢) الأظهر في الآية أن الضمير يعود على موسى والملائكة ، أي بوركتَ يا موسى وبورك من حولك من الملائكة ، وهو ما رجَّحه القرطبي وكثير من المفسرين ، فقد قال القرطبي : والتبريكُ عائدٌ إلى موسى والملائكة أي بُورك فيك يا موسى وفي الملائكة الذين هم حول النار ، وهذا تحيةٌ من الله تعالى لموسى وتكرمةٌ له ، كما حيًّا إبراهيم على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه ، قال : ﴿ رحمةُ الله وبركاته عليكم أهل البيت ﴾ اهـ القرطبي ١٥٨/١٣ وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٦٠/٦ : لمَّا رأى موسى النَّار رأى منظراً هائلاً عظيماً ، حيث انتهى إليها والنَّارُ تضطرم في شجرة خضراء ، لاتزداد النار إلاَّ توقداً ، ولا تزدادُ الشجرةُ إلاَّ خضرةً ونُضْرة ، ثم رفع رأسه فإذا نورها متصل بعنان السماء ، فوقف موسى متعجباً مما رأى ، فنودي أن بورك من في النار أي قُدِّس ، وعن ابن عباس أنه نورُ ربِّ العالمين . اهـ .

ورَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد ﴿ وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ : ولم يرجع .

٩ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ . إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ .. ﴾ [آية ١٠] .

في معناه أقوال :

أ ــ منها أن في الكلام حذفاً ، والمعنى : إنِّي لا يخافُ لديَّ المرسلون ، إنَّما يخاف غيرُهم ممَّنْ ظَلَم ﴿ إلاَّ مَنْ ظَلَم ﴾ ثم تابَ فإنَّه لا يخافُ .

ب ــ وقيل : المعنى لا يخاف لديَّ المرسلون ، لكنْ من ظَلَم من المرسلين وغيرهم ، ثم تاب فليس يخاف .

جـ ــ وقيل : ﴿ إلاَّ ﴾ بمعنى الواو ، وذا ليس بجيِّدٍ في العربية ..

١٠ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ .. ﴾ [آية ١٢] .

المعنى : وأَخْرِجْها تَخْرُجْ بيضاءَ[1] .

وروى مقسم عن ابن عباس ﴿ مِنْ غَيْرِ سُوْءٍ ﴾ من غير بَرَصٍ .

---

(١) على هذا التقدير يكون في الكلام حذفٌ أي أدخل يدك في جيبك ثم أخرجْها تَخْرُجْ بيضاء .

١١ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فِي تِسْعِ آيَاتٍ ﴾ [آية ١٢] .

المعنى : من تسع آياتٍ ، و« في » بمعنى « مِنْ » لقربها منها[١] ، كما تقول : خذْ لي عشراً من الإبل ، فيها فحلان أي منها ، وقال الأصمعيُّ في قول امرئ القيس :

وهلْ يَنْعَمَنْ مَنْ كَانَ آخِرُ عَهْدِهِ
ثلاثينَ شَهْراً في ثَلاَثَةِ أَحْوَالِ

« في » بمعنى « مِنْ » ويجوز أن تكون بمعنى « مع » .

والمعنى : وألقِ عصاك ، وأدخلْ يدك في جيبك ، آيتان من تسع آياتٍ .

والتِّسعُ الآياتِ فيما رُوي : « كونُ العَصَا حيَّةً ، وكونُ يده بيضاءَ من غيرِ سوءٍ ، والجدبُ الَّذي أصابهم في بَوَادِيهِمْ ، ونقصُ الثَّمرات ، والطوفانُ ، والجرادُ ، والقُمَّلُ ، والضَّفادعُ ، والدَّمُ »[٢] .

١٢ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ .. ﴾ [آية ١٢] .

---

(١) أي فهما آيتان من ضمن الآيات التسع ، التي أيَّده الله بها ، وعلى الرأي الثاني أن « في » بمعنى « مع » تكون الآيات إحدى عشرة ، والأول أظهرُ وأشهر .

(٢) ذُكرتْ هذه الآياتُ مفصَّلةً في سورة الأعراف في قوله تعالى ﴿ ولقد أخذنا آل فرعونَ بالسنينَ ونقصٍ من الثمراتِ لعلَّهم يذكَّرون ﴾ فهاتان آيتان ثم قال بعد ذلك ﴿ فأرسلنا عليهم الطوفانَ ، والجرادَ ، والقُمَّلَ ، والضَّفَادعَ ، والدَّمَ ، آياتٍ مفصَّلاتٍ ، فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين ﴾ فهذه خمسٌ ، ثم « العصا ، واليد » فهذه هي الآيات التسع ، وهو رأي الأكثرين من المفسرين .

تخرج بيضاء إلى فرعون وقومه .

وقيل المعنى : إلى فرعونَ وقومه مبعوثٌ ومرسلٌ ، وهذا قول الفرَّاء[1] .

١٣ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً .. ﴾ [آية ١٣] .

أي واضحة .

و ﴿ **مُبْصَرَةً** ﴾ أي مبيَّنة[2] .

١٤ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَجَحَدُوْا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمَاً وَعُلُوَّاً .. ﴾ [آية ١٤] .

أي تكبُّراً أن يؤمنوا بموسى عليه السلام ، وقد جاءهم بالبراهين والآيات[3] .

١٥ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ .. ﴾ [آية ١٦] .

سبيلُ الولدِ أن يرثَ أباهُ ، فالفائدةُ في هذا أنه من وراثة العلم ، والقيام بأمر الناس ، ومن هذا « العلماءُ ورثةُ الأنبياء »[4] .

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٢٨٨ والقرطبي ١٣/١٦٣ فعلى رأي الفراء هناك إضمار لدلالة الكلام عليه ، أي إنك مبعوثٌ أو مرسلٌ إلى فرعون وقومه .

(٢) المراد أن تلك الآيات كانت واضحة جليَّة بيِّنة ، كأنها لفرط وضوحها ، وإنارتها تُبصر نفسها .

(٣) قال الطبري ١٩/١٤٠ : كذبوا بالآيات التسع ، وأيقنتها قلوبهم ، وعلموا أنها من عند الله ، فعاندوا بعد تبينهم الحق اعتداءً وتكبراً . اهـ .

(٤) هذا جزء من حديث طويل أخرجه أبو داود في العلم رقم ٣٦٤١ والترمذي وابن ماجه ، وتتمته « وإنَّ الأنبياء لم يورِّثوا دِينَاراً ولا دِرهماً ، وإنَّما ورَّثوا العِلْمَ .. » الخ وانظر كامل الحديث في جامع الأصول ٨/٥ .

ويُروى أنه كان لداود عليه السلام تسعةَ عشرَ ولداً ، فورثه سليمان في النبوَّة والمُلْك دونهم ﴿ **وَقَالَ يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ** ﴾[1] .

١٦ ـــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** ﴿ **وَأُوْتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾ [آية ١٦] .

أي من كل شيءٍ يؤتاهُ الأنبياءُ والنَّاسُ .

وهذا على التكثير ، كما يُقال : ما بَقَّيْتُ أحداً حتى كلَّمتُه في أمرك .

١٧ ـــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **فَهُمْ يُوْزَعُونَ** ﴾ [آية ١٧] .

رَوَى مَعْمرٌ عن قتادةَ قال : يُرِدُّ أوَّلُهم على آخرهم[2] .

قال أبو جعفر : أصلُ وَزَعْتُه : كَفَفْتُه ، ومنه لابدَّ للناس من وَزَعةٍ[3] ، ومنه « لَمَا يَزَعُ السلطانُ أكثرُ ممَّا يَزَعُ القرآنُ »[5] .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير ١٩٢/٦ ﴿ ووَرِثَ سليمانُ داودَ ﴾ أي في المُلْك والنُّبوَّة ، وليس المراد وراثة المال ، فإن الأنبياء لا تُورثُ أموالهم . كما أخبر ﷺ بقوله « نحن معاشر الأنبياء لانُورث ، ما تركناه صدقةٌ » وقال القرطبي ١٦٤/١٣ في روايته عن الكلبي : كان لداود ﷺ تسعة عشر ولداً ، فورث سليمان من بينهم نبوَّته وملكه ، ولو كان وراثة مال لكان جميع أولاده فيه سواء ، فخصَّ الله سليمان بما كان لداود من الحكمة والنبوة .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٤٢/١٩ وابن كثير ١٩٤/٦ والدر المنثور ١٠٤/٥ .

(٣) وزَعَةٌ أي حكَّامٌ وأمراء ، يكفُّون الناس عن الشرِّ ، جمع وازع ، وهذا من كلام الحسن البصري كما في القرطبي ١٦٨/١٣ .

(٤) هذا مما اشتهر من كلام عثمان رضي الله عنه « إن الله ليزع بالسلطان ما لايزع بالقرآن » وانظر القرطبي ١٦٨/١٣ .

روى عطاء الخراساني عن ابن عباس ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ قال : على كل صنفٍ منهم وَزَعَةٌ ، يردُّ أُولاها على أُخراها لئلا يتقدَّموا في المَسِيرِ ، كما يصنعُ الملوك[1] .

فهذا قولٌ بيِّنٌ ، ومنه : وَزَع فلانٌ فلاناً عن الظُّلمِ : إذا كفَّه عنه ، كما قال النابغة :

عَلَى حِينِ عَاتَبْتُ المَشِيبَ عَلَى الصِّبَا
وقلتُ : أَلَمَّا يَصْحُ ؟ وَالشَّيْبُ وَازِعُ[2]

١٨ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ .. ﴾ [آية ١٨] .

يُروى أنه وادٍ كان بالشام[3] ، نملُهُ على قَدْرِ الذُّبَابِ .

وقرأ سليمانُ التَّيمِيُّ : ﴿ يا أيُّها النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُنَّ لايَحْطِمنكُنَّ سُلَيْمانُ بجنودِهِ ﴾[4] .

---

(١) انظر الأثر في تفسير الطبري ١٩/١٤٠ وابن كثير ٦/١٩٤ والدر المنثور ٥/١٠٤ .

(٢) البيت للنابغة الذبياني كما في ديوانه ص٣٢ وهو في جامع البيان للطبري ١٩/١٤٢ وتفسير القرطبي ١٣/١٦٨ وقد ذكره المصنِّفُ بصيغة المضارع الغائب « أَلَمَّا يَصْحُ » وفي الديوان « ألمَّا أَصْحُ » بصيغة المتكلم . وهو الصواب ، لأنه يعاتب نفسه في حال المشيب فيقول : ألمَّا أُفِقْ ممَّا أنا فيه من الصَّبابةِ والشوق ، والشيبُ كافٌ عن الجهل ؟

(٣) في المخطوطة « بالشمل » وهو تصحيفٌ ، وصوابُه بالشام ، كما في القرطبي ١٣/١٦٩ وغيره .

(٤) هذه ليست من القراءات السبع وقد ذكرها القرطبي في تفسيره ١٣/١٧٠ وهي قراءة شاذة .

١٩ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا .. ﴾** [آية ١٩] .

ويُقْرأُ ﴿ فتبسَّمَ ضَحِكاً مِنْ قَوْلِها ﴾[١] ويُقــال : كذلك ضَحِكُ الأنبياء[٢] .

٢٠ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنَي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ .. ﴾** [آية ١٩] .

قال أهل التفسير : ﴿ أَوْزِعْنِي ﴾ أي ألهِمْني ، وهو مأخوذٌ من الأول ، أي كُفَّنِي عن الأشياء ، إلاَّ عن شكرِ نعمتِكَ ، أي كفَّني عمَّا يباعدُ منك .

٢١ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَىٰ الهُدْهُدَ .. ﴾** [آية ٢٠] .

قال أبو مجلز قال ابن عباس لعبدالله بن سلام : أريــدُ أن أسأَلك عن ثلاثِ مسائلَ ، قال : أتسألني وأنتَ تقرأُ القرآن ؟

قال : نعم ثلاث مرات .

قال : لِمَ تفقَّدَ سليمانُ الهدهدَ دون سائر الطَّيْرِ ؟

---

(١) انظر البحر المحيط ٦٢/٧ وتفسير القرطبي ١٧٥/١٣ وهي من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ١٣٩/٢ .

(٢) أي إن الأنبياء يتبسَّمون ولا يضحكون بملء الفم ، كما قال القرطبي :التَّبسُّمُ ضحكُ الأنبياء عليهم السلام في غالب الأحيان ، ومن صفة النبي ﷺ أنَّ ضحكَه التَّبَسُّمُ .

قال : احتاجَ إلى الماءِ ولم يعرف عمقه ـــ أو قال مسافته ـــ وكان الهُدْهُدُ يعرف ذلك دون الطَّيْرِ ، فتفقَّده[1] .

وفي غير هذا عن ابن عباس أنَّ « نافع بن الأزرق[2] » قال له : كيف هذا والصبيُّ يَصِيدُه ؟ فقال له ابن عباس : إذا وقع القضاءُ عَمِيَ البصر[3] .

وقال عطاء : حدثنا مجاهدٌ عن ابن عباس قال : « كان سليمانُ يجلسُ ، وتُجعل السُّرُرُ بين يديه ، ويأمرُ الإنس فيجلسون عليها ، ثم يأمرُ الجنَّ فيجلسون من ورائهم ، ثم يأمرُ الشياطينَ فيجلسون من ورائهم ، ثم يُظِلُّهم الطَّيْرُ ، وتُقِلُّهم الريحُ مسيرةَ شهرٍ ،

---

(١) لم يذكر المصنف بقية الأسئلة الثلاثة التي سأله عنها ، وقد روى هذا الأثر الطبري في تفسيره ١٤٣/١٩ والقرطبي ١٧٨/١٣ والسيوطي في الدر بنحو ١٠٤/٥ .

(٢) هذا الرجل من الخوارج كأن يكثر على ابن عباس الأسئلة لكي يحرجه بها ، وكان ابن عباس يجيبه على شبهاته كلها برحابة صدر .

(٣) قال الحافظ ابن كثير في روايته عن مجاهد ١٧٩/٦ : كان الهدهد مهندساً يدل سليمان على الماء في تخوم الأرض ، ويرى الماء كما يرى الإنسان الشيء الظاهر على وجه الأرض ، فإذا دلَّهم عليه أمر سليمان الجانَّ فحفروا له ذلك المكان ، حتى يستنبط الماء من قراره ، فنزل سليمان بفلاةٍ من الأرض ، فتفقَّد الطير ليرى الهدهد فلم يره ، فقال : ﴿ ما لِيَ لا أرى الهدهد ﴾ ؟ حدَّث عبدالله بن عباس يوماً بنحو هذا ، وفي القوم رجلٌ من الخوارج ، يقال له : « نافع بن الأزرق » ـــ وكان كثير الاعتراض على ابن عباس ـــ فقال له : قفْ يا ابن عباس ، غُلبتَ اليومَ ، قال : ولِمَ ؟ قال : إنك تخبر عن الهدهد أنه يرى الماء في تخوم الأرض ، وإن الصبيَّ ليضع له الحبَّة في الفخّ ويحثو على الفخّ الترابَ ، فيجيء الهدهد ليأخذها فيقع في الفخِّ فيصيده الصبيُّ ! فقال له ابن عباس : ويحك ، إذا نزل القَدَرُ ، عميَ البصرُ ، وذهب الحذر . اهـ .

ورواحُها شهرٌ ، فتفقَّد الهدهدَ من الطير فقال ﴿ **لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيدَاً** ﴾ [آية ٢١] .

وكان تعذيبُه إيَّاه ، نتفه وإلقاءَه إيَّاه في الأرض ، لايمتنعُ من نملةٍ ولاهَامَّة .

قال عبدُالله بن شَدَّاد : « كان تعذيبُه إيَّاه أن ينتفه ويُلقيه في الشمس »[١] .

ثم قال جل وعز ﴿ **أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ** ﴾ [آية ٢١] .

أي بحجَّةٍ بيِّنةٍ .

٢٢ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ** ﴾ [آية ٢٢] .

أي غير وقتٍ بعيد .

والتقديرُ : فمكثَ سليمانُ غيرَ طويلٍ[٢] ، من حين سأَل عن الهدهِد ، حتى جاء الهُدْهدُ ، ﴿ **فَقَال** ﴾ أي فقال الهُدْهدُ حين سأله سليمانُ عن تخلُّفِه ﴿ **أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ** ﴾ .

في الكلام حذفٌ ، والمعنى : ثم جاء فسأله سليمانُ عن غيبته ، ﴿ **فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ** ﴾ .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري ١٤٥/١٩ وهو قول ابن عباس أيضاً ، وأخرجه ابن الجوزي ١٦٤/٦ وابو حيان في البحر المحيط ٦٥/٧ .

(٢) أي مكث سليمان زماناً يسيراً ، ولم يطل انتظاره حتى قدم عليه الهدهد .

ومعنى **أحطتُ بالشيء** : علمتُه من جميع جهاته .

٢٣ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾** [آية ٢٢] .

قيل : « سَبَأٌ » اسمُ رجلٍ[١] .

وقيل : هي مدينةٌ قربَ اليمن .

٢٤ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ .. ﴾** [آية ٢٣] .

قال قتادة : هي امرأةٌ يقال لها « بَلْقِيس » ابنة شراحِيل ، وكان أحد أبويها من الجنِّ ، ومؤخَّرُ قدمها كحافر الحمار[٢] .

٢٥ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾** [آية ٢٣] .

أي من كلِّ شيءٍ يُؤتاهُ مثلُها ،

﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ أي سريرٌ كبيرٌ ، عظيمُ الخطر[٣] .

---

(١) أنكر الزجاج أن تكون « سبأ » اسم رجل ، وقال : هي اسم مدينة تُعرف بمأرب اليمن ، بينها وبين صنعاء مسيرةُ ثلاثة أيام . اهـ معاني الزجاج ١١٥/٤ .

(٢) هذا من الأخبار الإسرائيلية التي لايعوَّل عليها ، وقد أنكر جمعٌ من فحول العلماء منهم الإمام الماوردي هذا الأثر ، وهو الحقُّ ، لأنه لا يمكن التزاوج بين جنسين متباينَيْن . فكونُ أحدِ أبويها من الجنِّ بعيدٌ ، أو مستحيل ، وقد قال أبو حيان في البحر المحيط ٦٧/٧ ما نصُّه : قيل : وكانت أمها جنيَّة تسمى ريحانة بنت السكن ، تزوجها أبوها فولدت له بلقيس .. وقد طوَّلوا في قصصها بما لم يثبت في القرآن ولا في الحديث الصحيح ، وأن ما ذكر من الحكايات أشبه شيء بالخرافات . اهـ .

(٣) قال الطبري : العظيم في قدره وعظم خطره ، لا عظمه في الكبر والسعة ، فقد قال ابن عباس : سرير حسن الصنعة من ذهب ، قوائمه من جوهر ولؤلؤ اهـ . جامع البيان ١٤٨/١٩ .

٢٦ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ .. ﴾** [آية ٢٥] .

هي « أن » دخلت عليها « لا » .

والمعنى : لئلا يسجدوا لِلَّهِ .

ويجوز أن يكون « أن » بدلاً من « أعمالهـم » .

وقرأ ابن عباس ، وعبدالرحمن السُّلَمي ، والحسنُ ، وأبو جعفر ، وحُميد الأعرج **﴿ أَلَا يَا اسْجُدُوا لِلَّهِ ﴾**[1] .

والمعنى على هذه القراءة : أَلَا يا هؤلاء اسْجُدُوا للَّهِ ، كما قال الشاعر :

يَا لَعْنَةُ اللَّهِ والأَقْوَامِ كلِّهِم
والصَّالِحينَ على سَمْعَانَ من جَارِ[2]

فالمعنى : ياهؤلاء لعنةُ الله .

---

(١) هي من القراءات السبع كما في السبعة في القراءات لابن مجاهد ٢/٤٨٠ وفي النشر في القراءات العشر للجزري ٢/٣٣٧ قال : وقرئ « أَلَايا » بتخفيف اللام وابتدأ « أُسجدوا » بهمزة مضمومة على الأمر ، بمعنى : ألا ياهؤلاء أو يا أيها الناس اسجدوا . اهـ .

(٢) البيت لسالم بن دارة من قصيدة له مطلعها :
أنا ابنُ دارةَ معروفاً بها نسبي ... وهل بدارةَ يا للنَّاس من عَارِ
وهو في شواهد سيبويه ص ٩٤ للنفاخ وهو ما أنشده سيبويه كما ذكره القرطبي في تفسيره ١٣/١٨٦ قال سيبويه : « يا » لغير اللعنة ، لأنه لو كان نداءً للَّعنة لَنَصَبها ، لأنه يصيرُ منادى مضافاً ، ولكنْ تقديره : ياهؤلاء لعنةُ اللهِ والأقوام على سمعان ، وحكى عن العرب : ألا يا ارحموا ، يريدون ألا يا قوم ارحموا . اهـ .

وعلى هذه القراءة هي سجدةٌ ، وعلى القراءة الأولى ليست بسجدة ، لأن المعنى : وزيَّن لهم الشيطانُ أن لايسجدوا للّهِ .

والكلامُ على القراءة الأولى مُتَّسِقٌ[1] ، وعلى القراءة الثانية قد اعترض في الكلام شيءٌ ليس[2] منه .

٢٧ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ الَّذِي يُخْرِجُ الخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ .. ﴾** [آية ٢٥] .

رَوَى ابنُ نجيح عن مجاهد قال : ﴿ الخَبْءُ ﴾ : ما غاب[3] .

ورَوَى معمرٌ عن قتادة قال : ﴿ الخبءُ ﴾ : السِّرُّ[4] .

وقيل : الخبءُ في السموات : المطرُ ، وفي الأرض : النباتُ .

والأوَّلُ أَوْلَى أي ما غاب في السمواتِ والأرض ، ويدلُّ عليه قوله **﴿ ويَعْلَمُ ما يُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾**[5] .

---

(١) في المخطوطة « متأيب » وهو خطأ ، وصوابهُ كما أثبتناه « متَّسِق » كما في القرطبي ١٨٦/١٣ .
(٢) يريد لفظ يا هؤلاء أو يا أيها القوم ، فيكون هذا المحذوف المقدَّر معترضاً في الآية .
(٣) و(٤) انظر الطبري ١٥٠/١٩ والبحر المحيط ٦٩/٧ والدر المنثور ١٠٦/٥ .
(٥) قراءة الكسائي وحفص عن عاصم بالتاء ﴿ ما تُخفون وما تُعلنون ﴾ وقرأ الباقون بالياء ، وكلتاهما من القراءات السبع كما في النشر ٣٣٧/٢ والسبعة لابن مجاهد ٤٨١/٢ . وقال في البحر ٦٩/٧ : والخبءُ مصدرٌ أُطلق على المخبوء وهو المطر والنبات وغيرهما مما خبأه تعالى من غيوبه . اهـ .

وفي قراءة عبدالله[1] ﴿ يُخْرِجُ الخَبْءَ مِنَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ﴾ .

٢٨ ـ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ إِذْهَبْ بِكِتابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُر مَاذَا يَرْجِعُوْنَ ﴾ [آية ٢٨] .

قيل المعنى : فألقِهْ إليهم ، فانظرْ ماذا يرجعون ثم تولَّ عنهم[2] .

وقيل : إنما أدَّبَهُ بأدب الملوك ، أي فألقِهْ إليهم ، ولا تقفْ منتظراً ، ولكنْ تولَّ ثم ارجِعْ .

٢٩ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ قَالَتْ يَاأَيُّهَا المَلأُ .. ﴾ [آية ٢٩] .

في الكلام حذفٌ ، والمعنى : فذهب فألقاه إليهم ، فسمعَهَا تقول : ﴿ يا أيُّها المَلأُ إني أُلْقِيَ إليَّ كتابٌ كَرِيمٌ ﴾ .

قيل : قالت ﴿ كريم ﴾ لكرمِ صاحبِهِ وشرفِهِ .

وقيل : لأنه كان مختوماً .

---

(١) هو ابن مسعود قال الفراء : وصلحت « في » مكان « من » لأنك تقول : لأستخرجن العلم الذي فيكم منكم ، ثم تحذف أيهما شئت فيكون المعنى قائماً على حاله. اهـ معاني القرآن للفراء ٢٩١/٢ وقراءة ابن مسعود من القراءات السبع المتواترة .

(٢) هذا قول ابن زيد فقد قال معناه : اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ، ثم تولَّى عنهم منصرفاً إليَّ ، قال الطبري ١٥١/١٩ : وهو من المؤخر الذي معناه التقديم . اهـ
والراجح أن المراد بقوله ﴿ فتولَّ عنهم ﴾ أي تنحَّ جانباً حتى تسمع حديثهم وجوابهم ، ثم ترجع إليَّ . وهذا ما اختاره الجمهور .

وقيل : قالت ﴿ **كريم** ﴾ من أجل ما فيه[1] ، وكان فيه « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبدالله سليمان إلى بلقيس :﴿ **ألاَّ تَعْلُوا عليَّ وائتُوني مُسْلِمين** ﴾ وكانت كتبُ الأنبياء مختصرة ، واحتذى النَّاسُ عليه : من عبدِ الله .

قال عاصمٌ عن الشعبّي قال : كَتَبَ النبيُّ ﷺ أربعة كتب ، كان يكتب « باسْمِكَ اللّهُمَّ » فلما نزلت ﴿ **بسم الله مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا** ﴾[2] كتب بسم الله ، فلما نزلت ﴿ **قل ادْعُوا اللَّهَ أو ادْعُوْا الرَّحْمَنَ** ﴾[3] كتب « بسم الله الرحمن » فلما نزلت ﴿ **إنَّهُ من سُلَيْمَان وإنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾[4] كتب « بسم الله الرحمن الرحيم »[5] .

قال عاصم : قلتُ للشعبيِّ : أنا رأيتُ كتابَ النبيِّ ﷺ فيه ﴿ **بِسمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ** ﴾ فقال : ذاك الكتابُ الثالث .

---

(١) هذه الأقوال كلُّها مروية عن السلف ، وأحسن ما قيل في ذلك أنها إنما وصفت الكتاب بأنه « كريم » تكريماً لصاحبه وتعظيماً لشأنه ، لما تضمَّن من نصاعة البيان ، ولين القول ، والتلطف في الدعاء ، وحسن الاستعطاف والاستلطاف ، ثم هو مخطوطٌ بيد نبي الله سليمان عليه السلام ، فلهذا قالت « إني أُلقي إليَّ كتابٌ كريم » وهذا اختيار الطبري حيث قال : وصفت الكتاب بالكريم لأنه كان من مَلِكٍ ، فوصفته بالكرم تكريماً لصاحبه ، وهو قول ابن زيد . اهـ الطبري ١٩/١٥٣ .

(٢) سورة هود آية رقم ٤١ .

(٣) سورة الإسراء آية رقم ١١٠ .

(٤) سورة النمل آية رقم ٣٠ .

(٥) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٥/١٠٧ وعزاه إلى أبي عبيد في الفضائل عن الحارث العكلي .

٣٠ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ أَلَّا تَعْلُوْا عليَّ وَائْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾** [آية ٣١] .

أي أن لا تتكبروا .

ويجوز أن يكون المعنى : بأن لا تعلوا علـيَّ ، أي كتب بتـرك العلوِّ[١] .

ويجوز على مذهب الخليـل وسيبويـه أن تكـون « أن » بمعنـى « أي » مفسِّرة كما قال ﴿ **وَانْطَلَقَ المَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا** ﴾[٢] .

ويجوز أن يكون المعنى : إنّي أُلْقِيَ إليَّ أنْ لا تَعْلُوا عليَّ .

٣١ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ قَالَتْ إِنَّ المُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَـةً أَفْسَدُوْهَا ﴾** [آية ٣٤] .

أي إذا دخلوها عَنْوةً[٣] .

ويُقال لكل مدينةٍ يَجْتمعُ النَّاسُ فيها : قريـةٌ ، من قَرَيْتُ الشَّيَء أي جمعْتُه .

٣٢ ــ **وقولُه جلَّ وعـزَّ : ﴿ وَجَعَلُوا أَعِـزَّةَ أَهْلِهَـا أَذِلَّـةً وكَـذَلِكَ يَفْعَلُـونَ ﴾** [آية ٣٤] .

---

(١) قال الطبري ١٥٣/١٩ : عنـى بقولـه ﴿ أَنْ لَا تَعْلُـوا علـيَّ ﴾ أي لاتتـكبروا ولا تتعاظمـوا عمَّـا دعوتكم إليه ، وفي « أَنْ » وجهان من العربية : إن جُعلت بدلاً من الكتاب كانت رفعاً ، وإن جُعل معنى الكلام : إني أُلقي إليَّ كتابٌ كريم أن لاتعلوا عليَّ كانت نصباً . اهـ .

(٢) سورة ص آية رقم ٦ .

(٣) عَنْوة : بفتح العين قال في تهذيب اللغة ٢١١/٣ : أخذتُه عَنْوةً أي قَسْراً وقهراً .

يجوز أن يكون ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ من قولِ الله جلَّ وعزَّ .

ويجوز أن يكون من قولها(١) .

٣٣ ـ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [آية ٣٥] .

رَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : وجَّهَتْ بغلمانٍ عليهم لبسُ الجواري ، وبجوارٍ عليهنَّ لبسُ الغِلْمان(٢) .

ورَوَى يَعْلَى بن مسلمٍ عن سعيدِ بن جُبَيْر قال : أرسلت بمائتَيْ وصيفٍ ووصيفة ، وقالت : إن كان نبياً ، فسيعلمُ الذُكور من الإناث ، فأمرهم فتوضؤوا ، فمن توضأ منهم فبدأ بمرفقه قبل كفِّه قال : هو من الإناث ، ومن بدأ بكفِّه قبل مرفقه قال : هو من الذكور(٣) .

قال أبو جعفر : وقيل وجَّهَتْ إليه بلبنةٍ من ذهبٍ في خرقةِ حريرٍ ، فأمر سليمان ﷺ بلبنٍ من ذهب ، فأُلقي تحت الدواب حتى وطأته(٤) .

---

(١) رجَّح الإمام الطبري أنَّ قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ هو من كلام الله عزَّ وجل لا من كلامها ، وعزاه إلى ابن عباس ، والجمهور على أنه من كلامها والمعنى : وهذه عادةُ الملوك وطريقتهُم في كل بلدٍ يدخلونها بطريق القهر والقسر ، يذلّون أهلها ، ويهينون سادتها وأشرافها ، ويخرِّبون الديار . وانظر البحر ٧٣/٧ .

(٢ ـ ٤) ذكرت هذه الآثار في الطبري ١٩/١٥٥ وفي القرطبي ١٣/١٩٦ وفي الدر المنثور ٥/١٠٦ وذكرت أشياء كثيرة غيرها ، وفيها غرائب ، قال الحافظ ابن كثير ٦/٢٠٠ : ذكر غيرُ واحدٍ من المفسرين من السَّلف وغيرهم ، أنها بعثت إليه بهديَّةٍ عظيمة من ذهبٍ ، وجواهرَ ، ولآلىء ، ـ

وهذا أشبهُ لقوله ﴿ **أَتُمِدُّونَنِي بِمَالٍ** ﴾ ؟

ويجوز أن يكون وجَّهتْ بهما جميعًا .

ومعنى قوله تعالى ﴿ **لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا** ﴾ أي لايطيقونها ولايثبتون لها .

٣٤ ــ **وقولُه عزَّ وجل** ﴿ **قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ** ﴾ [آية ٣٨] .

قيل : إنما قال سليمان هذا ، لأنهم إذا أسلموا لم يحلَّ له أن يأخذ لهم شيئاً .

وقيل : إنما أراد أن يُظهِر بذلكَ آيةً معجزة .

٣٥ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** ﴿ **قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ** .. ﴾ [آية ٣٩] .

وقرأ أبو رجاء : ﴿ **قال عِفْرِيَةٌ** ﴾[1] بتحريك الياء .

قال قتادة : هو الداهيةُ .

= وغير ذلك ، وقال مجاهد وابن جبير وغيرهما : أرسلت جواريَّ في زيِّ الغلمان ، وغلمان في زي الجواري ، وأشياء أخر ، الله أعلم أكان ذلك أم لا ، وأكثره مأخوذ من الإسرائيليات ، وقال بعضهم : أرسلت إليه بلبنةٍ من ذهب ، والصحيح أنها أرسلت بآنيةٍ من ذهب . اهـ .

(١) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ١٤١/٢ وهي قراءة أبي رجاء ، وعيسى الثقفي ، قال ابن جني : عِفْرِيَةٌ هو العفريتُ ، يُقال : رجلٌ عِفْرِيَةٌ نِفْرِيَةٌ إتباعاً ، إذا كان خبيثاً داهياً ، ويُقال : تَعَفْرتَ الرجلُ : إذا صار عِفريتاً أي خبيثاً . اهـ .

قال أبو جعفر : يُقال للشديد إذا كان معه خُبْثٌ ودهاءٌ : عِفْرٌ ، وعِفْرِيَةٌ ، وعِفْرِيتٌ ، وعُفَارِيةٌ ، وقيل : عِفْرِيتٌ أي رئيسٌ .

قال وهب : إن العفريتَ اسمه « كوذن »[1] .

وقولُه ﴿ **أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ** ﴾ أي من مجلسك الذي تقضي فيه بين النَّاس[2] .

قال أبو جعفر : يُقال : مَقَامٌ ، ومَقَامَة[3] ، للموضع الذي يُقام فيه .

٣٦ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ .. ﴾** [آية ٤٠] .

في معنى هذا أقوال :

رَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : كان يعرِفُ اسمَ اللَّهِ جلَّ وعزَّ ، الَّذي إذا دُعي به أجاب ، وهو « يا ذَا الجَلالَ والإكرامِ »[4] .

---

(١) في الطبري ١٦١/١٩ عن وهب بن سليمان : إن العفريت الذي ذكره الله اسمه « كوزن » اهـ أي بالزاي .

(٢) قال في البحر ٧٦/٧ ﴿ مِنْ مَقَامِكَ ﴾ أي من مجلس الحكم ، وكان يجلس من الصبح إلى الظهر في كل يوم . اهـ .

(٣) قال الأزهري في تهذيب اللغة ٣٥٧/٩ : أقمتُ بالمكان مُقاماً وإقامةً ، والمَقَام والمُقَامةُ : الموضع الذي تقيم به . اهـ أقول ومنه قوله تعالى في سورة فاطر : ﴿ الذي أحَلَّنا دار المُقَامة من فضله ﴾ أي أسكننا الجنة وجعلها مقراً لنا وسكناً لا نتحوَّل عنها أبداً .

(٤) انظر الأثر في جامع البيان ١٦٢/١٩ وتفسير ابن كثير ٢٠٢/٦ والدر المنثور ١٠٩/٥ .

وقال غيره : اسمه « آصف بن برخيا »[1] وهو من بني إسرائيل ، فهذا قولٌ .

وقيل : إنَّ الذي عنده علم من الكتاب هو « سليمانُ »[2] نفسُه ، لمَّا قال له الجنيُّ ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ من مَقَامِكَ ﴾ وادَّعى شيئاً ـــ يبعد أن يكون مثله ـــ قال له سليمان : أنا آتيك به في وقتٍ أقرب من هذا بقدرة اللَّه جلَّ وعز ، على أن نُهلكه ، وتُعيده موضعنا هذا ، من قبل أن تَطْرِفَ .

وقال إبراهيم النخعي : هو جبريل صلَّى الله عليه وسلم[3] .

---

(١) هذا هو المشهور وهو رأي جمهور المفسرين ، وهو مرويٌّ عن ابنِ عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، قال في البحر ٧٦/٧ : ﴿ قال الَّذِي عندَهُ عِلْمٌ مِنَ الكتاب ﴾ قيل : هو من الملائكة ، وهو « جبريل » قاله النخعي ، وقيل : مَلَكٌ أيَّد اللهُ به سليمان ، وقيل : هو رجل من الإنس واسمه « آصف بن برخيا » كاتب سليمان وكان صِدِّيقاً عالماً قاله الجمهور ، ومن أغرب الأقوال أنه « سليمان » عليه السلام ، كأنه يقول لنفسه : أنا آتيك به قبل أن يرتدَّ إليك طرفك ، أو يكون خاطب بذلك العفريت ، حكى هذا الزمخشري وغيرُهُ . اهـ .

(٢)و(٣) قال في التسهيل ٢٠٨/٣ : هو « آصف بن برخيا » وكان « رجلاً صالحاً من بني إسرائيل ، كان يعلم اسم الله الأعظم ، وقيل : هو الخضر ، وقيل : هو جبريل ، والأول أشهر ، وقيل : سليمانُ وهذا بعيدٌ .

أقول : القول بأنه سليمان عليه السلام بعيدٌ ، ولا يتفق مع السياق ، لأن سليمان هو السائل فكيف يقول ﴿ أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ﴾ ؟ ولو كان هو القائل فعلاً لقال : أنا آتي به الخ وقد رجح الحافظ ابن كثير ٢٠٢/٦ أنه « آصف بن برخيا » وذكر أنه كان صِدِّيقاً يعلم الاسم الأعظم ، الذي إذا دُعي الله به أجاب ، ثم قال : ومن هنا يظهر أن النبي سليمان عليه السلام أراد بإحضار هذا السرير ، إظهار عظمة ما وهبه الله من المُلك ، وما سخر له من الجنود ، الذي لم يعطه أحد قبله ، وليتخذ ذلك حجة على نبوته . اهـ باختصار.

٣٠٧ ــ **وفي قوله جلَّ وعزَّ ﴿ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾** [آية ٤٠] .

فيه قولان أيضاً :

١ ــ **رَوَى إسماعيل بنُ أبي خالد** عن سعيد بن جبير قال : فرفع طَرْفَهُ ثمَّ ردَّه ، فإذا بالعرش[1] .

٢ ــ **وقال مجاهد** : من قبل مدِّ[2] الطَّرف .

ثم قال مجاهد : كما بيننا وبين الحِيرة ، وهو يومئذٍ بالكوفة في كندة .

واستدلَّ من قال أن قائل هذا « سليمانُ » بقوله **﴿ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ﴾**[3] إلى آخر الآية .

---

(١) انظر الدر المنثور للسيوطي ١٠٩/٥ وابن كثير ٢٠٢/٦ والمحرر الوجيز ٢٠٩/١١ .

(٢) في المخطوطة « مدى الطَّرف » وعبارة الطبري : وعن مجاهد إذا مدَّ البصر حتَّى يُرَدَّ الطرفَ خاسئاً ، وهي أوضح ، وفي رواية عنه : مدَّ بصره .

(٣) ليس في هذا ما يدل على أن سليمان هو القائل ﴿ أنا آتيك به قبلَ أن يرتدَّ إليكَ طَرْفكَ ﴾ لأن سليمان طلب من يُحضر له العرش ، فتكفَّل له العفريت المارد بإحضاره في مقدار جلوسه للقضاء ، فطلب سليمان ما هو أسرع ، فعند ذلك أحضره له الذي عنده علم الكتاب بلمح البصر ، فقال سليمان ﴿ هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ﴾ قال ابن عباس : يريد أأشكر الله على هذه النعمة ، أم أكفر إذ رأيت من هو دوني في الدنيا أعلمَ مني ؟! اهـ من تفسير الطبري .

قال عبـــدالله بن شَدَّاد : فظهـــر العـــرشُ من نَفَـــقٍ تحتَ الأرضِ[1] .

٣٨ ـــ **وقولـه جلَّ وعـزَّ ﴿ قَالَ نَكِّـرُوا لَهَـا عَرْشَهَـا نَنْظُـــر أَتَهْتَـــدِيْ .. ﴾** [آية ٤١]

أي غيِّروه .

قيل : جُعل أعلَاه أسفَله ، وأسفلُه أعلاه .

وقـال قتـادة : ﴿ **نكِّـروا لها عَرْشَهـا** ﴾ غيِّـــروه بزيـــادة أو نقصان[2] .

﴿ **نَنْظُر أتهتدي** ﴾ قال مجاهد : أي أتعرفه[3] ؟

٣٩ ـــ **وقوله جلَّ وعـزَّ : ﴿ قَيْـــلَ أَهَكَـــذَا عَرْشُكِ ؟ قَالَتْ كَأَنَّـــهُ هُوَ ﴾** [آية ٤٢] .

قال قتادة : شبَّهته به ، لأنها خلَّفتْهُ خَلْفها وخرجتْ[4] .

(١ـــ٣) انظر الآثار في الطبري ١٦٦/١٩ وزاد المسير ١٧٧/٦ والدر المنثور ١٠٩/٥ .

(٤) لم يقل لها نبيُّ اللهِ سليمان عليه السلام : أَهَـذَا عرشك ؟ لئـلا يكـون ذلك تلقيناً لها ، فيفـوت المقصود من الأمـر بتنـكير العـرش ، وإنما قال لها ﴿ أهكـذا عرشك ﴾ ؟ أي أمثـلَ هذا العـرش الذي تَرَيْنه عَرْشُكِ ؟ وقد كانت وافرة العقل والذكاء ، فلم تقـل : هُوَ هوَ ، وإنما قالت ﴿ كأنَّـهُ هُوَ ﴾ وإنما شبهته به لأنها خلَّفته في اليمن ، وخـرجت مع حاشيتها تريـد سليمـان ، قال الحافـظ ابن كثير : عُرض عليها عرشُها وقد غُيِّر ونُكِّر ، وزيد فيه ونُقص ، فكان فيها ثباتٌ وعقـلٌ ، ولبٌّ وحزم ، فلـم تجزم على أنـه هو لبعـد المسافـة ، ولا أنـه غيره لما رأت من آثـاره وصفاتـه ، فقـالت ﴿ كأنه هو ﴾ أي يشبهه ويقاربه ، وهذا غاية في الذكاء والحزم . اهـ .

٤٠ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [آية ٤٢] .

قال مجاهد : يقولُه سليمانُ عليه السلام(١) .

٤١ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آية ٤٣] .

قال مجاهد : أي كفْرُها(٢) .

قال أبو جعفر : والمعنى على هذا : وصدَّها اعتيادها ما كانت عليه من الكفر ، وبيَّن ذلك بقولِهِ ﴿ **إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ** ﴾ .

وقال **يَعْلَى بنُ مسلم** : قرأتُ على سعيد بن جبير ﴿ **إنَّها كانتْ من قومٍ كافرينَ** ﴾ فقال : أَنَّها بالفتح(٣) ، وقال : إنَّما وصفَها ، وليس يستأنفُ .

وفي معناه قولٌ آخر : وهو أن يكون المعنى : وصدَّها عمَّا كانت تعبدُ من دونِ اللَّهِ ، ثم حُذِف « عَنْ » كما تُحذف حروف الخفض ، مع ما يَتَعدى إلى مفعولينِ أحدهما بحرف .

(١ــ٢) انظر الطبري ١٦٧/١٩ وتفسير زاد المسير ١٧٨/٦ .

(٣) قرأ الجمهور ﴿ إنها كانت من قوم كافرين ﴾ بكسر الهمزة وقرأ ابن جبير وابن أبي عبلة بفتحها على التعليل أي لأنها . اهـ البحر المحيط ٧٩/٧ .

٤٢ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ .. ﴾ [آية ٤٤] .

قال مجاهد : هو بُرْكةُ ماءٍ ألبسها سليمانُ زُجَاجاً(١) .

وقال قتادة : كان من قوارير خَلْفَهُ ماءٌ(٢) .

﴿ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً ﴾(٣) أي ماءً .

وقيل : الصَّرْحُ : القَصْرُ عن أبي عُبيدة كما قال :

تَحْسِبُ أَعلامَهُنَّ الصُّرُوحَا(٤)

وقيل : الصَّرحُ : الصَّحْنُ(٥) ، كما نُقِل : هذه صَرْحةُ الدَّارِ ، وقاعتُها بمعنىً .

وحكى أبو عُبيد في الغريب المصنَّف : أن الصَّرح كلُّ بناءٍ عالٍ مرتفع(٦) ، وأنَّ الممرَّدَ : الطويلُ .

(١ــ٢) انظر جامع البيان للطبري ١٦٩/١٩ وزاد المسير لابن الجوزي ١٧٩/٦ والدر المنثور ١١١/٥ والقوارير جمع قارورة وهي الزجاجة ، قال تعالى ﴿ قواريرَ مِنْ فِضَّةٍ ﴾ .

(٣) اللُّجة : الماء الوافر الكثير قال في المصباح : لُجَّةُ الماء بالضم : معظمهُ . اهـ .

(٤) البيت لأبي ذُؤيب ، وهو في ديوانه ص٦٥٩ وفي مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٩٥/٢ وتمامُه

على طُرُقٍ كنُحُورِ الظِّبَاءِ تَحْسِبُ أعلامَهُنَّ الصُّرُوحَا

وبين رواية أبي عُبيدة ، وبين رواية الديوان اختلافٌ في بعض الألفاظ ، وفي البخاري في كتاب التفسير ٥٠٤/٨ : الصرح : كل ملاطٍ اتخذ من القوارير ، والصَّرحُ : القصرُ وجماعته صروح . اهـ .

(٥) قال القرطبي ٢٠٩/١٣ : وكان الصَّرح صحناً من زجاج ، تحته ماءٌ وفيه الحيتان ، عمله ليُريها مُلْكاً أعظم من مُلكها .

(٦) يؤيد هذا قوله تعالى عن فرعون ﴿ ياهَامَانُ ابنِ لي صَرْحاً ﴾ أي بناءً عالياً مرتفعاً ،

قال أبو جعفر : أصلُ هذا أنه يُقال لكل ما عُمل عملاً واحداً : صَرْحٌ ، من قولهم : لَبَنٌ صَرِيحٌ ، إذا لم يَشُبْهُ مَاءٌ ، ومن قولهم : صَرَّحَ بالأمرِ ، ومنه عربيٌّ صريح .

وقال الفراء : الصَّرْحُ المُمَرَّدُ : هو الأملسُ ، أُخِذَ من قولِ العرب : شَجَرةٌ مَرْداءُ إذا سَقَط ورقُها عنها(١) .

قال الفراء: وتمرَّد الرجل : إذا أبطأ خروجُ لحيته بعد إدراكه .

وقال غيره : ومنه رَمْلةٌ مرداءُ إذا كانت لاتُنبِتُ ، ورجلٌ أمْرَدُ .

وقيل : المُمَرَّدُ : المطوَّلُ : ومنه قيل لبعض الحصون : مَارِدٌ(٢) .

٤٣ ـ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **فإذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ**﴾ [آية ٤٥] .

قال مجاهد : أي مؤمنٌ وكافر(٣) ، قال : والخصومة قولهم ﴿ **قَالُوا أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صا لِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِهِ** ﴾ فهذه الخصومةُ(٤) .

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢٩٤/٢ وزاد المسير ١٧٩/٦ .

(٢) انظر تفسير القرطبي ٢٠٩/١٣ وروح المعاني ٢٠٨/١٩ وزاد المسير ١٧٩/٦ .

(٣) عبارة ابنِ جريرٍ عن مجاهد ﴿ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُوْنَ ﴾ : يختلفون ، مؤمنٌ وكافر ، وذلك قول بعضهم : صالح مرسلٌ ، وقولهم : صالحٌ ليس بمرسل . اهـ الطبري ١٧٠/١٩ .

(٤) اختصامهم تفرقهم واختلافهم في أمر صالح ، وذلك ما حكاه الله عز وجل في موطن آخر ﴿ قال الملأُ الَّذين استكبروا من قومه ، للذينَ استضعِفُوا لمن آمَنَ منهم : أتعلمونَ أنَّ صالحاً مرسلٌ من ربه ؟ قالوا إنَّا بما أُرسل به مؤمنون . قال الذين استكبروا إنَّا بالذي آمنتم به كافرون ﴾ سورة الأعراف آية ٧٥ .

وقيل : تقول كلُّ فرقةٍ : نحنُ على الحقِّ .

٤٤ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ قَالَ ياقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ .. ﴾** [آية ٤٦] .

قال مجاهد : أي بالعذاب قبل الرحمة(١) .

قال أبو جعفر : وفي الكلامِ حَذْفٌ ، والمعنى ـ والله أعلمُ ـ فاستعجلت الفرقةُ الكافرة بالعذاب ، فقال لهم صالح : لِمَ تستعجلون بِالسيِّئةِ قبل الحسنة ؟ .. ﴿ **لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ** ﴾ أي هلَّا تستغفرون الله(٢) !! .

٤٥ ـ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ قَالُوْا اطَّيَّرْنَا بِكَ وبِمَنْ مَعَكَ ..﴾** [آية ٤٧] .

قال مجاهد : ﴿ **اطَّيَّرْنَا** ﴾ : أي تَشَاءَمْنَا(٣) .

٤٦ ـ **وقولُه جل وعزَّ ﴿ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾** [آية ٤٧] .

قال الضحاك : أي الأمرُ الذي أصابكم عند الله(٤) .

أي الأمرُ للَّهِ ، أصابكم به بما قدَّمتْ أيديكم .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٧١/١٩ وابن الجوزي ١٨٠/٦ والدر المنثور ١١٢/٥ .

(٢) « لَوْلا » هنا ليست حرف امتناع لوجود ، وإنما هي للتحضيض بمعنى « هَلَّا » كما نبَّه المصنف .

(٣ـ٤) انظر الآثار في جامع البيان ١٧١/١٩ وزاد المسير ١٨١/٦ والدر المنثور ١١٢/٥ .

وقيل : ما تطيَّرتم به عقوبتُه عند الله تلحقكم[١] .

وقيـل : ﴿ طَائِرُكُـمْ ﴾ ما يطيـرُ لكـم.

﴿ بَلْ أَنْتُم قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾ أي تُختبرون[٢] .

٤٧ ـ وقولـه جلَّ وعـزَّ : ﴿ وَكَانَ فِي المَدِينَـةِ تِسْعَـةُ رَهْـطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ [آية ٤٨] .

قال جعفـر بن سُلَيْمـانَ : تلا مالكُ بنُ دينـار هذه الآية ، فقال : كم في كلِّ حيٍّ وقبيلةٍ ممَّنْ يُفسِد ؟

وقال عطاءُ بنُ أبي رَبَاحٍ : بلغنـي أنهم كانـوا يَقْـرِضُون الدَّراهمَ[٣] .

٤٨ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ﴾ [آية ٤٩] .

---

(١) قال ابن عباس ﴿ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ ﴾ أي الشـؤم الذي أتاكم من عند الله بكفـركم ، وعبـارة الإمـام الفخر ٢٠٣/٢٤ : أي السببُ الذي منه يجيءُ خيركم وشرُّكم عند الله ، وهـو قضاؤه وقَدَرُه ، إن شاءَ رَزَقكم ، وإن شاء حرمكم . اهـ وهـذا أوضح الأقـوال ، وأصل الطائـر : ما يطير بجنـاحين كالحمـام ، سُمِّـي ما يصيبهم من خير وشر ، وسعـادة وشقـاء طائـراً ، لأنـه لاشيء أسرع على الإنسان من القضاء المحتوم .

(٢) أي تُمتحنون بأنواع التكاليف ، والأظهر أن المراد بقوله « تفتنون » أي يفتنكم الشيطان ويغويكم بوسوسته وإضلاله ، فلذلك غلبكم الشيطان حتى قلتم ما قلتموه .

(٣) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ١١٣/٥ ومعنى يقرضون الدراهم أي يأخذون منها بعض الشيء ، والآية أعمُّ من ذلك فقد قال الضحاك : كان هؤلاء التسعة عظمـاء القـوم ، وهـم الذيـن عقـروا الناقة وتآمروا على قتل صالح عليه السلام .

قال قتادة : تحالفوا على أن يَفتِكُوا بصالحٍ ليلاً ، فمرُّوا يتعانقون[1] — أي يسرعون — فأرسل الله عليهم صخرةً فأهلكتهم[2] .

قال مجاهد : تقاسَمُوا على أن يأتوا صالحاً ليلاً ، فأُهلِكوا ، وهَلَكَ قومهُم أجمعون[3] .

٤٩ — وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَلُوطَاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ وأَنْتُمْ تُبْصِرُوْنَ ﴾ [آية ٥٤] .

أي واذكر لوطاً ، أو وأرسلنا لوطاً .

ثم قال ﴿ أَتَأْتون الفَاحِشَةَ وأنتُمْ تُبْصِرونَ ﴾ أي وأنتم تُبصرون أي تعلمون أنها فاحشة ، فذلك أعظمُ لذنبكم[4] .

وقيل : يَرَى بعضكُمْ ذلك من بعض ، ولا يكتُمه منه .

---

(١) في الصحاح مادة عنق : والعَنَقُ : ضربٌ من سير الدابة والإبل قال الراجز : يانـاقُ سيري عَنقـاً فسيحاً .

(٢—٣) انطر الآثار في زاد المسير ١٨٢/٦ والدر المنثور ١١٢/٥ والبحر المحيط ٨٥/٧ قال ابن عباس : التسعة الذين كانوا يفسدون في الأرض هم الذي عقروا الناقة وقالوا حين عَقَرُوها : نُبَيِّتُ صالحاً وقومَهُ فنقتلهم — أي نقصدهم ليلاً فنقتلهم بغتة — ثم نقول لأولياء صالح : ماشهدنا من هذا شيئاً ، وما لنا به علم ، فدمَّرهم الله أجمعين . اهـ ابن كثير ٢٠٩/٦ وعبارة الطبري عن ابن إسحاق ١٧٣/١٩ : قال التسعة الذين عقروا الناقة : هلمَّ فلنقتل صالحاً فإن كان صادقاً فيما وعدنا من العذاب بعد الثلاث عجَّلناه قبلنا ، وإن كان كاذباً ألحقناه بناقته ، فأتوه ليلاً ليبيِّتوه في أهله ، فدفعتهم الملائكة بالحجارة ، فلما أبطأوا على أصحابهم ، أتوا منزل صالح فوجدوهم مشدوخين بالحجارة . اهـ .

(٤) المراد بالبصر : العلم بقبح هذا الصنيع ، وقيل : كانوا يتناكحون أمام أنظار المشاهدين كما تفعل الكلاب والحمير . فالرؤية إذاً بصرية أي يرى بعضكم بعضاً دون خجل ولا حياء .

قال مجاهد : في قوله تعالى ﴿ **إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ** ﴾ أي عن أدبار الرجالِ والنِّساءِ ، على الاستهزاء بهم[1] .

وقال قتادة : عابُوهم واللَّهِ بغيرِ عَيْبٍ ، فإنَّهم يتطهَّرون من أعمال السُّوءِ[2] .

٥٠ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى** ..﴾ [آية ٥٩] .

رَوَى الحَكَم بنُ ظُهَيْرٍ عن السُّدِّي وَوَكِيع ، وأبوعَاصِم عن سُفيانَ ﴿ **وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى** ﴾ قالا : أصحابُ محمد ﷺ اصطفاهم الله لنبيِّه[3] ﷺ .

٥١ ــ **ثم قال جلَّ وعز** ﴿ **آللَّهُ خَيْرٌ أَمْ مَا يُشْرِكُونَ** ﴾ [آية ٥٩] .

وليس فيما يشركون خيرٌ ، فالمعنى أثوابُ اللَّهِ خيرٌ أم ثوابُ ما يُشركون ؟

---

(١) أي يقولون ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء ، كما قال سبحانه ﴿ ويسخرون من الذين آمنوا ﴾ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١/٢٠ وابن كثير ٤٤٢/٣ والدر المنثور ١٠٠/٣ وعزاه إلى أبي الشيخ ، وعبد بن حميد .

(٣) هذا مرويٌّ عن ابن عباس أيضاً فقد قال رضي الله عنه : هم أصحاب محمد ﷺ اختارهم الله لنبيه ، فجعلهم أصحابه ووزراءه ، اهـ الطبري ٢/٢٠ واللفظ أشمل وأعمُّ فإنه يعمُّ الملائكة ، والأنبياء ، والصحابة والصالحين ، وقيل : هو خاصٌّ بالرسل لقوله سبحانه ﴿ وسلام على المرسلين ﴾ .

وجوابٌ آخرُ أجودُ من هذا ، يكون المعنـى : آلخيـرُ في هذا ، أمْ في هذا الذي يشركون به في العبادة ؟ كما قال :

أَتَهْجُـــــوهُ وَلَسْتَ لَهُ بكُـــــفْءٍ

فَشَرُّكُمَـــا لِخَيْرِكُمَـــا الفِـــدَاءُ(١)

وحكى سيبويه : السعادةُ أحبُّ إليكَ أم الشقاءُ(٢) ؟

وهو يعلم أن السعادةَ أحبُّ إليه .

والمعنـى : أم ما تُشركـونَ باللهِ خيـرٌ ، أم الَّـــذي يهديكـــم في ظلمات البَّرِ والبحر ، إذا ضَلَلتم الطريقَ ؟

٥٢ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُوْنَ ﴾** [آية ٦٠] .

أي يعدلون عن القَصْدِ والحقِّ .

ويجوز أن يكون المعنى : يعدلون بالله جلَّ وعزَّ(٣) .

---

(١) البيت لحسَّان بن ثابتٍ رضي الله عنه ، يهجو به أبا سفيان قبل إسلامه ويناضل به عن رسول الله ﷺ .

(٢) أفعل التفضيل هنا على غير بابه ، لأن الشقـاء ليس فيه خيرٌ أصلاً ، وقيـل : هو على بابه من التفضيل ، خاطبهم الله عز وجل على اعتقادهم ، فقد كانوا يعتقدون في عبادة الأصنام الخير ، فخاطبهم بما يعتقدون ، والصحيح من الأقوال أن هذا الاستفهام ﴿ آلله خير أمَّا يُشركون ﴾ فيه تبكيتٌ وتوبيخ لهم ، وتهكُّمٌ وازراءٌ بعقولهم ، فمن المعلوم أنه لايسوَّى بين اللّهِ وبين الأوثان ، فكأنه يقول لهم : هل الإله الخالقُ المبدعُ الحكيمُ خيرٌ ، أم الأصنام التي عبدتموها ، وهي لاتسمع ولا تبصر ولا تجيب ؟ .

(٣) أي يجعلون له عديلاً ومثيلاً ، فيسوُّون بين الخالق الرازق ، وبين الوثن الأصمِّ ، ويؤيد هذا المعنى =

٥٣ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ..﴾** [آية ٦٠] .

روى معمرٌ عن قتادة قال : النَّخلُ الحِسَانُ .

قال أبـو جعفـر : وهـو من قولهم : حُدِقَ بِهِ أي أحيـط[١] به كما قال :

.... وَقَدْ حَدَقَتْ

بيَ المَنِيَّـــةُ وَاسْتَبْطَـــأْتُ أَنْصَارِي[٢]

٥٤ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ ﴾** [آية ٦٦] .

ويُقال : بل ادَّرَك أي كَمُلَ ، لأنهم عاينوا الحقائق .

ورَوَى شُعْبَـةُ عن أبي جَمْـرَةَ عن ابـن عبـاس أنـه قرأ **﴿ بَلَـى**

= قوله تعالى في سورة الأنعـام : ﴿ ثمَّ الذيـن كَفَـروا بِرَبِّهـم يَعْدِلـونَ ﴾ أي يشركـون معـه غيره من الأوثان والأصنام .

(١) قال الطبري ٢٠/٣ ﴿ حَدَائقَ ذاتَ بَهْجةٍ ﴾ الحديقةُ : البستانُ عليه حائط ، والبهجةُ : المنظـر الحسن . اهـ وسميت بهجة لأنها تبهج وتسرُّ الناظر ، وتخصيصهـا بالنخـل الـحِسان كما قال قتـادة قاصرٌ عن الغرض ، فإن الغاية من ذكـر الـبساتين والحدائـق ، ما حوت عليـه من أنـواع الفواكـه والثمار ، والخضرة والنضرة ، والمنظر الحسن البهيج ، ولهذا قال مجاهد : هو كلُّ شيء يأكله النـاس والأنعام ، من الفواكه والثمار ، والعشب الأخضر ، وفي تهذيب اللغـة ٣٤/٤ : والحديقـةُ : أرضٌ ذات شجر مثمر ، وكل شيء أحاط بشيءٍ فقد أحدق به . اهـ .

(٢) هذا من شعـر الأخطـل كما في ديوانـه ص٨٣ من قصيـدة يمدح فيها يزيـد بن معاويـة ، وفي لسان العرب ٣٢٠/١١ وهو بتمامه :

المُنْعِمُـــونَ بَنُـــوْ حَرْبٍ وقَـــدْ حَدَقَتْ بيَ المَنِيَّـــةُ وَاسْتَبْطَـــأْتُ أَنْصَاري

أَدَّارَكَ ﴾[1] ؟ بفتح الهمزة على الاستفهام ، وبتشديد الدَّالِ ﴿ **عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ** ﴾ وقال : أي لم يُدرك[2] .

ورَوَى عليُّ بنُ أبي طلْحَةَ عن ابن عباس : أي غابَ[3] .

والمعروفُ من قراءته ﴿ **بَلَى ادَّارَكَ** ﴾ أي تتابع ، يقولون : تكونُ ولا تكون ، وإلى كذا تكون .

قال أبو جعفر : في « آدَّارَكَ » هذه ألفُ التوقيف : أي أآدَّراك علمهُم في الدنيا حقيقة الآخرة ؟ أي لم يُدرك ، وربما جاء مِثْلُ هذا بغير ألف استفهام .

وقرأ ابن مُحَيْصِن : « بلْ أآدَّرَكَ علمهُم » وأنكر هذا أبو عَمْرو ، قال : لأن « بَلْ » لايقع بعدها إلاَّ إيجابٌ .[4]

قال أبو جعفر : وهو جائزٌ ، على أن يكون المعنى : بل لم يُدرك علمُهم ، وبل يُقال لهم هذا[5] .

---

(١) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ١٤٢/٢ وانظر جامع الأحكام للقرطبي ٢٢٦/١٣ .

(٢ـ٣) انظر جامع البيان لسطبري ٦/٢٠ وزاد المسير ١٨٨/٦ والبحر المحيط ٩٢/٧ والدر المنثور ١١٤/٥ .

(٤) في قوله تعالى ﴿ بل ادَّارك ﴾ ثمانية أوجهٍ من القراءات كما في المحتسب ١٤٣/٢ بعضهـا من القراءات السبع ، مثل قراءة عاصم ونافع والكسائي ﴿ بل ادَّارَكَ ﴾ وقراءة ابن كثير وعطاء ﴿ بلْ أَدْرك ﴾ من الإدراك ، والبقيَّةُ من الشوَّاذ .

(٥) قال الإمام النحاس في كتابه إعراب القرآن ٥٣١/٢ : وفي معنى قوله تعالى « بل ادَّارك »=

٥٥ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ قُلْ عَسَى أَنْ يكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ [آية ٧٢] .

قال مجاهد : أي أعجلكم[١] .

ورَوَى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ رَدِفَ لكُمْ ﴾ أي اقترب لكم[٢] .

قال أبو جعفر : وهو من رَدِفه إذا اتَّبعَهَ ، وجاء في أَثَره ، وتكونُ اللَّام أُدْخلتْ لأن المعنى : اقترب لكم ، ودَنَا لكم ، أو تكونُ متعلقة بمصدر .

٥٦ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ..﴾ [آية ٨٢] .

أي وجب .

قال الفراء : أي وقع السَّخطُ عليهم[٣] .

٥٧ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكلِّمُهُمْ ..﴾ [آية ٨٢] .

وقرأ ابن عباس : ﴿ تَكْلَمُهُمْ ﴾.

= قولان : أحدهما أن المعنى : بل تكامل عِلمهم في الآخرة ، لأنهم رأوا كلَّما وُعِدوا به معاينةً ، فتكامل علمهم به ، والقول الآخر : أن المعنى بل تتابع علمهم اليوم في الآخرة فقالوا : تكونُ أو لا تكون . اهـ .

(١ ــ ٢) انظر الآثار في جامع البيان ١٠/٢٠ وزاد المسير ١٨٨/٦ والدر المنثور ١١٤/٥ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢٩٦/٢ .

وقرأ أبو زرعة بن عمرو بنِ جرير ﴿ **تَكْلِمُهُمْ** ﴾ وقرأ أُبيٌّ « تُنَبِّئُهُمْ »[1] .

قال إبراهيم : تخرج الدَّابةُ من مكة[2] .

ورَوَى أبو الطفيل عن حُذيفة بن اليمان قال : « تخرجُ الدابَّةُ ثلاث خَرَجات : خرجةً بالبوادي ثم تنكمي ، وخرجةً بالقرى يتقاتل فيها الأمراء ، حتى تكثر الدِّماءُ ، وخرجةً من أفضلِ المساجد وأشرفها وأعظمها ـــ حتى ظننا أنه يسمي المسجد الحرام[3] ولم يُسمِّه ـــ فيتهارب النَّاسُ ، وتبقى جُميِّعةٌ من المسلمينَ ، فتخرج فتجلو وجوههم ، ثم لاينجو منها هاربٌ ، ولا يلحقها طالب ، وإنها لتأتي الرجلَ وهو يصلي فتقول له : أتمتنع بالصَّلاة ؟ فتخطُّه ، وتَخْطِم[4] وجهَ الكافرِ ، وتَجْلو وجهَ المؤمن .

---

(١) قراءة ﴿ تَكْلِمهم ﴾ بكسر اللام بمعنى تجرحهم بأكلها إياهم ، وبالضم « تَكْلُمهم » وقراءة أبيّ بن كعب « تنبِّئهم » كلُّها من شواذ القراءات كما في المحتسب ٢/١٤٤ ، وقراءة الجمهور ﴿ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ من الكلام ، أي تخاطبهم مخاطبةً بكلامٍ فصيح صريح ، تقول : يا مؤمن ، ويا كافرُ .

(٢) خروجُ الدابة وتكليمُها النَّاسَ من أشراط الساعة ، كما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « ثلاث إذا خرجن لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت أو كسبت في إيمانها خيراً : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض » أهـ .

(٣) روى هذا الأثر الطبري في تفسيره ٢٠/١٤ قريباً منه ، وخروجها قيل من المسجد الحرام ، وقيل من الصفا ، وذكر أنها هي الجسَّاسة التي وردت في الحديث .

(٤) تخْطِم : قال في اللسان ١٥/٧٨ : الخَطْمُ : الأثَرُ على الأنف كما يُخْطَمُ البعيرُ بالكيّ ، من خطمتُ البعيرَ إذا كويته خطًّا من الأنف إلى الخدِّ ، وتلك السِّمةُ الخطامُ . اهـ .

٥٨ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوْا فَهُمْ لَا يَنْطِقُوْنَ ﴾** [آية ٨٥] .

رَوَى عطيَّةُ عن ابنِ عُمَرَ قال : ذلك إذا لم يأمروا بالمعروف ، ولم يَنْهوا عن المنكر[١] .

٥٩ ـ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّوْرِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾** [آية ٨٧] .

حدثنا أحمد بن محمد البَرَاثي ، قال : حدثنا علي بن الجعد ، عن مقاتل بن حيان ،

في قوله تعالى ﴿ إلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ قال : جبرائيلُ ، وميكائيلُ ، وإسرافيلُ ، ومَلَكُ المَوْتِ[٢] .

وحدثنا الحسين بن عمر الكوفي ، قال : حدثنا هنَّادُ بن السَّرِي قال : حدثنا وَكيعٌ عن شُعْبة عن عُمارة بنِ أبي حَفْصةَ ، عن حُجْر الهَجَري عن سعيد بن جبير في قوله **﴿ إلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾** قال : هم الشُّهداءُ،هم ثنيَّةُ اللَّهِ[٣] جلَّ وعز ، متقلِّدوا السُّيوفِ حول العرش .

---

(١) ذكر هذا الأثر عن ابن عمر الطبري في تفسيره ١٤/٢٠ عند قوله تعالى : ﴿ وإذَا وقعَ القولُ عليهم أخرجنا لهم دابةً من الأرضِ ﴾ وذكره السيوطي أيضاً في الدر المنثور ١١٥/٥ .

(٢) رُوي في التسهيل في علوم التنزيل ٢١٩/٣ أن ملك الموت عليه السلام اسمه عزرائيل .

(٣) أي هم الذين استثناهم الله عز وجل بقوله ﴿ إلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ وقد قيل : هم الشهداء ، =

٦٠ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ [آية ٨٧] .

قال قتادة : أي صاغرين .

٦١ ــ ثم قال جل وعزّ ﴿ وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُها جَامِدَةً وهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ [آية ٨٨] .

لأنها قد بُسَّتْ وجُمِعتْ[١] .

٦٢ ــ وقوله جل وعز : ﴿ مَنْ جَاءَ بالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا .. ﴾ [آية ٨٩] .

قال عبدالله بن مسعود : لا إله إلاَّ اللَّهُ .

وروى عليُّ بنُ أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ مَنْ جَاءَ بالحَسَنَةِ ﴾ قال : لا إله إلاَّ اللَّهُ ﴿ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ﴾ وصل إليه

= لأنهم أحياء عند ربهم يُرزقون ، وهذا قول أبي هريرة وسعيد بن جبير ، واختاره الحافظ ابن كثير والطبري ، حتى قال الطبري ٢٠/٢٠ : إنهم أحياء ، وإن كانوا في عداد الموتى عند أهل الدنيا ، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ . اهـ وقيل : هم الملائكة جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وعزرائيل ورُوي ذلك عن مقاتل والسُدِّي ، وقال الضحاك : هم الولدان ، والحور العينُ ، وخزَنَةُ الجنَّةِ ، وحملَةُ العرش ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذٍ ثمانية ﴾ وانظر روح المعاني ٣٣/٢٠ .

(١) عبارة الألوسي في روح المعاني ٣٤/٢٠ : وترى الجبال رأي العين ثابتةً في أماكنها لاتتحرك ، والحال أنها تمرُّ في الجو مرَّ السحاب ، التي تسيِّرها الرياح ، سيراً حثيثاً ، وذلك أن الأجرام المجتمعة المتكاثرة العدد ، إذا تحركت نحو جهة لاتكاد تبينُ حركتها . اهـ .

الخير[1] ، ﴿ ومَنْ جَاءَ بالسَّيئةِ ﴾ وهي الشِّركُ ﴿ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُم في النَّارِ ﴾ .

وقال الحسنُ ومجاهدٌ وقيسُ بنُ سعدٍ ﴿ مَنْ جَاءَ بالحَسَنَةِ ﴾ بـ « لا إله إلاَّ اللَّهُ » ﴿ ومَنْ جَاءَ بالسيِّئة ﴾ : الشِّرك .

قال أبو جعفر : ولانعلم أحداً من أهل التفسير قال غير هذا[2] .

٦٣ ـ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا .. ﴾ [آية ٩٣] .

أي في أنفسكم وغيرها .

« تمت بعونه تعالى سورة النمل »

* * *

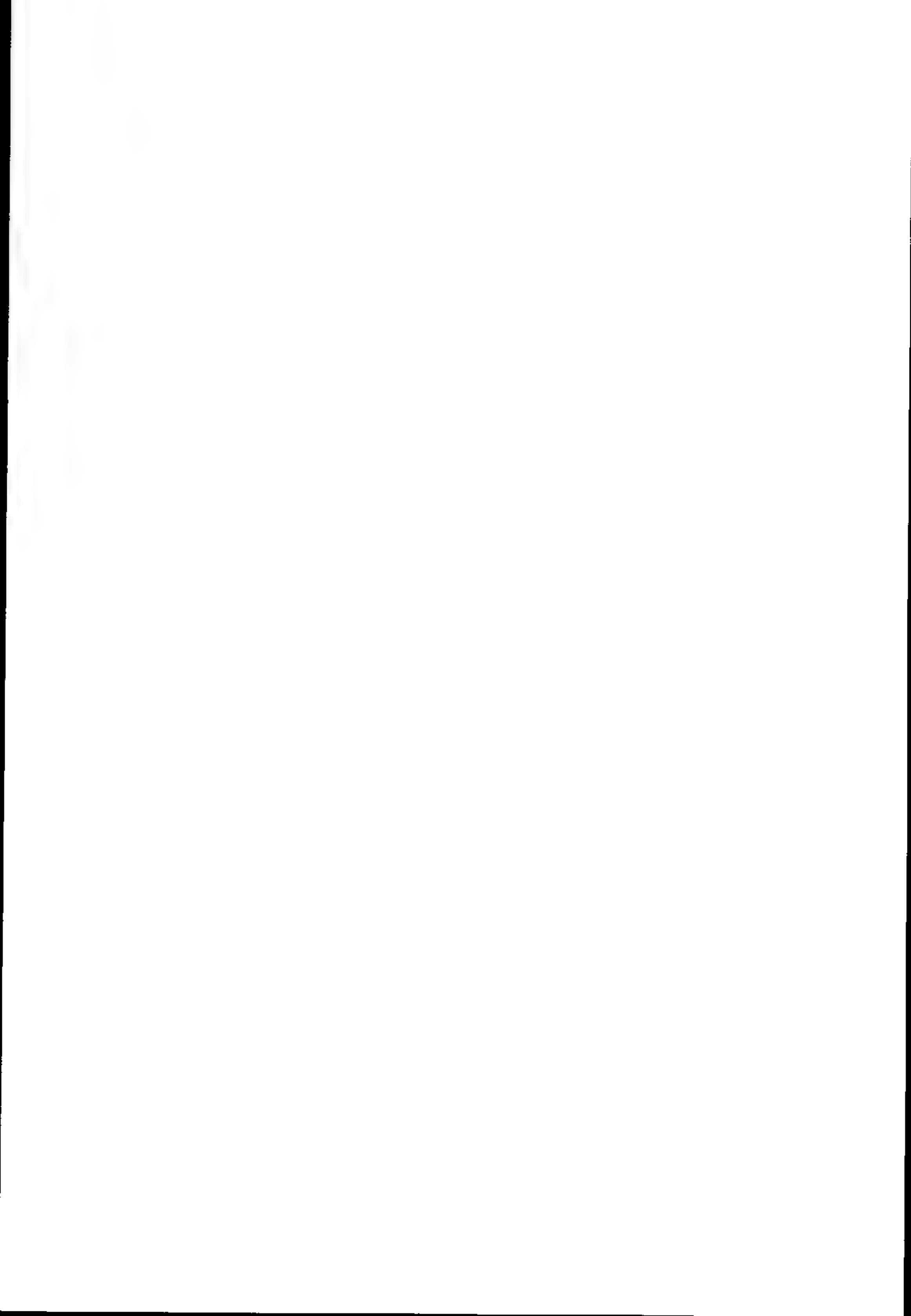
---

(١) يريد أن لفظ « خير » ليس أفعل تفضيل كما قال بعض المفسرين ، وإنما هي مصدر أي فله خيرٌ واصل منها .

(٢) قال في التسهيل ٢١٩/٣ : قيل : إن الحسنة لا إله إلا الله . واللفظ أعمُّ يشمل كل عمل صالح ، ومعنى خير منها أن له بالحسنة الواحدة عشراً . اهـ .

تفسير سورة القصص

مكية وآياتها ٨٨ آية



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة القصص وهي مكية[1]

١ ــ من ذلك قوله جلَّ وعزَّ ﴿ طسٓمٓ ﴾ [آية ١] .

قال قتادة : ﴿ طسٓمٓ ﴾ اسمٌ من أسماء القرآن[2] .

٢ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ [آية ٢] .

أي المبينُ بركتُهُ وخَيْرُه ، والمُبَيِّن الحقَّ من الباطل ، والحلالَ من الحَرَامِ ، وقَصَصَ الأنبياء صلواتُ اللهِ عليهم ، ونبوَّةَ محمد ﷺ .

ويُقال : أَبَانَ الشَّيءُ ، وَبَانَ ، وأَبَانَ : اتَّضَحَ[3] .

٣ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ .. ﴾ [آية ٣] .

النَّبأُ : الخبرُ[4] .

---

(١) هذه السورة مكية كلها ، وقال ابن عباس : مكية إلاَّ آية واحدة ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن .. ﴾ نزلت بالجحفة وقت الهجرة . وانظر البحر المحيط ١٠٤/٧ .

(٢) قد تقدم الكلام على الحروف المقطَّعة في أوائل السور . والمختار ما ذهب إليه المحققون ، أنها للتنبيه على إعجاز القرآن ، والإشارة إلى أن هذا الكتاب المعجز ، في فصاحته وأسلوبه وبيانه ، مركَّبٌ من أمثال هذه الحروف الهجائية ، وانظر صفوة التفاسير ١٩/١ .

(٣) جاء في تهذيب اللغة ٤٩٥/١٥ : يُقال : بان الشيءُ وأبان بمعنى واحد . يعني اتَّضح اهـ وفي القرطبي : بَانَ الشيءُ وأبان : اتَّضح ، وفي المخطوطة : « أفصح » وهو تصحيف وصوابه ما اثبتناه : اتضح كما في الصحاح وتهذيب اللغة .

(٤) النبأ في اللغة : الخبرُ ، ومنه قوله تعالى ﴿ قل هو نبأٌ عظيمٌ أنتم عنه مُعْرِضُون ﴾ وانظر لسان العرب ، والصحاح مادة نبأ .

٤ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الأَرْضِ ..﴾ [آية ٤] .

قال السُّدِّيُ : أي تَجَبَّر(١) .

٥ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً ..﴾ [آية ٤] .

قال مجاهد : أي فرَّقهم(٢) .

قال السُدِّي : أي فَرَّقهم في الأعمال القذرة(٣) .

وقال قتادة : ﴿ شِيَعاً ﴾ أي ذَبَحَ بعضَهم ، واستحيا بعضَهم ، وقَتَلَ بعضَهم(٤) .

والشِّيَعُ عند أهل اللُّغةِ : جمعُ شِيعَةٍ ، والشِّيعَةُ : الفِرْقةُ التي بعضُها مساعدٌ لبعضٍ ومُؤَازِرٌ .

٦ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ .. ﴾ [آية ٥] .

يعني بني إسرائيل(٥) صلَّى الله عليه ﴿ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ﴾ أي

---

(١) علا في الأرض : أي تجبَّر وطغى ، وجاوز الحدَّ في الظلم والطغيان ، والأثر أخرجه ابن جرير ٢٨/٢٠ والسيوطي في الدر ١٢٠/٥ .

(٢ــ ٤) انظر هذه الآثار في الدر ١٢٠/٥ وجامع البيان ٢٧/٢٠ قال ابن جرير : يعني بالشِّيع : الفِرَق أي جعل أهلها ــ بني إسرائيل ــ فِرَقاً متفرقين ، وقال السُدّي : يعني بأهلها بني إسرائيل حين جعلهم في الأعمال القذرة . اهـ .

(٥) « إسرائيل » هو اسمٌ لنبيٍّ الله يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليه السلام ، ولذلك قال المصنف : صلَّى الله عليه .

وُلَاةً ﴿ وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ أي الوارثين فرعونَ ومَلأَهُ .

٧ ــ **وقولـه جلَّ وعـزَّ : ﴿ وَنُـرِيَ فِرْعَـوْنَ وَهَامَـانَ وَجُنُودَهُمَـا مِنْهُـمْ مَا كَانُوْا يَحْذَرُونَ ﴾** [آية ٦] .

قال قتادة : كان حَازٍ لفرعون ــ والحَازِي المنجِّمُ[1] ــ قال له : إنَّه يُولـد في هذه السَّنة مولـودٌ ، يذهب بملكِكَ ، فأمـر فرعونُ بقتلِ الوِلدانِ في تلك السَّنة ، قال : فذلك قولُ اللَّهِ جلَّ وعزَّ **﴿ وَنُرِيَ فِرْعونَ وهَامَانَ وجُنُودَهُما منهمْ ما كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾**[2] .

٨ ــ **وقوله جلَّ وعـزَّ : ﴿ وَأَوْحَيْنَـا إِلَـى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيـهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ .. ﴾** [آية ٧] .

رَوَى مَعْمَرٌ عن قتادة قال : قَذَفَ في نفسها[3] .

وقيل : هي رؤيا رأتها .

---

(١) قال في القاموس المحيط ٣١٦/٤ : حَزَا حَزْواً : زَجَر وتكهَّنَ . اهـ .

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ١٢٠/٥ والطبري ٢٩/٢٠ وقال النيسابوري في غرائب القرآن ٢٦/٢٠ : والذي كانوا يحذرون منه هو ذهابُ ملكهم ، وهلاكهُم على يد مولود من بني إسرائيل ، يُروى أنه ذُبح في طلب موسى تسعون ألف وليد . اهـ .

(٣) أي بطريق الإلهام ، وليس وحياً بطريق المَلَك ، لأن الوحي الإلهي خاصٌ بالرجال كما قال سبحانه ﴿وما أرسلنا من قبلك إلاَّ رجالاً﴾ وليس في النساء نبوَّة . ولهذا قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢٣٢/٦ : لمَّا ضاقت به ذرعاً وخافت عليه ، أُلهمت في سِرِّها ، وأُلقي في خُلدها ، ونُفِث في روعها أن تُلقيه في اليمّ اهـ . وهذا هو القول الصحيح .

وقال غيرهُ : بل كان ضماناً من الله عز وجل[1] .

قال أبو جعفر : والوحيُ في اللغة : إعلامٌ في خَفَاءِ ، فلذلك جاز أن يُقال للإلهام وحيٌ ، كما قال تعالى ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إلى النَّحلِ ﴾[2] وقال ﴿ وإذْ أَوْحَيْتُ إلى الحَوارِيِّينَ ﴾[3] .

والقول الثالث : يدلُّ على صحته قولُه تعالى ﴿ إنَّا رَادُّوهُ إلَيْكِ ﴾ وقولُه جل وعز ﴿ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾.

واليمُّ : البحرُ .

٩ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ[4] لَهُمْ عَدُوّاً وحَزَناً .. ﴾ [آية ٨] .

لمَّا كان التقاطهم إيَّاه يئولُ إلى هذا ، قيل : التقطوه له ، كما يُقال لمن كسب مالَه فأوبقه : إنما كسَبه ليُهلِكَه ، وهذا مذهبُ الخليل

(١) خلاصة القول أنه قد اختلف في هذا الوحي ، هل كان بالإلهام ؟ أو بالمنام ؟ أو بواسطة كلام المَلَك أخبرها به دون أن تُنبأ ؟ الراجح من الأقوال هو أن الوحي كان بالإلهام ، وهذا ما اختاره الحافظ ابن كثير وجمع من المحققين .

(٢) سورة النحل آية ٦٨ .

(٣) سورة المائدة آية ١١١ .

(٤) اللام في قوله تعالى ﴿ ليكون لهم عَدُوّاً ﴾ هي لام العاقبة ولام الصيرورة، وليست لام التعليل لأنهم إنما أخذوه ليكون لهم قرة عين ، ولم يأخذوه ليكون لهم عدواً ، ولكن كان عاقبة ذلك أن صار لهم عدواً كما قال الشاعر :

ولِلمَنَايَا تُرَبِّي كُلُّ مُرْضِعَةٍ ... ودُورُنَا لِخَرَابِ الدَّهْرِ نَبْنِيها

وسيبويهِ ، ومن يُرْضَى قولُه من النحويّين ، وهو كثيرٌ في كلام العرب[1] .

١٠ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لي وَلَكَ .. ﴾** [آية ٩] .

هذا تمامُ الكلام ، والدليلُ على ذلكَ أنَّه في قراءة عبدِالله بن مسعودٍ **﴿ وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ لاتَقْتُلوه قُرَّةُ عَيْنٍ لي ولَكَ ﴾**[2] .

ومعنى ﴿ قُرَّةُ عَيْنٍ ﴾ قَرَّتْ عينُه ، من القُرِّ وهو البردُ ، أي لم تَسْخُن بالبكاء .

وقيل : قَرَّتْ من قَرَّ في المكان أي لم تبك[3] .

١١ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً .. ﴾** [آية ١٠] .

قال أبو جعفر : فيه أربعة أقوال :

---

(١) من ذلك قولهم : ربَّيْتُه ليعصيني ، وعلَّمتُه ليهجوني ، ومنه قول الشاعر :
فلِلْموتِ تَغْذُوْ الوالداتُ سِخَالَها ... كما لِخَرَابِ الدَّهْرِ تُبْنَى المَسَاكِنُ
فلمَّا كان الشيء يئول إليه ، صحَّ هذا الإطلاق ، وسميت لام العاقبة .

(٢) هذه القراءة ذكرها القرطبي في جامع الأحكام ٢٥٣/١٣ وهي محمولة على التفسير لا على أنها قراءة ، فهي ليست من القراءات السبع المعوَّل عليها ، وإن كان المعنى صحيحاً .

(٣) في التهذيب ٢٧٨/٨ : أقرَّ الله عينك أي صادفت ما يُرضيك فتقرّ عينك من النظر إلى غيره .
أقول : أصبحت هذه الكلمة تستعمل بمعنى البهجة والفرحة ، والمسرَّة بما تراه العين ، أي صادفت سروراً ، وسكَّن الله عينك ، بالنَّظر إلى ما تحب .

أ ــ منها ما حدثنا أحمد بن محمد البَرَاثيُّ قال : حدَّثنا عمرُو بنُ الهَيْثَم ، عن يونس بن أبي إسحق ، عن أبيه ، عن عمرو بن ميمونٍ ، عن عبدالله بن مسعود في قوله تعالى ﴿ **وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً** ﴾ قال : فَرَغَ من كل شيء في الدنيا ، إلاَّ من ذكر موسى صلى الله عليه وسلم[1] .

قال أبو جعفر : وكذا قال ابنُ عباسٍ ، وأبو عُبيدة ، وأبو عمرانَ الجونيُّ ، والحسنُ ، ومجاهدٌ ، وعكرمةُ ، وقتادةُ ، والضَّحَّاكُ .

ب ــ **وقال الكسائي** : ﴿ **فَارِغاً** ﴾ أي ناسياً ذاهلاً ، كما يُقال لمن لم تُقْضَ حاجتُه : فَرَغ ، وللميِّت : قد فَرَغَ .

وأنكر الكسائي أن يكون المعنى : فارغاً من كل شيء ، إلاَّ من ذكر موسى ، وليس المعنى عليه .

جـ ــ **وقال الأخفشُ سعيدٌ**[2] : ﴿ **وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى**

(١) هذا قول ابن عباس ومجاهد والضحاك وجمهور المفسرين ، وذكر القرطبي عن ابن القاسم عن مالك أن المراد ذهاب العقل ، والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون ، طار عقلها من فرط الجزع والدهش ، ولعله الأظهر ، والأثر أخرجه الطبري ٣٦/٢٠ والسيوطي في الدر ١٢١/٥ وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٢) هو الأخفش الأوسط المتوفى سنة ٢١٥ هـ واسمه « سعيد بن مَسْعَدة » المجاشعيُّ البلخيُّ ، عالمٌ باللغة والأدب ، أخذ العربية عن سيبويه وصنَّف كتباً منها « تفسير معاني القرآن » وهو الذي زاد في العروض بحر « الخَبَبَ » فأصبحت ستة عشر بحراً ، وقد قرأ عليه الكسائي كتاب سيبويه ، وانظر ترجمته في الأعلام ١٥٥/٣ ووفيات الأعيان ٢٠٨/١ .

فَارِغاً ﴾ من الوحي ﴿ إن كادتْ لتُبْدِي به ﴾ أي بالوحي .

د ـــ **وقال أبـو عبيـدة** : ﴿ وَأَصْبَـح فؤادُ أمِّ مُوْسَى فَارِغـاً ﴾ أي من الحزن ، لمَّا علمتْ أنَّه لم يغرق[1] .

قال أبو جعفـر : أصحُّ هذه الأقـوالِ الأوَّلُ ، والذيـن[2] قالـوه أعلمُ بكتاب اللّهِ جلَّ وعزَّ ، وإذا كان فارغاً من كل شيء إلا من ذكـر موسى ، فهو فارغٌ من الوحي ، وقولُهم : قد فرغ الميِّتُ من هذا : أي فرغ مما يجب عليه أن يعمله .

وقولُ : أبي عُبيدة : فارغاً من الغمِّ ، غلطٌ قبيحٌ[3] ، لأن بعده ﴿ إنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِها ﴾ .

---

(١) في المخطوطة « والذي قالوه » وصوابه ما أثبتناه « والذين قالوه » ويـدل عليـه الخبـرُ ، وهـو قولـه : أعلمُ بكتاب الله عز وجل .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٩٨ .

(٣) وجهُ تغليطه أنه لو كان فارغاً من الغمِّ والحزن كما قال أبو عبيدة لما احتاجت إلى أن يربط الله على قلبها ، ويرزقها الصبر ، ويكون آخر الآية غير متناسق مع أولها ، كما استبعـده في البحـر المحيـط ، وما ذكره المصنِّـفُ أن أصحَّ الأقـوال القـولُ الأوَّلُ ، فيـه نظـر ، والأظهـرُ ـــ واللـهُ أعلـم ـــ قول مالك : أنه كناية عن ذهاب العقل ، وهو الـذي اختـاره أبـو حيـان في البحـر المحيـط ١٠٦/٧ حيث قال : والمعنى : صار فارغاً من العقل ، وذلك حين بلغها أنه وقع في يد فرعـون ، فدهمهـا أمرٌ عظيم ، مثلُه لا يثبت معه العقل ، لاسيما عقل امـرأة خافت على ولدهـا ، حتـى طرحتـه في اليمِّ ، رجاء نجاته من الذبح ـــ هذا مع الوحي إليها أن الله يردُّه إليها ويجعلـه رسولاً ـــ ومـع ذلك طاش عقلها ، وغلب عليها ما يغلب على البشر ، عنـد مفاجـأة الخطب العـظيم ، ثم استكـانت بعد ذلك لموعود الله . اهـ .

وروى سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال : كادتْ تقولُ وإبناه[1] .

قال أبو جعفر : ومعنى ﴿ رَبَطْنا ﴾ : شَدَدْنَا ، وقوَّينا .

قال قتادة : ﴿ لولا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِها ﴾ أي ربطنا على قلبها بالإيمان[2] .

١٢ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ .. ﴾ [آية ١١] .

قال مجاهدٌ : أي اتَّبعي أَثَرَه[3] .

وقال ابنُ عبَّاسٍ : أي قُصِّي[4] أَثَرَهُ واطْلُبيه .

١٣ ــ ثم قالَ جلَّ وعزَّ ﴿ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ .. ﴾ [آية ١١] .

قال مجاهد : أي عن بُعدٍ ، ومنه الأجنبيُّ ، قال الشاعر :

فلا تَحْرِمَنِّي نَائِلاً عَنْ جَنَابَةٍ
فإنِّي امْرُؤٌ وَسْطَ القِبَابِ غريبٌ[5]

والمعنى : تبصَّرتْهُ منْ بعيدٍ لئلاَّ يَفْطَنوا بها .

(١ ــ ٣) هذه الآثار أخرجها الطبري في تفسيره ٣٧/٢٠ والقرطبي ٢٥٥/١٣ وذكر أبو حيان في البحر المحيط ١٠٧/٧ بسنده إلى ابن عباس قال : كادت تصيحُ عند إلقائه في البحر : وإبناه .

(٤) القصُّ في اللغة : تتبُّعُ الأثرِ ، وطلبُ الأثرِ أي اتَّبعي أثَره حتى تعلمي خبرَه ، ومنه قولُه تعالى ﴿فارتَدَّا عَلَى آثارِهما قَصَصَاً ﴾ .

(٥) البيت لعَلْقمةَ بن عَبْدَة ، وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٩٨/٢ والقرطبي ٢٥٧/١٣ .

وقال أبو عمرو[1] : وقال بعضُ المفسرين : ﴿ **فَبَصُرَتْ**[2] **بِهِ عَنْ جُنُبٍ** ﴾ أي عن شوقٍ ، قال : وهي لغةٌ لجذام ، يقولون : جَنَبْتُ إلى لقائِكَ أي اشتقتُ .

ثم قال : ﴿ **وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ** ﴾ أي لايشعرون أنها أختُه .

١٤ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ **وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ المَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ** .. ﴾ [آية ١٢] .

أي من قبل ردِّه إلى أُمِّهِ[3] .

قال قتادة : لم يكن يقبل ثَدْياً ، فقالت أختُه ﴿ **هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ** ﴾ ؟

قال السدّيُ : فاسترابوا بها لمَّا قالت لهم ﴿ **وهُمْ لهُ نَاصِحُونَ** ﴾ فقالت : إنما أردتُ و هم للمَلِكِ ناصحون[4] ، فدلَّتهم

---

(١) أبو عمرو : هو ابن العلاء المازني من كبار علماء اللغة والقراءات ، وقد تقدمت ترجمته ٣٦٢/١

(٢) في المخطوطة : فبعدت به عن جُنُبٍ ، وهو خطأ ، وصوابهُ ما أثبتناه لأنه نصُّ الآية . قال البخاري في كتاب التفسير ١٤١/٦ : ﴿ عن جُنُبٍ ﴾ عن بُعْدٍ ، وعن جنابة واحدٌ ، وعن اجتنابٍ أيضاً اهـ .

(٣) التحريم هنا بمعنى المنع أي منعناه أن يَرْضَعَ ثَدْي امرأةٍ من المُرْضعاتِ غير أمه .

(٤) عبارة الطبري في تفسيره عن السدي ٤٠/٢٠ فقال : لمَّا قالت أختُه ﴿ هل أَدُلُّكُمْ على أهلِ بيتٍ يكفلونه لكم وهم له ناصحون ﴾ أخذوها وقالوا : إنك عرفتِ هذا الغَلام ، فدلِّينا على أهله ، فقالت : ماأعرفه ، ولكني إنما قلتُ : وهم للملك ناصحون ، وقال السدي : أرادوا له المرضعات ، فلم يأخذ من أحد من النساء ، وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون في الرضاع ، فأبى أن يأخذ ثدي واحدة منهن ، فلما جاءت أمه أخذ ثديها . اهـ .

على أُمِّهِ ، فدفعوه إليها لترضعه لهم في حسبانهم .

فذلك قولـه جلَّ وعـزَّ ﴿ فَرَدَدْنَـاهُ إِلَـى أُمِّـهَ كَيْ تَقَـرَّ عَيْنُهَـا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ لقولـه جلَّ وعـزَّ ﴿ إِنَّـا رَادُّوهُ إِلَيْكِ ﴾ .

١٥ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُـدَّهُ وَاسْتَوَى ..﴾** [آية ١٤] .

قال مجاهد : عن ابن عبـاس وقتـادة ﴿ **لَمَّـا بَلَـغَ أَشُدَّه** ﴾ أي ثلاثاً وثلاثين سنة ﴿ **واسْتَوى** ﴾ بلغ أربعين سنة[1] .

قال أبـو جعفـر : سيبويـــه يذهب إلى أن واحـــد « الأَشُدِّ » شِدَّةٌ .

وقال الكسائي وبعض البصريِّين : الواحدُ شَدٌّ .

وقال أبو عُبيدة : لا واحد لها[2] .

---

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ١٢٢/٥ والطبري في جامع البيـان ٤٢/٢٠ والألـوسي في روح المعاني ٥١/٢٠ ونقل أيضاً من روايـة الكلبـي عن ابـن عبـاس قال : الأَشُدُّ : مابين الثماني عشرة إلى الثـلاثين ، والاستـواءُ ما بين الثـلاثين إلى الأربـعين ، فإذا زادَ على الأربعيـــنَ أَخَـــذَ في النُّـقْصانِ . اهــ ومعنـى الآية : ولما بلـغ كمال الرُّشْد ، ونهايـة القـوة ، وكمال العقـل ، وهـــو سنُّ الأربعين ، أعطيناه الفهم ، والتفقه في الدين .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٩٩/٢ وفي لسان العرب ٢٢١/٤ :﴿حتى يبلغ أشدَّه﴾ أي قوته وهو ما بين ثمان عشرة إلى ثلاثين ، وهو واحدٌ جاء على بنـاء الجمـع ، مثـل آنُكٍ ، ويقـال : هو جمع لا واحد له من لفظه ، وكان سيبويه يقول : واحدُه شِدّة .

١٦ ـــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ آتَيْنَاهُ حُكْمَاً وَعِلْمَاً ..﴾ [آية ١٤] .

رَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد في قوله جل وعز [﴿ آتيناه حُكْماً ﴾ قال : فقهاً وعقلاً.

﴿ وَعِلْمَاً ﴾ يعني النبوَّة][1] .

١٧ ـــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ [آية ١٥] .

قال سعيد بن جبير وقتادة : وقتَ الظَّهيرةِ والنَّاسُ نيام[2] .

١٨ ـــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ..﴾ [آية ١٥] .

قال أبو مالك : أحدهُما من بني إسرائيل ، والآخر قِبْطِيٌّ[3] .

قال أبو جعفر : فإن قيل : كيف قيل ﴿ هَذَا ﴾ لغائبٍ ؟

---

(١) ما بين الحاصرتين أثبتناه من هامش المخطوطة ، وفيها تصحيف : « قبل النبوة » وصوابه : يعني النبوة كما في ابن كثير ٣٩٤/٣ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ٤٤/٢٠ والسيوطي في الدر ١٢٢/٥ ونسبه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣٩٤/٣ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير قال الطبري ٤٤/٢٠ : ﴿ هذا من شيعته ﴾ أي هذا من أهل دين موسى من بني إسرائيل ﴿ وهذا من عدوه ﴾ أي من القبط من قوم فرعون ، ودخل موسى المدينة ـــ بعدما بلغ أشُدَّهُ ـــ عند القائلة نصف النهار . اهـ .

فالجوابُ: أنَّ المعنى : يقـول الناظرُ إذا نَظَـر إليهمـا : هذا من شيعتِهِ ، وهَذاَ من عَدُوِّه[1] .

١٩ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّـذِي مِن عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوْسَى فَقَضَى عَلَيْه ﴾** [آية ١٥] .

﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي من شِيعَتِهِ ﴾ يعني الإسرائيلي **﴿ عَلَى الَّـذِي مِنْ عَدُوِّه ﴾** يعني القبطي .

﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَى ﴾ يعني القبطيَّ .

قال مجاهد : ضَرَبَهُ بجُمْعِ كَفِّه[2] .

وكذلك هو في اللغة ، يُقالَ : وَكَزَه : إذا ضربه بِجُمْـعِ كفِّـه في صَدْرِهِ .

وفي قراءة عبدالله[3] ﴿ فَنَكَـزَهُ مُوسَى ﴾ والمعنـى واحـد ، وكذلك لَكَمَهُ ،ولكَزَهُ ، ولَهَزَهُ[4] .

---

(١) الإشارة ﴿ هَذَا من شيعَتِهِ وهَذَا من عَدُوِّه ﴾ واقعةٌ على طريق الحكاية في ذلك الحين ، كأنَّ الرائي لهما يقوله ، لا في اللفظ المحكيِّ لرسول الله ﷺ ، وانظر حاشية الجمل ٣٤٠/٣ .

(٢) الضربُ بجُمْع الكفِّ : هو أن يضربه باليد مجموعةً أصابعُها ، كصفة الملاكم .

(٣) هو عبدالله بن مسعود ، قرأ ﴿ فَنَكَزَهُ مُوْسَى ﴾ وقرأ ﴿ فَلَكَـزَه ﴾ والقراءتـان من القـراءات الشاذة .

(٤) في حاشية الجمل ٣٤٠/٣ : وَكَزَه ضربه بجُمع كفّه ، والفرقُ بين « الوَكْـزِ » و « اللَّكْـزِ » : أن الأول بجُمْع الكفِّ ، والثاني بأطراف الأصابع ، والنَّكْزُ : كاللَّكـز ، وفي المصبـاح : وَكَـزَه وَكْـزاً ضَرَبه ودَفَعه ، ويُقال ضربه بجُمْع كفّه على ذَقْنِه ، وقـال الـكسائي : وَكَـزَه : لَكَمَـه وانظـر أيضاً الصحاح للجوهري مادة وكز .

ورَوَى معمرٌ عن قَتَـادةَ قال : وَكَـزَه بالـعَصَا ﴿ فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾ أي قتله ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ فدلَّ هذا أن قتلَه كان خَطَأً ، وأنه لم يُؤمر بقتلٍ ، ولا قتال[1] .

٢٠ ــ وقولُه جلَّ وعز ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ [آية ١٧] .

أي معيناً للمجرمين .

قال ابنُ عباس : لم يَسْتَثنِ فابتُلي[2] .

أي فابتُلي بأن الإسرائيلي كان سبب الإخبار عنه بما صَنَع .

وقال الكسائي : ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً للمُجْرِمِينَ ﴾ .

فيه معنى الدعاء .

وفي قراءة عبدالله ﴿ فَلَا تَجْعَلْنِي ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴾[3] .

---

(١) لم يُرد موسى عليه السلام قتل القبطي ، وإنما أراد دفع شرِّه عن الإسرائيلي ، وكان القتل خطأً ، لأنَّ اللَّكمةَ باليد في الغالب لاتَقْتل ، ولكن وافقت هذه الوكزةُ الأجلَ المحتومَ ، فكانت القاضية ، وإنما استغفر من قتله ــ مع أن المقتول كافر محاربٌ مباحُ الدم ــ لأنه تخوَّف أن يكون من وراء هذا شرٌّ مستطيرٌ ، عليه وعلى أتباعه ، ثم هو لم يؤمر بقتله، فلهذا ندم واستغفر ، وقد حصل ما توقَّعه من تآمرهم على قتله ، كما يدل عليه قوله سبحانه ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال ياموسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ﴾ الآية .

(٢) الأثر أخرجه الطبري في تفسيره ٤٧/٢٠ عن قتاده ، وذكره القرطبي ٢٦٣/١٣ وعزاه لابن عباس قال : لم يستثن فابتلي من ثاني يوم ، أي لم يقل : إن شاء الله .

(٣) هذه من القراءات الشاذة لأنها مخالفة في الرسم للمصحف الإمام .

٢١ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ .. ﴾ [آية ١٨] .

قال قتادة : أي يترقَّبُ الطَّلبَ ﴿ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ﴾ أي يستغيثُ به من رجلٍ آخر ﴿ قَالَ مُوْسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴾ من أجل أنه كان سبب القتل(١) .

٢٢ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا .. ﴾ [آية ١٩] .

في معناه قولان :

أ ــ فمذهبُ سعيدِ بنِ جُبيرٍ وأبي مالك أنَّ المعنى : فلَّما أراد موسى أن يبطش بالقبطيِّ ، توهَّم الإسرائيلي أنَّ موسى ﷺ [يريده](٢) على أن يبطش به ، لأنه أغْلَظَ له في القول ، فقال الإسرائيلي : ﴿ يَامُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي ﴾ فسمع القبطيُّ الكلام ، فذهب فأفْشى على موسى(٣) .

---

(١) يقول موسى للإسرائيلي ﴿ إنك لغويٌّ مبين ﴾ لأنك تسبَّبتَ لقتل رجلٍ بالأمس ، وتقاتل اليوم آخر !؟ وانظر جامع البيان ٢٠/٤٨ وزاد المسير ٦/٢١٠ .

(٢) سقطت هذه اللفظة « يريده » من المخطوطة ، وهي ضرورية ليستقيم المعنى .

(٣) هذا هو الرأي الراجح في تفسير الآية ، وهو المتناسق مع سياق الآية ، وذلك أن الإسرائيلي لمَّا رأى موسى مقبلاً ، أخذ يصيح به مستغيثاً لينصره من عَدوِّه ، فقال له موسى ﴿ إنَّكَ لغويٌّ مبينٌ ﴾ أي غاوٍ ضالٌّ بيِّن الغواية ، كثير الشرَّ ، لأنك تَسَبَّبْتَ لي في قتلِ شخصٍ ، وتريد أن =

ب ـ **وقيل المعنى** : فلمَّا أن أراد الإسرائيليُّ ، أن يبطش موسى بالذي هو عدوٌّ لهما .

ويُروى عن ابنِ نَجيح : فلَّما أن أراد الإسرائيليُّ أن يبطش بالقبطي ، نهاه موسى عليه السلام ، فَفَرِق الإسرائيلي منه ، فقال : ﴿ **أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي** ﴾ الآية ، فسَعَى به القبطُّي[1] .

٢٣ ـ **وقولُه جل وعزَّ** : ﴿ **وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى** .. ﴾ [آية ٢٠] .

رَوَى معمرٌ عن قتادَة قال : هو مؤمنُ آل فرعونَ[2]

﴿ **قَالَ يا مُوسَى إِنَّ المَلأَ يَأْتِمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ** ﴾ .

قال أبو عُبَيْدَةَ : ﴿ **يَأْتِمِرُونَ** ﴾ أي يتشاورون ، وأنشد :

= توقعني اليوم في ورطةٍ أخرى ، قال ذلك له على سبيل العتاب والتأنيب ، ثم عزم على البطش بذلك القبطي ، فاعتقد الإسرائيلي لخَوَره وجبنه ، أن موسى يريدُه ، لأنه أغلَظَ له الكلام ، فقال ﴿ يا موسى أتريدُ أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس ﴾ ؟ فسمعها القبطـيُّ ، فذهب وأخبر فرعون ، فاشتد غضبه على موسى ، وعزم على قتله الخ وهذا رأي ابن عباس واختاره جمع من المفسرين .

(١) ذكره الطبري في تفسيره ٤٩/٢٠ وهو قول مرجوح والراجح ما ذكرناه .

(٢) هذا قول الضحاك كما في الدر المنثور ١٢٣/٥ : فقد قال : هو مؤمنُ آل فرعون ، وهو الذي ذكر في قوله تعالى ﴿ وقال رجلٌ مُؤْمنٌ مِنْ آلِ فِرْعَون يكتُمُ إيمَانَهُ ﴾ وقيل اسمه : سمعان ، أو شمعون .

أَحَارُ بنَ عَمْـــرٍو كَأَنِّـــي خَمِـــرٌ
وَيَعْـدُو عَلَـى المَـــرْءِ ما يَأْتَمِـــرْ[1]

قال أبو جعفر : وهذا القولُ غَلَطٌ ، ولـو كان كما قال : لكـان « يتآمرونَ فِيكَ » أي يتشاورون فيك ، أي يستأمر بعضُهم بعضاً[2] .

ومعنى ﴿ **يَأْتَمِرُونَ** ﴾ يَهُمُّونَ ، من قوله جلَّ وعـزَّ ﴿ **وائْتَمِـرُوا بينكُمْ بِمَعْرُوفٍ** ﴾[3] وكذلك معنى :

« وَيَعْدُو عَلَى المَرْءِ مَا يَأْتَمِرُ »

كما يقال : من وسَّع حُفْرةً وَقَعَ فيها[4] .

٢٤ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّه تلقاء مَدْيَنَ .. ﴾** [آية ٢٢] .

قال أبو عُبيدة : أي نَحوَ مدينَ[5] .

---

(١) البيت ذكره في تهذيب اللغة ٢٩٤/١٥ ونسَبه للنَّمر بن تَوْلَب ، وذكره أبو عُبيدة في مجاز القـرآن ١٠٠/٢ ونسبـه إلى ربيعـة الثمري ، وقولـه : أحـارُ مرخَّـم « حارث » وذكـره في خزانـــة الأدب ٣٧٤/١ قال في الصحـاح : والخُمـارُ : بقيـة السكـر ، وخامـرة الـــداء : خالطـــة ، والائتمار الامتثال ، أي ما تأمر به نفسه فيرى أنه رشد ، وربما كان هلاكه فيه .

(٢) قال الأزهري في التهذيب : يقال ائتمر القوم وتآمروا ، إذا أمر بعضهـم بعضاً ، كما يُقـال : اقتتـل القوم وتقاتلوا ، واختصموا وتخاصمـوا ، ومعنـى ﴿ يأتمرون بكَ ﴾ أي يؤامـر بعضُهـم بعضاً فيك أي في قتـلك ، وهـذا أحسنُ من قول القُتَيْبي : إنـه بمعنـى يهمُّـون بك . اهـــ تهذيب اللغـــة ٢٩٥/١٥ وقد غلَّط القُتَيْبيَ أيضاً أبا عُبيدة في استشهاده في البيت ، وقـال : كيـف يعـدو على المرء ما شاورَ فيه والمشاورةُ بركة ؟ وإنما المرادُ يعدو على المرء ما يَهُمُّ به من الشرِّ . اهـ .

(٣) سورة الطلاق آية (٦) .

(٤) في الأمثال : من حفر حفرةً لأخيه وقع فيها .

(٥) انظر مجاز القرآن ١٠١/٢ قال : ولا تنصرف مدين لأنها اسم مؤنثة .

٢٥ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [آية ٢٢] .

قال مجاهد : أي طريقَ مَدْينَ .

قال أبو مالك : فوَجَّه فرعونُ في طلبه ، وقال لهم : اطلبوه في بُنَيَّاتِ الطُّرقِ ، فإن موسى لا يعرفُ الطريقَ ، فجاء مَلَكٌ راكبٌ فرساً ومعه عَنَزَة[1] فقال لموسى : اتَّبِعْني ، فاتَّبَعَه فهداه إلى الطريق[2] .

٢٦ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ..﴾ [آية ٢٣] .

أي جماعةً[3] .

﴿ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ .

وفي قراءة عبدالله « ودونَهُمُ امرأتانِ حَابِسَتَانِ »[4] فسألهما عن حبسهما ، فقالتا : لانَقْوى على السَّقي مع النَّاسِ ، حتى يَصْدُرُوا .

---

(١) العَنَزةُ : يعني العَصَا ، قال في المصباح : العَنَزةُ عصا أقصرُ من الرُّمْح ، ولها زُجٌّ من أسفلها أي حربة .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٢٠/٥١ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٥١ ومعنى « بُنَيَّات الطريق » الطرق الصغار تتشعَّب من الطرق الكبار ، وفي القرطبي « ثُنيَّات الطريق » وهو تصحيف .

(٣) الأُمَّةُ في اللغة : الجمعُ الكثير ، وانظر القرطبي ١٣/٢٦٨ والبحر المحيط ٧/١١٣ .

(٤) هذه من القراءات الشاذة ، وليست من السبع ، و« حابستان » تفسير لقوله ﴿ تذودان ﴾ فهي محمولة على التفسير ، لا أنها قراءة من القراءات المعتبرة .

ومعنى ﴿ تَذُودَانِ ﴾ ــ فيما رَوَى عليُّ بن أبي طلحة عن ابن عباس ــ تَحْبِسان[1] .

ورَوَى سفيان بنُ أبي الهيثم عن سعيد بن جبير ﴿ تَذُودَانِ ﴾ قال : حابستان[2] .

ورَوَى هُشَيْمٌ عن حُصَيْنٍ عن أبي مالك ﴿ وَوَجَدَ مِنْ دُوْنِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ قال : تَحْبسان غنمهما ، حتى يَفْرُغَ النَّاسُ ، فتخلو لهم البئر .

قال أبو جعفر : وهذا قولٌ بيِّنٌ ، يُقال : ذَادَ ، يَذُودُ : [إذا حَبَس][3] .

وذُدْتُ الشيءَ : حبْستُه ، ثم يُحذف المفعولُ ، إمَّا إيهاماً على المخاطب ، وإما استغناءً بعلمه .

---

(١) و(٢) انظر الطبري ٢٠/٥٥ والبحر المحيط ٧/١١٣ : ﴿ تَذُودَانِ ﴾ قال ابن عباس وغيره : تذودان ــ أي تمنعان ــ غنمهما عن الماء خوفاً من السُّقاة الأقوياء اهـ . وقال الطبري ٢٠/٥٥ : أي تحبسان غنمهما يُقال : ذاد عن غنمه وماشيته : إذا أراد شيءٌ منها أن يذهب ، فردَّه ومنَعَه ، يذودها ذَوْداً . اهـ .

(٣) في المخطوطة : « إذا ذهب وجاء » وهو خطأ ، لأن معنى الذَّوْد : المنعُ والحبسُ كما قال أهل اللغة قال في المصباح : وذادَ الراعي إبلَه عن الماء ، يذودُها ، ذَوْداً : مَنَعها ، وكذا في كتب اللغة : الذَّوْدُ : الحبسُ ، والمنعُ ، والكفُّ ، وما أثبتناه هو الصواب كما في إعراب القرآن للنحاس ٢/٥٤٩ .

ومذهبُ **قتادة** : أنهما كانتا تذودان النَّاسَ عن غَنمِهما[1] .

والأوَّلُ أولى لأنَّ بعده ﴿ قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ﴾ .

ولو كانتا تذودان عن غنمهما النَّاسَ ، لم تُخبرا عن سبب تأخر سقيهما ، إلى أن يَصْدُرَ الرِّعاءُ .

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ﴾ ؟ أي ما حالُكُما وما أَمْرُكُمَا ؟ **﴿ قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يَصْدُرَ الرِّعَاءُ ﴾** .

ومن قرأ بضم الياء[2] ﴿ يُصْدِرَ ﴾ حذف المفعولَ ، أي حتى يُصْدِرُوا غَنَمهم[3] .

﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ والفائدةُ في هذا ، أنه لا يَقْدِرُ على السَّقْي لِكَبرِه ، فلذلك خرجنا ونحنُ نساءٌ[4] .

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره ٥٦/٢٠ وضعَّفه ، ورجَّح القول الأول الذي رجَّحه النحاس وقال : لو كانتا تذودان الناس عن غنمهما ، لأخبرتا عن سبب ذودهما الناس عنها ، لا عن سبب تأخر سقيهما . اهـ .

(٢) القراءتان سبعيتان « يُصْدِرَ » قراءة ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، ومعناها : يُصْدِر الرعاةُ مواشيهم ، وقراءة أبي عمرو ، وابن عامر « يَصْدُرَ » بنصب الياء وضمِّ الدال ، وانظر كتاب السبعة لابن مجاهد ٤٩٢/٢ .

(٣) وعلى القراءة الأخرى ﴿ حَتَّى يَصْدُرَ الرِّعَاءُ ﴾ يكون المعنى : لانسقي غنمنا حتى يرجع الرعاة وينصرفوا عن الماء .

(٤) قال في البحر ١١٣/٧ : ﴿ وأبونا شيخ كبيرٌ ﴾ فيه اعتذارٌ لموسى عن مباشرتهما السقي=

٢٧ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ .. ﴾** [آية ٢٤] .

روى عَمْرُو بنُ ميمونٍ عن عمر بن الخطاب أنه قال : « لمَّا استقى الرِّعَاءُ غطُّوا على البئر صَخْرةً ، لايُقِلُّها[١] إلا عشرةُ رجالٍ ، فجاء موسى ﷺ فاقتلعها ، وسَقَى ذَنُوباً واحداً ، لم يحتجْ إلى غيره ، فسقى لهما »[٢] .

٢٨ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾** [آية ٢٤] .

رَوَى عكرمةُ عن ابن عباسٍ قال : ما سأل إلاَّ الطَّعامَ[٣] .

وقال مجاهد : لم يكن له ما يأكلُ[٤] .

= بأنفسهما ، وتنبيه على أن أباهما لايقدر علي السقي لشيخوخته وكبره ، واستعطاف لموسى في إعانتهما .

(١) لا يُقِلُّها : أي لا يطيق حملَها ، ولا يقدر على رفعِها إلاَّ عَشَرَةُ رجال أقوياء ، والذَّنُوبُ : الدَّلُو الكبيرة ، قال في المصباح : الذَّنُوب : الدَّلو العظيمة ولا تسمى ذَنُوبا حتى تكون مملوءة ماءً . اهـ .

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ١٢٤/٥ وقال : أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ، وابن أبي حاتم ، والحاكم وصححه .

(٣ــ٤) قال ابن جرير : قال ابن عباس : « لمَّا هرب موسى من فرعون ، أصابه جوع شديد ، وورد الماء وسقى للمرأتين ، وإنَّ خضرة البقل لتُرى في بطنه من الهُزال ، وما سأل ربَّه إلاَّ الطَّعامَ » اهـ الطبري ٥٩/٢٠ وذكر الحافظ ابن كثير ٢٣٧/٦ بسنده عن ابن عباس قال : سار موسى من مصر إلى مدين ، ليس له طعام إلا البقلُ وورقُ الشجر ، وكان حافياً فما وصل أرضَ مدينَ حتى ــ

٢٩ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ .. ﴾ [آية ٢٥] .

المعنى : فذهبتا إلى أبيهما قبل وقتهما ، فخبَّرتاه بخبر موسى وسَقْيِهِ ، فأرسل إحداهما ، فجاءتْ تَمشي على استحياء[1] .

قال عَمرُو بنُ ميمون : قال : تمشي ويدُها على وجهها حياءً ، ليست بِسَلْفَعٍ ، خرَّاجَةٍ ، ولأَّجة[2] .

٣٠ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ ﴾ [آية ٢٥] .

أي قَصَّ عليه خَبَره ، وعرَّفه بقتلِهِ النَّفْسَ وخوْفِهِ ﴿ قَالَ لَاتَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ لأنَّ « مدينَ » لم تكن في مِلْكةِ فرعون .

٣١ ــ وقولُه جل وعز : ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ، إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾ [آية ٢٦] .

رَوَى عَمْرو بنُ مَيْمون عن عمرَ قال : فقال لها من أينَ عرفتِ قوَّتَه ، وأَمانَتَه ؟

= سقطتْ نعلُ قدمه ، وجلس في الظلِّ وهو صفوةُ الله من خلقه ــ وإنَّ بطنه لاصقٌ بظهره من الجوع ، وإن خُضرةِ البقل لتُرى من داخل جوفه ، وإنه لمحتاج إلى شقّ تمرة . اهـ .

(١) يريد المصنف أن هناك كلاماً محذوفاً يدل عليه سياق القصة .

(٢) الأثر ذكره الطبري ٢٠/٦٠ وابن كثير ٦/٢٢٨ والقرطبي ١٣/٢٧٠ ومعنى السَّلفع : المرأة الجسورُ ، الجريئة على الرجال ، قاله الجوهري ، وقال في القاموس : هي الصَخَّابةُ ، البذيئة ، السيئة الخُلُق اهـ .

قالت : أمَّا قُوَّته فإنّه أَقَلَّ حَجَراً[1] ، لا يحمله إلاَّ عشرةٌ .

وأمَّا أمانتهُ فإنـه لـمَّـا جاء معـي مَرَرْتُ بين يديـه ، فقـال لي : كوني خَلْفِي ودُلِّيني على الطَّرِيقِ ، لئلاَّ تَصِفَكِ الرِّيحُ لي[2] .

٣٢ ـ **وقولُـه جلَّ وعزَّ ﴿ قَالَ إِنِّـي أُرِيـدُ أَنْ أُنْكِـحَكَ إِحْـدَى ابْنَتَـيَّ هَاتَيْنِ ..﴾** [آية ٢٧] .

وفي الحديث أنه أنكحه الصغيرة منهما ، واسمها « طوريـا »[3]

ثم قال : **﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ﴾** أي تكون لي أجيراً **﴿ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرَاً فَمِـنْ عِنْـدِك ﴾** أي فذلك تفضُّلٌ منك **﴿ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْـنَكَ ﴾** أي لكَ ما شرطتَ ولـيَ مثلُـه **﴿ أَيَّمَـا الأَجَلَيْـنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ﴾** العُدْوانُ : المجاوزةُ في الظلم .

---

(١) أقلَّ حجراً : أي رفع حجراً كبيراً ، لا يستطيع رفعَهُ واحدٌ من النَّاس .

(٢) الأثر أخرجـه الـطبري ٦٤/٢٠ وذكـر نحوه ابـن كثير عن ابـن عبـاس ٢٢٩/٦ وصاحـب البحـر المحيط ١١٤/٧ وأخرجه الطبراني من رواية ابن مسعود ، وكذا في الدر المنثور ١٢٦/٥ .

(٣) أشار المصنف إلى الحديث الذي رواه ابـن مردويـه عن أبي هريـرة قال قال لي رسول الله ﷺ قال لي جبريل يا محمد : إن سألك اليهودُ أيَّ الأجلين قضى موسى ؟ فقـل أوفـاهما، وإن سألـوك أيهمـا تزوج ؟ فقل الصغرى منهما . اهـ وانظر الدر المنثور للسيوطي ١٢٧/٥ ولم يرد ذكـرُ اسمهـا في الحديث الشريـف ، وذكـر القرطبـي ٢٧٣/١٣ من حديث أبي ذر قال قال لي رسول الله ﷺ : إن سئلتَ أي الأجلين قضى موسى ، فقـل : خيرهما وأوفـاهما ، وإن سُئلت أي المرأتين تزوّج فقل الصغرى ، وهي التي دعته وجاءت خلفه ، اهـ . وفي المخطوطـة أن اسمهـا « طوريـا » وفي القرطبي « صفوريا » وهو الأصح كما في تاريخ الطبري .

٣٣ ــ وقولُه جلَّ وعــزَّ ﴿ فَلَمَّــا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وسَارَ بِأَهْلِــهِ ..﴾ [آية ٢٩] .

رَوَى **الحَكَمُ بنُ أبـان عن عكرمـة** عن ابـن عبـاس عن النبـي ﷺ قال : « سألتُ جبريــلَ أيَّ الأجــلين قضَى موسَى ؟ فقــال : أتمَّهُما ، وأكملَهُما »[1] .

ومعنى ﴿ لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ لعلي أعلمُ لِمَ أُوقِدتْ ؟

﴿ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ ﴾

قال قتادة : الجَذْوَةُ : أصلُ الشجرة فيها نار[2] .

قال أبـو جعفـر : وكـذلكَ الجُـذْوةُ ، بضـم الجيم ، وكسرهـا ، وفتحِهـا ، والجِـذْوَةُ : القطعـةُ من الخشب الكـبيرة ، فيها نارٌ ليس فيها لهبٌ[3] .

---

(١) الحديث أخرجه البزار ، وابن أبي حاتم ، وصحَّحه الحاكم بسنده إلى ابن عباس « أن رسول الله ﷺ سأل جبريـل أيَّ الأجـلين قضَى موسى ؟ قال : أتَّمهُمَـا وأكمَلهُمـا » وانظـر الـدر المنثور للسيوطـي ١٢٦/٥ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٧٠/٢٠ وذكر رواية أخرى عنـه أن « الجَـذوة » الشعلـةُ من النـار ، وقـال القرطبي ٢٨١/١٣ : الجَذْوةُ : القِطعةُ من الجمر . وهذا هو المشهور عند علماء اللغة .

(٣) هكـذا في المخطوطـة : « والجِذْمـة » وهـو تصحيـف وصوابـه : الجذوة ، وانظـر معـاني الزجـاج ١٤٢/٤ وعبارة أبي عبيدة في مجاز القـرآن ١٠٢/٢ : ﴿ جَذْوة من نارٍ ﴾ أي قطعـة غليظـة من الحطب ليس فيها لهب ، وهي مثل الجذمة من أصل الشجرة وجماعُها الجَذا . اهـ .
الحطب ليس فيها لهب ، وهي مثـل الجِذْمَـةِ من أصل الشجـرة وجماعُهـا الجـذا . اهــ . وانظـر لسان العرب لابن منظور مادة جذا .

وقال جلَّ وعز ﴿ في البُقْعَـةِ المُبَارَكَـةِ من الشَّجَـرَة ﴾ لأنه جلَّ وعزَّ كلَّمه فيها .

٣٤ ـ وقولُه جلَّ وعـز ﴿ أُسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْـرِ سُوْءٍ ..﴾ [آية ٣٢] .

معنى ﴿ أُسْلُكْ ﴾ : أَدْخِلْ .

٣٥ ـ ثم قال جلَّ وعـزَّ : ﴿ وَاضْمُـمْ إِلَيْكَ جَنَـاحَكَ مِنَ الـرَّهْبِ ..﴾ [آية ٣٢] .

قال الفراء : الجَنَاحُ ههنا : العَصَا[1] .

ولم يقل هذا أحدٌ من أهل التفسير ، ولا من المتقدمينَ عَلِمتُـهُ ، وحكـى أكثرُ أهـل اللغـة أن الجَنَـاح : من أسفـلِ العضد إلى آخـر الإبـط ، وربما قيـل لليـدِ جَنَـاحٌ[2] ، ولهذا قال أبـو عُبيـدة : ﴿ جَنَاحَكَ ﴾ أي يدك[3] .

---

(١) عبارة الفراء في تفسيره معاني القرآن ٣٠٦/٢ : ﴿ واضمُمْ إليكَ جَنَاحَكَ ﴾ يريـد عصاه في هذا الموضع ، والجناحُ في الموضع الآخر : ما بين أسفل العضد ، إلى الرُّسغ وهو الإبطُ . اهـ أقول : والتعريف الأخير هو الصواب في تفسير الآية هنا .

(٢) قال في لسان العرب مادة جنح : وجَناحُ الطائـر : ما يخفـقُ به في الـطيران ، وجَنَـاحُ الإنسان : يدُه ، ويـدا الإنسان جَنَاحـاه . وقولـه تعـالى : ﴿ واضمـم إلـيك جنـاحك ﴾ قال الزجـاج : العضد ، ويُقال : اليد كلها جناح ، وجمعُه أجنحة . اهـ .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٠٤/٢ فقد فسَّر الجَناح باليد .

قال مجاهد : ﴿ مِنَ الرَّهْبِ ﴾ مِنَ الفَرَقِ[1] .

٣٦ ــ وقولُه جلَّ وعز ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ ..﴾ [آية ٣٢] .

قال مجاهد : يعني اليدَ ، والعصا[٤] .

والبرهانُ : الحُجَّةُ :

قال ابن عباس : ﴿ جَنَاحَكَ ﴾ يَدَكَ[٥] .

وقال أبو زيد : العَضُدُ : هو الجَنَاحُ ، حدثني محمد بن أيوب قال : أنبأنا عبدُاللهِ بنُ سليمان بن الأشعث قال : حدثنا محمدُ بن عامرٍ ، عن أبيه ، عن بشر بن الحُصَين ، عن الزُّبير بن عَدِيٍّ ، عن الضحَّاك ، عن ابن عباس ﴿ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴾ أي أدخلْ يدكَ فضعْها على صدرِكَ حتَّى يذهبَ عنكَ الرُّعْبُ[٤] .

قال : فقال ابن عباس : ليس من أحدٍ يَدْخُله رُعْبٌ بعد موسى ، ثم يُدْخِل يدهَ فيضعها على صَدْرِهِ ، إلاَّ ذهب عنه الرُّعب .

٣٧ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي ..﴾ [آية ٣٤] .

---

(١) الفَرَقُ في اللغة : الخوفُ والفزعُ ، وفي المصباح : فَرِقَ فَرَقاً من باب تَعِبَ : خاف . اهـ .

(٢ــ٣) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ٧٢/٢٠ وابن كثير ٢٤٥/٦ والدر المنثور ١٢٨/٥ .

(٤) الأثر أخرجه القرطبي في تفسيره ٢٨٤/١٣ : أمره الله أن يضمَّ يده إلى صدره فيذهب عنه خوفُ الحية ، ورواه الضحاك عن ابن عباس ، قال فقال ابن عباس : ليس من أحدٍ يَدْخله رعبٌ بعد موسى عليه السلام ، ثم يدخل يده فيضعها على صدره ، إلاَّ ذهب عنه الرعب . اهـ .

الرِّدْءُ : العَوْنُ ، وقد أَرْدَأه ، ورَدَأه : أي أَعَانه[1].

وقولُه تعالى ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ [آية ٣٥] .

أي سنعينك ونقوِّيك ، وهو تمثيلٌ لأن قوَّة اليد بالعضد[2] **﴿ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا ﴾** .

قال سعيد بنُ جبير : أي حُجَّةً .

﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا ﴾

[أي تُمْنَعانِ بآياتنا][3] .

ويجوز أن يكون المعنى : ونجعل لكما سلطاناً بآياتنا — أي بالعصا واليد — وما أشبههما .

٣٨ — **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ ..﴾** [آية ٣٨] .

روى سعيدُ بنُ جبير عن ابن عباس قال : حتَّى يصير آجُرًّا .

قال قتادة : بلغني أنه أوَّل من صنع الآجُرَّ .

---

(١) في القرطبي ٢٨٦/١٣ : يعني أرسله معي معيناً ، مشتقّ من أَرْدَأْتُه أي أعنْتُهُ قال الشاعر :
أَلَمْ تَرَ أنَّ أصْرَم كانَ رِدْئِي وخَيْرُ النَّاسِ في قُلٍّ ومَالِ

(٢) قال الرازي في التفسير الكبير ٢٥٠/٢٤ : وقوله تعالى ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ أي سنقوِّيك به ، والعضد قِوام اليد ، وبشدتها تشتد ، يُقال في دعاء الخير :
شدَّ اللَّهُ عَضُدك ، وفي ضدِّه : فتَّ اللهُ في عَضُدك . اهـ .

(٣) ما بين الحاصرتين غير موجود في الأصل ، وأثبتناه من الهامش .

ثم قال تعالى ﴿ **فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً** ..﴾ [آية ٣٨] .

قيل : بُنياناً مرتفعاً[١] .

٣٩ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا القُرُونَ الأُوْلَى بَصَائِرَ** ..﴾ [آية ٤٣] .

أي بَيَانَاً[٢] .

٤٠ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ** .. ﴾ [آية ٤٤] .

قال قتادة : هو جبلٌ .

وقولُه ﴿ **وَمَا كُنْتَ ثَاوِيَاً** ﴾ أي مقيماً[٣] .

٤١ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا** .. ﴾ [آية ٤٦] .

---

(١) الصَّرح : القصرُ المنيفُ الرفيع ، وهامان هو وزير فرعون ، وانظر ضعف عقولهما وعقول قومهما ، وجهلهم بالله تعالى ، إذ طمعوا أن يصلوا إلى السماء ، ببناء هذا الصرح الرفيع ، وقد ذكر الطبري وغيره أنه بنى له الصرح ، وصعد عليه ، ورمى بسهم إلى السماء فرجع مخضوباً بالدم ، فقال : قتلت إله موسى فكان ذلك فتنة له ولقومه ، ثم دمَّر الله الصرح وأهلك الظالمين بالغرق .

(٢) بصائر : أي طرائق هدى يُستبصر بها ، جمع بصيرة وهي : الأمرُ البيِّن الواضح ، كأنه لوضوحه وبيانهُ يُبْصَرُ بالعين ، قال الطبري ٧٩/٢٠ : أي ضياءً لبني إسرائيل فيما إليه الحاجة من أمر دينهم . اهـ .

(٣) في المصباح : ثَوَى بالمكان ، وثَوى فيه ، يَثْوِي ثَوَاءً : أي أقام فيه ، ومنه قوله تعالى ﴿ وما كنت ثاوياً في أهل مَدْيَنَ ﴾ أي ما كنت مقيماً في أهل مدين .

رَوَى عبدُالرزَّاق ، عن الثَّوريِّ ، عن الأعـمشِ ، عن علـيِّ بنِ مُدْرِكٍ ، عن أبي زُرعة بنِ عَمْرو بنِ جرير ، رفـع الحديث في قولـه جل وعـز ﴿ **وَمَـا كنتَ بِجَـانِبِ الطُّـورِ إذْ نَادَيْنَـا** ﴾ قال : نُودُوا يا أمَّــةَ محمد ، أجبتُكُمْ قبل أن تَدْعُوني ، وأعطيتُكُم قبلَ أن تسألوني ، فذلكَ قولُه ﴿ **وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إذْ نَادَيْنَا** ﴾[1] .

٤٢ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ..﴾ [آية ٤٦] .

أي لم تشهد قصص الأنبياء ، ولا تُليت عليك ، ولكنَّا بعثناك وأوحيناها إليك للرحمة ، لتنذر قوماً فتُعَرِّفهـم هلاكَ من هلكَ ، وفَوْزَ من فاز ، لعلهم يتذكرون .

٤٣ ــ وقولـه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَـوْلَا أَنْ تُصِيبَهُـمْ مُصِيبَــةٌ بِمَــا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ..﴾ [آية ٤٧] .

أي لولا هذا لم نحتَجْ إلى إرسال الرُّسُلِ ، وتَوَاترِ الاحتجاج[2] .

---

(١) الأثر ذكره الطبري في تفسيره ٢٠/٨١ بسنده عن أبي هريرة ، وذكره ابن كثير ٦/٢٥٠ والسيوطي في الدر المنثور ٥/١٢٩ والمعنى على هذا التفسير : وما كنت بجانب الطور إذ كلَّمنا موسى فنادينا أمتك ، وأخبرناه بما كتبناه لك ولأمتك من الرحمة إلى آخره .. وهذا المعنى بعيد ، لأن الآيات تتحدث عن موسى وبني إسرائيل ، والأظهر أن المعنى : وما كنت يا محمد بجانب جبل الطور ، حين نادينا موسى ليلة المناجاة فكلمناه وأمرناه ، ولكننا نحن الذي أوحينا إليك بخبره وقصته ، ولولا وحينا ما عرفت عنه شيئاً .

(٢) أشار المصنف إلى أن جواب « لولا » محذوفٌ تقديره : لَمَا بعثنا الرسل ، قال القرطبي في تفسيره ١٣/٢٩٣ : وجوابُ « لولا » محذوف أي لولا أن يصيبهم عذاب بسبب معاصيهم المتقدمة ، فيقولوا ربنا هلَّا أرسلت إلينا رسولاً !! لما بعثنا الرسل . اهـ وقال في التسهيل =

٤٤ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا .. ﴾ [آية ٤٨] .

أي الحجج الظاهرة البيِّنة ، التي كان يجوز أن يحتجُّوا بتأخرها ﴿ قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى ﴾ يعني من العصا ، وانفلاقِ البحر ، وما أشبه ذلك .

ورَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : أَمَرَتْ يهودُ قريشاً أن يسألوا محمداً ﷺ مثلَ ما أُوتي موسى ، فقال اللَّهُ جل وعز لمحمد ﷺ قل لهم يقولوا لهم ﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ ﴾[1] ؟

٤٥ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا ..﴾ [آية ٤٨] .

رَوَى سفيانُ عن إسماعيل بن أبي خالد ، قال سمعتُ سعيدَ بن

= ٢٣٢/٣ : ﴿ ولولا أن تصيبهم مصيبة ﴾ « لولا » هنا حرفُ امتناع ، و« لولا » الثانية ﴿ فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً ﴾ عرضٌ وتحضيضٌ ، والمعنى : لولا أن تصيبهم مصيبة بكفرهم لم نرسل الرسل ، وإنما أرسلناهم على وجه الإعذار ، وإقامة الحجة عليهم ، لئلا يقولوا ربنا هلاَّ أرسلت إلينا رسولاً ، فنتَّبع آياتك ، ونكون من المؤمنين . اهـ .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٨٣/٢٠ ولفظه : يقول الله لمحمد : قل لقريش يقولوا لهم : أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل ، وعزاه إلى مجاهد ، وأخرجه ابن كثير ٢٥٢/٦ والسيوطي في الدر المنثور ١٣٠/٥ .

جُبير يقول ﴿ **قَالُوا سَاحِرانِ تَظَاهَرَا** ﴾ قال : موسى وهارون صلى الله عليهما[1] .

وروى **ابن أبي نجيح عن مجاهدٍ قال** : يعنون موسى ، وهارون عليهما السلام[2] .

ورَوَى شُعْبةُ عن أبي حَمْزةَ عن ابن عباس ﴿ قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا ﴾ قال : موسَى ، ومحمدٌ ، صلَّى الله عليهما وسلم[3] .

وكذا رَوَى شعبةُ ، عن أبي جَمْرَة[4] ، عن ابن عباس ، وكذلكَ قال الحسنُ .

وقرأ عكرمةُ ، وعَطَاءٌ الخرساني، وأبو رُزَيْنٍ ﴿ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا ﴾[5] .

(١ـ٣) هذه الآثار كلها أوردها الطبري في تفسيره ٢٠/٨٣ والقرطبي ١٣/٢٩٤ وابن كثير ٦/٢٥٢ وهذه الآثار على قراءة ﴿ سَاحِرَانِ ﴾ بالألف ، وهي قراءة ابن كثير ، ونافع ، وأبي عمرو ، وابن عامر ، والقراءةُ الثانيةُ بدون ألف ﴿ قَالُوا سِحْرَانِ ﴾ وهي قراءة عاصم ، وحمزة ، والكسائي . وانظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ٢/٤٩٥ والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/٣٤٢ .

(٤) أبو جَمْرة : هو نصر بن عمران بن عصام ، وقيل : ابن عاصم الضُّبعي البصري، تابعيٌّ ثقة مات سنة ١٢٨ هـ قال عنه أحمد : ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال ابن عبدالبر : أجمعوا على أنه ثقة ، وانظر ترجمته في التهذيب ١٠/٤٣١ .

(٥) قال القرطبي ١٣/٢٩٤ : قرأ الكوفيون ﴿ قالوا سِحْرانِ ﴾ بغير ألف أي الإنجيل والقرآن ، وقيل : التوراة والفرقان ، وقيل : التوراة والإنجيل ، والباقون قرأوا ﴿ سَاحِرَان ﴾ بألف .

قال **عكرمة** : يعني كتابَيْن[1] .

وقال **أبو رزين** : يعني التوراة ، والإنجيل[2] .

وقال **الفراء** : يعني التوراة ، والقرآن[3] .

واحتجَّ بعضُ من يقرأ هذه القراءةَ بقوله ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ ﴾ .

والمعنى على القراءة الأولى : هو أهدى من كتابَيْهما .

٤٦ ــ وقولُه جل وعزَّ : ﴿ وَلَقَدْ وصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون ﴾ [آية ٥١] .

أي أتبعنا بعضَه بعضاً[4].

قال **مجاهد** : يعني لقريش .

(١ــ٢) انظر الطبري ٨٥/٢٠ وابن كثير ٢٥٢/٦ والدر المنثور ١٣٠/٥ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٣٠٦/٢ .

(٤) الضميرُ في ﴿ وصَّلْنَا لَهُمْ ﴾ لقريش ، قال ابن زيد : أي وصَّلنا لهم الخبر ، خبرَ الدنيا بخبر الآخرة ، حتى كأنهم عاينوا الآخرة وشهدوها في الدنيا ، بما نُريهم من الآيات والعبر . اهـ .
أقول معنى الآية : لقد تابعنا ووالينا لقريشٍ القرآنَ ، يتبعُ بعضُه بعضاً ، وعداً ووعيداً ، وقِصَصاً وعِبَراً ، ونصائحَ ومواعظَ ، ليتَّعظوا ويتذكَّروا بما فيه .
وقال الطبري في تفسيره ٨٧/٢٠ : وأصلُ ﴿ وَصَّلْنَا ﴾ من وَصْلِ الحِبالِ بعضِها ببعضٍ ، قال الشاعر :
فقلْ لبَنِي مَرْوَانَ ما بَالُ ذِمَّةٍ ... وَحَبْلٍ ضَعِيفٍ ما يَزَالُ يُوَصَّلُ

وقرأ الحسنُ ﴿ وَصَلْنَا ﴾ مخففاً[1] .

ومعنى ﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾ أنهم وجدوا صفة النبي ﷺ في كتابهم ، من قبل أن يُبعث ، فآمنوا بِهِ ، ثم آمنوا به بعد ما بُعث[2] .

٤٧ ــ ثم قال الله جلَّ وعزَّ : ﴿ أُوْلَـئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا .. ﴾ [آية ٥٤] . .

يجوز أن يكون المعنى : من قبل النبيِّ ﷺ ، وأن يكون من قبلِ القرآن[3] .

ومعنى قوله تعالى ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾.
أي يدفعون بعملهم الحَسَنات ، السَّيِّئَاتِ التي عملوها .

٤٨ ــ وقوله جل وعزَّ ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ..﴾ [آية ٥٥] .

أي ما لايجوز ، وما ينبغي أن يُلْغَى .

---

(١) هذه القراءة ليست من القراءات السبع ، وقد ذكرها أبو حيان في البحر المحيط ١٢٥/٧ وقال : هي قراءة الحسن .

(٢) هذا على القول في أن الآية نزلت فيمن آمن من أهل الكتاب ، كما قال قتادة ، وهوالأظهر .

(٣) يريد المصنف أن الضمير في قوله تعالى ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قَبْلِهِ ﴾ يحتمل أن يعود على القرآن ، أو النبي عليه السلام ، ولكن عبارته قاصرة عن المقصود ، وكان الأحرى به أن يذكر الآية التي قبلها ، وهي التي أشرنا إليها .

قال مجاهد : هؤلاء قومٌ من أهل الكتاب أسلموا ، فكان المشركون يؤذونهم[1] .

ومعنى ﴿ **سَلَامٌ عَلَيْكُمْ** ﴾ قد تاركْناكم ، وليس من التحية في شيءٍ ، وهذا كلامٌ متعَارفٌ عند العرب .

٤٩ ــ وقوله جل وعز ﴿ إِنَّكَ لَاتَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ..﴾ [آية ٥٦] .

رَوَى الزُّهرِيُّ عن سعيد بن المسيَّب عن أبيه ، قال : جاء أبو جهلِ بنِ هشام ، وعبدُ اللَّهِ بنُ أبي أميَّةَ بنِ المغيرةِ ، إلى « أبي طالب » في العلَّة التي مات فيها ، وجاء النبيُّ ﷺ فقال : ياعمّ قلْ « لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ » كلمةً أُحَاجُّ لكَ بها عند الله جلَّ وعزَّ ، فقال له أبو جهل : يا أبا طالب أترغب عن دين عبدالمطلب !؟ فكان آخر ما قال لهما : هو على ملَّة عبدالمطلب ، فقال النبي ﷺ : لا أَدَعُ الاستغفار لكَ[2] .

---

(١) قال النحاس في كتابه إعراب القرآن ٥٥٤/٢ : نزلت كما قال الزهري في النجاشي وأصحابه ، وجَّه اثنى عشر رجلاً إلى النبي ﷺ فجلسوا معه ، وكان أبو جهل وأصحابه قريباً منهم ، فآمنوا بالنبي ﷺ ، فلما قاموا من عنده ، تبعهم أبو جهل ومن معه ، فقالوا لهم : خَيَّبكم الله من رَكْبٍ ، وقبَّحكمْ من وَفْد ، لم تلبثوا أن صَدَّقتموه ، ما رأينا ركباً أحمقَ ، ولا أجهل منكم . فقالوا ﴿ سلامٌ عليكم لا نبتغي الجاهلين ﴾ قال الزجاج ١٤٩/٤ : ليس يريدون بقولهم ههنا ﴿ سلام عليكم ﴾ التحية ، وإنما المعنى : بيننا وبينكم المتاركة والتسلم .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ١٤١/٦ تفسير سورة القصص ، بلفظ « لمَّا --

فأنزل الله جل وعزَّ ﴿ **إنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ** ﴾[2] .

ونـزل فيـه ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِيـنَ آمَنُـوا أَنْ يَسْتَغْفِـرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى** ﴾[3] .

قال أبو جعفر : يجوز أن يكـون معنـى ﴿ **مَنْ أَحْبَبْتَ** ﴾ أنْ تهـديَ .

ويجوز أن يكون المعنى : من أحببتَ لقرابته[4] .

ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ **وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ [آية ٥٦] .

= حضرتْ أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ الخ وانظر أسباب النزول للواحدي ، والطبري ٩٢/٢٠ والدر المنثور ١٣٤/٥ .

(٢) قال الزجاج ١٤٩/٤ : أجمع المسلمون على أن الآية نزلت في أبي طالب ، قال القرطبي : والصواب أن يُقال : أجمع أكثر المفسرين ، وقال أبو حيان في البحر المحيط ١٢٦/٧ : وقوله تعالى ﴿ إنك لا تهدي من أحببتَ ﴾ أي لاتقدر على خلق الهداية فيه ، ولا تنافي بين هذه الآية وبين قوله تعالى ﴿ وإنَّكَ لَتَهْدِي إلى صِرَاطٍ مُسْتَقيم ﴾ لأن معنى هذه : وإنك لترشد إلى صراط مستقيم ، وقد أجمع المسلمون على أنها نزلت في أبي طالب ، وحديثه مع رسول الله حين مات مشهور . اهـ .

(٣) سورة التوبة آية رقم (١١٣) .

(٤) القولان : ذكرهما ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير ٢٣٢/٦ .

[أي الله أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية ، ولله الحكمة التامة][1] .

٥٠ ــ **وقوله جلّ وعز : ﴿ وقَالُوْا إنْ نَتَّبِعِ الهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ﴾** [آية ٥٧] .

قال الضحاك : هذا قول المشركين الذين بمكة[2] .

وقال غيره : قالوا للنبي ﷺ : نحنُ نعلمُ أنَّ ما جئتَ به حقٌّ ، ولكنَّا نكرهُ أن نتَّبعك ، فتُقْصَدَ ، ونُتَخطَّفَ لمخالفتنا النَّاسَ[3] ،

قال الله جلَّ وعزَّ ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمَاً آمِنَاً ﴾ [آية ٥٧] .

أي قد كانوا آمنين قبل الإسلام ، فلو أسلَموا لكانوا أَوْكَدَ .

قال قتاده : كان أهلُ الحرم آمنينَ ، يخرج أحدهم ، فإذا عُرِضَ له قال : أنَا من أهل الحرم ، فيُترك ، وغيرهُم يُقْتَلُ ويُسلب[4] .

---

(١) سقط تفسير الآية من الأصل ، وأثبتناه من تفسير ابن كثير ٢٥٥/٦ ، وهو ما بين الحاصرتين .

(٢) في الدر المنثور ١٣٤/٥ : عن ابن عباس أن ناساً من قريش قالوا للنبي ﷺ إن نتَّبعْك يتخطفنا الناسُ ، فأنزل الله تعالى ﴿ وقالوا إن نتَّبع الهدى معك نتخطف من أرضنا ﴾ الآية .

(٣) قائل هذه الكلمة هو « الحارث بن عامر بن نوفل » كما في الدر المنثور للسيوطي ١٣٤/٥ .

(٤) قال أبو حيان في البحر المحيط ١٢٦/٧ : وقد قطع الله بهذه الآية حجتهم ، إذْ كانوا هم كفارٌ باللهِ ، عُبَّاد أصنام ، قد أَمِنُوا في حَرَمهم ، والنَّاسُ في غيره يتقاتلون ، وهم مقيمون في بلدٍ غير ذي زرعٍ ، يجيىءُ إليهم ما يحتاجون من الأقوات ، فكيف إذا آمنوا واهتدوا ؟!

قال مجاهد عن ابن عباس : ﴿ يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [آية ٥٧] .

أي ثمرات الأرضين[١] .

٥١ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا .. ﴾** [آية ٥٨] .

البَطَرُ : الطغيانُ بالنِّعمةِ[٢] .

قال أبو إسحق : المعنى : بطرتْ في مَعِيشتِها[٣] .

قال الفراء : أبطرتها مَعِيشَتُها[٤] .

٥٢ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً .. ﴾** [آية ٥٨] .

قال الفراء : والمعنى أنها خَرِبت ، فلم يُسْكن منها إلا قليلٌ ، والباقي خَرَابٌ[٥] .

---

(١) انظر الطبري ٩٤/٢٠ والدر المنثور للسيوطي ١٣٤/٥ والتفسير الكبير للرازي ٣/٢٥ قال الطبري : أي تُحمل إليه ثمرات كل بلد ، وكذلك قال مجاهد .

(٢) البطر : كفرُ النِّعمة ، وعدمُ شكرها ، واستعمالُها في مساخط الله ، كحال المترفين الجهلاء .

(٣) عبارة الزجاج في كتابه معاني القرآن ١٥٠/٤ ﴿ معيشتها ﴾ منصوبة بإسقاط « في » وعمل الفعل ، وتأويلُه : بطرت في معيشتها .

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٣٠٨/٢ فقد علل للمعنى الذي اختاره ودلَّل .

(٥) على رأي الفراء يكون الاستثناء راجعاً إلى المساكن ، أي لم يسكن منها إلاَّ القليلُ ، وهو رأي=

٥٣ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ :** ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ القُرَى حَتَّى يَبْعَثَ في أُمِّهَا رَسُوْلاً ..** ﴾ [آية ٥٩] .

أي في أَعْظَمِها[١] ، وأُمُّ القُرَى مكَّةُ .

٥٤ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ :** ﴿ **أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدَاً حَسَنَاً فَهُو لاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ..** ﴾ [آية ٦١] .

يعني به : المؤمنَ ، والكافر .

وقيل : نزلت في النبي ﷺ ، وأبي جَهْلٍ[٢] .

٥٥ ــ **وقوله تعالى** ﴿ **ثُمَّ هُوَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ** ﴾ [آية ٦١] .

قال مجاهد : أي أهل النار ، أُحْضِروا[٣] .

ــ الزجاج أيضاً ، وهو قول مرجوح ، والراجحُ أن المعنى : فتلك مساكنهم خاوية مدمَّرة ، لم تُسْكن من بعد تدميرهم ، إلا زمناً قليلاً ، إذ لا يسكنها إلا المارَّةُ والمسافرون ، يوماً أو بعض يوم ، وهو معنى قول ابن عباس : لم يسكنها إلا المسافر ، أو مارُّ الطريق . يوماً أو ساعة ، وإنما رجحنا هذا الرأي لأن الاستثناء لو كان من المساكن لجاء النص « إلا قليلٌ » وانظر القرطبي ٣٠١/١٣ .

(١) المراد أن يبعث في أعظم المدن وأكبرها رسولاً يبلغها دعوة الله ، ليقطع الحجج والمعاذير ، وتسمى مكة « أم القرى » لأنها أعظم المدن ، قال تعالى ﴿ لتنذر أُمَّ القُرى ومن حَوْلها ﴾ .

(٢) هذا قول مجاهد كما في الطبري وغيره .

(٣) ﴿ مِنَ المُحْضَرِين ﴾ أي من أهل النَّار الذين أُحضروها ، ذكره الطبري عن مجاهد والآية عامة تشمل كل مؤمن وكافر ، كما نقله القرطبي عن الثعلبي قال : نزلت في كل كافر ، مُتِّعَ في الدنيا بالعافية والغِنى ، وله في الآخرة النَّارُ ، وفي كلّ مُؤْمنٍ صَبَر على بلاء الدنيا ، ثقةً بوعد الله ، وله في الآخرة الجنة . اهـ القرطبي ٣٠٣/١٣ .

٥٦ ـ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ .. ﴾ [آية ٦٢] .

أي ويوم ينادي اللّهُ الإنس ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِي ﴾ ؟ أي على قولكم[١] .

٥٧ ـ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا ..﴾ [آية ٦٣] .

قال قتادة : ﴿ حَقَّ عَلَيهِمُ القَوْلُ ﴾ يعني : الشياطين[٢] .

وقال غيره : ﴿ حقَّ عَلَيهمُ القَوْلُ ﴾ أي وجبتْ عليهم الحُجَّةُ فَعُذِّبوا[٣] .

﴿ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا ﴾ أي دعوناهم إلى الغيِّ .

﴿ أغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ﴾ أي أَضْلَلْناهم كما ضَلَلْنا .

---

(١) أي ينادي الله المشركين الذين عبدوا غير الله ، والقصدُ من هذا النداء توبيخهم وتقريعهُم بأن معبوداتهم لم تنفعهم وقت الشدة ، وقوله ﴿ أين شركائي ﴾ ؟ أي على زعمكم أنهم شركاء مع الله .

(٢) عزاه الطبري والقرطبي إلى قتادة ، ومعنى ﴿ حقَّ عليهم القولُ ﴾ أي حقَّ عليهم العذاب ، وهم رؤساء المشركين وكبراؤهم ، وكل داعية إلى ضلالة ، وهذا أولى من قصره على الشياطين كما قاله قتادة ، وما رجحناه هو اختيار جمهور المفسرين ، فقد قال أبو حيان في البحر المحيط ١٢٨/٧ : هم الشياطين وأئمة الكفر ، ورؤساء الضلالة ، وقال الحافظ ابن كثير ٢٦٠/٦ : يعني الشياطين والمرَدَة والدعاة إلى الكفر . اهـ .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ١٠٩/٢ .

﴿ تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ فبرئ بعضُهم من بعض ، وعاداه ، كما قال تعالى ﴿ **الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** ﴾[1] .

٥٨ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾** [آية ٦٤] .

أي دعوهم فلم يجيبوهم بحجَّةٍ

﴿ **وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُم كانُوا يَهْتَدُونَ** ﴾ جواب « لَوْ » محذوفٌ أي لو أنهم كانوا يهتدون ما دعوهم[2] .

٥٩ ـ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾** [آية ٦٦] .

رَوَى ابنُ أبي نَجيح عن مجاهد قال : ﴿ الْأَنْبَاءُ ﴾ : الحُجَجُ .

---

(١) سورة الزخرف آية رقم ٦٧ .

(٢) هذا على أن « لو » حرف امتناع حُذف جوابه ، وقدَّر بعضهم المحذوف بأنَّ المعنى : لو كانوا مؤمنين في الدنيا ما رأوا العذاب في الآخرة ، وآخرون قدَّروه : لو كانوا يهتدون لحيلة في الآخرة يدفعون بها العذاب لفعلوا ، والأظهر أن « لو » هنا للتمني ، وليست حرف امتناع والمعنى : تمنَّوا حين شاهدوا العذاب لو كانوا مهتدين ، وهذا ما اختاره الطبري ، وابن كثير ، فقد قال الطبري ٩٨/٢٠ ﴿ ورَأَوُا العَذَابَ لو أنَّهم كانوا يَهْتَدونَ ﴾ أي عاينوا العذاب ، فودُّوا حين رأوا العذاب ، لو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين للحقِّ . اهـ ولعلَّ هذا هو الأظهر ، والله أعلم .

﴿ **فَهُمْ لا يَتَسَاءلُونَ** ﴾ قال : بالأنساب[1] .

٦٠ ــ **وقوله جلَّ وعز** ﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ** .. ﴾ [آية ٦٨] .

هذا التَّمامُ[2] .

أي ويختارُ الرُّسُل .

﴿ **مَا كَانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ** ﴾ [آية ٦٨] .

أي ليس برسلٍ من اختاروه هم .

٦١ ــ **وقولُه جل وعز** : ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ** ..﴾ [آية ٧٢] .

قال مجاهد ﴿ **سَرْمَداً** ﴾ أي دائماً[3] .

﴿ **مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ** ﴾ أي بنَهارٍ تَتَعيَّشُون فيه ، ويُصلح ثماركم وزَرْعَكُمْ .

---

(١) عزاه الطبري إلى مجاهد ، وقال : عنى بذلك أنهم عميتْ عليهم الحُجةُ . فلم يَدْرُوا ما يحتَجُّون به . اهـ الطبري ٢٠/٩٨ .

(٢) أي هنا تمام الكلام ، وسببُها استغراب قريش لاختصاص محمد ﷺ بالنبوة ، والمعنى أن الله يخلق ما يشاءُ ، ويختار لرسالته من يشاء من عباده ، والأولى حمل الآية على العموم أي يختار ما يشاء ويفعل ما يريد . قال الحافظ ابن كثير ٦/٢٦١ : يخبر تعالى أنه المنفرد بالخلق والاختيار ، ليس له في ذلك منازع ولا معقّب . اهـ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ٢٠/١٠٣ ولفطه ﴿ سَرْمداً ﴾ أي دائماً لا ينقطع ، وكذلك أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٥/١٣٦ .

٦٢ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الَّليْلَ والنَّهَارَ ، لِتَسْكُنُوا فِيهِ ، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ..﴾** [آية ٧٣] .

فيه قولان :

أحدهما : أن المعنى : لتسكُنُوا في اللَّيل ، ولتبتغوا من فضلِهِ بالنَّهار[١] .

والقولُ الآخر : أن يكون المعنى : لتسكنوا فيهما ، وقال « فيه » لأن اللَّيْلَ والنَّهَار ، ضياءٌ ، وظلمةٌ ، كما تقول في المصادر : ذهابُك ومجيئُك يؤذيني .

فيكون المعنى : جعل لكم الزمان لتسكنوا فيه ، ولتبتغوا من فضله .

والقول الأوْلى أعرف في كلام العَرَب ، يأتون بالخبرين ، ثم يجمعون تفسيرهما ، إذا كان السَّامِعُ يعرفُ ذاكَ .

كما روي عن عُبيْد اللَّهِ بن عبدالله بن عُتبة أنه قال : « ما أحسنَ الحسناتِ في إِثْرِ السِّيئات !! وما أقبح السيِّئات في إِثْرِ

(١) هذا القول هو الأظهر والأشهر ، ويُسمَّى في علم البديع « اللَّفُّ والنَّشْرُ المرتَّب » فقد ذكر تعالى الليلَ والنهار مجموعين ، ثم فصَّل ووضَّح الغاية منهما ، فأعاد السَّكن ــ أي الراحة والهدوء ــ إلى الليل ، فقال ﴿ لتسكنوا فيه ﴾ وطلب المعيشة والرزق إلى النهار ، فقال ﴿ ولتبتغوا من فضله ﴾ فأعاد الأول على الأول ، والثاني على الثاني ، فَسُمِّي لفاً ونشراً مرتباً ، وهذا أسلوب بديع في علوم البلاغة ، وانظر البحر المحيط ١٣٠/٧

الحسنات !! وأحسنُ من ذا ، وأقبحُ من ذا : السيئاتُ في آثار السيئات ، والحسناتُ في آثار الحسنات »[1] .

قال أبو جعفر : فجاء بالتفسير مجملاً ، وهذا فصيحٌ كثير[2] .

٦٣ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدَاً فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ..﴾ [آية ٧٥] .

قال مجاهد : ﴿ **شَهِيدَاً** ﴾ أي نبياً[3] .

﴿ **فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ** ﴾ قال : أي حجتكم بما كنتم تقولون وتعملون .

﴿ **فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ** ﴾ أي أنَّ اللَّهَ واحدٌ ، وأنَّ الحقَّ ما جاءت به الأنبياء[4] .

---

(١) لم أر الأثر بهذا اللفظ ، وقد أخرج السيوطي في الدر ٣/٣٥٣ وعزاه إلى الحكيم الترمذي والطبراني عن ابن عباس قال : « لم أر شيئاً أحسن طلباً ، ولا أحسن إدراكاً ، من حسنةٍ حديثة لسيئةٍ قديمة ، إن الحسنات يُذهبن السيئات » . أقول : ويؤيده قول النبي ﷺ لمعاذ : « وأَتْبِع السيئةَ الحسنَةَ تمْحُها » .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٤/١٥٣ وزاد المسير لابن الجوزي ٦/٢٣٨ وجامع البيان للطبري ٢٠/١٠٤ .

(٣) الأثر ذكره القرطبي عن مجاهد ، وكذا أخرجه الطبري عنه ، فقال : المراد بالشهيد : الرسولُ ، ثم قال : والمعنى : أحضرنا من كل جماعة شهيدَها ، وهو نبيُّها الذي يشهد عليها . اهـ الطبري ٢٠/١٠٤ .

(٤) عبارة الزجاج في معانيه أوضح حيث قال ٤/١٥٣ : أي فعلموا أن الحقَّ توحيدُ الله ، وما جاء به أنبياؤه . اهـ .

﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ أي لم ينتفعوا بما عبدوا من دون اللَّهِ ، بل ضرَّهم[1] .

٦٤ ــ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ .. ﴾** [آية ٧٦] .

قال إبراهيم النخعي : كان ابن عمِّه[2].

٦٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾** [آية ٧٦] .

أي تجاوز الحدَّ في معاندة موسى ﷺ والتكذيب به .

٦٦ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾** [آية ٧٦] .

روى الأعْمشُ عن خَيْثمة قال : كانت مفاتِحُهُ من جُلودٍ ، كلُّ مفتاح منها على قَدْر الإصْبع ، لخزانةٍ يحملها ستُّون بغلاً ، إذا ركب[3] .

---

(١) عبارة القرطبي ٣٠٨/١٣ : وذهب عنهم وبطَل ، ما كانوا يختلقونه من الكذب على الله تعالى ، من أنَّ معه آلهة تُعبد . اهـ وهي أوضح وأظهر .

(٢) هذا قول قتادة ، وابن جريج ، والكلبي كما في الطبري ١٠٦/٢٠ وروى ابنُ إسحق أن قارون كان عمَّ موسى ، وهو خلافُ المشهور ، قال الطبري : وأكثرُ أهل العلم على ما قاله ابن جُريج ، أن قارون كان ابن عم موسى . اهـ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري في تفسيره ١٠٧/٢٠ وزاد : على ستين بغلاً أغرَّ محجَّل ، وذكره السيوطي أيضاً . في الدر المنثور ١٣٦/٥ وهذا ــ والله أعلم ــ فيه مبالغاتٌ كبيرة ، وهو من أخبار =

وقال مجاهد : كانت من جلود الإبل .

قال أبو صالح : كانت تحملها أربعون بغلاً[1] .

ورَوَى عليُّ بن الحكم عن الضحاك قال : كانت مفاتيحُ قارون يحملها أربعون رجلاً .

قال ابن عيينة : ﴿ **الْعُصْبَةُ** ﴾ : أربعون رجلاً .

وقال مجاهد : ﴿ **الْعُصْبَةُ** ﴾ : من العشرة إلى الخمسة عشر[2].

قال أبو جعفر : العُصْبَةُ في اللغة : الجماعة الذين يتعصَّبُ بعضهم لبعض .

قال أبو عبيدة : ﴿ **لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ** ﴾ تأويلُه أن العُصْبة لتنوء بها ، كما قال :

« وتَشْقَى الرِّمَاحُ بِالضَّيَاطِرَة الحُمْرِ »[3]

= أهل الكتاب ، فظاهر الآية يدلُّ على أن المفاتيح من حديد لا من جلود ، يعجز عن حملها العُصبة — وهم الجماعة الكثيرة من الرجال — ولم يذكر الله الحمير والبغال ، فأمثال هذه الأخبار ممَّا لا ينبغي أن يعوَّل عليها ، لأنها مأخوذة من أخبار أهل الكتاب .

(١) العبارة غير مستقيمة لغوياً ولعل اللفظ « كان يحملها أربعون بغلاً » وعبارة الطبري أوضح فقد قال : وعن أبي صالح قال : كانت خزائنه تُحمل على أربعين بغلاً . اهـ الطبري ١٠٧/٢٠ .

(٢) قال في لسان العرب : والعُصْبةُ والعِصَابةُ جماعةٌ ما بين العشرة إلى الأربعين وفي التنزيل ﴿ونحن عُصْبة﴾ وكلُّ جماعة من الرجال أو غيرها عُصبةٌ وعِصَابة . اهـ .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ١١٠/٢ واستشهد به الطبري في جامع البيان ١٠٩/٢٠ وهذا—

الضَّياطرة : التُّبَّاعُ ، والأُجَراءُ .

قال أبو جعفر : يذهب أبو عُبَيْدَةَ إلى أن هذا من المقلوب ، وهذا غلطٌ ، والصحيح فيه ما قال أبو زيد ، قال يُقال : نُؤْتُ بالحِمْلِ : إذا نهضتَ به على ثِقَلٍ ، ونَاءَنِي ، وأَنَاءَنِي : إذا أثقلني .

قال أبو العباس : سُئل الأصمعيُّ عن قوله « وتَشْقى » قال : نعم ، هي تَشْقى بالرِّجالِ .

٦٧ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الفَرِحِينَ ﴾ [آية ٧٦] .

رَوَى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : ﴿ الفَرِحِينَ ﴾ : البَطِرِينَ ، الذين لايشكرون اللَّهَ جلَّ وعزَّ فيما أعطاهم[1] .

٦٨ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ..﴾ [آية ٧٧] .

رَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : نصيبُه من الدُّنيا : العملُ

= شطر بيت لخداش بن زهير ، وتمامه :

وتَرْكَبُ خَيْلاً لا هَوَادَة بينها وتَشْقَى الرِّمَاحُ بالضَّياطِرَةِ الحُمْرِ

والشاهد في البيت أنه من باب القلب أي تشقى الضياطرةُ الحمرُ بالرِّماح ، قال في اللسان : الضَّياطرةُ العظماءُ من الرجال . اهـ .

(١) هذا قول مجاهد كما في الطبري ١١١/٢٠ ومثله قال ابن عباس ﴿الفرحين﴾ : الأشِرين البَطِرين ، فالمراد بالفَرَح هنا : الفرحُ الذى يقود إلى الإعجاب والطغيان كما قال المفسرون .

بطاعة الله جلَّ وعزَّ ، الذي يُثاب عليه يوم القيامة[1] .

وروى أشْعثُ عن الحسن قال : أمسكْ القُوتَ ، وقدِّمْ ما فَضَلَ[2] .

وروى معمرٌ عن قتادة قال : ابْتَغِ الحَلاَلَ[3] .

قال أبو جعفر : قول مجاهدٍ حسنٌ جداً ، لأن نصيبَ الإنسانِ في الدُّنيا على الحقيقةِ ، هو الذي يُؤَدِّيه إلى الجنَّةِ .

وروى عليُّ بنُ أبي طَلْحةَ عن ابن عباس ﴿ ولا تَنْس نَصِيبَكَ من الدُّنْيا ﴾ يقول : لاتترك أن تعملَ للّهِ جلَّ وعزَّ في الدنيا .

وقد قيل : المعنى : ولا تنس شكر نصيبك[4] .

(١ــ٣) انظر الآثار في الطبري ١١٢/٢٠ والقرطبي ٣١٤/١٣ والدر المنثور ١٣٧/٥ وذكر الألوسي عن ابن عباس ﴿ ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ قال : أن تعمل فيها لآخرتك ، وقال الحسن وقتادة : معناه لا تضيِّع حظَّك من دنياك في تمتُّعك بالحلال . وطلبك إيَّاه . أقول : هذا المعنى أوفقُ وأظهر ، وهو الذي اختاره الحافظ ابن كثير فقد قال في تفسيره ٢٦٤/٦ : قولُه تعالى ﴿ ولا تَنْس نَصيبكَ من الدنيا ﴾ أي ممَّا أباح الله فيها من المآكل ، والمشارب ، والملابس ، والمساكن ، والمناكح ، فإن لربك عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، فأعط كل ذي حقّ حقه » أهـ وهذا هو الأظهر ، والله أعلم .

(٤) على هذا التقدير يكون في الكلام حذفٌ وهو حذف المضاف أي لا تنس شكر ربك على نِعَمه التي أنعم بها عليك ، فيكون قد حذف المضافَ وهو الشكر ، وأقام المضاف إليه مقامه وهو النصيب .

٦٩ ــ وقوله جلّ وعزَّ : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي .. ﴾ [آية ٧٨] .

يُروى أن « قارونَ » كان من قُرَّاءِ بني إسرائيلَ للتَّوْراة[١] .

والمعنى : إنما أوتيتُه على علمٍ فيما أُرَى .

فأمَّا ما رُوِيَ أنه كان يعمل الكيمياء ، فلا يصحُّ[٢] .

وقيل المعنى : على علمٍ بالوجوه التي تُكسبُ منها الأموال ، وتَرْكَ الشكر .

وقال ابن زيد : قال ــ أي قارون ــ لولا رضى الله عني ، ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا .

وهذا أَوْلاها يدل عليه ما بعده[٣] .

---

(١) هذه الرواية ذكرها كثير من المفسرين عن علماء السلف ، فقد ذكرها الطبري والقرطبي وابن كثير والسيوطي ، وقد جاء في الدر المنثور ١٢٦/٥ عن قتادة رضي الله عنه قال : كان قارون ابن عم موسى ، وكان قطع البحر معه ، وكان يسمى المنوَّر لحسن صوته بالتوراة ، ولكنَّ عدوَّ الله نافق كما نافق السَّامريُّ فأهلكه الله ببغيه ، وإنما بغى لكثرة ماله وولِده . اهـ .

(٢) يشير المصنف إلى ما ذكره بعض المفسرين عن الوليد بن زوران أن قارون كان عالماً بالكيمياء ، وكان يقلب بعض المعادن بمهارته إلى ذهب أو فضة ، وهذا كله باطل فقد قال الحافظ ابن كثير : وقد رُوي عن بعضهم أنه كان يعاني علم الكيمياء ، وهذا القول ضعيف ، لأن علم الكيمياء في نفسه علم باطل ، لأن قلب الأعيان لا يقدر عليه إلا الله عز وجل . اهـ .

(٣) أي يدل عليه قوله تعالى رداً عليه وتسفيهاً لرأيه ﴿ أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشدُّ منه قوة وأكثر جمعاً ﴾ أي فكيف يغتر هذا الجاهل الأحمق بكثرة ماله ؟!

٧٠ ـ وقولــه جلَّ وعــز : ﴿ وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِــمُ الْمُجْرِمُــونَ ﴾ [آية ٧٨] .

قال مجاهـد : هو مثـل قولــه تعــالى ﴿ يُعْـرَف المجْرِمُـونَ بِسِيمَاهُمْ ﴾[1] .

زُرْقاً ، سودَ الوجوهِ ، لا تسأل عنهم الملائكةُ ، لأنها تعرفهم[2] .

وقـال قتـادة : ﴿ وَلَا يُسْأَلُ عنْ ذُنُوبِهِـمُ المُجْرِمُـونَ ﴾ أي يدخلون النَّارَ بغير حساب[3] .

قال محمــد بن كعب : ﴿ ولا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِــمُ المُجْرِمونَ ﴾ أي لا يَسأَلُ الآخِرِ لم هَلَكَ الأوَّل فيعتبرُ[4] .

وقيل : لا يُسأل عنها سؤال استعلام[5] .

---

(١) سورة الرحمن آية ٤١ والأثر أخرجه الطبري ١١٤/٢٠ والسيوطي في الدر المنثور ١٣٧/٥

(٢ـ٤) انظـر الآثار في الـطبري ١١٤/٢٠ وزاد المسير ٢٤٣/١٧ وتـفسير معـاني القـرآن للزجاج ١٥٥/٤ .

(٥) هذا قول الحسن البصري ، أي لا يسألهم الله هل فعلتم كذا وكذا ؟ لأنه تعالى عالم بجرائمهـم ، وإنما يُسألون سؤال تقريع وتوبيخ ، وأما قول قتادة إنهم يدخلـون النـار بغير حساب فغير مسلَّـم ، والصحيح أنهم يُحاسبون على ذنـوبهم ويُسألـون عنها لقولـه سبحانـه ﴿ فَوَرَبِّكَ لنسألنَّهـم أجمعين عما كانوا يَعْملـونَ ﴾ وقـول الحسن أرجـح الأقـوال ، قال في التسهيـل ٢٤٢/٣ : وحيثما ورد في القرآن إثباتُ السؤال في الآخرة ، فهو على معنـى المحاسبـة والتوبيـخ ، وحيثما ورد فهـو على وجـه الاستخبار والتعريف . اهـ .

٧١ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ .. ﴾** [آية ٧٩] .

رَوَى عثمانُ بنُ الأَسْوَدِ عن مجاهِدٍ قال : خرج هو وأصحابهُ على براذينَ[1] بيضٍ ، عليها سروجُ أُرْجُوانٍ ، وعليهم المعصْفَرُ .

قال قتادة : خرجوا على أربعة آلاف دابة ، عليها ثيابُ حُمْرةٍ ، منها ألف بغلٍ بيض ، عليها قُطُفٌ حمر[2] .

٧٢ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَلَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ ﴾** [آية ٨٠] .

أي لا يُلقَّى هذه الفعلة وهي القول **﴿ ثوابُ اللّهِ خيرٌ لمن آمن وعَمِلَ صالحاً ﴾** إلا الصَّابرون[3] .

٧٣ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ .. ﴾** [آية ٨١] .

قال ابن عباس : خُسِفَ به إلى الأرض السفلى[4] .

﴿ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ ﴾ أي من فِرقة .

٧٤ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ**

---

(١) براذين جمع بِرْذَوْن وهو من الخيل غير الأصلي ، والأرجوان في اللغة : الصبغ الأحمر .

(٢) ذكر هذه الآثار عن السلف الطبري في تفسيره ١١٥/٢٠ والسيوطي في الدر المنثور ١٣٨/٥ والقرطبي ٣١٦/١٣ .

(٣) الضمير في « يُلَقَّاها » عائد على الخصال التي دلَّ عليها الكلام المتقدم ، وهي الإيمانُ والعملُ الصالح ، وهذا أرجح مما قاله المصنف ، والله أعلم .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير ١١٩/٢٠ وابن كثير ٢٦٧/٦ عن ابن عباس ، ولفظُه : خُسِفَ بهم إلى الأرض السابعة .

﴿ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ .. ﴾ [آية ٨٢] .

قولُه : ﴿ وَيْكَأَنَّ ﴾ قيل : هي « وَيْكَ أَنَّ » و « يْكَ » بمعنى : ويْلُكَ .

قال أبو جعفر : وهذا لايصحُّ ، لأنَّ هذه اللَّامَ لا تُحْذفُ ، ولو كان هكذا لوَجَبَ أن يُقال : ويْلَكَ إنَّه ..

ولا يجوز أن يُضمر « إعْلَمْ » وليس ههنا مخاطبةٌ لواحد .

والصحيحُ في هذا ما قال الخليلُ ، وسيبويه ، والكِسَائيُّ .

قال الكِسَائيُّ : « وَيْ » ههنا صلةٌ ، وفيها معنى التَّعجبُ .

وقال سيبويه : سألتُ الخليل عن قوله جلَّ وعز ﴿ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ وقوله ﴿ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ ﴾ فَزعم أنها « وَيْ » مفصولةٌ مِنْ « كَأَنَّ »[1] .

والمعنى :وَقَع على أن القوم انتبهوا ، فتكلَّموا على قدر علمهم .

---

(١) قال الزمخشري : « وَيْ » مفصولةٌ عن « كَأَنَّ » وهي كلمةُ تنبيهٍ على الخطأ وتندُّمٍ ، ومعناه : إن القوم قد تنبَّهوا على خطئِهم في تمنِّيهم وقولهم ﴿ ياليتَ لنا مِثْلَ ما أُوتِيَ قَارُوْنُ ﴾ وتَندَّموا ثم قالوا ﴿ كأنه لا يُفلِحُ الكَافِرُوْنَ ﴾ أي ما أشبه الحال بأن الكافرين لاينالون الفلاح!! وهو مذهب الخليل وسيبويه . اهـ الكشاف ١٥١/٢ . ونقل الطبري في تفسيره ١٢١/٢٠ عن قتادة أن « ويكأنَّ » كلمة واحدة ومعناها ألم تر أنَّ ، واختار هذا القول الطبري ، والراجح ما قاله الخليلُ ، وسيبويه ، والله أعلم .

أو نُبِّهوا فقيل لهم : أَمَا يشبهُ أن يكون ذَا عندكم هكذا[1] ؟ والله أعلم .

وأما المفسرون فقالوا معناها : ألم تر أنَّ الله .

قالت قتادة : ﴿ وَيْكَأَنَّ ﴾ المعنى : أَوَ لا تعلم ؟

قال أبو جعفر : وقولُ الخليل موافقٌ لهذا ، وأنشد أهل اللغة :

وَيْ كَأَنْ مَنْ يَكُـــنْ لَهُ نَشَبٌ يُحْبَبْ ومن يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ[2]

وقد كُتبتْ في المصحف مُتَّصلةً ، كأنَّهم لمَّا كَثُر استعمالُهم إيَّاها ، جعلوها مع ما بعدها بمنزلة شيءٍ واحدٍ .

٧٥ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلَا فَسَاداً ﴾ [آية ٨٣] .

روى سفيان عن منصور عن مسلمٍ البَطِين[3] قال : العُلُوُّ :

---

(١) عبارة الإمام النحاس في كتابه إعراب القرآن ٥٥٩/٢ ﴿ ويكأنَّ الله يبسط الرزق ﴾ قال : أحسنُ ما قيل في هذا قول الخليل وسيبويه والكسائي أن القوم تَنَبَّهوا أو نُبِّهوا فقالوا : وَيْ ، والمتندم من العرب يقول في حال تَنَدُّمِهِ : وَيْ . اهـ وكلامه هذا أوضح مما في المخطوطة هنا .

(٢) البيت لزيد بن عمرو بن نُفَيل ، وهو من شواهد سيبويه ، وانظر الطبري ١٢٠/٢٠ والقرطبي ٣١٨/١٣ .

(٣) هو مسلم بن عِمْرَان البَطِين ، بفتح الباء وكسر الطَّاءِ ، ثقةٌ كوفيٌّ ، من الطبقة السادسة ، انظر تقريب التهذيب لابن حجر ٢٤٦/٢ والإكمال لابن ماكولا ٣٣٤/١ .

التكبُّر بغير الحق ، والفسادُ : أخذُ الأموال بغير الحق[1] .

قال الثوريُّ : ﴿ وَلَا فَسَادًا ﴾ : المعاصي[2] .

٧٦ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [آية ٨٥] .

رَوَى عكرمةُ عن ابن عباس قال : ﴿ إلى مَعَادٍ ﴾ : إلى مكة[3] .

وكذلك رَوَى يونسُ بنُ إسحاق عن مجاهد[4] .

ورَوَى سعيد بنُ جبير عن ابن عباس قال : إلى الموتِ[5] .

ورَوَى ابنُ أبي نَجِيح عن مجاهد قال : إلى أن يُحييكَ يوم القيامةِ[6] .

وقال الزهري والحسنُ : « المَعَادُ » يومُ القيامة[7] .

(١ ـ ٢) انظر الطبري ١٢٢/٢٠ وابن كثير ٢٦٨/٦ والدر المنثور ١٣٩/٥ .

(٣ ـ ٧) كلُّ هذه الآثار عن السلف قد ذكرها المفسرون ، في الطبري ، والدر ، والبحر ، وغيرها من كتب التفسير ، وأظهر هذه الأقوال وأرجحُها : قولُ ابن عباس ومجاهد أن المراد بالمعَاد رَدُّهُ إلى مكة ظافراً منتصراً أي لرادُّكَ إلى مكة كما أخرجك منها ، وقد ذكره البخاري في التفسير عن ابن عباس قال : إلى مكة ، ففي الآية بشارة له عليه الصلاة والسلام بفتح مكة بعد أن اضطر إلى الهجرة منها قال القرطبي : ختم الله السورة ببشارة نبيه محمد ﷺ بردِّه إلى مكة قاهراً لأعدائه .
وقال في البحر : أراد بقوله ﴿إلى مَعَادٍ﴾ ردَّه إليها يوم الفتح ـ فتح مكة ـ فكأنَّ الله وَعَده ـ وهو بمكة ـ أنه يهاجر منها ويعود إليها ظافراً ظاهراً . اهـ . وقال الضحاك : لمَّا خرج النبي ﷺ من مكة وبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة ، فجاءه جبريل فقال له : أتشتاق إليها ؟ قال : نعم ، فأنزل الله عليه : ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ﴾ .

قال أبو جعفر : وهذا معروفٌ في اللغة ، يُقال : بيني وبينك المَعَادُ ، أي يومُ القيامة ، لأنَّ النَّاس يعودون فيه أحياءً .

والقولُ الأوَّلُ حسنٌ كثيرٌ ، واللَّهُ أعلمُ بما أراد .

ويكون المعنى : إنَّ الذي نزَّل عليكَ القرآنَ — وما كنتَ ترجو أن يُلقى إليك — لرادُّك إلى مَعَادٍ أي إلى وطنك ومعادك يعني مكة ، ويُقال : رجع فلانٌ إلى معاده أي إلى بيته[1] .

٧٧ — **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ** ﴾ [آية ٨٨] .

قال سفيان : أي إلاَّ ما أُريد بِهِ وجْهُهُ[2] .

قال محمد بن يزيد[3] حدثني الثوريُّ قال : سألتُ أبا عُبيدة عن قوله تعالى ﴿ **كلُّ شيءٍ هَالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ** ﴾ فقال : إلاَّ جَاهَه[3] ، كما تقول : لفلانٍ وجهٌ في النَّاس أي جاهٌ .

---

(١) ما رجحه الإمام النحاس هنا هو قولُ الأكثرين ، وهو المروي عن ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وهو الصحيح .

(٢) الأثر أخرجه البخاري في التفسير تفسير سورة القصص ١٤٧/٦ وهو في الدر المنثور ١٤٠/٥ عن سفيان قال : إلا ما أُريد به وجهُه من الأعمال الصالحة ، وذكره القرطبي ٣٢٢/١٣ عن أبي العالية وسفيان ، وذكره الطبري ١٢٧/٢٠ وقال : واستشهدوا لتأويلهم بقول الشاعر :

أستَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْباً لستُ مُحْصِيَهُ رَبُّ العِبادِ إليهِ الوَجْهُ والعَمَلُ

(٣) « محمد بن يزيد » هو الإمام المبرِّد ، أحد أعلام اللغة والأدب ، المتوفى سنة ٢٨٦ هـ وقد تقدمت ترجمته ٥٥/١ .

(٤) نقله عنه أبو حيان في البحر المحيط ١٣٧/٧ والقرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ٣٢٢/١٣ وهو قول غريب .

وقيل : ﴿ **إلاَّ وَجْهَهُ** ﴾ : أي إلاَّ إيَّاه جلَّ وعزَّ[1] .

وتقول : أكرَمَ اللَّهُ وجهه ، وفلانٌ وجهُ القوم .

وقولُ سفيانَ معروفٌ في اللغة ، أي كلُّ ما فعله العبادُ يَهْلِكُ ، إلاَّ الوجهُ الذي يتوجَّهونَ بهِ إلى اللَّهِ جلَّ وعزَّ .

« تمت سورة القصص »

* * *

(١) هذا هو الصحيح ، وهو قول جمهور المفسرين أن المراد بالوجه هنا ذاته المقدسة العلية ، قال الطبري ١٢٧/٢٠ : أي كل شيء هالكٌ إلا هو ، وقال الحافظ ابن كثير ٢٧٢/٦ : ﴿ كلُّ شيءٍ هالكٌ إلَّا وجْهَه ﴾ إخبارٌ بأنه الدائم الباقي ، الحيُّ القيوم ، الذي تموتُ الخلائق ولا يموت كما قال تعالى ﴿ كل من عليها فانٍ . ويبقى وجهُ ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ فعبَّر بالوجه عن الذات ، وهكذا قال ههنا ﴿ إلاَّ وجْهَه ﴾ أي إلا إيَّاه .

وقال الفراء في معاني القرآن ٣١٤/٢ ﴿ إلَّا وجهه ﴾ إلاَّ هو ، وكذلك قال الزجَّاج ، والزمخشري ، وقال الألوسي : ﴿ إلاَّ وجْهَه ﴾ أي إلاَّ ذاتُه عز وجل ، والوجه بمعنى الذات مجاز مرسل أطلقَ الجزء وأراد الكل ، وهو مجاز شائع . اهـ وهذا هو الصحيح من الأقوال والله أعلم .

تفسير سورة العنكبوت

مكية وآياتها ٦٩ آيــة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة العنكبوت وهي مكية[1]

١ ــ **قولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ الٓمٓ . أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾** [آية ٢] .

هذا استفهامٌ فيه معنى التقرير والتوبيخ ، أي أحسب النَّاسُ أن يُقْنَع منهم ، بأن يقولوا آمنا فقط ، ولا يُختبروا حتى يُعرف حقيقةُ إيمانِهِمْ وصبرِهِم ، وصدقهم وكذبهم ، ويظهر ذلك منهم ، فيُجازوا عليه ؟ وأما الغيبُ فقد علمهُ اللهُ جلَّ وعزَّ منهم .

ثم قال ﴿ أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا ﴾ أي على أن يقولوا ، ولأن يقولوا ، وبأن يقولوا آمنَّا .

﴿ وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴾ .

قال مجاهد وقتادة : أي لا يُبْتلون[2] .

---

(١) قال القرطبي ١٣/٣٢٣ : مكية كلها في قول الحسن ، وعكرمة ، وجابر ، وقال علي رضي الله عنه : نزلت بين مكة والمدينة ــ وهي تسع وستون آية .

(٢) قال ابن جزي في التسهيل ٣/٢٤٥ : نزلت في قوم من المؤمنين ، كانوا بمكة مستضعفين ، وكان كفار مكة يؤذونهم ، ويعذِّبونهم على الإسلام ، فضاقتْ صدورهُم بذلك ، فآنَسَهُمُ اللهُ بهذه الآية ، وَوَعَظَهم وأخبرهم أن ذلك اختبارٌ ، ليوَطِّنوا أنفسهم على الصبر على الأذى ، والثباتِ على الإيمان ، فأعلمهم اللهُ تعالى أن تلك سيرتُه في عباده ، يسلِّط الكفَّارَ على المؤمنين ، ليمحِّصهم بذلك ، ويظهر الصادق في إيمانه من الكاذب ، ولفظها عام في كل من أصابته فتنة هـ .

٢ ـ ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [آية ٣] .

أي ابتليناهم .

٣ ـ وقوله جلَّ وعز : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا .. ﴾ [آية ٤] .

قال مجاهد : أي أن يُعْجِزونا .

٤ ـ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لَآتٍ .. ﴾ [آية ٥] .

قال أبو إسحق : المعنى : من كان يرجو لقاء ثواب[1] الله جلَّ وعزَّ .

٥ ـ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنَاً .. ﴾ [آية ٨] .

أي ما يَحْسُنُ[2] .

٦ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ..﴾ [آية ٨] .

---

(١) معاني الزجاج ٤/١٦٠ فقد جعله على تقدير حذف المضاف إليه وهو الثواب . ولا حاجة إلى هذا التقدير . على مذهب أهل السنة والجماعة . فإن لقاء الله : مشاهدتُه سبحانه على الوجه اللائق به جلَّ وعلا . كما في الحديث الصحيح (إنكم سترون ربكم يوم القيامة ..) الحديث .

(٢) عبارة المصنف في إعراب القرآن ٢/٥٦٣ قال أبو إسحق : « حُسْناً » ما يَحْسُن ، ورُويتْ إحساناً ، والمعنى : ووصينا الإنسان بوالديه أن يُحسنَ إليهما إحساناً . اهـ .

قال أبو إسحق : المعنى : وإن جَاهَدَكَ أيُّها الإنسانُ والدَاك ، لتشركَ بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما[1] .

٧ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَمِنَ النَّـاسِ مَنْ يَقُـولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ ..﴾** [آية ١٠] .

قال مجاهـد : ﴿ **فإذا أُوذِيَ في اللهِ** ﴾ أي عُذِّب ، خاف من عذاب النَّاس كما يخاف من عذابِ الله جَلَّ وعزَّ[2] .

قال الضحـاك : هؤلاء قومٌ قالـوا : آمنَّـا ، فإذا أُوذي أحدهُـمُ أَشْرَكَ[3] .

ورَوَى ابـنُ عُيَيْنَـةَ عن عَمْـرو بنِ دينـار عن عكرمـــة قال : « كان قومٌ بمكةَ قد شهدوا « أنْ لا إله إلاَّ اللهُ » فلمـا خرج المشركـون إلى بدر ، أكرهوهم على الخروج معهـم[4] ، فقُتـل بعضُهـم فأنـزل الله

---

(١) انظر معاني الزجاج ١٦١/٤ وقال القرطبي ٣٢٨/١٣ : نزلت هذه الآيات في « سعد بن أبي وقاص » قال : كنت باراً بأمي ، فأسلمتُ ، فقالت : لتدعنَّ دينك أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعيَّر بي فيقال : ياقاتلَ أمه ، فمكثَتْ يوماً ويومـاً لا تأكل ، فقـلت لها يا أمَّـاه : والله لو كانت لكِ مائـة نَفْس ــ أي روح ــ فخرجت نَفْساً نفساً ما تركت دينـي هذا ، فإن شئتِ فكلي ، وإن شئتِ فلا تأكلي ، فلمـا رأت ذلك أكـلت ، فنـزلت ﴿ وإن جاهـداك لتشـرك بي .. ﴾ الآية .

(٢) و (٣) الأثران أخرجهما الطبري في جامع البيان ١٣٢/٢٠ والسيوطي في الدر ١٤٦/٥ والقرطبي ٣٣٠/١٣ في جامع الأحكام .

(٤) ما ذكره المصنف هنـا عن عكرمة ، أنهم كانـوا مؤمـنين أُكرهـوا على الخروج ، قولٌ مرجـوح ، والصحيح أنهم قوم منافقون أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر ، وهو قول ابن زيد والضحاك ، فقد قال ـ

جلَّ وعز فيهم ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُـمُ المَلاَئِكَـةُ ظَالِمِـي أَنْفُسِهِـمْ قَالُـوا فِيمَ كُنْتُمْ ..** ﴾ إلى قوله ﴿ **فَأُوَلئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُـمْ وكَـانَ اللهُ عَفُـوّاً غَفُـوراً** ﴾[1] فكتب بها المسلمون الذيـن بالمدينـة ، إلى المسلمين الذين بمكة فخـرج مسلمـون من مكـة فلحقهـم المشركـون ، فافتَتَن بعضهـم ، فأنـزل الله جلَّ وعـزَّ فيهم ﴿ **وَمِـنَ النَّـاسِ مَنْ يَقُـولُ آمَنَّا باللهِ ، فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ** ﴾ .

قال الشعبي : نزلت فيهم عشرُ آياتٍ من قوله تعالى ﴿ **آلـمّ . أَحَسِبَ النَّـاسُ أَنْ يُتْرَكُـوْا ..** ﴾ قال عكرمـة : فكـتب بها المسلمـون الَّذين بالمدينة ، إلى المسـلمين الذيـن كانـوا بمكـة ، قال رجـل من بنـي ضمرة[2] ــ كان مريضاً ــ أخرجوني إلى الرَّوحَ ، فأخرجـوه فمـات[3] فأنـزل الله جلَّ وعـزَّ فيـه ﴿ **وَمَـنْ يَخْـرُجْ مِنْ بَيْتِـهِ مُهَاجِـراً إِلَـى اللهِ وَرَسُوْلِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وقع أَجْرُهُ عَلَـى اللهِ ..** ﴾[4] إلى آخـر

= كما نقله عنه الطبري ٢٠/١٣٢ : نزلت في ناسٍ من المنافقين كانوا يؤمنـون ، فإذا أُوذوا رجعـوا إلى الكفر . اهـ أقول : ويؤيده قوله تعالى بعده ﴿ وليعلَمَنَّ الله الذين آمنوا ، وليعلمنَّ المنافقين ﴾ .

(١) سورة النساء آية رقم (٧٩) .

(٢) ذكر ابن جرير في تفسير سورة النساء اسم هذا الرجل وهو « ضَمْرة بن جُنْدب الضَّمْري » وذكر قصته مفصلة فارجع إليها هناك ٥/٢٣٩ .

(٣) المراد بالرَّوح هو الهواء العليل ، يقول لأولاده أخرجوني من مكة . لِأَستنشق الهواء ، فإن جبال مكة قد غمَّتني ، فلمَّا وصل إلى التنعيم ، مات رضي الله عنه ففيه نزلت ، وانظر الأثـر في الطبري ٢٠/١٣٣ والقرطبي ١٣/٣٣٠ والدر المنثور ٥/١٤٢ .

(٤) سورة النساء آية (١٠٠) .

الآية . وأنزل في المسلمين الذين كانوا افتتنوا ﴿ ثم إنَّ ربَّكَ للَّذينَ عملوا السُّوءَ بجهالةٍ ثم تابوا .. ﴾[1] إلى آخر الآية .

٨ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ ..﴾** [آية ١٢] .

قال الضحاك : هؤلاء القادةُ من المشركين[2] .

قال مجاهد : هم مشركوا أهل مكَّةَ ، قالوا لمن آمن منهم : نحنُ وأنتم لا نُبْعثُ[3] ، فاتَّبعونا فإن كان عليكم وزرٌ فهو علينا .

قال أبو جعفر : هذا كما تقول : قَلِّدْني هذا إنْ كان فيه وزرٌ ، أي ليس فيه وِزْرٌ .

قال الفراء : وفيه معنى المجازاة[4] ، وأنشد :

فقلْتُ ادْعِي وادْعُ فإنَّ أنْدَى
لِصَوْتٍ أَنْ يُنَادي دَاعِيانِ[5]

---

(١) سورة النحل آية (١١٩) .

(٢)و (٣) في المخطوطة « لاتُبعثون » وهذه تحتاج إلى تأويل ، أي نحن لا نُبْعث ، وأنتم لاتُبعثون ، وما أثبتناه عن الطبري ١٣٤/٢٠ وهو أصحُّ عربيةً ، ولا يحتاج لتأويل ، وانظر الأثرين في جامع البيان ١٣٤/٢٠ والبحر المحيط ١٤٣/٧ والدر المنثور ١٤٢/٥ .

(٤) قال الفراء في معاني القرآن ٣١٤/٢ : ﴿ ولْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ ﴾ هو أمرٌ فيه تأويلُ الجزاء .

(٥) البيت لمدثار بن شَيْبانَ النَّمري ، وقبله :

تَقُولُ حَلِيلَتي لَمَّا اشْتَكَيْنَا سَيُدْرِكُنَا بَنُو القَرْمِ الهِجَانِ
فَقُلْتُ : ادْعِي وأَدْعُ فإنَّ أنْدَى لِصَوْتٍ أنْ يُنَادِيَ دَاعِيَانِ =

قال المعنى : ادْعِي ولْأَدْعُ ، أي إن دَعَوْتِ دَعَوْتُ .

٩ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ .. ﴾ [آية ١٢] .

المعنى : وما هم بحاملين عنهم شيئاً ــ يُخَفِّف ثِقَلَهم .

١٠ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ .. ﴾ [آية ١٣] .

قال أبو أُمَامَةَ البَاهِلِيُّ : « يُؤْتَى بالرجلِ يوم القيامة ، وهو كثير الحسنات ، فلا يزال يُقْتَصُّ منه ، حتى تفنى حَسَنَاتُه [ثُمَّ يُطَالب] ثم يقول اللهُ جلَّ وعزَّ : اقتصُّوا من عَبْدي ، فتقول الملائكة : مابقيَتْ له حَسَنَاتٌ ، فيقول : خذوا من سيِّئاتِ المظلوم ، فاجعلوها عليه » .

قال أُبو أُمامة : ثمَّ تلا رسولُ الله ﷺ ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾[1] .

وقال قتادة في قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِم ﴾ .

= والمعنى : ادعى أنتِ ، ولْأَدْعُ وهو من شواهد الطبري ١٣٤/٢٠ والبحرَ المحيط ١٤٣/٧ ومعاني الفراء ٣١٤/٢ والشاهد في الآية أنها على معنى الجزاء أي إن تتبعوا سبيلنا ، نحمِلْ عنكم أوزاركم .

(١) هذا الأثر أخرجه ابن أبي حاتم من حديث أبي أمامة الباهلي ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٤٢/٥ وابن كثير في تفسيره ٢٧٧/٦ والقرطبي ٣٣١/١٣ وسقط من الأصل جملة [ثم يطالب] وأثبتناها من هامش المخطوطة .

قال : « مَنْ دَعَا إلى ضَلَالَةٍ كُتِبَ عليهِ وِزْرُها ، ووِزْرُ من يعمل بها ، ولا يُنْقِصُ ذلك منها شيئاً »[1] .

قال أبو جعفر : وأهلُ التَّفسيرِ ، على أن معنى الآية كما قال قتادة ، ومثلُه قولُه جلَّ وعزَّ ﴿ **وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾[2] .

١١ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾** [آية ١٤] .

يُقَالُ لِكُلِ كثيرٍ مُطِيفٍ بالجميع ، من مطرٍ ، أو قتلٍ ، أو موتٍ : طوفانٌ[3] .

وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً .. ﴾ [آية ١٧] .

أي وتنحتون[4] .

---

(١) هذا طرف من حديث أخرجه الترمذي في كتاب العلم رقم ٢٦٧٤ ولفظه : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من يتبعه ، لاينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة ، كان عليه من الإثم مثلُ آثام من يتبعه ، لاينقص ذلك من آثامهم شيئاً » قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) سورة النَّحل آية رقم (٢٥) .

(٣) هذا هو تعريفُ الطوفان في اللغة : هو كلُّ ما طاف أي أحاط بالإنسان لكثرتِهِ ، ماءً كان أو غيرَهَ ، وغلب بالعرف على « طوفان نوح » وهو الذي أغرق أهل الأرض ، وهو المشهور عند الإطلاق .

(٤) هذا هو الظاهر أنها من « الخَلْق » وهو الصنعُ والنَّحتُ ، وهو قول مجاهد ، والحسن ، وابن عباس ، فقد قال ابن عباس : ﴿ وتخلقون ﴾ : تنحتون وتصوِّرون ﴿ إفْكاً ﴾ أي أصناماً واختاره ابن جرير ، وقيل : إنه من الاختلاق وهو الكذب أي تختلقون وتقولون الكذب ، وهو قول مجاهد في الرواية الثانية عنه .

والمعنى على هذا : إنما تعبـــدون من دونِ اللهِ أَوْثَانَـــاً ، وأنتم تصنعونها .

وقال مجاهدٌ : ﴿ إِفْكَاً ﴾ أي كذباً .

والمعنى على هذا : ويختلقون الكذب .

وقرأ أبو عبد الرحمن[1] ﴿ وتَخَلَّقُوْنَ إِفْكاً ﴾ والمعنى واحد .

١٢ ـــ وقولُـــه جلَّ وعـــزَّ ﴿ وَمَـــا أَنْتُـــمْ بِمُعْجِزِيـــنَ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ .. ﴾ [آية ٢٢] .

قال محمد بن يزيد[2] : المعنى : ولا مَنْ في السَّماءِ ، و« مَنْ » نكرة ، وأنشد غيرُه :

فَمَـــنْ يَهْجُـــو رسُوْلَ اللهِ مِنكُـــمْ
وَيَمْدحُـــــهُ وَيَـــــــنْصُرُهُ سَوَاءُ[3]

وقال غير أبي العبـاس المعنـى : ومـا أنتم بمعجزيـن في الأرض ، ولو كنتم في السَّماء[4] ، وخُوطِبَ النَّاسُ على ما يَعْرِفون ..

وهذا أولى ، والله أعلم .

---

(١) هذه قراءة أبي عبدالرحمن السُّلَمي وزيد بن علي ، وهي من الشواذِّ كما في المحتسب لابن جني ١٦٠/٢ .

(٢) هو الإمام المبرِّد وكنيته أبو العباس ، وقد تقدمت ترجمته ٥٥/١ .

(٣) البيت لحسان بن ثابت يهجو أبا سفيان كما في ديوانه والبحر ١٤٧/٧ والقرطبي ٣٣٧/١٣ واستشهد به الفراء ٣١٥/٢ .

(٤) هذا أظهر الأقوال في تفسير الآية والمعنى : لا تفوتون من عذاب الله ، وليس لكم مهرب في =

١٣ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ ، فَأَنْجَاهُ اللهُ مِنَ النَّارِ .. ﴾ [آية ٢٤] .

المعنى : فَحَرَّقُوه ، فأنجاهُ اللهُ من النَّار[١] .

ويُروى أنه لم تُحْرِقْ إلاَّ وَثَاقَه[٢] .

١٤ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ، وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي .. ﴾ [آية ٢٦] .

قال الضحاك : إبراهيمُ هَاجَر ، وهو أوَّلُ من هَاجَرَ .

وقال قتادة : هاجر من كُوثَى[٣] إلى الشَّامِ .

١٥ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا .. ﴾ [آية ٢٧] .

= الأرض ولا في السماء . قال القرطبي : المعنى لو كنتم في السماء ما أعجزتم الله كقوله ﴿ ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾ اهـ القرطبي ١٣/٣٣٧ .

(١) في الكلام حذف والتقدير : فألقوه في النار ، فأنجاه الله منها ، بأن جعلها عليه برداً وسلاماً ، كما قال سبحانه ﴿ قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾ .

(٢) الوَثَاقُ : الحبلُ الذي رُبط به ، وهذا مرويٌّ عن قتادة وكعب .. قال المفسرون : « لما أرادوا إحراق إبراهيم ، جمعوا له حطباً مدة شهر ، حتى كانت المرأة تمرضُ فتنذر إن عُوفيت أن تحمل حزمة حطب لحرق إبراهيم ، ثم جعلوه في حفرة في الأرض ، وأضرموها ناراً ، فكان لها لهبٌ عظيم ، حتى إن الطائر ليمرُّ من فوقها ، فيحترق من شدة حرِّها ووهجها ، ثم أوثقوا إبراهيم بحبل ورموه في النار ، فقال اللهُ للنّار ﴿ كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾ ولم تحرق النَّارُ منه إلا وَثَاقَه » اهـ وانظر الطبري ١٧/٤٤ وحاشية الجمل ٣/١٣٥ وصفوة التفاسير ٢/٢٦٨ .

(٣) « كوثى » قرية بسواد العراق في أرض بابل ، وهي القرية التي طرح بها إبراهيم في النار ، كذا في معجم البلدان ٤/٤٨٧ .

رَوَى سفيان عن حُميد بن قَيْسٍ قال : أَمَرَ سعيدُ بن جُبير إنساناً ، أن يسأل عكرمة عن قوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ في الدُّنْيَا ﴾ .

فقال عكرمة : أهلُ المِلَلِ كلّها تَدَّعيه ، وتقول : هو منَّا ، فقال سعيد بن جُبير : صَدَقَ[1] .

وقال قتادة : هو مثلُ قولِهِ تعالى ﴿ **وآتَيْنَاهُ في الدُّنْيَا حَسَنَةً** ﴾[2] .

أي عافيةً وعملاً صالحاً ، وثناءً حسناً وذاك أن أهل كلِّ دينٍ يتولَّونه[3] .

وقيل : ﴿ **وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ في الدُّنْيَا** ﴾ : إن أَكْثَرَ الأنبياءِ من وَلدِهِ[4] .

---

(١) لأثر أخرجه ابن جرير ٢٠/١٤٤ عن مجاهد أنه أرسل رجلاً يُقال له قاسم إلى عكرمة يسأله .. الخ .

(٢) سورة النحل آية رقم ١٢٢ وتمامها ﴿ وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ .

(٣) أي يزعمون انتسابهم إليه ، وأنه على دينهم ، وقد كذبهم الله تعالى بقوله ﴿ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ﴾ .

(٤) هذا قول ضعيف ، لأنه قد ذكر قبله ﴿ وَجَعَلْنَا في ذُرِّيَتِهِ النُّبُوَّةَ والكِتَابَ ﴾ فعلى هذا التفسير يكون في الآية تكرارٌ ، والأظهر ما قاله مجاهد وقتادة وابن عباس : أن الأجر في الدنيا هو الولدُ الصالح ، والثناءُ العاطر ، والذكرُ الحسن كما قال تعالى حكاية عن إبراهيم ﴿ وَاجْعَلْ لي لِسَانَ صِدْقٍ في الآخِرين ﴾ أي ذكراً حسناً وثناءً عاطراً .

١٦ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ مَاسَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [آية ٢٨] .

يُرْوَى أنَّهم أوَّلُ من نَزَا على الرِّجال[١] .

١٧ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ .. ﴾ [آية ٢٩] .

استفهامٌ فيه معنى التوبيخ والتقرير[٢] .

وقوله جل وعز ﴿ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ ﴾ [آية ٢٩] .

قيل : كانوا يتلقَّوْن النَّاس من الطُّرُقِ للفساد .

وقيل : أي تقطعون سَبيلَ الولد[٣] .

١٨ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ .. ﴾ [آية ٢٩] .

---

(١) اللواطة أول ما ظهرت في قوم لوطٍ ، ويدلُّ عليه قوله سبحانه ﴿ ما سَبَقَكُمْ بها من أَحَدٍ مِنَ العَالَمِينَ ﴾ وانظر البحر المحيط ١٤٩/٧ .

(٢) هكذا في المخطوطة « والتقرير » ولعله « والتقريع » كما قال في البحر : استفهامُ إنكارٍ وتوبيخ وتقريع .

(٣) ذكر القرطبي في تفسيره قوله تعالى ﴿ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ ﴾ ثلاثة أقوال : الأول : أنهم كانوا قطَّاع الطريق يسلبون أموال الناس قاله ابن زيد . والثاني : كانوا يأخذون الناس من الطرق لقضاء الفاحشة حكاه الطبري وغيره ، الثالث : قطع النسل بالعدول عن النساء إلى الرجال قاله ابن منبه ، ثم قال : ولعل الجميع كان فيهم ، من سلب الأموال ، وعمل الفاحشة في الرجال ، وقطع النسل بالاستغناء عن النساء . اهـ .

قال مجاهد : النَّادي : المجلسُ[1] ، والمنكرُ : فعلُهم بالرِّجالِ .

قال أبو جعفر : المنكرُ في اللغة : يقعُ على القولِ الفاحش ، وعلى الفعلِ[2] .

حدثنا محمد بنُ إدْريسَ بنِ الأسْودِ ، قال : حدثنا إبراهيمُ بنُ مَرْزوقٍ ، قال : حدثنا عبدُ اللهِ بنُ بكرٍ ، قال : حدثنا حاتم بن أبي صَغِيرة[3] ، عن سِمَاكٍ ، عن أبي صالح — مَوْلَى أمِّ هَانيءٍ[4] ابنةِ أبي طالبٍ — رضي الله عنها — أنها سألتْ رسولَ الله ﷺ قالت : قلتُ يارسولَ الله : أرأيتَ قولَ اللهِ عزَّ وجل ﴿ **وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ** ﴾ ما كان ذلكَ المنكرُ الذي كانوا يأتونه في ناديهم ؟ قال : كانوا يضحكونَ بأهلِ الطريقِ ، ويحذِفُونهم[5] .

---

(١) في المصباح المنير :النادي : مجلس القوم ومتحدثهم ، والنَدِيُّ والمُنْتَدى مثلُه ، ولا يقال له « نادى » إلاَّ والقومُ مجتمعون فيه ، فإذا تفرَّقوا زالت عنه هذه الأسماء . اهـ والأثر أخرجه ابن جرير ٢٠/١٤٦ والسيوطي في الدر ٥/١٤٤ .

(٢) المنكرُ : ضدُّ المعروف ، وهو كلُّ ما استقبحه الشرع وحرَّمه وكرهه ، كذا في لسان العرب مادة نكر .

(٣) حاتم بن أبي صَغِيرة : بفتح الصَّاد وكسر الغَيْن المعجمة ، ثقةٌ من السادسة ، كذا في تقريب التهذيب لابن حجر ١/١٣٧ .

(٤) « أم هانىء » هي أختي علي بن أبي طالب ، واسمها « فاختة » كما في الإصابة ومسند أحمد .

(٥) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٥/١٤٤ والطبري في جامع البيان ٢٠/١٤٥ والقرطبي في جامع أحكام القرآن ١٣/٣٤٢ بألفاظ متقاربة ، وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٦/٢٨٦ وعزاه إلى الإمام أحمد في المسند عن أم هانىء قالت : سألتُ رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ قال : يَحْذِفون أهل الطريق ، ويسخرون منهم ، وذلك المنكر الذي كانوا يأتونه . اهـ وانظر مسند الإمام أحمد ٦/٣٤١ .

قال أبو جعفر : فسمَّى الله جلّ وعزَّ هذا « منكراً » لأنه لا ينبغي للنَّاس أن يتعاشَرُوا به[1] .

وحدثنا أسامةُ بن أحمد قال : حدثنا عبد الرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم ، عن يزيد بن بُكير ، عن القاسم بن محمد[2] في قوله تعالى ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ قال : كانوا يتفاعلون[3] في مجالسهم ، يَفعل بعضُهم على بعضٍ .

قال أبو جعفر : قالها الشيخ بالضَّادِ والطَّاء[4] .

---

(١) أي لا ينبغي أن يفعلوا مثله في مخالطتهم وعِشرتهم ، لأنه مما يُخلّ بالمروءة .

(٢) هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وانظر الدر المنثور الجزء الخامس صفحة (١٤٤) .

(٣) أتى المصنف رحمه الله بالعبارة كناية ، ولم يذكر اللفظ الصريح فقال : « يتفاعلون » وهذا من الآداب الإسلامية ، أن يكنى الإنسان عن الألفاظ القبيحة ، وأصل العبارة : « كانوا يتضارطون في مجالسهم يضرط بعضهم على بعض » ولهذا قال النحاس : قالها الشيخ يعني « القاسم بن محمد » بالضَّاد والطاء أي باللفظ الصريح ، ومما يؤيد هذا الذي ذكرناه ماجاء عن عائشة قالت : هو « الضراط » وذكره ابن جرير صراحة في تفسيره ١٤٤/٢٠ فقال : اختلف أهل التأويل في المنكر الذي عناه الله الذي كان هؤلاء القوم يأتونه في ناديهم ، فقال بعضهم : كانوا يتضارطون في مجلسهم ، وذكره كذلك القرطبي وصاحب البحر ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٤٤/٥ وقال أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم ولفظه قال القاسم : كانوا يتضارطون في مجالسهم ، يضرط بعضهم على بعض ، والنادي هو المجلسُ .. وروى ابن جرير عن مجاهد قال : كان يجامع بعضهم بعضاً في المجالس . اهـ أقول : هذه جريمةٌ أخرى تنضمُّ إلى قبائحهم وشنائعهم، أي يتعاطون اللواطة أمام أبصار الناظرين ، دون خجلٍ أو حياء ، وهذا منتهى الخسَّة والقذارة كما نسمع اليوم في بعض البلاد الأوربية من تعاطي الزنى واللواط علناً في أماكن معينة أمام سمع الناس وبصرهم ، وكأن البشر انقلبوا إلى خنازير وحمير ، في هذا العصر المتمدن !!

(٤) أي قالها صراحةً لا كناية « يتضارطون » .

١٩ ــ **وقولُه عز وجل ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطَاً قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا .. ﴾** [آية ٣٢] .

رَوَى أبو نَصْرٍ ، عن عبدالرحمن بن سَمُرة ، قال : قال إبراهيم ﷺ للملائكة : إن كان فيهم مائةٌ يَكْرَهونَ هَذَا أَتُهلكونهم ؟

قالوا : لا .

قال : فإن كان فيهم تسعون ؟ قالوا : لا .

إلى أن بلغ إلى عشرين[١] **﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوْطَاً ﴾** قالت الملائكةُ صلَّى الله عليهم **﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا ﴾** قال عبدالرحمن : وكانوا أربعمائة ألف[٢] .

٢٠ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطَاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعَاً .. ﴾** [آية ٣٣] .

قال قتادة : أى سَاءَ ظَنُّه بقومه ، وضَاقَ ذَرْعُه بضَيْفِهِ[٣] .

---

(١) وفي رواية الطبري ١٢/٨٠ فمازال يتنزَّل معهم حتى قال : أفرأيتم إن كان فيها رجلاً واحداً مسلماً أتهلكونهم ؟ قالوا : لا ، فقال لهم عند ذلك « إن فيها لوطاً » قاله على سبيل الإشفاق على لوط .

(٢) أي كان قوم لوط الذين أُهلكوا أربعمائة ألف ، دمَّرهم الله وقَلَب بهم ديارهم ، قال ابن كثير : وذلك أن جبريل اقتلع قراهم من قرار الأرض ، ثم رفعها إلى عنان السماء ، ثم قلبها عليهم ، وأرسل الله عليهم حجارة من سجيل منضود ، وجعل مكانها بُحَيرةً خبيثة منتنة . اهـ ابن كثير ٢٨٧/٦ .

(٣) في المصباح المنير : وضاق بالأمر درعاً : عجز عن احتماله وذرعُ الإنسان طاقته . اهـ .

قال أبو جعفر: يُقال : ضِقْتُ به ذَرْعَاً أي لم أُطِقْه مشتقٌّ من الذِّراع ، لأن القوَّة فيه .

٢١ ــ **وقوله جلَّ وعز :** ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُوْنَ ﴾ [آية ٣٥] .

قال مجاهد : ﴿ آيةً بيِّنةً ﴾ : أي عِبْرَةً .

وقال قتادة : هي الحجَارةُ التي أُبْقيتْ[١] .

وقال غيره : يُرْجَمُ بها قومٌ من هذه الأمة .

٢٢ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبَاً .. ﴾ [آية ٣٦] .

قال قتادة : أُرسِلَ شعيبٌ ﷺ مرَّتين إلى أُمَّتَيْن : إلى أهلِ مدينَ ، وإلى أصحاب الأيكة[٢] .

---

(١) الأظهر قول ابن عباس : أنها آثار منازلهم الخربة ، كما قال تعالى ﴿ وإنكم لتمرُّونَ عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون ﴾ ؟

(٢) ذكر هذا الأثر ابن جرير في تفسيره ١١٠/١٩ والقرطبي ١٣٥/١٣ وإلى هذا القول ذهب بعض المفسرين ، والتحقيق أن أهل مدين وأصحاب الأيكة أمةٌ واحدة ، بُعث إليهم « شعيبُ » عليه السلام ، لأن قصتهم واحدة ، وقد اشتهروا بتطفيف المكيال والميزان ، وقد أهلكهم الله بالرجفة ، والصيحة والظُّلَّة ، وإلى هذا ذهب الحافظ ابن كثير فقد قال رحمه الله ١٦٨/٦ : « أصحاب الأيكةِ » هم أهل مدين على الصحيح ، والأيكةُ شجر ملتفّ وإنما لم يقل في سورة الشعراء ﴿ أخوهم شعيب ﴾ لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة ، فقطع نسبة الأُخُوَّة بينهم ، للمعنى الذي نُسبوا إليه ، وإن كان أخاهم نسباً كما قال هنا ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً ﴾ ومن الناس من لم يتفطَّن لهذه النكتة ، فظَنَّ أن أصحاب الأيكة غير أهل مدينَ ، وزعم أن شعيباً بعثَهُ اللهُ إلى أمتين ، والصحيحُ أنهم أمة واحدة . اهـ .

٢٣ ـــ **وقولُه عزَّ وجل** ﴿ وَعَادَاً وثَمُوْدَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ .. ﴾ [آية ٣٨] .

أي وأهلكنا عاداً ، وثمود [١] .

وقيل : التقديرُ : واذكرْ عادَاً وثمودَ .

٢٤ ـــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ وَكَانُوْا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ [آية ٣٨] .

قال مجاهد : أي في الضلالة[٢] .

وقال قتادة : أي معجبين بضلالتهم[٣] .

وقيل : ﴿ وَكَانُوْا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ أي قد علموا أنهم مُعَذَّبون[٤] ، وقد فَعَلُوا ما فَعَلُوا .

---

(١) ﴿ وَعَاداً وثَمودَ ﴾ منصوب بإضمار فعل دلَّ عليه المقام أي أهلكناهم فإنَّ قوله ﴿ فأخذتهم الرجفة ﴾ في معنى أهلكناهم ، أي فكما أهلكنا قبلهم المكذبين « أهل مدين » أهلكنا عاداً وثمود ، وهذا هو الأرجحُ والله أعلم ، وفي المخطوطة « وثموداً » وصوابه : وثمودَ .

(١ ـ ٢) انظر الدر ١٤٥/٥ وهذا ما اختاره ابن جرير في تفسيره ١٥٠/٢٠ حيث قال المعنى : وكانوا مستبصرين في ضلالتهم ، معجبين بها ، يحسبون أنهم على هدى وصواب ، وهم على الضلال . اهـ أقول : هذا القول ضعيفٌ . والأظهر أنَّ المعنى : إنهم كانوا عقلاء متمكنين من النظر والاستدلال ، ولكنهم لم يفعلوا تكبراً وعناداً ، وهو ما رجَّحه القرطبي حيث قال ﴿ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ فيه قولان : أحدهما : وكانوا مستبصرين في الضلالة قاله مجاهد ، والثاني : كانوا مستبصرين قد عرفوا الحقَّ من الباطل بظهور البراهين ، وهذا القولُ أشبهُ ، لأنه إنما يُقال فلانٌ مستبصرٌ إذا عَرَفَ الشيء على الحقيقة ، قال الفراء : ٣١٧/٢ : كانوا عقلاء ذوي بصائر ، فلم تنفعهم بصائرهم . اهـ جامع أحكام القرآن للقرطبي ٣٤٤/١٣ .

(٤) في المخطوطة « معذبين » وهو خطأ ، والصواب ما اثبتناه لأنه خبر « أنَّ » .

٢٥ ــ وقولُه عز وجل : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ..﴾ [آية ٤٠] .

أي حَصَباً وهي الحجارةُ ، وهم قومُ لوطٍ .

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ ﴾ هم ثمودُ ، وأهلُ مدين .

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ ﴾ قارونُ ، وأصحابُه .

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ﴾ قومُ نوح ، وفرعونُ وأصحابُه[٣] .

٢٦ ــ ثم أخبر تعالى أنه لم يظلمهم في ذلك فقال : ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [آية ٤٠] .

٢٧ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً ..﴾ [آية ٤١] .

قال قتادة : هذا مثلٌ ضَرَبه اللهُ عزَّ وجلَّ ، أي إنه لا ينفع لضعفِه ، كما أنَّ بيتَ العنكبوتِ لاينفعُ ولا يَقِي[١] .

---

(١) في الكشاف ١٥٨/٢ : الحاصبُ لقوم لوطٍ ، وهي ريح عاصف فيها حصباء ــ أي حجارة ــ والصيحةُ لَمَدْيَن وثمود ، والخسفُ لقارون ، والغرقُ لقوم نوح وفرعون . اهـ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٥٣/٢٠ والسيوطي في الدر ١٤٥/٥ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وهو مثلٌ في غاية الوضوح والجلاء ، مثَّل به للكفار في عبادتهم الأصنام واعتقادهم بنفعها ، بالعنكبوت التي تجتهد لتبنِيَ لها بيتاً ، وأمرُها في غاية الوهن والضعف . قال الفراء ٣١٧/٢ : هو مثلٌ ضربه الله سبحانه لمن اتخذ من دونه آلهة ، لا تنفعه ولا تضرُّه ، كما أنَّ بيت العنكبوت ، لايقيها حراً ولا برداً . اهـ .

٢٨ ــ ثم قال جلّ وعز ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [آية ٤١] .

﴿ لَوْ ﴾ متعلقةٌ بقوله ﴿ مَثَلُ الَّذينَ اتَّخذوا من دونِ اللهِ أَوْلياءَ كَمَثَلِ العنكَبُوتِ ﴾ لو كانوا يعلمون أن أولياءهم لا يُغْنون عنهم شيئاً ، وأنَّ هذا مَثَلُهم[١] .

٢٩ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ..﴾ [آية ٤٥] .

رَوَى يونس عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ : « مَن لم تَنْهَهُ صَلَاتُه عن الفَحْشَاءِ والمُنْكرِ لم يَزْدَد بِهَا من اللهِ إلاَّ بُعْدَاً »[٢] .

ورَوَى عليُّ بن طلحة عن ابن عباس قال : في الصلاة منتهىً ، ومزدجرٌ عن المعاصي[٣] .

---

(١) قال في البحر ١٥٢/٧ : ﴿ لو كانُوا يعلمون ﴾ ليس مرتبطاً بقوله ﴿ وإنَّ أَوْهَنَ البيوتِ لبيتُ العنكبوتِ ﴾ لأن كل أحدٍ يعلم ذلك ، وإنما المعنى : لو كانوا يعلمــون أن أمر دينهم ، بالغٌ من الوهنِ هذه الغاية ، وأن هذا مَثَلُهم ، لأقلعوا عنه ، وما اتخذوا الأصنام آلهة . اهـ . وهـذا أوضح ممَّا ذكره المصنف .

(٢) الحديث أخرجه الطبراني وابن أبي حاتم مرفوعاً ، والصحيح فيه أنه موقوف من قول الصحابي ، كما ذكره الحافظ ابن كثير ، وفي إسناده مقال ، قال ابن عطية سمعت أبي يقول : إذا نظرنا إلى المعنى فغير جائز أن يُقال : إنَّ نفس صلاة العاصي تُبعِدُه من الله ، حتى كأنها معصية ، وإنما المعنى : أنها لا تؤثِّر في تقريبه من اللهِ ، بل تتركه على حاله ومعاصيه ، من الفحشاءِ والمنكر والبعد . وقيل لابن مسعود : إن فلاناً كثير الصلاة ، فقال : إنَّها لاتنفع إلاَّ من أطاعها ، وبالجملة فإن مرتكب المعاصي لا قيمة لصلاته إذا لم تكفَّه عن محارم الله اهـ . القرطبي ٣٤٨/١٣ .

(٣) ذكر هذا الأثر عن ابن عباس الطبري في تفسيره ١٥٥/٢٠ والسيوطي في الدر المنثور ١٤٥/٥=

قال أبو جعفر : قيل معنى هذا : إنَّ العبد مادام في الصلاة ، فليس في فحشاء ، ولا منكر[1] .

٣٠ ــ **ثم قال جلَّ وعز** : ﴿ **وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ ، وَاللهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُونَ** ﴾ [آية ٤٥] .

رَوَى سفيانُ عن ابنِ مسعودٍ ، ورَوَى عن سَلْمانَ ، وسعيد بن جُبيرٍ ، عن ابن عباس في قوله جلَّ وعز ﴿ **وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ** ﴾ قالوا : ذكرُ اللهِ إيَّاكم ، أكبرُ من ذكرِكُمْ إيَّاه[2] .

زاد ابنُ عبَّاسٍ : إذا ذكرتموه بعد قوله « إيَّاكم »[3] .

= وأخرج عن أبي العالية قال : الصلاة فيها ثلاث خلالٍ : الإخلاصُ ، والخشيةُ ، وذكرُ اللهِ ، فكلُّ صلاةٍ ليس فيها هذه الخِلالُ فليست بصلاة .

(١) هذا قول « أبي عون الأنصاري » وهو ما اختاره ابن جرير في تخريج معنى الحديث ورجحه في تفسيره اهـ وفي ترجيحه نظرٌ ، والأولى أن يقال : إن الصلاة من شأنها إذا أُدِّيت على الوجه الكامل من فروضها ، وسننها ، وخشوعها ، وآدابها . والتدبر لما يتلوه فيها من آيات الذكر الحكيم ، من شأنها أن تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وكيف لا تنهى ؟ونحن نرى أن من لبس ثوباً فاخراً ، فإنه يتجنَّب مباشرة القاذورات ، فمن لبس لباس التقوى كيف لايتجنب الفواحش ؟ ويؤيد هذا المعنى ما رواه أحمد في المسند قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إن فلاناً يصلي بالليل ، فإذا أصبح سرق ، قال سينهاه ما يقول » اهـ . مسند أحمد ٤٤٧/٢ .

(٢) ذكر هذا الأثر الطبري في تفسيره ، وابن كثير ، والسيوطي في الدر ولفظه ١٤٦/٥ : قال ابن عباس : « ولذكرُ اللهِ لعباده إذا ذكروه ، أكبرُ من ذكرهم إياه » اهـ .

(٣) مراد المصنف أن ابن عباس قال : ذكرُ اللهِ إيَّاكم إذا ذكرتموه ، أكبرُ من ذكركم إيَّاه ، فزاد ابن عباس على الرواية السابقة جملة « إذا ذكرتموه » بعد كلمة « إيَّاكم » وما قاله ابن عباس هو قول مجاهد وعكرمة ، ورجحه ابن جرير الطبري ، ،وهو قول وجيهٌ مقبول ، والأظهر منه ما قاله بعض=

٣١ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ [آية ٤٦] .

رَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : من قاتَلَك ، ولم يُعْطِكَ الجزيةَ ، فقاتلْهُ بالسَّيف[١] .

ورَوَى مَعْمرٌ عن قتادة قال : هي منسوخة[٢] ، نَسَخَها ﴿ فَاقْتُلُوا الـمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ ولا مجادلةَ أشدُّ من السَّيف

قال أبو جعفر : قولُ قتادَة أولى بالصواب لأنَّ السورة مكيَّةٌ

= المفسرين أن المعنى : ولذكرُ الله أكبر من كل شيءٍ في الدنيا ، وهو أن يتذكر العبدُ عظمةَ الله وجلالَهُ ، وعلُّو شأنه ، ويذكره في صلاته وبيعه وشرائه ، وسائر أمور حياته ، فيفزع من عقابه ، ولا يغفل عنه في جميع شئونه ، فهذا أعظم القربات ، ويدلُّ عليه قوله تعالى ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ وهذا اختيار ابن عطية ، كما في المحرر الوجيز ١١/٤٠٠ .

(١) قال القرطبي ١٣/٣٥٠ : اختلف العلماء في قوله تعالى ﴿ ولاتجادلوا أهلَ الكتابِ ﴾ فقال مجاهد : هي محكمة فيجوز مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن ، على معنى الدعاء لهم إلى الله عز وجل ، والتنبيه على حججه وآياته ، رجاء إجابتهم إلى الإيمان ، لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة ، وقوله ﴿ إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ أي ظلموكم ، وإلا فكلهم ظلمة على الإطلاق . اهـ .

(٢) قول قتادة إنها منسوخة فيه نظر ، وما قاله مجاهد أظهر وأوضح وقد قال الطبري ٢١/٢ : « وأولى الأقوال بالصواب قول من قال ﴿ إلا الذين ظلموا منهم ﴾ أي امتنعوا من أداء الجزية ، ونصبوا دونها الحرب ، ثم قال : ولا يجوز أن يُحكم على حكم الله في كتابه بأنه منسوخ ، إلا بحجة يجب التسليم لها من خبرٍ أو عقل . اهـ وقال القرطبي : قول مجاهد حسنٌ ، لأن أحكام الله عز وجل لايُقال إنها منسوخة إلا بخبر يقطع العذر ، أو حُجَّةٍ من معقول ، واختار هذا القول ابن العربي . اهـ فما رجحه الإمام النحاس من القول بالنسخ غير سليم والله أعلم .

وإنما أُمِرَ بالقتال بعد الهجرة ، وأُمِرَ بأخذ الجزية بعد ذلك بمدةٍ طويلة ، وأيضاً فإنه قال ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ .

٣٢ ـ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ .. ﴾ [آية ٤٦] .

رَوَى سُفْيانُ عن سَعْدِ بنِ إبراهيمَ ، عن عَطَاءِ بنِ يَسَارٍ قال : « كان قومٌ من اليهودِ يَجْلسون مع المسلمينَ فيحدِّثونهم ، فأخبروا بذلك النبيَّ ﷺ فقال لهم : لا تصدِّقوهم ولا تكذِّبوهم **﴿ وقُوْلُوْا آمَنَّا بالَّذي أُنْزِلَ إلَيْنَا وأُنْزِلَ إلَيْكُمْ ﴾**(١) إلى آخر الآية » .

٣٣ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ .. ﴾ [آية ٤٨] .

وكذا صفتُه صلَّى الله عليه وسلم في التَّوْراة(٢) .

---

(١) رواه البخاري في كتاب الاعتصام ١٣٦/٩ وكتاب التفسير ٢٥/٦ ولفظه : عن أبي هريرة قال : « كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ، ويفسِّرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : لاتصدِّقوا أهلَ الكتابِ ولا تكذِّبوهم ﴿ وقولوا آمنا باللهِ وما أُنزل إلينا وما أُنزل إليكم .. ﴾ الآية .

(٢) أي هو ﷺ أميٌّ لايقرأ ولا يكتُب ، كما قال سبحانه ﴿ الَّذِين يَتَّبِعُوْنَ الرَّسُوْلَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذي يَجِدُوْنَهُ مَكْتوباً عِنْدَهُمْ في التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ .. ﴾ سورة الأعراف آية ١٥٧ .

ثم قال تعالى ﴿ إِذاً لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [آية ٤٨] .

قال مجاهد : قريشٌ[١] .

٣٤ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ..﴾ [آية ٤٩] .

في معناه ثلاثة أقوال :

أ ــ **قال الحسن** : بل القرآنُ آياتٌ بيناتٌ في صُدُورِ المؤمنين[٢] .

ب ــ **وقال قتادة** : بل النبيُّ ﷺ آيةٌ بيِّنة ، كذا قرأ قتادة « فِي صُدُوْرِ الَّذِينَ أُوْتُوْا العِلْمَ ، من أهل الكتاب»[٣] .

جـ ــ **وقال الضحاك** : كانت صفةُ النبي ﷺ أنه لايكتب بيمينِهِ ، ولا يتلو كتاباً ، فذلك آيةٌ بيِّنةٌ[٤] .

---

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدُرِّ ١٤٨/٥ قال مجاهدٌ : هم كفَّارُ قريش . وقال قتادة : هم أهل الكتاب ، وانظر البحر ١٥٥/٧ . وقول مجاهد أظهر ، وهو اختيار الطبري ٥/٢١ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري في تفسيره ٦/٢١ ثم رجح قول قتادة فقال : ﴿ بل هو آياتٌ بيِّناتٌ ﴾ أي بل محمد آياتٌ بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب ، يجدونه مكتوباً في كتبهم بهذه الصفة ، أنه أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب . اهـ أقول : ما ذكره الحسن هو الأظهر ، لأن الحديث عن القرآن ، وحفظته من أمة محمد ﷺ وهو اختيار الحافظ ابن كثير ٢٩٦/٦ .

(٣) هذه القراءةُ محمولة على التفسير ، لا على أنها قراءة واردة عن المعصوم ﷺ .

(٤) عبارة القرطبي ٥/٢١ : وقال الضحاك : كان نبيُّ الله لا يقرأ ولا يكتب ، وكذلك جعل الله نعته =

٣٥ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ..﴾ [آية ٥١] .

رَوَى ابن عُيَيْنَةَ عن عَمْرو بنِ دينار عن يحيى بن جعدة قال : « أُتِيَ النبيُّ ﷺ بِكَتِفٍ فيها كتابٌ ، فقال : كَفَى بقومٍ حُمْقاً أو ضلالةً ، أن يرغبوا عن نبيِّهم إلى نبيٍّ غيره ، أو إلى كتابٍ غير كتابهم » فأنزل الله جلَّ وعز ﴿ **أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ..** ﴾[1] الآية .

٣٦ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوْا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ [آية ٥٦] .

قال سعيدُ بن جبير : إذا أُمرتم بالمعاصي فاهْرُبوا[2] .

وقال عطاء : إذا رأيتم المعاصي فاهْرُبوا[3] .

= في التوراة والإنجيل ، أنه نبيٌّ أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب ، وهي الآية البينة في صدور الذين أوتوا العلم .

(١) الحديث أخرجه الدارمي في مسنده ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، عن يحيى بن جَعْدة ، ولفظه : « جاء ناس من المسلمين بكتف ، قد كتبوا فيها بعض ما سمعوه من اليهود ، فقال رسول الله ﷺ كفى بقوم حُمْقاً أو ضلالةً ، أن يرغبوا عما جاء به نبيُّهم إليهم ، إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم » فنزلت ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ ﴾ الآية ، وانظر روح المعاني ٦/٢١ والدر ١٤٨/٥ والقرطبي ٣٥٥/١٣ وقال القرطبي : وفي مثله قال ﷺ : « لو كان موسى بن عِمْرانَ حيّاً ، لَمَا وسِعَهُ إلاّ اتّباعِي » .

(٢) و (٣) انظر الدر المنثور ١٤٩/٥ والطبري ٩/٢١ قال ابن جرير : والمعنى : لم تضقْ عليكم الأرضُ ، فتقيموا بموضعٍ لا يحلُّ لكم المُقَام فيه ، ولكنْ إذا عُمِلَ بمكان منها بمعاصي اللهِ ، فلم تقدروا على تغييره ، فاهربوا منه . اهـ .

وقال **مجاهد** : هاجِرُوا واعتزلوا الأَوْثانَ[1] .

قال أبو جعفر : القولانِ يرجعان إلى شيءٍ واحد ، فقولُ مجاهدٍ أنهم أُمروا بالهجرة ، ومجانبةِ أصحاب الأوْثانِ ، وقال العلماء : كذلك إذا لم يقدرْ أن يأمرَ بالمعروفِ ، وينهى عن المنكر ، خَرَجَ وكان حكمُهُ حكمَ أولئك .

وقيل : أي إنَّ أرض الجنَّة واسعة فاعبدوني حتى أعطيكموها[2] .

٣٧ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الجَنَّةِ غُرَفاً .. ﴾ [آية ٥٨] .

أي لنُنْزِلَنَّهم .

ومعنى ﴿ **لَنُثْوِيَنَّهم** ﴾[3] : لنُعْطِيَنَّهم منازلَ يَثْوُونَ فيها ، يُقال : ثَوَى : إذا أَقَامَ .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١ط/٩ والسيوطي في الدر ١٤٩/٥ عن مجاهد بلفظ « هَاجِرُوا وجَاهِدوا » وقال في البحر ١٥٧/٧ : أكثر المفسرين أن الآية نزلت فيمن كان مقيماً بمكة ، أُمروا بالهجرة عنها إلى المدينة المنورة ، أي جانِبُوا أهلَ الشِّرْكِ ، واطلبوا أهلَ الإيمان . اهـ .

(٢) ذكر هذا القول الألوسي ، والقرطبي ، والبحر المحيط وفي تفسير الألوسي ١٠/٢١ ذكر أنه قول الجُبَّائي ، فقال : إن الآية وعدٌ من الله عزَّ وجل بإدخال الجنة ، لمن أخلص له سبحانه العبادة ، قال : وفسر الأرض بأرض الجنة ، والمعوَّل عليه أنها أرض الدنيا . اهـ أقول : الجُبَّائي هو محمد بن عبدالوهاب الجبائي المولود سنة ٢٣٥ وله كتاب التفسير ، وهو من علماء المعتزلة ولذلك لم يذكر المفسرون اسمه توفي سنة ٣٠٣ وانظر الأنساب للمسعاني ١٨٦/٣ .

(٣) هذا التفسير على قراءة من قرأ بالثاء ﴿ لنُثْوِيَنَّهم ﴾ وهي قراءة الأعمش . وحمزة والكسائي ذكرها =

٣٨ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا .. ﴾ [آية ٦٠] .

قال مجاهد : الطيرُ والبهائمُ لا تحمل رزقها .

وروَى الحُمَيْديُّ عن سُفْيانَ : ﴿ لَا تَحْمِلُ ﴾ لا تُخبِّىء ، قال : وليس شئٌ يَدَّخِرُ إلاَّ الإنسانُ ، والنَّملةُ ، والفأرةُ[١] .

قال أبو جعفر : ﴿ دَابَّة ﴾ تقع لكل الحيوان ، ممَّا يَعْقِل ولا يَعْقِلُ ، إلاَّ أنَّ معناه ههنا : الخُصُوصُ ، أي وكم من دابَّةٍ عاجزةٍ ، اللهُ يرزقُها وإيَّاكم .

= القرطبي ٣٥٩/١٣ وهي من القراءات السبع كما في النشر ٣٤٤/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٥٠٢ .

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ١٤٩/٥ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٢) الأثر ذكره أبو حيان في البحر المحيط ١٥٨/٧ والألوسي في روح المعاني ١١/٢١ والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٣٦٠/١٣ ونسبه إلى ابن عباس فقال : قال ابن عباس : الدوابُّ هو كل مادبَّ من الحيوان ، فكلُّه لايحملُ رزقه و لا يدَّخر إلا ابنَ آدم ، والنمل ، والفأر . اهـ وسفيان الذي ذكره المصنّف هو « سفيانُ بن عُيَيْنة » وليس سفيان الثوري .

وقد أورد الحافظ ابن كثير حديثاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال لابن عمر « كيف بك يا ابن عمر إذا بقيتَ في قوم يخبئون رزق سنتهم ، بِضَعْفِ اليقين » !! وأشار القرطبي إلى ضعفه ، قال القرطبي ٣٦٠/١٣ : وهذا ضعيف يضعفه أنه عليه السلام كان يدَّخر لأهله قوتَ سنتهم ، اتفق البخاري عليه ومسلم ، وكان الصحابة يفعلون ذلك ، وهم القدوة وأهل اليقين ، والأئمة لمن بعدهم من المتقين المتوكلين .

٣٩ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ .. ﴾ [آية ٦٤] .

قال **مجاهد** : لا موت فيها[1] .

وقال **قتادة** : الحَيَوانُ : الحياةُ[2] .

قال **أبو جعفر** : يُقال : حَيَوانٌ ، وحَياةٌ ، وحِيٌّ ، كما قال :

« وقد تَرَى إذِ الحَيَاةُ حِيٌّ »[3]

٤٠ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [آية ٦٥] .

أي فإِذَا أصابتهم شدَّة ، دعَوا الله وحده ، وتركوا ما يعبدون من دونه .

وقوله جلَّ وعز ﴿ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى البَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [آية ٦٥] .

أي يدعون معه غيره[4] .

(١ ــ ٢) الحيوان في الآية هنا بمعنى الحياة الباقية الدائمة ، التي لاموت فيها ولازوال ولا كدر ، كما قال مجاهد ، وقتادة ، وانظر الدر المنثور ١٤٩/٥ .

(٣) هذا شطر من الرَّجَز للعجاج وتمامه :

وقد تَرَى إذِ الحياةُ حِيُّ وإذْ زمانُ النَّاس دَغْفليُّ

وهو في ديوانه ص٦٧ واللسان ، ومجاز القرآن ١١٧/٢ والقرطبي ٣٦٢/١٣ وشواهد المغني ص ١٨ .

(٤) قال الطبري ١٣/٢١ : المعنى : إذا ركب هؤلاء المشركون السفينة في البحر ، فخافوا الغرق ، =

٤١ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُـمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [آية ٦٦] .

﴿ **وَلِيَتَمَتَّعُوا** ﴾ على التهديد ، وكسرِ اللام[1] .

٤٢ ــ وقولـه جل وعـزَّ ﴿ وَالَّذِيـنَ جَاهَـدُوا فِينَـا لَنَهْدِيَنَّهُـمْ سُبُلَنَـــا .. ﴾ [آية ٦٩] .

أي لَنزِيدنَّهم هُدَىً .

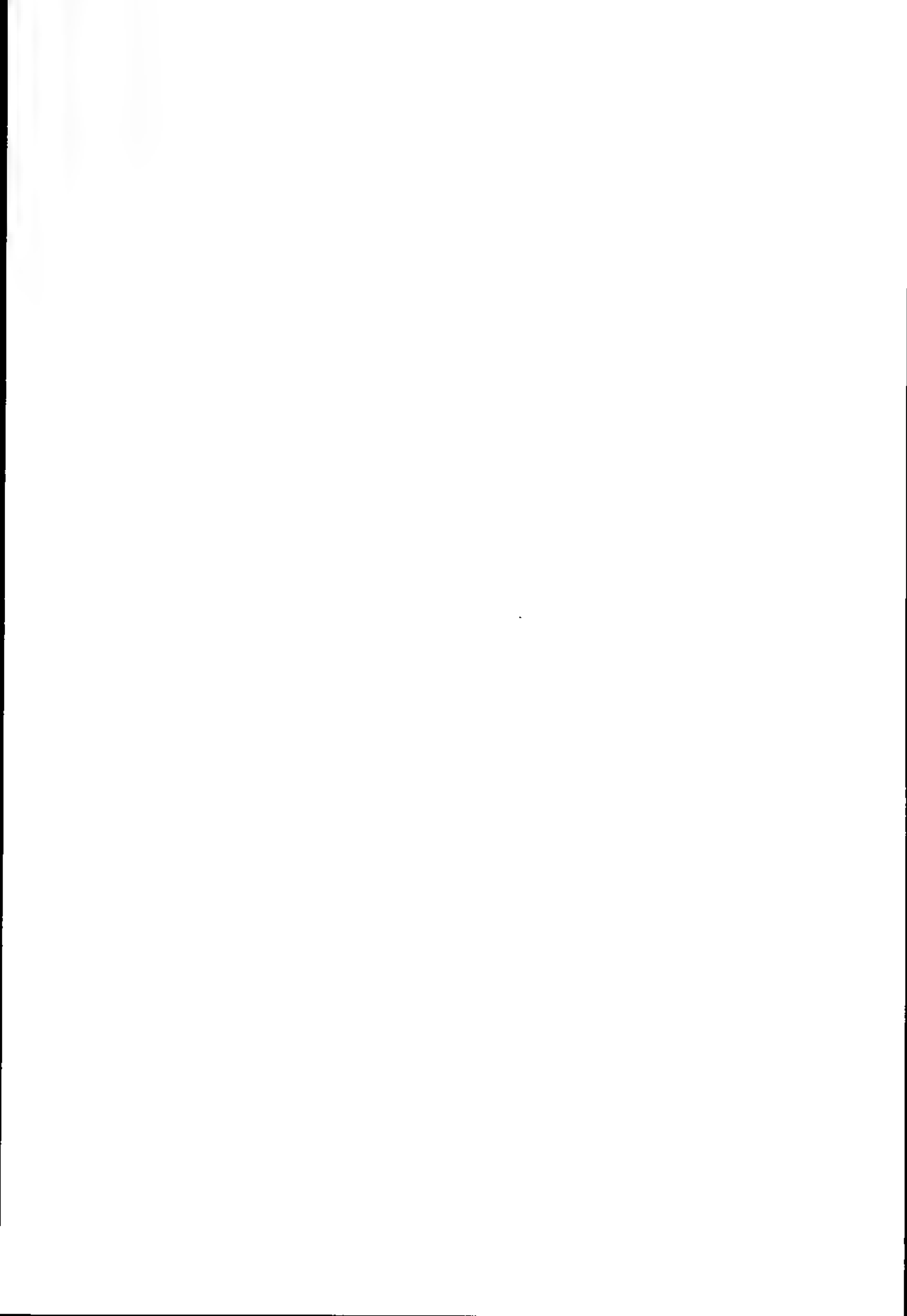
٤٣ ــ ثم أخبرنا جلَّ وعز أنه يَنْصُرهم فقال ﴿ وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِيـنَ ﴾ [آية ٦٩] .

تمت سورة العنكبوت

* * *

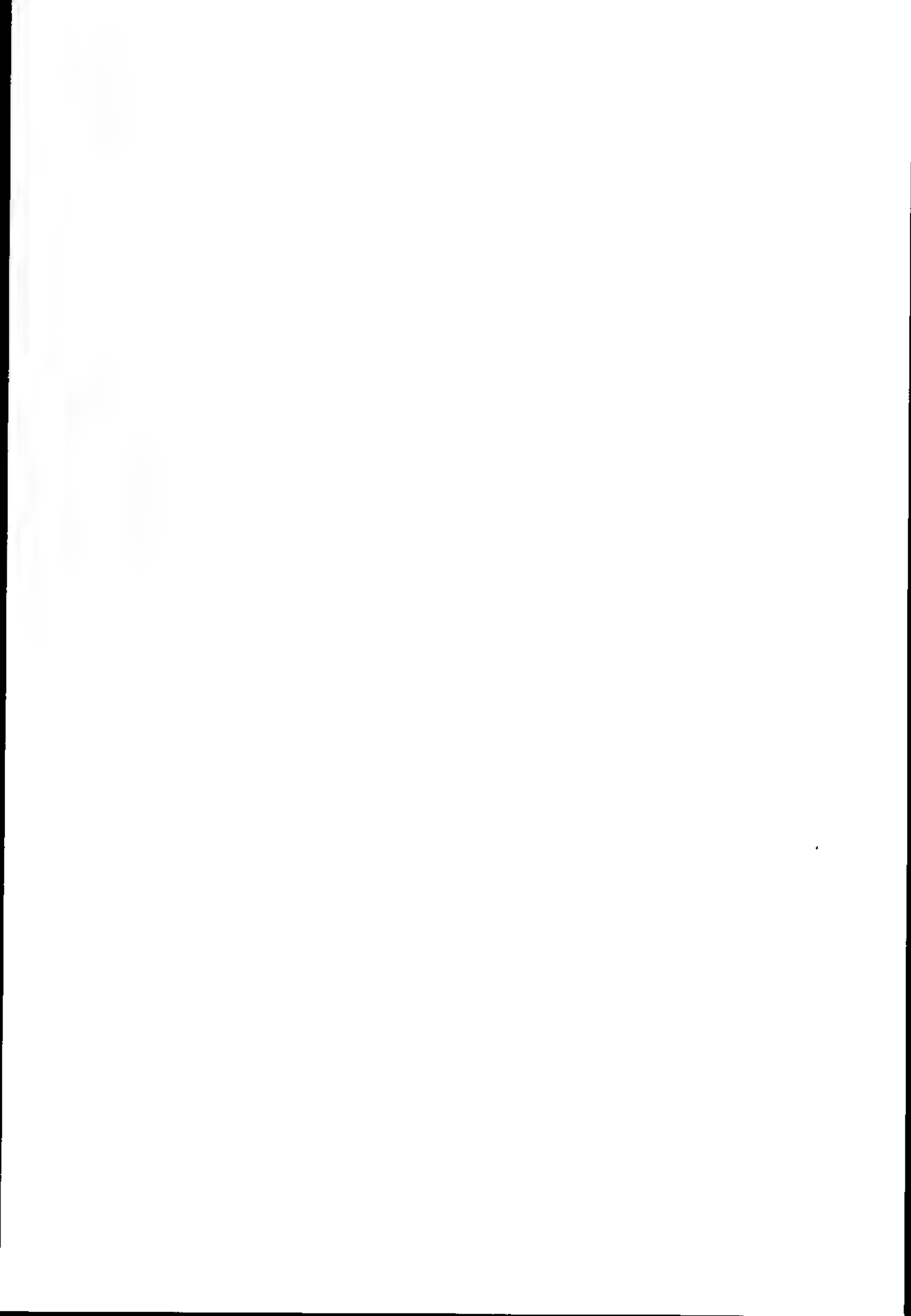
= والهلاك فيه ، أخلصوا للّهِ التوحيد عند الشدة التي نزلت بهم ، ولم يستغيثوا بآلهتهم وأندادهم ، فلما خلَّصهم وسلَّمهم ممَّا كانوا فيه فصاروا إلى البر ، إذا هم يجعلون مع الله شريكاً ، ويدعون الأوثان معه أرباباً . اهـ .

(١) قوله بكسر الَّلام «وَلِيَتَمَتَّعُوا» يريد أن اللَّامَ لامُ « كَيْ » أي يشركون كي يتمتعوا بهـذه الدنيا الفانية ويتلذذوا بنعيمها العاجل ، وعبارة المصنف في كتابه إعراب القرآن أوضحُ وأصرح فقد قال ما نصّه : اللام لامُ كَيْ ، ويجوز أن تكون لام أمر ، لأن أصل لام الأمر الكسرُ ، إلا أنه أمرٌ فيه معنى التهديد ، ومن قرأ « وَلْيَتَمتَّعُوا» بإسكان اللام لم يجعلها لام كَيْ ، لأن لام « كَيْ » لايجوز إسكانها . اهـ إعراب القرآن للنحاس ٥٧٤/٢ وقال القرطبي : المعني : ليكون ثمرةُ شركهم أن يجحدوا نعم الله ويتمتعوا بالدنيا ، وقيل : هما لام أمر معناه التهديد والوعيد ، أي اكفروا بما أعطيناكم من النعمة والنجاة من البحر وتمتعوا ، ويؤيده قراءة نافع وحمزة « ولْيتمتعوا » بجزم اللام . اهـ .



تفسير سورة الرّوم

مكية وآياتها ٦٠ آيـــة



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الروم وهي مكية[1]

١ ــ **من ذلك قوله جلَّ وعز : ﴿ آلـمَ . غُلِبَتِ الـرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ .. ﴾** [آية ٢] .

قال مجاهد : هي الجزيرةُ كانت أقرب أرض الروم إلى فارس[2] .

حدثنا محمدُ بنُ سَلَمة الأَسْوانُي ، قال حدثنا محمد بن سنجر ، قال حدثنا معاوية بن عمرو ، قال حدثنا أبو إسحق الفزاريُّ ، عن سفيان الثوريّ ، عن حبيبِ بنِ أبي عَمْرة ، عن سَعيد بن جُبَيْر ، عن

(١) قال في البحر ١٦٠/٧ : هذه السورة مكية بلا خلاف . وقال ابن الجوزي ٢٨٦/٦ : مكية كلها بإجماعهم .

(٢) سبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسرون ، أنه كان بين فارس والروم حربٌ ، وكان المشركوَن يودُّون أن تَغْلِبَ فارسُ الرومَ ، لأن فارس كانوا مجوساً ، والمسلمونَ يودُّون غَلَبَةَ الرُّوم على فَارسَ ، لأنَّ الرومَ أهلُ كتابٍ ، وأهلُ الكتاب أقربُ إلى المسلمين من المجوس . فلما انتصر المجوسُ على الروم ، حزن المسلمون وتأثروا ، وفرح المشركون وقالوا للمسلمين : إنكم أهل كتاب ، والروُم أهل كتابٍ ، وقد ظهر إخوانُنا على إخوانكم ، فَلَنظهرنَّ عليكم ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : لا يقرُّ الله أعينكم ، فأنزل الله هذه الآية ﴿ آلـمَ غُلِبَت الرُّوْمُ في أَدْنَى الأَرْضِ ، وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِم سَيَغْلِبُوْنَ ﴾ أي هُزِم جيش الروم في أقرب أرضهم إلى فارس ، وهم من بعد انهزامهم سيغلبون الفرس وينتصرون عليهم ، وكان ذلك من الآيات البينات ، الشاهدة بصحة النبوة ، لأنها من علم الغيب الذي لايعلمه إلا الله . وانظر الطبري ١٨/٢١ والقرطبي ١٢/١٤ .

ابنِ عباس في قولِ الله جلَّ وعزَّ ﴿ آلَمّ . غُلِبَتِ الـرُّومُ ﴾ قال : كان المشركون يحبُّون أن تظهـرَ « فارسُ » على « الـرُّومِ » لأنهم أهـلُ أوثـان ، وكان المسلمـون يحبـون أن تظهـر « الـرُّومُ » على « فارسَ » لأنهم أهـلُ الكتـاب ، فذُكـر لأبي بكـر ، فذكـره أبـو بكـرٍ لرسول الله ﷺ فقـال رسولُ الله ﷺ : أَمَـا إنهم سيغلبـون ، قال : فذكـره أبـو بكـرٍ لهم ، فقالوا[1] : اجعل بيننا وبينكَ أجـلاً ، فإن ظهرنـا كان لنـا كذا وكـذا ، وإن ظهـرتم كان لكـم كذا وكـذا ، فجعـل أجـلاً خمس سنين ، فلـم يظهروا ، فذكر ذلك للنبـي ﷺ فقـال : [ألا جعلتَهـا إلى دون ؟ — أراه قال : دون العشر[2] —] قال سعيد : والبِضع ما دون العشر .

ثم ظهـرت الـروم بعـد ذلك ، فذلك قولـه جلَّ وعـزَّ ﴿ آلـمّ . غُلِبَتِ الرومُ في أدنى الأرض.. ﴾ إلى قولـه ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْـرَحُ الْمُؤْمِنـونَ بِنَصْرِ اللهِ ﴾[3] .

قال الشعبي : وكان القمـار ذلك الـوقت حلالاً ، قال وقـال النبـي ﷺ لأبي بكـر : كم الـبِضْعُ ؟ قال : ما بين الثـلاث إلى التسع[4] .

---

(١) في المخطوطة « فقال » وصوابُه « فقالوا » بصيغة الجمع ، لأنه راجع إلى المشركين .

(٢) العبـارة في المخطوطـة قلِقـةٌ غير واضحـة ، حيث جاء فيها : [فذُكِرَ للنبـي ﷺ فقـال : ألا جعلته ، قال : أيه ؟ قال : دون العشر] وتصحيحها ما أثبتنـاه من تفسير ابـن كثير ٣٠٤/٦ وهي رواية أحمد في المسند .

(٣) الأثر أخرجه أحمد في المسنـد ٢٧٦/١ وذكـره السيوطـي ، في الـدر المنثور ١٥٠/٥ وابـن كثير ٣٠٤/٦ والقرطبي ١٢/١٤ .

(٤) المشهـور أن النبـي ﷺ قال لأبي بكـر : البِضعُ ما بين الثـلاث إلى التـسع ،وعلى ذلك تُحمل=

وقرأ عبدالله بن عمر ﴿ غَلَبَتِ الرُّومُ ﴾ بفتح الغَيْن واللام ، وقال : غَلَبَتْ على أدنى ريف[1] .

قال أبو جعفر : المعنى على قراءة من قرأ ﴿ **غُلِبَتِ الرُّومُ وَهُمْ مِنْ بَعْد غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ** ﴾ الرومُ من بعد غَلَبهم أي من بعد أن غُلِبوا سَيَغْلِبون .

ومن قرأ ﴿ **سَيُغْلَبونَ** ﴾ فالمعنى عنده : وفارسُ من بعد غَلَبهم ، أي من بعد أن غَلَبُوا ، سَيُغْلبون .

٢ ــ **وقولُه جلَّ وعز** ﴿ **فِي بِضْعِ سِنِينَ** ﴾ [آية ٤] .

البضعُ عند قتادَةَ : أكثَرُ من الثَّلاثِ ، ودونَ العَشْرِ[2] .

وعند الأخفش والفراء : مادُونَ العَشْر .

وعند أبي عُبيدة : ما بين ثلاثٍ وخمس[3] .

- الروايات كما في الطبري والقرطبي ، فقد جاء في تفسير الطبري ١٧/٢١ أن النبي عليه السلام قال لأبي بكر : هلاَّ احتطْتَ ؟ فإن البضع مابين الثلاث إلى التِّسع . اهـ .

(١) ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر ١٦١/٧ قال قرأ ابن عمر والحسن : ﴿ غَلَبتِ الرُّومُ ﴾ مبنياً للفاعل ، والجمهورُ مبنياً للمفعول ، وقال الطبري : عامَّةُ قُرَّاءِ الأمصار ﴿ غُلِبتِ الرُّومُ ﴾ بضم الغين بمعنى أن فارسَ غلبت الرومَ ، وقرأ ابن عمر ﴿غَلَبتِ الرومُ﴾ فقيل : على أي شيء غلبوا ؟ قال : على رِيف الشام اهـ .

(٢) هذا هو المشهور عند علماء اللغة والتفسير ، قال في الصحاح : البضعُ بالكسر من الثلاثة إلى التسعة .

(٣) عبارة أبي عبيدة في مجاز القرآن ١١٩/٢ : والبِضعُ ما بين ثلاث سنين وخمس سنين . اهـ وهو خلاف المشهور عند علماء اللغة .

وحَكَى أبو زيد[1] : بَضْعٌ وهو مشتقٌّ من قولهم بضَّعَه إذا قَطَّعه ، ومنه : بَضْعةٌ من لحم ، ومنه : هو يملك بُضْع المرأةِ ، إنما هو كنايةٌ عن عُضْوِها .

وفي رواية ابنِ أبي طَلْحَةَ عن ابن عباس ﴿ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ﴾ قال يقول : في طَرَفِ الشَّامِ[2] .

قال أبو جعفر : التقدير في أدنى الأرض من فارسَ .

٣ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ .. ﴾** [آية ٤] .

قال محمد بن يزيد[3] : إذا قلتَ ﴿ **مِنْ قَبْلُ** ﴾ و ﴿ **مِنْ بعدُ** ﴾ فمعناه من قبلِ ما تعلمُ ، ومن بعدِ ما تَعْلَم ، ومن قبلِ كلِّ شيءٍ ، ومن بعد كلِّ شيء[4] .

قال أبو جعفر : المعنى للّهِ القضاءُ بالغَلَبة ، من قبل الغَلَبةِ ، ومن بعدِهَا .

---

(١) أبو زيد هو « سعيد بن أوس بن ثابت » من أئمة علماء اللغة والأدب توفى سنة ٢١٥ هـ وانظر كتاب « نوادر اللغة » ووفيات الأعيان ٢٠٧/١ .

(٢) الأثر ذكره الطبري في تفسيره ٢١/٢١ وقال ﴿ أَدْنَى الْأَرْضِ ﴾ أي أقرب الأرض ، من الدنوّ والقرب أي في أقرب الأرض من فارس ، فترك ذكر « فارس » استغناءً بدلالة الظاهر عليه . اهـ .

(٣) هو الإمام المبرِّد أبو العباس إمام العربية في زمانه المتوفى سنة ٢٨٦ هـ وتقدمت ترجمته ٥٥/١ .

(٤) كلمة ﴿ قبلُ ﴾ و ﴿ بعد ﴾ ظرفان بُنيا على الضمِّ ، لأنهما في معنى الإضافة ، أي من قبلِ كونهم مغلوبين ، ومن بعد كونهم غالبين ، وإنما بنيا على الضمِّ لأنهما أشبَها الحروف ، وأشبَها المنادَى المفرد ، كذا في القرطبي ٧/١٤ وقال ابن كثير ٣١٠/٦ : أي من قبل ذلك ومن بعده ، فبني على الضمّ ، لمَّا قُطِع المضافُ وهو قوله ﴿ قبلُ ﴾ عن الإضافة ونُويت . اهـ .

٤ ــ ثم قال جلَّ وعــز ﴿ وَيَوْمَئِــذٍ يَفْــرَحُ الْمُؤْمِنُــونَ بِنَصْرِ اللهِ ..﴾ [آية ٤] .

أي يفرحـون بنصر اللهِ الـرُّومَ ، لأنهم أهـلُ كتـابٍ ، على فارسَ وهـم مجوسٌ ، ويفرحـون بالآية العظيمـة ، التـي لا يعلمهـا إلاَّ اللهُ جلَّ وعزَّ ، لأنه خبَّرهم بما سيكون(١) .

٥ ــ وقولـه جلَّ وعزَّ : ﴿ يَعْلَمُـونَ ظَاهِـراً مِنَ الحَيَـاةِ الدُّنْيَـا وَهُــمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُون ﴾ [آية ٧] .

قال عكرمةُ وإبـراهيم : أي يعلمـون أمـر معايشـهـم ، ومصلحـةَ دنياهم(٢) .

---

(١) هذه إحدى معجزات القرآن ، الشاهدة بصدق النبوة ، لأنها إخبار عن الغيب ، فقد أخبر عليه السلام بأنها ستقـع حرب ثانيـة بين فارس والـروم ، وينـتصر فيها الـروم على الفـرس ، في سنـوات قلائل ، وحدث كما أخبر عليـه السلام ، فدلَّ على أنـه نبـيٌّ مرسل من عنـد الله ، مؤيـد بالآيات البيّـات ، وقد صـادف ذلك اليـوم انـتصار المؤمنين ببدر ، قال ابـن عبـاس : كان يوم بدر هزيمة عَبدَة الأوثان . وعبدة النيران .

(٢) الأثر أخرجـه الـطبري في تفسيره ٢١/٢٢ عن عكرمـة قال : يعلمـون معايشهـم ومايصلحهـم ، وذكر رواية أخرى عن ابنَ عباس قال : يعرفون عمران الدنيا : متى يحصدون ، ومتـى يغـرسون ، وكيف يغرسون وكيف يبنون . اهـ وقوله تعالى ﴿ ظَاهِراً من الحياة الدنيا ﴾ يفيد ان للدنيا ظاهـراً وباطناً ، فظاهرها ما يعرفه الجهال ، من التمتع بزخارفها والتنعُّـم بملاذّهـا ، وبـاطنها وحقيقتُهـا أنها معبرٌ وممرٌّ للآخرة ، يتزود منها بالطاعة ، والأعمال الصالحة ، ولهذا قال ابن عبـاس : يعنـي بالآية الكفار ، يعرفون عمران الدنيا ، وهم في أمر الدين جُهَّالٌ .

٦ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بَالْحَقِّ﴾ [آية ٨] .

أي إلاَّ لإقامةِ الحقِّ[1] .

٧ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَأَثَارُوا الأَرْضَ وعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ..﴾ [آية ٩] .

﴿ وَأَثَارُوا الأَرْضَ ﴾ أي حرثوها وزرعوها ، وليس بمكة حَرْثٌ ولا زرع[2] .

وقال تعالى ﴿ تُثِيرُ الأَرْضَ ﴾[3] .

٨ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَىٰ ..﴾ [آية ١٠] .

وقرأ الأعمش : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءُ ﴾ برفع السُّوءِ .

---

(١) قال الفراء ٢/٣٢٢ : ﴿ إلا بالحقِّ ﴾ يعني الثواب والعقاب . اهـ وقيل : إن الله هو الحقُّ ، وللحقِّ خَلَقها ، وهو الدلالة على الخالق جلَّ وعلا ، وقدرته ، ووحدانيته ، فإنه سبحانه لم يخلق الكون عبثاً ، وإنما خلقه لحكمة جليلة ، ليثبت العدل في الأرض ، ويجزي كل نفس بما تسعى .

(٢) يريد المصنف أن ينبِّه إلى أن الآية في الأمم السابقين ، حرثوا الأراضي وزرعوها ، وبنو البنايات وشادوها ، فلم تغن عنهم شيئاً ، لأن أهل مكة لم يكونوا أهل حرث ، فلْيعتبر هؤلاء بما حلَّ بمن سبقهم من المكذبين ، الذين عمروا هذه الدنيا .

(٣) سورة البقرة آية ٧١ .

قال أبو جعفر : السُّوءُ : أشدُّ الشرِّ ، والسُّوءَى أي الفُعْلى منه[1] .

وقيل : ﴿ **السُّوْءَى** ﴾ ههنا : النَّارُ ، كما أن الحُسْنى : الجنَّةُ .

ومعنى ﴿ **أسَاءُوا** ﴾ ههنا : أشركوا[2] ، يدلُّ على ذلك قوله تعالى ﴿ **أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ** ﴾ .

قال الكسائي : أي لأن كذَّبوا بآيات الله[3] .

٩ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾** [آية ١٢] .

رَوَى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : يَكْتَئِبون[4] .

ورَوَى أبو يحيى عن مجاهد قال : الإبْلَاسُ : الفَضِيحةُ .

---

(١) قال القرطبي ١٤/١٠ : السُّوَءَى فُعْلَى من السُّوْءِ تأنيث الأسوء وهو الأقبح ، كالحُسْنى تأنيث الأحسن . اهـ .

(٢) معنى الآية الكريمة ﴿ ثمَّ كانَ عَاقِبةَ الَّذينَ أسَاءُوا السُّوءَى أَنْ كذَّبُوا بآياتِ اللهِ ﴾ أي ثم كان عاقبةُ المشركين المكذبين ، العقوبةُ التي هي أسوءُ العقوبات ، وهي نار جهنم ، لأجل أنهم كذَّبوا بآياتنا المنزلة على رسلنا . اهـ صفوة التفاسير ٤٧٣/٢ .

(٣) عبارة النحاس في إعراب القرآن ٥٨٢/٢ : من نَصَبَ ﴿ عاقبةَ ﴾ جعلها خبر كان المقدم ، و﴿ السُّوءى ﴾ اسم كان ، و﴿ أن كذَّبوا ﴾ في موضع نصب ، والمعنى لأن كذبوا . اهـ .

(٤) في الطبري ٢٦/٢١ : ﴿ يبلس المجرمون ﴾ أي ييأس المجرمون ، ويكتئبون ويتندَّمون . اهـ .

قال أبو جعفر : يُقال : أَبْلَسَ الرجلُ : إذا تحيَّر ، وحَزِن ، وانقطعت حجَّتُه فلم يهتد لها ، ويئس من الخير ، كما قال :

« قَالَ نَعَمْ أَعرِفُه وَأَبْلَسَا »[1]

١٠ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُوْنَ﴾ [آية ١٥] .

قال مجاهد : ﴿ **يُحْبَرونَ** ﴾ أي يُنَعَّمون .

قال أبو جعفر : حقيقتُه أنهم تَتبيَّنُ عليهم أثرُ النِّعمةِ .

من ذلك الحَبْرُ[2] ، وعلى أَسْنَانِه حَبْرةٌ .

ورَوَى الأوزاعيُّ عن يحيى بنِ أبي كثيرٍ ﴿ **فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ** ﴾ قال : السَّماعُ في الجَنَّة[3] .

---

(١) هذا عجز بيتٍ من الرجز للعجَّاج ، وهو في ديوانه ص ٣١ ومعاني القرآن للفراء ٣٢٣/٢ والطبري ٢٦/٢١ وتمامه :

يَاصَاحِ هلْ تَعْرِفُ رَسْماً مُكْرِسَاً قالَ نَعَمْ أعرفُهُ وأَبْلَسَاَ

قال القرطبي : والمعروف في اللغة : أبلس الرجل : إذا سكت وانقطعت حجته ، وقريبٌ منه ، تحيَّر . اهـ .

(٢) قال الجوهري في الصحاح ٦٢٠/٢ : الحَبْرُ : الحبورُ وهو السُّرور ، يُقال : حَبَره يَحْبُرُهُ بالضمّ ، حَبْرَاً وحَبْرَةً قال تعالى ﴿ فَهُمْ في رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ أي يُنَعَّمون وَيُكَرَّمونَ

(٣) يُراد بالسَّمَاع هنا سماعُ الغناءِ ، وآلات اللهو والطرب ، كما قال ابن عباس في قوله تعالى ﴿ إنَّ أَصْحَابَ الجَنَّةِ اليَوْمَ في شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴾ قال : شُغِلُوا بافتضاضِ الأبكار ، وسماع الأوتار ، عن أهاليهم من أهلِ النَّار ، وقد صرح الطبري به فقال : يتلذذون بالسماع والغناء وقال القرطبي : قال الأوزاعي : إذا أخذ أهل الجنة في السَّماع ، لم تبق شجرةٌ في الجنة إلاَّ ردَّدَت الغناء =

١١ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [آية ١٧] .

قال ابن عباس : الصَّلواتُ الخمسُ في كتاب الله جلَّ وعزَّ ، وتلا الآية ﴿ **فَسُبْحانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ** ﴾ قال : المغربُ والعِشَاءُ ﴿ **وَحِينَ تُصْبِحُونَ** ﴾ قال : الفجرُ ﴿ **وَعَشِيّاً** ﴾ العصرُ ﴿ **وَحِينَ تُظْهِرُون** ﴾ الظُّهرُ[1] .

= بالتسبيح والتقديس ، ورُوي إن في الجنة لأَشجاراً عليها أجراسٌ من فضة ، فإذا أراد أهل الجنة السَّماعَ ، بعثَ اللهُ ريحاً من تحت العرشِ ، فتحرِّكُ تلك الأجراسَ بأصواتٍ لو سمعها أهل الدنيا لماتُوا طرباً » القرطبي ١٤/١٢ .

(١) هذا ما رجحه الطبري وبعض المفسرين ، أن المراد بالتسبيح هنا الصلاة وأن الآية تشير إلى الصلوات الخمس المفروضة ، فقد قال الطبري عند تفسير هذه الآية ٢١/٢٨ ﴿ فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تمْسونَ وحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ سبّحوا الله أيها الناسُ أي صلُّوا لربكم ﴿ حين تُمْسُونَ ﴾ وذلك صلاة المغرب والعشاء ﴿ وحين تُصْبِحون ﴾ وذلك صلاة الصبح ﴿ وعشيّاً ﴾ أي سبّحوه أيضاً عشيّاً وذلك صلاةُ العصر ﴿ وحين تُظهرون ﴾ صلاة الظهر ، وروى عن ابن عباس أنه سئل عن الصلوات الخمس ، هل هي في القرآن ؟ قال : نعم ، وقيل له : أين ؟ فقرأ الآية ﴿ فسبحان الله .. ﴾ الآية وهذا الذي ذكره النحاس ولم يذكر قولاً غيره .

وذكر غيره من المفسرين أن هذه الآية تعليمٌ من الله لعباده ، أن يسبِّحوه في هذه الأوقات ، في المساء ، والصباح ، والظهيرة ، وأن يُكثروا من تسبيحه ، وتحميده ، وتهليله ، حتى يبقى القلب متصلاً بالله ، لايغفل عن ربه ، ولا ينشغل عن ذكره ، كما قال سبحانه ﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ وعلى هذا جمهور المفسرين ، وهذا هو ظاهر الآية الكريمة ، وهو ما رجحه الحافظ بن كثير حيث قال ما نصُّه : هذا تسبيحٌ منه تعالى لنفسه المقدسة ، وإرشادٌ لعباده إلى تسبيحه وتحميده ، في هذه الأوقات المتعاقبة ، الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه ، عند المساء وهو إقبالُ الليل بظلامه ، وعند الصباح وهو إسفار النهار عن ضيائه ، وعشياً وهو شدة الظلام ، وحين تظهرون وهو قوة الضياء . اهـ ٦/٣١٤ .

١٢ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ ، وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [آية ١٩] .

في معناه أقوالٌ :

قال عبدالله بن مسعود : أي يُخرج النُّطفةَ من الرجل ، والرجل من النطفة[(١)] .

قال الضحَّاك : وكذلك البيضةُ .

وقال سلمان[(٢)] : يخرج المؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن[(٣)] ، وكذلك قال الحسن .

وقيل : يميت الحيَّ ، ويُحْيي الميِّتَ .

﴿وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾

---

(١) قال الطبري ٢١/٣٠ : وقال عبداله بن مسعود : النطفة ماء الرجل ميتة وهو حيٌّ ، ويُخرج الرجل منها حياً وهي ميتة . اهـ .

(٢) سلمان هو « سلمان الفارسي » رضي الله عنه الصحابي المشهور وانظر القرطبي ٥٦/٤ .

(٣) على هذا القول نكون قد حملنا الآية على المجاز ، فنكون قد شبهنا المؤمن بالحيِّ ، والكافر بالميت بطريق الاستعارة ، وهو لطائفةٍ من المفسرين ، والأَوْلى أن نحمل الآية على العموم ، كما هو مذهب المحقِّقين من علماء التفسير ، فيكون المعنى : يخرج الدجاجة وهي حيَّة من البيضة وهي ميتة ، وبالعكس ، ويخرج الحيوان من النطفةِ ، والنطفةَ من الحيوانِ ، والنباتَ من الحبِّ ، والحبَّ من النبات ، والنَّواةَ من النخلةِ ، والنَّخْلةَ من النَّواةِ ، والمؤمن من الكافرِ ، والكافرَ من المؤمنِ .. الخ وهذا اختيارُ الحافظ ابن كثير ٤٣٨/٣ وجمع من المفسرين .

أي كما يُحْيي الأرضَ بالنبات[1] .

١٣ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ .. ﴾ [آية ٢٠] .

المعنى : أن خلق أصلَكُمْ ، وهو « آدم » عليه السلام ، كما قال تعالى ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾[2] .

ويجوز أن يكون الماء مخلوقاً من تراب[3] .

١٤ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا .. ﴾ [آية ٢١] .

فيه قولان :

أحدهما : أن حواءَ خُلقت من آدمَ[4] .

والآخر : أن المعنى : خلق لكم مِنْ جنسكم أزواجاً ، لأن الإنسان

---

(١) أي كما يخرج اللهُ النباتَ من الأرض ، كذلك يخرجكم من الأرض للبعث يوم القيامة ، ففيه تشبيه يسمى في علم البلاغة « التشبيه التمثيلي » لأنه تشبيه حالة بحالة .

(٢) المراد اسأل أهلَ القرية ، فكذلك المراد هنا : خَلَق أباكم آدم من تراب ، الذي هو أصلكم ، لأن ذرية آدم لم يُخلقوا من تراب ، فيكون الكلام فيه حذف وتقدير .

(٣) على هذا القول يكون المراد بالماء ماء الرجل ، فإن هذا الماء « النطفة » يتكون بالجسم ، وهو خلاصة الأغذية ، والمأكولات والمشروبات التي يتناولها الإنسان ، وهي من التراب ، فيصح أن نقول إن الإنسان خُلق من التراب بهذا التقدير .

(٤) هذا قول قتادة كما في الدر المنثور ١٥٤/٥ والقرطبي ١٧/١٤ .

بجنسه آنسُ ، وإليـه أسكـنُ[1] ، ومِثْلُه قولُـه جلَّ وعـزَّ ﴿ **هُوَ الَّـذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا** ﴾[2] .

في معناه القولان جميعاً .

أي جعل من جنسها زوجهـا ، ودلَّ هذا على الجنسين جميعـاً ، ويكون الضمير في قوله تعالى ﴿ **جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَـا** ﴾ يعـودُ على الجنسيـنِ ، والضميـرُ في قولـه ﴿ **يُشْرِكُـونَ** ﴾ يعـود على الجنسين لأنهما جماعة[3] .

١٥ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَجَعَـلَ بَيْنَكُـمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَـةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون** ﴾ [آية ٢١] .

---

(١) هذا القولُ أظهرُ وأرجح ، وإليه ذهب الأكثرون ، لأن الآية امتنـانٌ على البشر ﴿ أَنْ خَلَقَ لكـمْ من أَنْفُسِكُـمْ أَزْوَاجـاً ﴾ وليست لآدم فحسب ، ثم الصيغـةُ جاءت بلفـظ الجمـع لكـم و﴿ أزواجاً ﴾ أي زوجات ، ومعنى الآية : ومن آياته الدالة على عظمتـه وكمال قدرتـه ، أن خلـق لكم أيها النَّاسُ من صنفكم ومن جنسكم نساءً آدميات مثلكم ، ولم يجعلهـن من جنس آخـر ، فمتى كان التزاوج من الجنس كان بينهما التآلف والتفاهم ، قال ابن كثير : ولو أنه تعـالى جعـل الإناث من جنسٍ آخر ، من جانٍّ أو حيوان ، لما حصل هذا الائتـلاف بينهم وبين الأزواج ، بل كانت تحصل النُّفْرةُ ، وذلك من تمام رحمته ببني آدم . اهـ مختصر ابن كثير ٣/٥٢ .

(٢) سورة الأعـراف آيـة رقـم (١٨٩) ومعنـى ﴿ لِيَسْكُـنَ إِلَيْهـا ﴾ أي لتستـريح نفسه وتستـأنس بصحبتها .

(٣) يريد في كلِ جنسٍ من الذكور والإناث أعدادٌ كبيرة من الخلق ، ولهذا جاء بصيغة الجمع في آخـر الآية ﴿ فتعالى اللهُ عمَّا يشركون ﴾ أي تمجَّد وتقدَّس عمـا يجعلـه البشر من الشركاء له سبحانه وتعالى .

قال **مجاهد** : المودَّةُ : الجماعُ ، والرَّحْمةُ : الولدُ[1] .

وقيل : المودَّةُ والرحمةُ : عَطْفُ قلوبِ بعضهم على بعض .

والمعنى : ومن آياته التي تدلُّ على وحدانيته ، وأنه لا شريكَ له ولا نظير .

١٦ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴾** [آية ٢٢] .

﴿ لِلْعَالَمِينَ ﴾ أي للجنِّ والإنس .

وحُكِيَ ﴿ لِلْعَالِمينَ ﴾ وهو حسنٌ[2] .

١٧ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً .. ﴾** [آية ٢٤] .

والمعنى : ويريكم البرقَ من آياتِه ، وعُطفت جملةٌ على جملةٍ .

ويجوز أن يكون المعنى : ومن آياتِه آيةٌ يريكمْ بها البرقَ ، كما قال الشاعر :

---

(١) حكاه في الدر المنثور ١٥٤/٥ عن الحسن البصري ، والأرجح القول الثاني أي جعل بين الأزواج والزوجات محبة وشفقة ، وهو قول ابن عباس ، وأما الجماع والولد فهو نتيجة طبيعية للزواج ، والآية وردت في معرض الامتنان في تلاقي الجنسين على المحبة والشفقة والوئام ، ولهذا قال ابن عباس : المودَّةُ : حبُّ الرجل امرأتَه ، والرحمةُ : رحمتُه إياها أن يصيبها بسوءٍ .

(٢) ﴿ لِلْعَالِمِينَ ﴾ بكسر اللام جمع عَالِم، وهي قراءة حفص عن عاصم ، وقرأ الباقون ﴿ لِلْعَالَمِينَ ﴾ بنصب اللّام ، وكلا القراءتين من السبع ، وانظر السبعة في القراءات ٥٠٧/٢ .

وَمَـا الدَّهْـرُ إلاَّ تَارَتَـانِ فمنهما
أَمُوتُ وأُخْرَى أَبْتَغِي العَيْشَ أَكْدَحُ[1]

والخوفُ للمسافر ، والطمعُ للمقيم[2] .

١٨ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِه .. ﴾ [آية ٢٥] .

أي أن تَدُومَا قائمتين[3] .

١٩ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَلَهُ مَنْ في السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾ [آية ٢٦] .

وهذا أيضاً من آياته ، وحُذف لأن في الكلام دليلاً عليه .

والقانتُ : القائمُ بالطاعة[4] .

والقيام ههنا : الانقيادُ للّهِ جلَّ وعزَّ على ما حبَّ العبادُ أو كرهوا .

---

(١) البيت لتميم بن أبي مقبل كما في شواهد سيبويه ص ٧٦ وخزانة الأدب ٣٠٨/٢ وهو في معاني القرآن للفراء ٣٢٣/٢ قال : كأنه أراد : فمنها ساعةٌ أموتُها ، وساعة أعيشها ، وكذلك هنا : ومن آياته آيةٌ للبرق ، وآية لكذا . اهـ .

(٢) هذا قول قتادة كما في الطبري والبحر ، وقال الضحاك : خوفاً من الصواعق ، وطمعاً في المطر ، وهذا ما رجحه ابن كثير حيث قال : تارة تخافون مما يحدث بعده ، من أمطار مزعجة أو صواعق متلفة ، وتارة ترجون وميضه وما يأتي بعده من المطر المحتاج إليه ، ولهذا قال بعده ﴿ وينزّل من السَّمَاء ماءً ﴾ اهـ .

(٣) المراد أن تستمسك السموات بقدرته بدون عمد ، وأن تثبت الأرضُ بتدبيره ، فلا تنقلب بأهلها ، وانظر البحر المحيط ١٦٨/٧ .

(٤) القنوتُ كما قال أهل اللغة : الطاعةُ والانقياد ، ومواظبة العبادة والطاعة ، قال ابن عباس ﴿ كلٌّ =

٢٠ ــ وقولُه جل وعزَّ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ..﴾ [آية ٢٧] .

في معناه ثلاثةُ أقوال :

أ ــ في رواية صالح عن ابن عباس ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ وهو أهونُ على المخلوق[1] ، لأنه ابتدأ خلقه من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة ، والإعادةُ بأن يقول له ﴿ كُنْ فَيكُونُ ﴾ فذلك أهونُ على المخلوق .

ب ــ **وقال مجاهد** : الإعادةُ أهونُ عليه من البَدْأةِ ، وكلٌّ عليهِ هيِّنٌ .

والمعنى على هذا : وهو أهونُ عليه عندكم ، وفيما تعرفون ، على التمثيل ، وبَعْدَه ﴿ وَلَه المَثَلُ الأَعْلَى ﴾ .

= لَهُ قَانِتُونَ ﴾ مطيعون ، وفي البحر ١٦٩/٧ : ﴿ قانتون ﴾ مطيعون أي في تصريفه ، لايمتنع عليه شيءٌ يريد فعله بهم ، من حياةٍ وموتٍ ، وصحةٍ ومرضٍ فهي طاعة الإرادة ، لا طاعةَ العبادة .

(١) على هذا القول يعود الضمير ﴿ وهو أهونُ عليه ﴾ على الإنسان . وهذا تقريبٌ لفهم السامع ، فإن من صنع صنعة أول مرة ، كانت أسهل عليه في المرة الثانية ، والله تعالى خاطب العباد بما يعقلون ، فإذا كانت الإعادةُ أسهل من الابتداء في نظركم وتقديركم ، فإن من قدر على البدء والإنشاء ، كانت الإعادة عليه أسهل وأهون ، وأما بالنسبة إلى الله فالكل عليه يسير ، وليس هناك « هيّن » و « أهون » ويكون المعنى : هو عليه هيّن كما قال مجاهد .

جـ ــ **وقـال قتـادة : ﴿ وَهُـوَ أَهْـوَنُ عَلَيْـهِ ﴾** أي هيِّـنٌ[1] ، وهذا قولٌ حسنٌ ، ومنه : اللهُ أكبر أي كبير ، ومنه قول الشاعر :

لَعَمْـــرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّـــي لَأَوْجَـــلُ
عَلَـى أَيِّنَـــا تَعْـــدُو المَنِيَّـــةُ أَوَّلُ[2]

وقول الآخر :

إنَّ الَّـذِي سَمَكَ السَّمَـــاءَ بنى لَنَا
بَيْتَـــاً دَعَائِمُـــهُ أعزُّ وأَطْـــوَلُ[3]

وروَى معمـرٌ عن قتـادة قال : في قراءة عبـــدالله بن مسعـــود **﴿ وهو هيِّنٌ عليه ﴾**[4] .

---

(١) أفعل التفضيل على هذا القول ﴿ أَهْـوَنُ ﴾ ليس على بابـه ، أي لا يُراد به التفضيـل ، بل يراد به الصفة ، والمعنى : وهو هيِّن عليه سبحانه ، وقد استشهـد على ذلك القرطبـي في تفسيره ببضعـة أبيات ، وكذلك الإمام الطبري ، ومنها ما ذكره النحاس في هذه الآية من الأبيات التي استشهـد بها .

(٢) البيتُ لمعنِ بن أوسٍ المُزَني ، كما في ذيل الأمالي (٢١٨) وخزانـة الأدب ٥٠٥/٣ واستشهـد به المصنف على أن قولـه (لَأَوْجَـلُ) أي لوجـلٌ ، بمعنـى : خائـفٌ ، فهـي صفـة وليـست بأفعـل تفضيل ، ومثلها ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ أي هيِّـنٌ عليـه ، فالصيغـة وإن كانت صيغـة « أفعـل » التي للتفصيل ، إلا أنه لا تفضيل هنا وإنما هو لمجرد الوصف دون التفضيل .

(٣) البيت للفرزدق كما في ديوانه ص ٧١٤ وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٢١/٢ والشاهد فيه أن أعـزُّ وأطول ليس أفعل تفضيل ومعناه عزيزة طويلة .

(٤) ذكر هذه القراءة ابـن الجوزي في تفسيره ٢٩٨/٦ وذكـر أنها قراءة أبـيٍّ بن كعب ، وهـي ليست من القراءات السبع ، بل هي شاذةٌ لمخالفتها للمصحف الإمام .

٢١ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَواتِ وَالأَرْضِ .. ﴾ [آية ٢٧] .

رَوَى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال : يقول ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ .

وقيل : يعني : لا إلهَ إلاَّ اللهُ[١] .

وحقيقتُه في اللغة : وله الوصف الأعلى[٢] .

٢٢ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ .. ﴾ [آية ٢٨] .

قال قتادة : هذا مَثَلٌ ضربه الله عز وجل للمشركين ، فقال ﴿ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ﴾ أي هل يرضى أحدكم ، أن يكون مملوكُه في مالِهِ ونفسِهِ مثلَه ، فإذا لم ترضوا بهذا ، فكيف جعلتم للّهِ جلَّ وعزَّ شريكاً[٣] ؟ .

---

(١) حكاه الطبري عن ابن عباس ٢١/٣٨ وهو قول مجاهد وقتادة أيضاً ، فقد قال قتادة : مَثَلُهُ : أنه لا إله إلا هو ، ولا معبود غيره ، وقيل : المعنى : له الوصف الأعلى الذي ليس لغيره ما يدانيه فيه من صفات الجلال والكمال .

(٢) أي الوصف الأعلى من صفات الكمال ، الذي يصفه به أهلُ السموات والأرض .

(٣) الأثر أخرجه الطبري في تفسيره ٢١/٣٨ والسيوطي في الدر المنثور ٥/١٥٥ عن قتادة ، ولفظه : «هذا مَثَلٌ ضربَه اللهُ لمن عَدَل به شيئاً من خَلْقَه ، يقول : أكان أحدٌ منكم مُشاركاً مملوكَه في مالِهِ ونفسِهِ ، وفِراشه وزوجته ؟ فكذلك لا يرضى الله تعالى أن يُعْدَلَ بِهِ أحدٌ من خلقِهِ » . اهـ .
وقال في البحر ٧/١٧٠ : المعنى : ليس أحد منكم يرضى أن يَشْركه عبدُه في ماله وزوجته ، =

قال أبو جعفر : هذا قولٌ حسن ، أي هل يرضى أحدُكم أن يجعل مملوكَهُ مثلَ نفسه ؟ أي مثل شريكه الحرِّ ، الذي لايقطع أمراً دونه ؟ كما قال تعالى ﴿ **وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ** ﴾[1] أي لايَعِبْ بعضُكم بَعْضاً .

وكذا قوله تعالى ﴿ **كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ** ﴾ وكما قال جلَّ وعزَّ ﴿ **لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرَاً** ﴾[2] وكما قال تعالى ﴿ **فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ** ﴾[3] .

وقيل : كما يُخاف من قِبَلِكُمْ إنفاقها .

= وما يختصُّ به حتى يكون مثلَه ، فكيف ترضون شريكاً لله ، وهو ربُّ الأرباب ، ومالك الأحرار والعبيد ؟

(١) سورة الحجرات آية (١١) ومراد المصنِّف أن لفظ النفس ، قد يُطلق ويراد به الغير ، كما قال تعالى هنا ﴿ كخيفتكم أنفسكم ﴾ أي كما يخاف الإنسان من شريكه الحرِّ أن يقاسمه مالَهُ ، واستشهد على ذلك بعدة آيات كريمة .

(٢) سورة النور آية (٨) والمعنى : ظنَّ المؤمنون الخير ببعضِهم البعض .

(٣) سورة البقرة آية ٥٤ وأحسن ما قيل في تفسير الآية ما قاله العلامة القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن فقد قال ١٤/٢٣ : « هذه الآية أصلٌ في الشركة بين المخلوقين ، لافتقار بعضهم إلى بعض ، ونفيها عن الله سبحانه ، وذلك أنه لمَّا قال ﴿ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ من شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ الآية ، فيجب أن يقولوا : ليس عبيدنا شركاءنا فيما رُزِقْنا ! فيقال لهم : فكيف يتصوَّر أن تُنزِّهوا نفوسكم عن مشاركة عبيدكم ، وتجعلوا عبيدي شركائي في خلقي ؟ فهذا حكمٌ فاسد ، وقِلَّةُ نَظَر ، وعَمَى قلب !! فإذا بطلت الشركة بين العبيد وساداتهم فيما يملكه السَّادة ، والخلقُ كلُّهم عبيدٌ للّهِ ، فيبطل أن يكون شيٌ من العالم ، شريكاً لله تعالى في شيءٍ من أفعاله ، فلم يبق إلاَّ أنه واحد ، يستحيل أن يكون له شريك ، إذِ الشركةُ تقتضي المعاونة ، ونحن مفتقرون إلى معاونة بعضِنا بعضاً ، بالمالِ والعمل ، والقديمُ الأزلي منزَّهٌ عن ذلك عزَّ وجل . اهـ .

أي فأنتم لا تجعلون مماليكَكُمْ مِثلَكم ، وأنتم كلُّكم أرقَّاءُ للَّهِ جلَّ وعزَّ ، فكيفَ تجعلونَ للَّهِ جلَّ وعز شريكاً ، وليس كمثله شيء ؟

٢٣ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ..﴾** [آية ٣٠] .

الفِطْرَةُ : ابتداءُ الخَلْقِ ومنه : ﴿ **فَاطِرُ السَّمَواتِ** ﴾ ومنه : فَطَرَ نابُ البَعِير[1] ، ومنه : فطرتُ البئرَ أي ابتدأتُ حفرها[2] .

أي ابتدأ خَلْقهم ، على أنَّهم يعلمون أنَّ لهم خالقاً ومُدبِّراً .

وفي الحديث عن النبي ﷺ : « كلُّ مولودٍ يُوْلَدُ على الفِطرة ، حتَّى يكونَ أَبَوَاهُ هما اللَّذان يُهَوِّدانِه ويُنَصِّرانِه »[3] .

---

(١) هذا التعريف من جهة اللغة قال في المصباح مادة (فطر) : فطرَ اللهُ الخَلْقَ : خَلَقهم ، والإسم الفِطرةُ بالكسر ﴿ فِطرة اللَّهِ التي فطر الناس عليها ﴾ وفَطَر نابُ البعير : إذا شقَّ اللحم ، وطلع النَّابُ . اهـ .

(٢) قال في لسان العرب مادة فطر : والفطرةُ : الابتداء والاختراع ، وفي التنزيل العزيز ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : لم أكنْ أدري ما معنى ﴿ فاطر السمواتِ والأرض ﴾ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها أي ابتدأتُ حفرها . اهـ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٦/١٤٣ ولفظهُ (ما من مولودٍ إلاَّ يولد على الفطرة ، فأبواه يُهوِّدانه ، أو يُنصِّرانه ، أو يُمجّسانه ، كما تُنْتَج البهيمة بهيمةً جمعاء ، هل تُحِسُّونَ فيها من جدعاء ؟ ثم يقول أبو هريرة : واقرءوا إن شئتم ﴿ فِطْرَةَ اللهِ التي فطر الناس عليها لاتبديلَ لخلقِ اللهِ ﴾ الآية . اهـ ورواه مسلم في القدر ٨/٥٣ وأحمد في المسند ٣/٤٣٥ بنحوه .

قال الأوزاعيُّ وحمَّادُ بن سَلَمة : هذا مِثْلُ قولِهِ تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ** ﴾[1] .

والمعنى على هذا : كلُّ مولودٍ يُولد على العهد الذي أُخذ عليه[2] .

وفي الحديث : « أخرجهم أمثالَ الذَّرِّ ، فأخذ عليهم العهدَ » فكلُّ مولودٍ يُولد على ذلك العهد ، وإن نسب عبادته إلى غير اللهِ جل وعزَّ ، أو ووصفه بغير صفته ، حتى يكون أبواه يعلِّمانه اليهودية والنصرانية .

وقيل : على الخِلقة التي تعرفونها ، لا تُميِّزُ شيئاً[3] .

---

(١) سورة الأعراف آية ١٧٢ .

(٢) أراد به العهد الذي أخذه اللهُ على ذرية آدم ، حين أخرجهم من صلبه في صورة الذرِّ ، وأقرُّوا له بالربوبية ، ثم أعادهم إلى صلب آدم ، فإلى ذلك يشير المصنف رحمه الله .

(٣) قال في البحر ١٧٢/٧ : ورجَّح الحُذَّاق أنها القابليَّةُ التي في الطفل ، للنظر في مصنوعات الله ، والاستدلال بها على موجده ، فيؤمن به ، ويَتَّبع شرائعه ، لكنْ قد تعرِضُ له عوارض تصرفه عن ذلك ، كتهويد أبويه له ، وتنصيرهما ، وإغواء شياطينِ الإنس والجنِّ ، وإلى هذا ذهب ابن عطية والقرطبي ، فقد قال القرطبي في تفسيره وقال شَيخنا أبو العباس : إن الله خلق قلوب بني آدم مؤهلةً لقبول الحق ، كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات ، فما دامت باقية على تلك الأهلية ، أدركت الحقَّ وديـنَ الإسلام ، وقد دلَّ على صحَّةِ هذا المعنى الحديثُ الشريف (كما تُنتجُ البَهيمةُ بَهيمةً جَمْعَاءَ ، هل تُحِسُّونَ فيها من جَدْعَاءَ ؟) يعني أن البهيمة تَلِدُ ولدها كامَلِ الخِلقة ، بريئاً من العيوب ، فلو تُرِكَ على أصل تلك الخِلقة ، لبقي كاملاً ، لكن يُتصرَّف فيه ، فيجُدع أنفُه ، وتشقُّ أذنُه ، ويُوْسَم وجهُه ، فتطرأ عليه الآفات والنقائص . اهـ .

وقال **عبدالله بن المبارك** : هذا لمن يكون مسلماً .

يذهب إلى أنه مخصوصٌ .

وقال **محمد بن الحسن** : هذا من قبل أن تنزل الفرائض ، ويُؤمر بالجهادِ .

قال أبو جعفر : وأولاها القولُ الأول ، وهو قولُ أهل السُنَّة ، وهو موافقٌ لِلُّغةِ :

ولا يجوز أن يكون منسوخاً لأنه خبرٌ ، ولا يكون خاصاً ، وإنما أشكل معنى الحديث ، لأنهم تأولوا « الفطرةَ » على الإسلام ، وإنما هي ابتداءُ الخلق .

٢٤ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ، وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آية ٣١] .

﴿ **مُنِيبِينَ إِلَيْهِ** ﴾ أي راجعين إليه بالطاعة[١] .

والمعنى : فأقيموا وجوهكم مُنيبينَ إليه[٢] .

---

(١) الإنابة : الرجوعُ إلى الله بالتوبة والإخلاص ، يُقال : أنابَ الرجلُ إذا تاب من ذنبه واستغفر ، ومنه قوله تعالى ﴿ تبصرةً وذِكرى لكلِّ عبدٍ منيب ﴾ .

(٢) قال ابن جرير ٤٢/٢١ : ﴿ مُنيبينَ إليهِ ﴾ منصوبٌ على الحال وهو متعلق بقوله تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ ﴾ لأن الخطاب للنبيِّ وأمَّته ، والمعنى : أقيموا وجوهكم أيها المؤمنون على الدين الحقِّ ، حال كونكم منيبين إلى ربكم ، وهذا ما ذهب إليه الفرَّاء ٣٢٥/٢ والزجَّاجُ ١٨٥/٤ وحكاهُ النحَّاسُ أيضاً في إعراب القرآن ٥٨٩/٢ .

ومعنى ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [آية ٣٢] .

كلٌّ يقولُ إنيِّ على الهُدَى .

٢٥ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ .. ﴾ [آية ٣٣] .

أي لم يلتجئوا إلاَّ إليه ، وتركوا ما كانوا يعبدون من دونه[١] .

٢٦ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ، فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [آية ٣٤] .

فخرج من الإخبار إلى المخاطبة[٢] ، وهذا على التهديد والوعيد ، كما قال جلَّ وعز ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[٣] .

---

(١) قال أبو حيان في البحر ١٧٣/٧ : الضرُّ : الشدة من فقرٍ ، أو مرضٍ ، أو قحط أو غير ذلك ، ومعنى ﴿ دعوا ربهم ﴾ أي أفردوه بالتضرع والدعاء لينجوا من ذلك الضرّ ، وتركوا أصنامهم لعلمهم أنه لايكشف الضرَّ إلا الله تعالى . اهـ وقال القرطبي : اي استغاثوا به تعالى في كشف ما نزل بهم ، مقبلين عليه وحده دون الأصنام ، لعلمهم أنه لا فرج عندها .

(٢) هذا ما يُسمَّى في علم البديع بالالتفات ، ففي الآية التفاتٌ من صيغة الغَيْبة إلى الخِطَاب ، لأن الحديث كان عن المشركين بصيغة الغائب ، ثم جاء ﴿ فتمتَّعُوا ﴾ بصيغة الخطاب ، زيادةً في التوبيخ والعتاب ، والآية كما قال الإمام النحاس ، واردةٌ بطريق الوعيد والتهديد .

(٣) سورة الكهف آية رقم (١٨) وليس المراد التخيير بين الإيمان والكفر ، وإنما هو للتهديد والوعيد .

٢٧ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴾ [آية ٣٥] .

رَوَى سعيدُ بنُ جُبير عن ابنِ عبَّاسٍ قال : « كلُّ سُلطانٍ في القرآن فهو عذرٌ وحُجَّة »[١] .

قال أبو جعفر : المعنى : أم أنزلنا عليهم كتاباً فيه عُذْرٌ ، أو حجَّةٌ ، أو برهانٌ ، يدلُّهم على الشرك ؟

٢٨ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا .. ﴾ [آية ٣٦] .

أي نعمةً فرحوا بها .

﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ أي وإن تُصِبْهم مصيبةٌ .

٢٩ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ، وَالْمِسْكِينَ ، وَابْنَ السَّبِيلِ .. ﴾ [آية ٣٨] .

---

(١) فسَّر ابن عباس السلطان بالحجة ، وقال قتادة والربيع : السلطانُ : الكتابُ ، وقد جمع المصنِّفُ بين القولين فقال : أم أنزلنا عليهم كتاباً فيه عذرٌ أو حجة الخ ورجَّح ابن جرير أنه الكتاب ، ورجَّح ابن كثير أنه الحجة والبرهان ــ وهو الأظهر ــ فقال : ينكر تعالى على المشركين ما اختلقوه من عبادة الأوثان ، بلا دليلٍ ولا حجة ولا برهان ، فيقول ﴿ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيهِمْ سُلْطَاناً ﴾ أي حجة ﴿ فهو يَتَكَلَّمُ ﴾ أي ينطق ﴿ بما كَانُوا بِهِ يُشْرِكونَ ﴾ ؟ وهذا استفهام إنكار . أي لم يكن شيءٌ من ذلك . اهـ وانظر تفسير ابن كثير ٣٢٤/٦ .

قال قتادةُ : إذا لم تُعْطِ ذَا قرابتك ، وتَمْشي إليهِ برجلَيْكَ، فقد قَطَعْتَهُ[1] .

٣٠ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبَاً لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ، فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللهِ ..﴾ [آية ٣٩] .

قال مجاهد وابن عباس : هو الرجل يُهْدِي إلى الرجل الهديَّة ، فيطلبُ ما هو أفضلُ منها ، فليس له أجرٌ ، ولا عليه إثمٌ[2] .

قال عكرمة : الربا رِبَوَان : فرباً حلالٌ ، ورباً حرامٌ ، فأمَّا الحلالُ فأن يُعطيَ الرجلُ الآخر شيئاً ليُعطِيَه أكثرَ منه ، فلا يربُوْا عندَ اللهِ ، والحرامُ في النسيئة[3] .

---

(١) لم أر هذا الأثر فيما بين يديَّ من كتب التفسير ، ولم يذكره غير الإمام النحاس ، والذي ذكره القرطبي في تفسيره ١٤/٣٥ : ﴿ فآتِ ذا القُرْبى حقه ﴾ قال : الخطابُ للنبي وأمته ، بدليل قوله ﴿ ذَلِكَ خَيرٌ لِلَّذينَ يُريدونَ وَجْهَ اللهِ ﴾ وخيرُ الصدَّقةِ ما كان على القريب ، وفيها صلةُ الرحم ، وقد قال مجاهد وقتادة : صلةُ الرحم فرضٌ من الله عز وجل ، حتى قال مجاهد : لاتُقبلُ صدقةٌ من أحدٍ ورحِمهُ محتاجةٌ . اهـ وكذا ذكره النحاس في كتابه إعراب القرآن ٢/٥٩١ .

(٢) الأثر في الطبري ٢١/٤٦ وفي الدر المنثور ٥/١٥٦ وابن كثير ٦/٣٢٤ فقد قال في تفسيره عند هذه الآية : أي من أعطى عطيَّة يريد أن يَرُدَّ الناسُ عليه أكثر مما أهدى لهم ، فهذا لا ثواب له عند الله ، وبهذا فسَّره ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، وعكرمة ، وهذا الصنيع مباحٌ وإن كان لا ثواب فيه . اهـ .

(٣) ذكره السيوطي في الدر ٥/١٥٦ عن ابن عباس ، والقرطبي ١٤/٣٦ عن عكرمة ، والمراد بربا النسيئة أي الربا المعروف الذي يكون بسبب الأجل ، كأن يقرضه ألفاً إلى سنةٍ بزيادة مائة فيها فهذا ربا النسيئة وهو حرام باتفاق .

وقال إبراهيم[1] : كان هذا في الجاهلية ، يعطي الرجل ذا قرابته المالَ ، ليكثر عنده ، فلا يربو عند الله .

٣١ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ الله فَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُوْنَ ﴾ [آية ٣٩] .

قال ابن عباس : ﴿ مِنْ زَكَاةٍ ﴾ أي من صدقة[2] .

ثم قال ﴿ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ أي الذين يجدون أضعاف ذلك ، أي ذَوُو الإِضْعاف ، كما تقولُ : رجلٌ مُقْوٍ أي ذو قوَّةٍ[3] .

٣٢ ــ وقولُه جلَّ وعز ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ والْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ .. ﴾ [آية ٤١] .

قال مجاهد : ﴿ في البَرِّ ﴾ قتلُ ابنُ آدم أخاه ﴿ والبَحْرِ ﴾ أخذُ السفينةِ غَصْباً[4] .

---

(١) المراد به إبراهيم النخعي رحمه الله ، ذكره القرطبي فقال وقال النخعي : نزلت في قوم يعطون قراباتهم ليزيدوا في أموالهم على سبيل النفع . اهـ .

(٢) إنما فسرها ابن عباس بالصدقة لأن السورة مكية ، والزكاة إنما فرضت بعد الهجرة ، فتنبه والله يرعاك .

(٣) قال في لسان العرب مادة قوى : فرسٌ مُقْوٍ : قويٌّ ، ورجلٌ مُقْوٍ : ذو دابة قوِّية ، وأقوى الرجلُ فهو مُقْوٍ : إذا كانت دابته قويَّةً . وكذا قال في الصحاح : أقوى : إذا كانت دابته قوية .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٤٩/٢١ والسيوطي في الدر المنثور ١٥٧/٥ ولفظه : عن مجاهد قال : فسادُ البرِّ : قتلُ ابن آدم أخاه ، وفسادُ البحر : أخذ الملِكِ السُّفُن غصباً . اهـ وكذا ذكره ابن كثير ٣٢٦/٦ وأبو حيان في البحر ١٧٦/٧ وهذا تمثيلٌ للفساد لا حصرٌ له .

وقال عكرمةُ وقتادة : البَرُّ : البَوَادي ، والبحرُ : القُرَى[1] .

قال قتادة : والفسادُ : الشِّركُ .

قال أبو جعفر : والتقديرُ على هذا : وفي مواضع البحر ، أي التي على البحر .

وأحسن ما قيل في هذه الآية ـ واللهُ أعلم ـ قولُ ابن عباس حدثنا بكرُ بن سهل ، قال حدثنا عبدُ اللهِ بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلْحةَ عن ابنِ عباس ﴿ **ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالْبَحرِ** ﴾ .

يقول : نقصانُ البركةِ بأعمالِ العبادِ ، كي يتوبوا .

والمعنى على هذا : ظهر الجدبُ في البرِّ والبحر ، بذنوب الناس[2] .

---

(١) الأثر عن عكرمة وقتادة ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٥٦/٥ فقال : وقال عكرمة : البرُّ : الفيافي التي ليس فيها شيء ، والبحرُ : القرى ، وعن عكرمة أيضاً أنه سُئل عن قوله تعالى ﴿ ظهر الفساد في البرِّ والبحر ﴾ قالوا : البرُّ قد عرفناه فما بالُ البحر ؟ قال : إن العرب تسمي الأمصار البحر اهـ . وذكره أيضاً ابن جرير وابن كثير ، وعزاه إلى عكرمة وابن عباس والضحاك .

(٢) عبارة النحاس في إعراب القرآن ٥٩٢/٢ : في معنى الآية قولان :
أحدهما : ظهر الجدبُ في البرِّ ـ أي في البوادي وقُراها ـ وفي البحر أي في مدن البحر مثلُ قوله تعالى ﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾ أي ظهر قلَّةُ الغيث ، وغلاء السعر ، بما كسبت أيدي الناس من المعاصي ، لنذيقهم عقاب بعضِ الذين عملوا .
والقول الآخر : أن معنى ﴿ ظهر الفسادُ ﴾ ظهرت المعاصي ، من قطع السبيل ، والظلم ، =

٣٣ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ القَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ [آية ٤٣] .

أي اجعل قَصْدك إلى الدِّين القَيِّم ، من قَبل أن يأتي يومُ القيامة ، فلا ينفعُ نفساً إيمانُها ، لم تكن آمنتْ مِنْ قبلُ .

ومعنى ﴿ يَصَّدَّعُونَ ﴾ يتفرَّقُون[1] ، فريقاً في الجنة ، وفريقاً في السَّعير .

٣٤ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ [آية ٤٤] .

رَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : ﴿ فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ : في القبر[2] .

= فهذا هو الفسادُ على الحقيقة ، والأوَّل مجازٌ ، وعلى الجواب الثاني يكون في الكلام حذفٌ واختصار ، دلَّ عليه ما بعده ، والمعنى : ظهرت المعاصي في البر والبحر ، فحبس الله عنهم الغيث ، وأغلى سعرهم ، ليذيقهم عقاب بعض ما عملوا . اهـ .

وقال في التسهيل ٢٦٨/٣ : قيل البرُّ : البلاد البعيدة من البحر ، والبحرُ : البلادُ التي على ساحل البحر ، وقيل : البرُّ : اللِّسانُ ، والبحرُ : القلبُ ، وهذا ضعيف ، والصحيحُ أن البرَّ والبحر معروفان ، فظهورُ الفساد في البرِّ : بالقحط ، والفتن ، وشبه ذلك ، وظهور الفساد في البحر : بالغرق ، وقلة الصيد ، وكساد التجارات ، والكل بسبب الكفر والعصيان اهـ .

(١) قوله ﴿ يَصَدَّعُوْنَ ﴾ أصلُها يتصدَّعون أي يتفرقون ، قال الجوهري : تصدَّع القوم : تفرقوا ، ومنه الصُّداعُ وجع الرأس . اهـ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٥٢/٢١ والسيوطي في الدُّر ١٥٧/٥ وصاحب البحر ١٧٧/٧ حيث =

قال أبو جعفر : معنى ﴿ **يَمْهَدُونَ** ﴾ في اللغة : يوطِّئُون لأنفسهم بعملِ الخير ، من المهادِ ، وهو الفراشُ .

٣٥ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَيَجْعَلُهُ كِسَفَاً فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ .. ﴾** [آية ٤٨] .

﴿ **وَيَجْعَلُهُ كِسَفَاً** ﴾ جمعُ كِسْفةٍ وهي القطعةُ :

﴿ **فَتَرى الوَدْقَ** ﴾ قال مجاهد : أي القطر ﴿ **يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ** ﴾ أي من بين السَّحاب[1] .

٣٦ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴾** [آية ٤٩] .

في تكرير ﴿ قَبْلِ ﴾ ههنا ثلاثةُ أقوال :

أ ــ **قال الأخفشُ سعيد** : هذا على التوكيد ، وأكثرُ النَّحْوِيِّينَ على هذا القول .

= قال : وعن مجاهد قال : هو التمهيدُ للقبر . اهـ

أقول : وهذا التحصيص لا وجه له ، إذ أنهم بعملهم الصالح ، يمهِّدُون الطريق لأنفسهم في القبر ، وعلى الصراط ، وعند الميزان ، وفي جنة ، فالأولى كما قال القرطبي ﴿ فلأنفسهم يمهدون ﴾ أي يوطِّئون لأنفسهم في الآخرة فراشاً ، ومسكناً وقراراً بالعمل الصالح . اهـ .

(١) في هذه الآية دليلٌ واضحٌ على أن المطر ينزل من السحاب ، وهذا ما يقوله علماء الطبيعة ، أن السحب هي التي تحمل معها الماء ، فلا تعارض بين العلم والدين ، لأن كل ما علاك فأظلَّك فهو سماءٌ ، كما يقول علماء اللغة ، واقرأ قوله سبحانه ﴿ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ المُزْنِ أَمْ نَحْنُ المُنْزِلُونَ ﴾ ؟ .

ب ــ **وقال قُطْرب** : أي وإن كانوا من قبل التنزيل، من قبل المطر[1] .

جـ ــ **والقولُ الثالثُ عندي أحسنُها ، وهو أن يكون المعنى** : من قبل السَّحاب ، أي : من قبل رؤية السَّحاب ، ليائسين ، وقد تقدَّم ذكرُ السَّحاب[2] .

٣٧ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِى الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا .. ﴾** [آية ٥٠] .

﴿ رَحْمَةِ اللهِ ﴾ أي المطر الذي هو من رحمةِ اللهِ **﴿ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها ﴾** .

---

(١) في المخطوطة سقطت لفظة « المطر » وقد أثبتناها من القرطبي ١٤/٤٤ حيث قال رحمه الله : وقال قُطرب : إن « قبل » الأولى للإنزال ، والثانية للمطر ، أي وإن كانوا من قبل التنزيل من قبل المطر . اهـ .

(٢) تقدم ذكر السحاب في الآية قبلها في قوله سبحانه ﴿ اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً ﴾ والأَوْلَى أن يُقال : إن الآية تدلُّ على سُرْعةِ تقلبِّ قلوب البشر من الإبلاس ــ أي القنوط ــ إلى الاستبشار والسرور ، فإن قوله ﴿ من قَبْلِ أن يُنزَّلَ ﴾ يحتمل المدة الطويلة في الزمن بأيام أو شهور ، فجاء قوله تعالى ﴿ من قبله ﴾ متصلاً بنزول المطر ، فهو تأكيد مقيِّد للزمن ، وهذا ما رجحه ابن عطية ، وأما قول قطرب فقد ردَّه العلاَّمة أبو حيان وقال : وعلى تقديره يصبح المعنى : وإن كانوا من قبل إنزال المطر من قبل المطر ، قال : وهذا تركيبٌ لا يسوغ في كلام فصيح ، فضلاً عن القرآن ، واختار أبو حيان أن يكون التكرارُ لمجرَّد التأكيد ، لرفع المجاز فقط ، وانظر البحر المحيط ٧/١٧٩ .

وقـرأ محمـد اليماني : ﴿ كَيْـفَ تُحْيـى الأَرْضَ بَعْـدَ مَوْتِهَا ﴾[1] .

والمعنى على قراءته : كيف تُحْيي الرَّحْمةُ الأرضَ ، أو الآثارُ .

و﴿ يُحْيِي ﴾ بالياء ، أي يُحْيي الله ، أو المطرُ[1] ، أو الأَثَرُ ، فيمن قرأ هكذا .

٣٨ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً ، لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرونَ ﴾ [آية ٥١] .

قال النحويون : ﴿ فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً ﴾ أي فرأَوْا النَّباتَ مصفَرّاً ، وحقيقتهُ فرأوا الأَثَرَ مُصْفَرّاً ﴿ لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِه يَكْفُرُونَ ﴾ أي لَيظلُنَّ ، هذا قولُ الخليل .

قال أبو جعفر : وهذا يقع في حروف المجازاة[2] .

---

(١) قراءة ﴿ تُحْيـي ﴾ بالتَّـاء ، من القـراءات الشاذة كما في المحتسب ١٦٥/٢ ، وهـي قراءة الجحدري ، وأبي حيوة ، والضمير على هذه القراءة يعود على ﴿ الرحمة ﴾ وأمَّا قراءة ﴿ أَثَر ﴾ وقراءة ﴿ آثار ﴾ في قوله تعالى ﴿ فَانْظُرْ إِلى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ ﴾ فكلاهما من القراءات السبع ، والمرادُ بالنَّظر هنا : نظر التفكر والاستبصار ، والاستدلال ، ليستدل الناظر على أن ما ينشأ عن آثار نعمة اللهِ بالمطر ، من خصرةِ الأشجارِ ، وتفتّح الأزهار ، وخروج الثِّمار ، وكيف أن الله جعل الأرض تنبت بعد أن كانت هامدة جامدة ، قادرٌ على إحياء الموتى بعد فنائهم ، ولهذا أعقبها بقوله ﴿ إِنَّ ذٰلِكَ لَمُحْيي المَوْتَى ﴾ فهذا هو الغرض من النظر .

(٢) المجازاة يعني الجزاء ، والأصل أن يأتي جواب الشرط مضارعاً : ولئن أرسلنا ريحاً .. ليظلُّنَّ ، ولكن حَسُن وقوع الماضي في موضع المستقبل ، لما في الكلام من معنى المجاراة ، والمجازاة لا تكون إلاَّ بالمستقبل وانظر القرطبي ٤٥/١٤ .

٣٩ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَاتُسْمِعُ الصُمَّ الدُّعَاءَ ، إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ [آية ٥٢] .

أي إنهم بمنزلة المَوْتى ، والصُّمِّ ، لأنهم لا يَقْبلون ، لمعاندتهم[١] .

٤٠ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنْ تُسْمِعُ إِلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آية ٥٣] .

أي ما تُسْمِع إلاَّ من كان قابلاً ، غير معاند .

٤١ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مَنْ ضَعْفٍ ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾ [آية ٥٤] .

﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ﴾ أي من المنيّ .

أي خلقكم في حال ضعف .

﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾ أي الشباب .

---

(١) هذا تشبيهٌ وتمثيلٌ لحال الكفار ، بالموتى الذين لايسمعون ولا ينتفعون شبَّههم بالموتى ، وبالصُمّ والعُمْي ، وهذا قال المصنّف : أي إنهم بمنزلة الموتى ، قال الطبري : إنما هذا مَثَلٌ ، ومعنى الآية : إنك يا محمد لا تُسمع الأموات ، ولا تُسمع من كان في أذنيه صَمَمٌ تلك المواعظ المؤثرة ، ولو أنَّ أصمَّ ولَّى عنك مدبراً ، ثم ناديته لم يسمع ، فكذلك الكافر لايسمع ولا ينتفع بما يسمع . قال في البحر : أخبرنا تعالى عنهم أنهم موتى القلوب ، أو شُبِّهوا بالموتى وإن كانوا أحياءَ ، صحاح الأبصار ، لأنهم إذا تليت عليهم آيات القرآن ، لا تعيه آذانهم ، فكانت حالُهم لانتفاء جدوى السَّماع ، كحال الموتى . اهـ البحر ٩٦/٧ .

٤٢ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَالَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ .. ﴾ [آية ٥٥] .

أي يحلفون ما لبثوا في القبور ، إلاَّ ساعةً واحدة[١] .

٤٣ ـ ثم قال تعالى ﴿ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴾ [آية ٥٥] .

أي كذلك كانوا يكذبون في الدنيا .

يُقال : أُفِكَ الرَّجُل : إذا صُرِفَ عن الصِّدقِ والخير ، وأرضٌ مأفوكةٌ : ممنوعةٌ من المطر .

٤٤ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ ، لَقَدْلَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ .. ﴾ [آية ٥٦] .

قيل : المعنى : في خبر كتاب الله[٢] ، أنكم لبثتم في قبوركم إلى يوم القيامة .

وقيل : في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ .

---

(١) المرادُ بالساعة هنا الساعة الزمنيَّة ، كقوله سبحانه ﴿ لم يَلْبَثُوا إلاَّ عَشِيَّةً أو ضُحَاهَا ﴾ وقوله ﴿ كأن لم يَلْبَثُوا إلاَّ سَاعَةً من نَهَارٍ ﴾ والآية الكريمة فيها ما يسمى « الجناس التام » لأن قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَقُوْمُ السَّاعَةُ ﴾ يُراد بالسَّاعة القيامةُ ، وقولُه تعالى ﴿ ما لَبِثُوْا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ أي مدَّةً يَسِيرةً من الزَّمَنِ . فاللفظُ واحدٌ ، والمعنى مختلفٌ ، وهو من المحسِّنَاتِ البديعية .

(٢) أي على حذف مضاف كما في قوله سبحانه ﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾ أي أهل القرية ، ولا حاجة إلى هذا التقدير ، لأن المراد من قوله ﴿ في كتابِ اللهِ ﴾ أي في علم اللهِ ، أو في اللوح المحفوظ كما قال المفسرون ، فإن الله قد سجَّل فيه أرزاق العباد ، وآجالهم ، وأعمالهم ، وكلَّ ما كان ويكون ، إلى يوم القيامة .

والمعنى : وقال الذين أوتوا العلمَ في كتابِ الله[1] : لقد لبثتم إلى يوم البَعْثِ .

٤٥ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ فَاصْبِرْ إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾** [آية ٦٠] .

﴿ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ﴾ أي لايستفزنَّك **﴿ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾** أي الشاكُّون .

« انتهت سورة الروم »

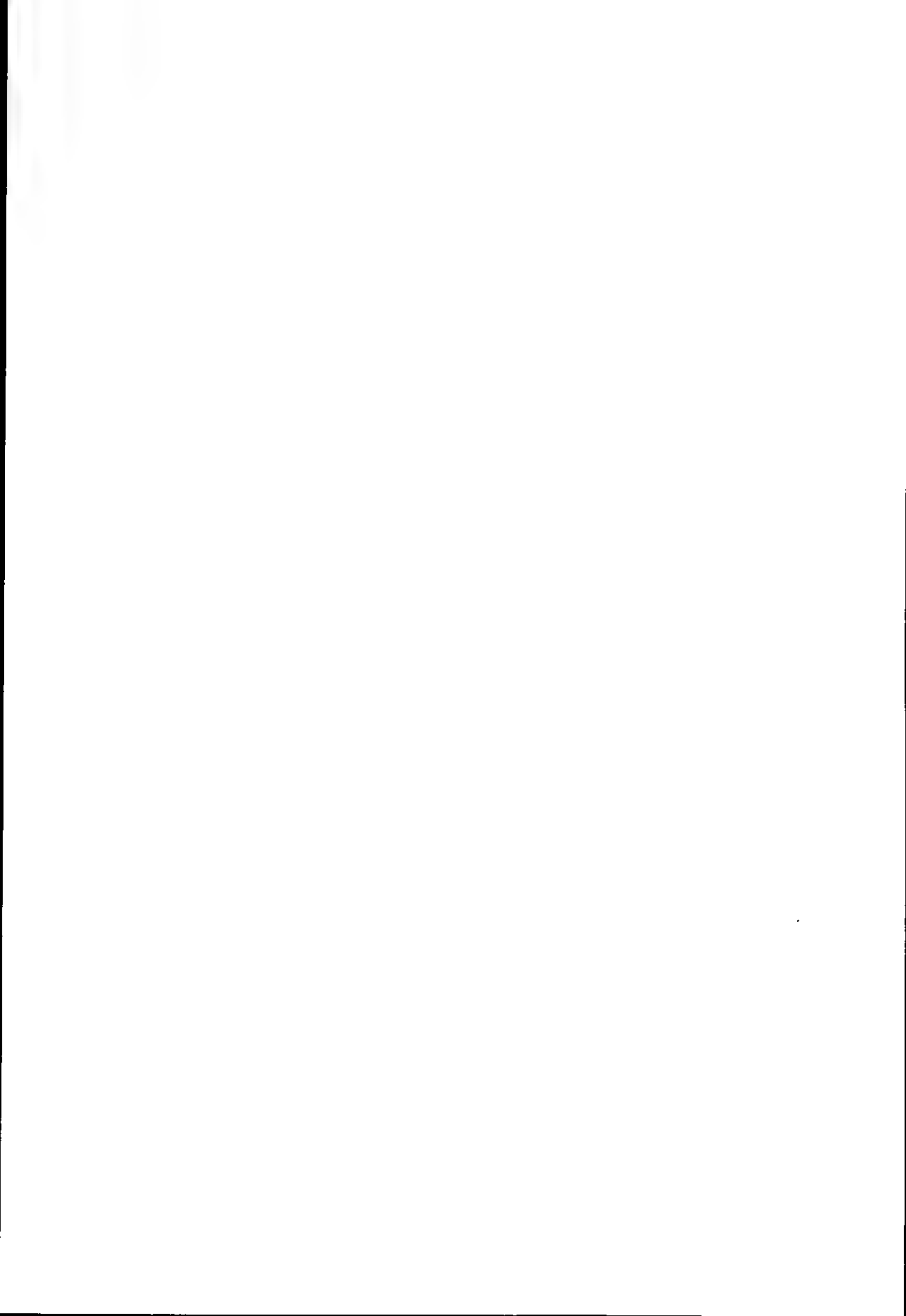
* * *

(١) ما ذكره المصنف مرويٌّ عن قتادةَ ، وفي نسبته إليه نظر ، فقد قال أبو حيان في البحر المحيط ١٨٠/٧ ما نصُّه : وقال قتادة : هو على التقديم والتأخير تقديره : أوتوا العلم في كتاب الله والإيمانَ لقد لبثتم ، وعلى هذا تكون « في » بمعنى الباء ، أي العلم بكتاب الله قال : ولعل هذا القول لايصح عن قتادة ، فإن فيه تفكيكاً للنظم ، لا يسوغ في كلامٍ غير فصيح ، فكيف يسوغ في كلام الله ؟ وقتادة كان موصوفاً بعلم العربية ، فلا يصدر عنه مثل هذا القول . اهـ من البحر المحيط .



تفسير سورة لقمان

مكية وآياتها ٣٤ آيـة



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة لقمان وهي مكية

قال عبدُ الله بنُ عبّاسٍ هي مكيَّةٌ ، إلاَّ ثلاث آيات منها ، فإنهنَّ نزلْنَ بالمدينة ، وهنَّ قولُه جلَّ وعزَّ :

﴿ **وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ** .. ﴾ إلى تمام الآيات الثلاث[1] .

١ ــ **من ذلك قولُه عزَّ وجلَّ** ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ** .. ﴾ [آية ٦] .

رَوَى سعيدُ بنُ جُبير عن أبي الصَّهباء البكريِّ[2] **قال** : سُئِل عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ عن قوله جلَّ وعزَّ ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ** ﴾ .

فقال : الغِنَاءُ ، واللهِ الَّذي لا إلهَ إلاَّ هو ، يردِّدُها ثلاث مراتٍ[3] .

---

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ١٥٨/٥ عن ابن عباس أن السورة مكية إلا الآيات الثلاث .

(٢) هو صهيب أبو الصهباء البكري البصري مولى ابن عباس ، قال أبو زرعة : ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات ، له ذكر في صحيح مسلم ، وضعفه النسائي ، وانظر التهذيب ٤٣٩/٤ .

(٣) هذا تفسير مأثور ، لصحابي جليل ، من أعلم الصحابة بكتاب الله بعد ابن عباس ، وهو « عبدالله بن مسعود » فقد سئل عن المراد من « لهو الحديث » فقال : واللهِ الذي لا إله إلا =

وبغير هذا الإسناد عنه : « والغِناءُ يُنْبِتُ في القلب النفاقَ »[1] .

ورَوَى سعيدُ بن جبير عن ابن عباس قال : الرجلُ يشتري الجارية المغنيَّة ، تُغَنِّيه ليلاً أو نهاراً[2] .

ورُوِي عن ابن عمر هو : الغِنَاءُ[3] .

وكذلك قال عكرمةُ ، وميمونُ بن مِهْرَانَ ، ومكحولٌ[4] .

ورَوَى عليُّ بن الحَكَم عن الضحَّاك ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ ﴾ قال : الشِّرْكُ[5] .

= هو ، واللهِ الذي لا إله إلا هو ، يحلف بالله ، وأعاد الجملة ثلاث مرات : « إنما هو الغناءُ والمزاميرُ » وكفى بهذا دليلاً واضحاً على حرمة استماع الغناء ، ومزامير الشيطان . وانظر الطبري ٦٢/٢١ وابن كثير ٣٢٣/٦ والدر المنثور ١٥٩/٥ .

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ١٥٩/٥ ولفظُه : « الغناء يُنبتُ النفاق في القلب ، كما يُنبت الماءُ الزَّرعَ ، وَالذِّكْرُ يُنبت الإيمانَ في القلب ، كما يُنبت الماء الزرع » .

(٢) قال ابن عباس : أنزلت هذه الآية في « النضر بن الحارث » اشترى قينةً ــ أي جارية مغنيَّة ــ فكان لا يسمع بأحدٍ يريد الإسلام ، إلاَّ انطلق به إلى قَيْنَتِه ، فيقول لها : أطعميه ، واسقيه ، وغنيّه ، ثم يقول له : هذا خيرٌ لك مما يدعوكَ إليه محمدٌ ، من الصلاة ، والصيام ، وأن تقاتل بين يديه حتى تُقتل ، ففيه نزلت هذه الآية ﴿ ومن النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيث لِيُضِلَّ عن سَبِيلِ اللهِ ﴾ وانظر الدر المنثور ١٥٩/٥ .

(٣ــ٤) هذه الأقوال عن السلف ذكرها الطبري في تفسيره ٦٣/٢١ والسيوطي في الدر المنثور ١٥٩/٥ وابن كثير في تفسيره ٣٣٤/٦ .

(٥) انظر جامع البيان للطبري ٦٣/٢١ وهو قول عبدالرحمن بن زيد بن أسلم . كما جاء في تفسير ابن كثير ٣٣٤/٦ واختار ابن جرير أن لهو الحديث : كلُّ كلامٍ يصدُّ عن آيات الله واتّباع سبيله . اهـ .

ورَوَى جويبرٌ[١] عنـه قال : الغِنـاءُ مَهْلكـةٌ للمـالِ ، مَسخَطـةٌ للربِّ ، مَقْسَاةٌ للقلبِ[٢] .

وسُئل القاسمُ بن محمد عنه فقال : الغِناء باطلٌ ، والباطـلُ في النار[٣] .

قال أبو جعفر : وأبيـنُ ما قيـل في الآية ما رواه عبدالكـريم عن مجاهد قال : الغِناءُ ، وكلُّ لعبٍ : لَهْوٌ .

قال أبو جعفـر : فالمعنـى : ما يُلهيـه من الغنـاء ، وغيـرِه ، مما يُلْهِي[٤] .

وقد قال معمرٌ :بَلَغَني أن هذه الآية ، نزلت في رجلٍ من بنـي عَدِيٍّ ، يعنـي « الـنَّضر بن الحارث » كان يشتـري الكـتب التـي فيها أخبـار فارسَ والـرُّوم] ويقـول : محمـدٌ يُحدِّثكـم عن عادٍ وثمود ، وأنـــا

---

(١) قال في تقريب التهذيب ١٢٤/١ : جابر أو جويبر العبدي ، مقبولٌ من الثالثة .

(٢) ذكـره الألـوسي في تفسيره روح المعـاني ٦٨/٢١ عن الضحـاك بفـظ « الغنـاء منْفـدةُ للمـال ، مَسْخَطة للرب ، مفْسدة للقلب » .

(٣) ذكره القرطبي ٥٢/١٤ وروى عن مجاهد : إن لهو الحديث في الآية الاستماع إلى الغنـاء وإلى مثلـه من الباطل .

(٤) هذا هو الصحيح أن « لهو الحديث » هو الغناءُ ، وكلُّ ما يُلهي عن طاعة الله . والمراد بالغِناء كما قال القرطبي الغناء المعتاد ، الذي يُحرِّك النفوس ، ويبعثها على الهوى والغزل والمجون . أما ما سلم من ذلك فيجوز القليل منه في أوقات الفـرح ، كالعـرس والعيـد ، وعنـد التنشيـط على الأعمـال الشاقة ، كما كان في حفر الخندق . اهـ القرطبي ٥٤/١٤ .

أحدثكم عن فارسَ والرُّوم][1] ويستهزئ بالقرآن إذا سَمِعه[2] .

٢ ـــ وقولُه جلَّ وعز ﴿ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً .. ﴾ [آية ٦] .

أي لِيُضِلَّ غيره ، وإذا أضلَّ غيرَه ، فقد ضَلَّ .

وَ « لِيَضِلَّ » هو ، أي يئول أمرُه إلى هذا ، كما قال ﴿ رَبَّنَا لِيَضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ[3] ﴾

٣ ـــ وقولُه جل وعز ﴿ كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً .. ﴾ [آية ٧] .

قال مجاهد : ﴿ وَقْراً ﴾ أي ثقلاً[4] .

٤ ـــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا .. ﴾ [آية ١٠] .

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط من الأصل ، وأثبتناه من هامش المخطوطة .

(٢) قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ٥٢/١٤ : وتأولها قوم على الأحاديث التي يتلهَّى بها أهل الباطل واللَّعب ، فقد قيل : إن الآية نزلت في « النضر بن الحارث » لأنه اشترى كتب الأعاجم « رستم » و« اسفنديار » فكان يجلس بمكة ، فإذا قالت قريش : إن محمداً قال كذا ، ضحك منه ، وحدَّثهم بأحاديث مُلوكِ الفرس ، ويقول : حديثي هذا أحسن من حديث محمد ، حكاه الفراء والكلبي وغيرهما . اهـ .

(٣) قرأ الكوفيون ﴿ لِيُضِلُّوا ﴾ بضمِّ الياء أي لِيُضلُّوا عبادك ، والباقون بفتح الياء أي لِيَضِلُّوا هم عن طريقك المستقيم ، والآية التي استشهد بها المصنف في سورة يونس رقم (٨٨) .

(٤) قال في لمصباح مادة « وقر » : وقَرتِ الأُذُن وَقْراً ، من بَابَيْ تَعِبَ ، وَوَعد : ثَقُل سمعُها . اهـ وقال في البحر ١٨٤/٧ والمعنى : كأن فيهما صَمَماً يَصُدُّه عن السَّماع .

يجوز أن تكون ﴿ **تَرَوْنَها** ﴾ بمعنى ترونها بغير عمد[1] .

ويجوز أن تكون نعتاً ، على قولِ مَنْ قال : هيَ بعَمَدٍ ولكنْ لا يَرَوْنَها .

قال أبو جعفر : والقولان يرجعانِ إلى معنى واحد ، لأن من قال إنها بعَمَدٍ ، إنَّما يريد بالعَمَد قدرةَ اللهِ جلَّ وعزَّ ، التي يُمسك بها السَّمَواتِ والأرض[2] .

٥ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ** .. ﴾ [آية ١٠] .

أي جبالاً ثابتة ، وقد رَسَا : أي ثَبتَ .

﴿ **أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ** ﴾ أي كراهةَ أنْ تميدَ بكم .

يُقال : مادَ يَميد ، إذا اشتَدَّتْ حركتهُ[3] .

---

(١) هذا هو الراجح وهو قول قتادة والحسن كما في الطبري ، أن السماء قائمة بقدرة الله بغير دعائم ترتكز عليها حال كونكم تشاهدونها كذلك ، وهذا معنى قول الحسن : ليس لها دعائم ، وانظر الطبري ٦٥/٢١ .

(٢) قال الإمام النحاس في كتابه إعراب القرآن ٦٠٠/٢ : يجوز أن يكون ﴿ تَرَوْنَها ﴾ في موضع خفض على النعت لـ ﴿ عَمَدٍ ﴾ أي بغير عَمَد مرئية ، ويجوز أن يكون في موضع نصب على الحالِ ، وسمعتُ عليَّ بن سليمان يقول : الأَوْلى أن يكون مستأنفاً ، ويكون ﴿بغير عَمَدٍ﴾ التمامُ ، أي ولا عَمَدَ ثمَّ اهـ .

(٣) في المخطوطة « وقد مَادَ » وهو تصحيفٌ ، وصوابهُ يُقالُ : مَادَ يَميدُ . الخ .

٦ ــ **وقولُـه جلَّ وعـزَّ ﴿ هَذَا خَلْـقُ اللهِ ، فَأَرُونِـي ماذَا خَلَـقَ الَّذِيـنَ مِنْ دُونِهِ ﴾** [آية ١١] .

﴿ هَذَا خَلْقُ اللهِ ﴾ يعني مَا ذُكِرَ مِنْ خلقِ السَّمواتِ وغيرِها(١) .

﴿ فَأَرُونِي مَاذَا خَلقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ أي ممَّا تعبدونه .

٧ ــ **ثم أَعْلَمَ أنَّهـم في ضلالٍ فقـال سبحانـه ﴿ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾**(٢) [آية ١١] .

٨ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ .. ﴾** [آية ١٢] .

رَوَى سُليمانُ بنُ بلالٍ ، عن يَحْيى بنِ سعيدٍ ، عن سعيـد بن المسيَّب قال : كان لقمانُ من سُودان مصرَ(٣) .

---

(١) أطلق المصدر وأراد به اسم المفعول ، أي هذه مخلوقاتُ اللـه . فأروني يا معشر المشركين أيَّ شيء خلقتـه آلهتكـم التـي عبدتموهـا من دون الله ؟ وهـو سؤال استنكـارٍ وتوبيـخ على جهـة التهكُّـم والسخرية بهم وبآلهتهم المزعومة .

(٢) قال القرطبي ١٤/٥٨ : ﴿ هَذَا خَلْقُ اللهِ ﴾ الخَلْقُ : بمعنى المخلوق أي هذا الذي ذكرتُه ، ممَّا تُعَاينونه خَلْقُ الله مخلوقُ الله ، وقد خلقها من غير شريك ، فأروني يا معاشر المشركين ماذا خلقت الأصنام ؟ بل الظالمون أي المشركون في ضلال مبين أي خسرانٍ ظاهر . اهـ .

(٣) ذكـره ابـن جريـر الـطبري في تفسيره ٢١/٦٧ وروى بطريـق آخـر أن رجـلاً أسود جاء إلى ابـن المسيَّب يسـأله ، فقال له سعيد : لا تحزن من أجل أنك أسود ، فإنـه كان من خير النـاس ثلاثـة من السودان : بلالٌ ، ومهجّع مولى عمر ، ولقمان الحكيم ، كان أسود نوبياً . اهـ .

وقــال غيــرُه : كان في وقت دَاوُدَ النبــيِّ صلى الله عليــه وسلَّم[1] .

قال وهبُ بنُ منبِّهٍ : قرأتُ من حكمتــهِ أرجَــحَ من عشرةِ آلاف باب[2] .

قال مجاهد : الحكمة التي أُوتيها : العقـلُ ، والفقـهُ ، والصَّوابُ في الكلام من غير نبوَّة[3] .

قال زيدُ بن أسلم : الحكمةُ : العقـلُ في ديـن اللهِ عز وجـل ، ويُقال : إن ابنه اسمه ثاران[4] .

٩ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ يَابُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيـمٌ ﴾** [آية ١٣] .

قال الأصمعيُّ : الظُّلمُ : وَضْعُ الشيءِ في غيرِ موضعه .

(١ــ٤) انظر الآثار في الطبري ٢١/٦٧ والدر ٥/١٦١ ورأيُ الجمهور أن « لقمان » كان حكيماً ولم يكن نبياً لقوله تعالى ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة ﴾ ولم يقل : آتيناه النبوة ، وهـذا القـولُ ذهب إليه من السلف مجاهد ، والثوري ، وقتادة ، وابن المسيب ، وغيرهم .

قال الحافظ ابـن كثير ٦/٣٣٦ : اختلـف السلـف في « لقمـان » هل كان نبيـاً ، أم عبـداً صالحاً من غير نبوة ؟ على قولين ، الأكثرون أنه ليس بنبي . اهـ .

وقال في البحر ٧/١٨٦ : والأكثرون على أنه لم يكن نبياً . اهـ وقال القرطبي ١٤/٥٩ : وعلى هذا جمهور أهل التأويل ، أنه كان ولياً ولم يكن نبياً ، وروى مس حديث ابـن عمـر قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لم يكنْ لقمانُ نبياً ، ولكنْ كان عبـداً كثير التفكـر ، حسنَ اليـقين ، أحبَّ الله تعالى فأحبَّه اللهُ ، فمنَّ عليه بالحكمة » اهـ وانظر الدر المنثور ٥/١٦١ .

قال أبو جعفر : المشركُ نَسَبَ نعمةَ اللهِ جلَّ وعزَّ إلى غيره ، لأن الله جلَّ وعزَّ الرَّازِقُ ، والمحيي ، والمميتُ ، وقال : هو ظالمٌ لنفسه[1] .

١٠ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ .. ﴾ [آية ١٤] .

وقرأ عيسى ﴿ وَهَناً عَلَى وَهَنٍ ﴾[2] .

قال الضحاك : الوهْنُ : الضَّعْفُ .

وكذلك هو في اللُّغةِ : يُقال : وَهَنَ يَهِنُ ، وَوَهَن يَوْهَنُ ، وَوَهِنَ يَهِنُ ، مثلُ وَرِمَ يَرِم : إذا ضَعُفَ ، يعني ضَعْفَ الحَمْلِ ، وضَعْفَ الطَّلْقِ ، وضَعْفَ النِّفَاسِ[3] .

---

(١) أي إنما كان المشرك ظالماً لنفسه ، لأنه جحد نعمة الله فعرَّض نفسه للعذاب ، ومن سوَّى بين الخالق والمخلوق ، وبين الإله والصنم ، فهو ــ بلا شك ــ أحمقُ النَّاس ، وأبعدهم عن منطق العقل والحكمة ، وحريٌّ به أن يوصف بالظلم ، ويُجعل في عداد البهائم .

رُوي أنه لما نزلت ﴿ الَّذِينَ آمَنُوْا ولم يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ شقَّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ ، وقالوا : أيُّنا لم يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله ﷺ : ليس هو كما تظنُّون ، إنما هو كما قال لقمانُ لابنه : ﴿ يَابُنَيَّ لاتُشْرِكْ باللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ أخرجه البخاري في التفسير ١٤٣/٦ .

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب ١٦٧/٢ قال في البحر ١٨٧/٧ : قرأ عيسى الثقفي وأبو عمرو ﴿ حَمَلَتهُ أمُّه وَهَنَاً عَلَى وَهَنٍ ﴾ بفتح الهاء فيهما ، وقرأ الجمهور بسكون الهاء . اهـ .

(٣) قال الطبري ٦٩/٢١ : ﴿ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ ﴾ أي ضعفاً على ضعف ، وشدَّة على شدَّة ، قال مجاهد : وهنُ الولد على وهن الوالدة وضعفها . اهـ .

١١ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾** [آية ١٤] .

﴿ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ أي فطامُه في عامين .

﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ على التقديم والتأخير[١] ، والمعنى : ووصيَّنا الإنسانَ أنْ اشكرْ لي ولوالديك .

١٢ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْس لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾** [آية ١٥] .

يُرْوَى أنها نزلت في « سعدِ بن أبي وقَّاص »[٢] .

---

(١) يريد المصنف أن قوله ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنَاً على وهْنٍ وفِصَالُه في عَامَيْنْ ﴾ من المقدَّم لفظاً والمؤخَّر معنى ، والأصل في التركيب : ووصَّيْنَا الإنسان بوالديه أن اشكر لي ولوالديك ، حملته أُمُّهُ وهناً .. الخ وإنما قدَّمه لبيان أهميَّة حقّ الأم ، حيث قاست الشدائد والأهوال من الحمل ، والنفاس ، والرضاع والتربية الخ وهذا القول الذي ذَكره المصنف هو قول الزجاج ، وقد ضعَّفه في كتابه إعراب القرآن فقال ما نصُّه ٢/٦٠٣ : وزعم أبو إسحاق في كتابه أنَّ « أَنْ » في موضع نصب ، وأن المعنى : ووصينا الإنسان بوالديه أن اشكر لي ولوالديك ، وهذا القول على مذهب سيبويه بعيدٌ ، ولم يذكر أبو إسحاق ــ فيما علمتُ ــ غيره ، وأجودُ منه أن تكون «أَنْ» مفسِّره والمعنى : قلنا له اشكر لي ولوالديك . اهـ وهذا هو الأصحُّ والأرجح .

(٢) روى الحافظ ابن كثير في سبب نزول هذه الآية عن (سعد بن أبي وقاص) رضي الله عنه قال : (كنتُ رجلاً براً بأمي ، فلما أسلمتُ قالت ياسعد : ما هذا الذي أراك قد أحدثتَ ؟ لتَدَعنَّ دينك هذا ، أو لا آكل ولا أشرب حتى أموتَ ، فتُعَيَّر بي فيقال : ياقاتل أُمِّهِ ، فقلتُ : لا تفعلي ياأُمَّه ، فإني لا أدعُ ديني هذا أبداً ، فمكثت يوماً وليلةً لم تأكل ، فأصبحت قد جهدت ، فمكثت يوماً وليلةً أخرى لا تأكل ، فأصبحت قد اشتد جهدها ، فلما رأيت ذلك قلت : يا أُمَّه ، تعلمين والله لو كانت لك مائة نفسٍ فخرجت نفْساً نفْساً ما تركتُ ديني هذا لشيء ، فإن شئت فكلي ، وإن شئت لا تأكلي ، فنزلت الآية) .

١٣ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً ﴾** [آية ١٥] .

أي مُصَاحَبَاً معروفاً ، يُقال : صاحبتُـهُ مُصاحَبَـةً ، ومُصَاحَبَـاً ، و﴿ **مَعْرُوفاً** ﴾ أي ما يَحْسُن .

١٤ ــ **ثم رجع إلى الإخبار عن لقمان فقال ﴿ يَابُنَـيَّ إِنَّهَـا إِنْ تَكُ مِثْقَـالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُـنْ فِي صَخْـرَةٍ أَوْ فِي السَّمَـوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ ..﴾** [آية ١٦] .

وهذا على التمثيـل[١] ، كما قال سبحانـه ﴿ **فَمَـنْ يَعْمَـلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ** ﴾[٢] .

قال سفيانُ : بلغني أنها الصَّخرةُ التي عليها الأَرَضُون.

ورُوي أن ابـن[٣] لقمـان سألـه عن حبَّـةٍ وقـعتْ في مَقْـلِ[٤] البحر ــ أي في مَغَاصِهِ ــ فأجابه بهذا .

---

(١) الغـرضُ من الآية التمثيـل كما قال المصنـف رحمه اللـه ، والضمير في ﴿ إنَّهـا ﴾ ضـمير الـقصة ، والمعنـى : إن الخطيئـة والمعصيـة مهمـا كانت صغيرة ، حتـى ولـو كانت وزن حبـة الخردل في الصِّغرِ ، وكانت في أخفى مكانٍ وأبعدِه ، كجوف الصخرة الصمَّاء، أو أعلى مكان في السماء ، يعلمها الله ويجازي عليها .

(٢) سورة الزلزلة آية (٧) .

(٣) سقط من المخطوطة لفظ (ابن) وقد اثبتناها من تفسير القرطبي وعبارتـه ٦٧/١٤ : ويـدل عليـه قولُ ابن لقمان لأبيه : يا أبتِ إن عمـلتُ الخطيئـة حيث لا يراني أحـد ، كيـف يعلمهـا اللـه ؟ فأجابه الخ .

(٤) قال في القاموس : المَقْلُ : الغَمْسُ والغوصُ في الماء . اهـ .

قال أبو مالك : ﴿ يَأْتِ بِهَا اللهُ ﴾ أي يعلمُها اللهُ[1] .

١٥ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [آية ١٦] .

قال أبو العالية : أي لطيفٌ باستخراجها ، خبيرٌ بمكانها .

١٦ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ .. ﴾ [آية ١٨] .

وقرأ الجَحْدريُّ : ﴿ ولا تُصْعِرْ ﴾ ويُقْرَأُ ﴿ ولا تُصَاعِر ﴾[2] .

قال الحسنُ ، وقتادةُ ، والضحَّاكُ ، في قوله تعالى ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ ﴾ : الإعراضُ عن النَّاسِ[3] .

قال قتادة : لا تتكبَّر فتُعْرِضُ[4] .

وقال إبراهيم : هو التَشَدُّق[5] .

---

(١) قال في البحر ١٨٧/٧ : ﴿ يأتِ بها اللَّهُ ﴾ يوم القيامة فيحاسب عليها ، وقال ابن كثير : أي أحضرها اللهُ يوم القيامة وجَازَى عليها كما قال سبحانه ﴿ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ وهذا أظهر .

(٢) انظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٥١٣ قال ابن الجزري في النشر في القراءات العشر ٣٤٦/٢ : اختلفوا في قوله تعالى ﴿ ولا تُصَعِّرْ خَدَّكَ ﴾ فقرأ ابن كثير ، وأبو جعفر ، وعاصم ، بتشديد العين من غير ألف ، وقرأ الباقون بتخفيفها وألِف بعدها . اهـ .

(٣) و (٤) أخرجهما الطبري في تفسيره ٧٥/٢١ عن ابن عباس قال : لا تُعْرِضْ بوجهك عن النَّاس تكبُّراً .

(٥) أي التشدُّق في الكلام ، والمتشدِّق الذي يلوي شِدْقه ــ وهو جانب الفم ــ عندما يتكلم للتفصُّح ، واستهزاءً بالناس ، قال القرطبي ٧٠/١٤ وقيل : هو أن تلوي شِدْقك إذا ذُكر الرجلُ عندك كأنك تحتقره . اهـ وما ذُكر عن ابن عباس أولى وأظهر .

قال أبو الجوزاء : يقول بوجهه هكذا ، ازدراءً بالنَّاس .

قال أبو جعفر : أصلُ هذا من الصَّعَرِ ، وهو داءٌ يأخذُ الإبلَ ، تَلْوي منها أعناقَها ، فقيل هذا للمتكبِّر ، لأنه يلوي عنقه تكبُّراً[1] .

و﴿ **تُصَعِّرْ** ﴾ على التكثير و﴿ **تُصْعِرْ** ﴾ تُلزمُ نفسك بهذا ، لأنه يفعلُه ولَا دَاءَ به .

و﴿ **تُصَاعِرْ** ﴾ أي تُعارِضْ بوجهك .

١٧ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً .. ﴾** [آية ١٨] .

أي متبختراً ، متكبِّراً .

١٨ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ واقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ .. ﴾** [آية ١٩] .

﴿ **وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ** ﴾ أي يكون متوسِّطاً .

رَوَى حَيْوةُ بن شُرَيْحٍ عن يَزِيدَ بنِ أبي حَبِيب ﴿ **وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ** ﴾ قال : من[2] السُّرعةِ .

---

(١) عبارة الطبري ٧٤/٢١ : وأصلُ الصَّعَر داءٌ يأخذ الإبل في أعناقها أو رءوسها حتى تلفت أعناقها عن رءوسها ، فيُشبَّه به الرجلُ المتكبِّرُ على النَّاس ، ومنه قول الشاعر :

وكنَّا إذَا الجبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ... أَقَمْنَا له من مَيْلِهِ فتقَوَّمَا

(٢) سقطت من المخطوطة « س » وأثبتناها من تفسير الطبري ، قال ابن جرير ٧٦/٢١ . نهاه عن =

ثم قال : ﴿ واَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴾ [آية ١٩] .

أي انقُصْ منه ، وقد غضَّ بَصَره ، ومنه فلانٌ يَغُضُّ من النَّاس .

١٩ ــ ثم قال تعالى ﴿ إنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ ﴾ [آية ١٩] .

أي أقبحُها ، ومنه : أتانا بوجهٍ مُنْكَر[١] .

٢٠ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ .. ﴾ [آية ٢٠] .

﴿ مَا فِي السَّمَوَاتِ ﴾ يعني الشمسَ ، والقمر ، والنُّجومَ .

﴿ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ من البحارِ ، والدَّوابِّ ، وغيرها .

٢١ ــ ثم قال جل وعزَّ ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُم نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً .. ﴾ [آية ٢٠] .

وقرأ ابن عباس : ﴿ وَأَسْبَغَ عليكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرةً ﴾ على التوحيد[٢]

وقال هو ومجاهد : هيَ الإسلامُ .

= السرعة ، وذكر الأثر عن يزيد بن أبي حبيب وقال : من السرعة ، ومعنى الآية ﴿ وَاقْصِدْ في مَشْيِكَ ﴾ أي توسَّطْ في مِشْيتك ، واعتدِلْ فيها بين الإسراع والبطء .

(١) قال الطبري ٧٧/٢١ : أي إن أقبحَ أو أشرَّ الأصوات لَصوتُ الحمير ، وذلك نظير قولهم إذا رأوا وجهاً قبيحاً أو منظراً شنيعاً : ما أنكرَ وجهَ فلانٍ ، وما أنكرَ منظرَه ؟!

(٢) قوله على التوحيد أي بلفظ الإفراد لا الجمع ، قال القرطبي ٧٣/١٤ : ﴿ وأَسْبَغَ عَلَيكُمْ ـ

ويجوز أن تكون « نِعْمَةٌ » بمعنى نِعَمٍ ، كما قال سبحانه ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾[1] .

٢٢ ـ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى .. ﴾ [آية ٢٢] .

رَوَى سَعِيدُ بنُ جُبَيْرٍ عن ابنِ عباس ﴿ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ قال : لا إله إلاَّ اللهُ[2] .

٢٣ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ، وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ، مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ ..﴾ [آية ٢٧] .

في روايةِ أبي عَمْرِو بنِ العَلَاء عن مجاهد عن ابن عباس قال : « قالت اليهودُ للنبيِّ ﷺ : بَلَغنا أنك تقولُ ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ

= نِعَمَهُ ﴾ أي أكملها وأتمها ، والنِّعَم جمعُ نعمةَ كسِدْرة وسِدَر ، وهي قراءة نافع ، وحفص ، وأبي عمرو ، وقرأ الباقون ﴿ نعمةً ﴾ على الإفراد ، وهي قراءة ابن عباس . اهـ وانظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٥١٣ .

(١) سورة إبراهيم آية ٣٤ والشاهد أن لفظ النعمة يُراد بها الجمع أي نِعَمه المتكاثرة العديدة ، والمراد بالظاهرة : المرئيةُ كنعمة البصر ، والسمع ، والصحة ، والإسلام ، والباطنة : الخفيَّة كالقلب ، والعقل ، والفهم ، والمعرفة ، وما أشبه ذلك .

(٢) ذكر هذا الأثر الطبري في تفسيره ٧٩/٢١ والقرطبي ٧٤/١٤ والآية كما قال الطبري من باب التمثيل ، فشبهت حال من استسلم وانقاد لأمر الله ، بحال من تمسَّك بحبل متين ، وتدلَّى من شاهق جبل ، فاحتاط لنفسه باستمساكه بأوثق عروة ، وقال الرازي : أوثق العُرى جانب الله ، لأن كل ما عداه هالك منقطع . اهـ .

الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ فهذا لنا أو لغيرنا ؟ فقال ﷺ : للجميع ، فقالوا أَما علمتَ أنَّ الله أعطى موسى التَّوراةَ ، وخلَّفها فينا ومَعَنا ؟ فقال النبي ﷺ : التوراةُ وما فيها من الأنباءِ في علم الله جلَّ وعزَّ قليلٌ ، فأنزل الله ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ ﴾ إلى تمام ثلاث آيات[1] .

قال أبو جعفر : فقد تبيَّن أنَّ الكلمات ههنا يُراد بها العلمُ وحقائقُ الأشياء ، لأنه عَلِمَ قبل أن يخلق الخلق ما هو خالقٌ في السموات والأرض من شيء ، وعَلِم ما فيه من مثاقيل الذَّرِّ ، وعَلِم الأجناس كلَّها وما فيها من شَعَرةٍ وعُضوٍ ، وما في الشجرة من ورقة ، وما فيها من ضروب الخلق ، وما يتصرّف فيه من ضروب الطعم واللَّون ، فلو سمَّي كلَّ دابة وحدَّها ، وسمَّى أجزائها على ما يعلم من قليلها وكثيرها ، وما تحوَّلت عليه في الأحوال ، وما زاد فيها في كل زمان ، وبيَّن كل شجرة وحدَّها ، وما تفرَّعتْ عليه ، وقدَّر ما ييبسُ من ذلك في كل زمان ، ثم

---

(١) ذكر هذا الأثر ابن جرير في تفسيره ٨١/٢١ والسيوطي في الدر المنثور ١٦٨/٥ والقرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ٧٦/١٤ قال القرطبي : لمَّا احتجَّ على المشركين بما احتجَّ ، بيَّن أن معاني كلامه سبحانه لا تَنْفدُ ، وأنها لا نهاية لها ، فلو أنَّ الأشجارَ كانت أقلاماً ، والبحار كانت مداداً ، فكُتب بها عجائب صنع الله ، الدالة على قدرته ووحدانيته ، لم تنفد تلك العجائب ، والمخلوقُ لابدَّ له من نهاية ، فإذا نُفيتِ النهايةُ عن مقدوراتِهِ ، فهو نفيُ النهاية عمَّا يقدَّر في المستقبل على إيجاده ، فأمَّا حصره الوجود وعدَّه ، فلا بدَّ من تناهيه ، والقديمُ لا نهاية له على التحقيق ، والغرضُ الإعلام بكثرة معاني كلمات الله ، وإنما قرَّب على أفهام البشر ، بما يتنَاهَى ، لأنه غاية ما يعهده البشر من الكثرة ، اهـ .

كتب البيان عن كل واحدٍ منها ، على ما أحـاط اللهُ عز وجـل منها ، ثم كان البحر مداداً لذلك البيان ، الذي بيَّن الله عز وجل تلك الأشياء ، يَمُدُّه من بعده سبعة أبحر ، لكان البيانُ عن تلك الأشياء أكثر .

٢٤ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ مَا خَلْقُكُـمْ وَلَا بَعْثُكُـمْ إلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِـدَةٍ إنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بصِيرٌ ﴾** [آية ٢٨] .

قال مجاهد : إنما يقولُ « كنْ فيكون » القليلُ والكثير[1] .

٢٥ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَلَمَّا نَجَّاهُـمْ إِلَى البَرِّ فَمِنْهُـمْ مُقْتَصِدٌ .. ﴾** [آية ٣٢] .

قال مجاهد : فمنهم مقتصدٌ في القول ، وهو كافرٌ[2] .

وقيل : ﴿ مُقْتَصِدٌ ﴾ أي مقتصدٌ في فعله .

خبرَّ أنَّ منهم من لا يُشْرِكُ .

٢٦ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُوْرٍ ﴾** [آية ٣٢] .

قال مجاهد وقتادة : الختَّارُ : الغَدُورُ[3] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٨٢/٢١ وقال المعنى : ما خلقكم أيها النَّاسُ ولا بعثكم على الله ، إلاَّ كخلق نفسٍ واحدة وبعثِها . وذلك أنه تعالى لايتعذَّر عليه شيء أراده ، ولا يمتنع منه شيء شاءه . اهـ .

(٢ ــ ٣) انظر جامع البيان للطبري ٨٥/٢١ والدر المنثور للسيوطي ١٦٩/٥ وقولُ مجاهد ذهب إليه بعض المفسرين ، كالزمخشري ، والأرجح كما قال الرازي : المقتصدُ : المتوسِّطُ بين السابق بالخيرات ، والظالم لنفسه ، ويؤيده قول الحسن : ﴿مقتصد﴾ مؤمن متمسك بالتوحيد والطاعة ، وفي الآية حذفٌ تقديره : فمنهم مقتصدٌ ، ومنهم جاحد ، ودلَّ عليه قوله سبحانه ﴿ وما يجحد =

قال أبو جعفر : الخَتْرُ في كلام العرب : أقبحُ الغَدْرِ[1] .

٢٧ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُـمُ الحَيَـاةُ الدُّنْيَـا ، وَلَا يَغُرَّنكُـمْ بِاللَّـهِ الغَرُورُ ﴾** [آية ٣٣] .

قال مجاهد والضحاك : ﴿ الغَرُورُ ﴾ : الشَّيطانُ .

٢٨ ــ **وقولُه جل وعز : ﴿ إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَـةِ وَيُنَـزِّلُ الغَـيْثَ .. ﴾** [آية ٣٤] .

رُوي عـن ابـن عمـر عن النبـي ﷺ قال : « مفاتـح الغيـب خمسة[2] .. » وقد ذكرنا هذا بإسناده في سورة الأنعام ، في قولـه تعـالى **﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ .. ﴾** الآية .

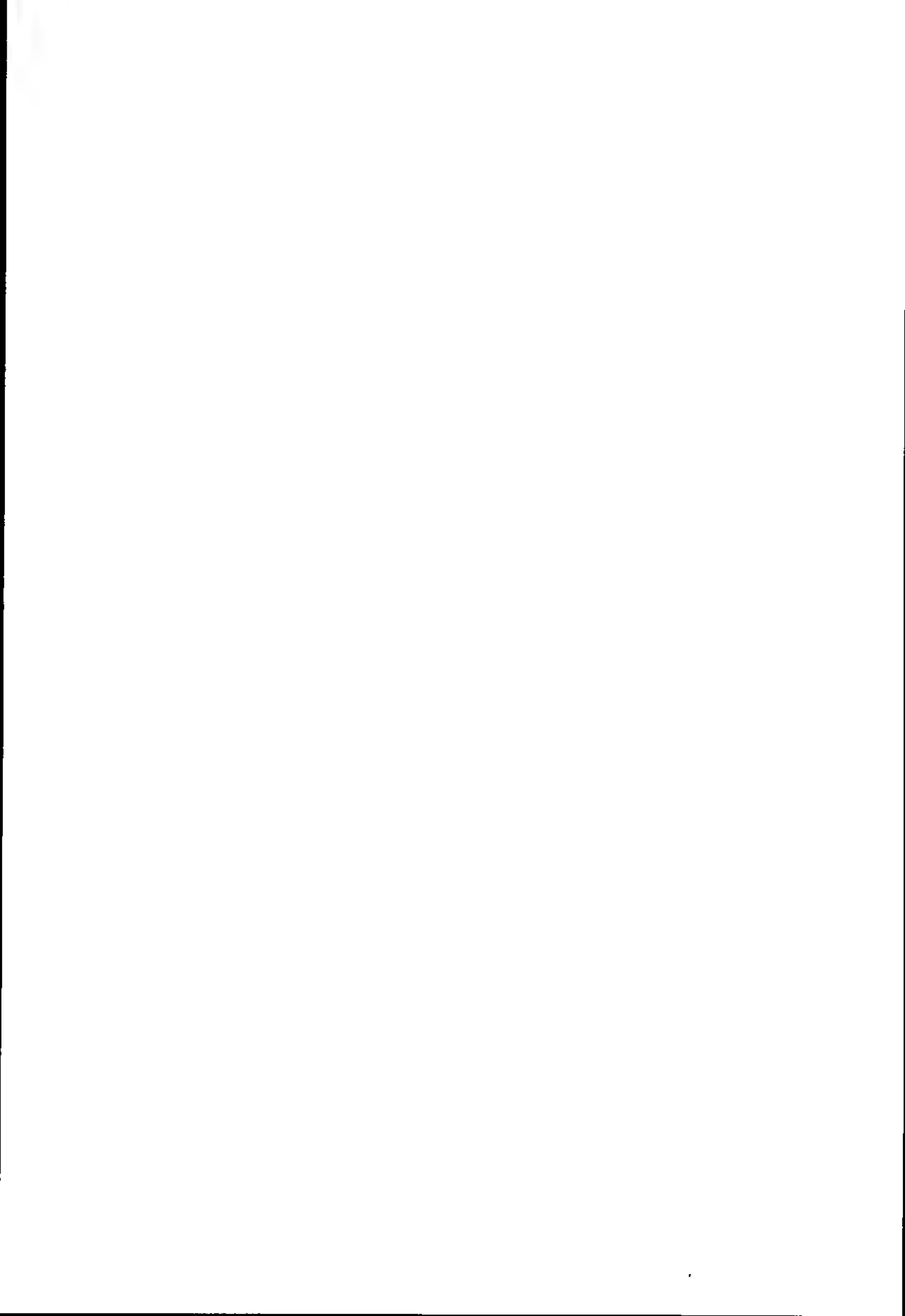
انتهت سورة لقمـــان

* * *

= بآياتنـا إلاَّ كلُّ ختَّـار كفـور ﴾ وقـال ابـن عبـاس : المقتصـدُ الموفي بما عاهـــد عليـــه الله في البحر . اهـ .

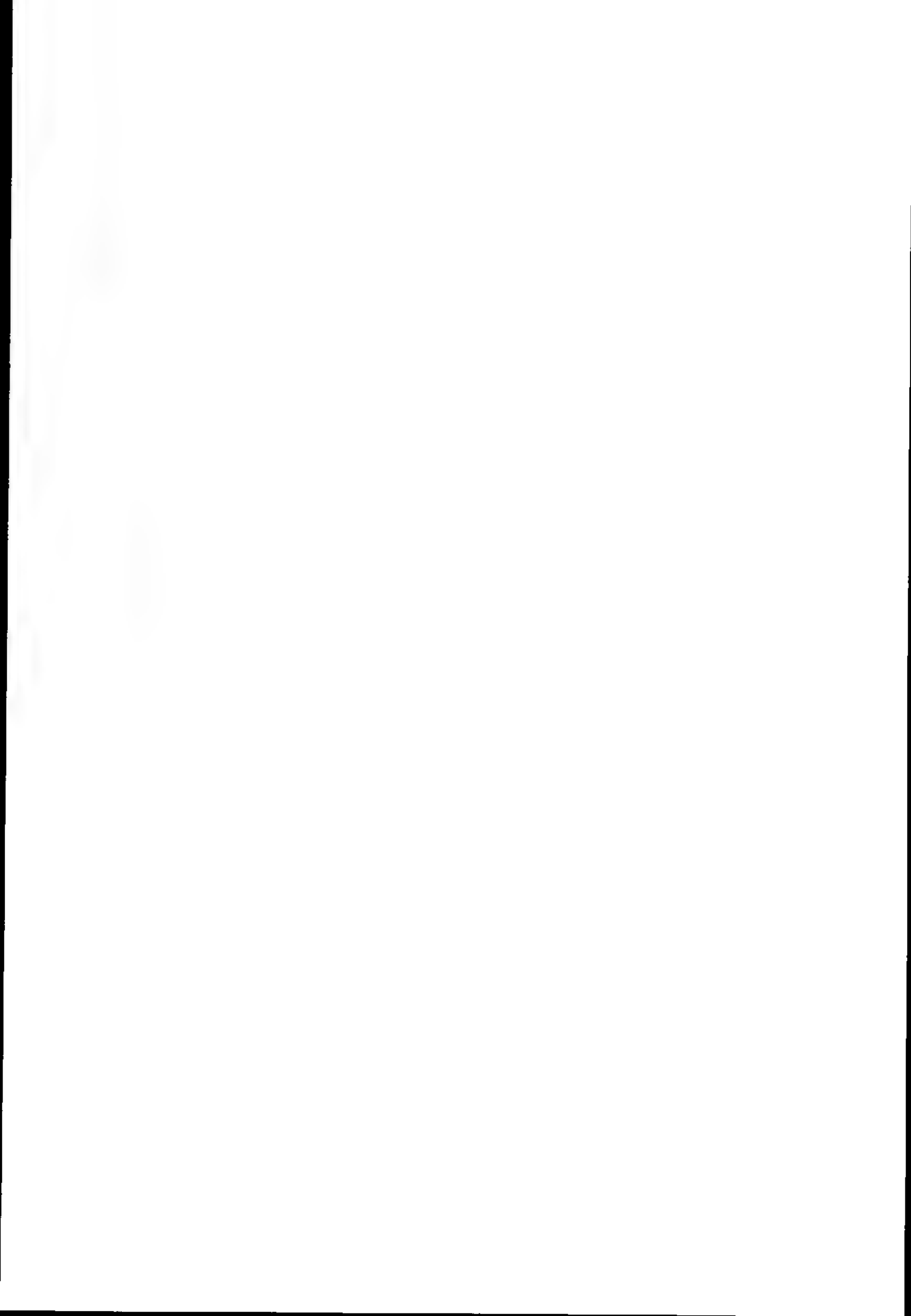
(١) قال في اللسان : الخترُ شبيـهٌ بالغـدرِ والخديعـة ، وقيـل : هو الخديعـة بعينها ، وقيـل : هو أسوأ الغدر وأقبحه و« ختَّار » للمبالغة . اهـ .

(٢) ذكره الطبري في تفسيره ٢١/٨٨ والسيوطـي في الـدر ٥/١٦٩ وفي الحديث الصحيـح « مفاتـح الغـيب خمس لا يعلمهـن إلا اللـه .. وتـلا الآية إن اللـه عنـده علـم الساعـة .. » الخ أخرجـــه البخاري .



تفسير سُورَة السجْدة

مَكية وآياتها ٣٠ آيــــة



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة السجدة وهي مكية[1]

قال عبدالله بن عباس : إلاَّ ثلاث آيات نزلْنَ بالمدينة[1] ، في رجلين من قريشٍ[2] ، وهنَّ : ﴿ **أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً ..** ﴾ ؟ إلى آخر الآيات الثلاث .

١ ــ **من ذلك قولُه جلَّ وعز** : ﴿ **الٓمٓ . تَنْزِيلُ الكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ** ﴾ [آية ٢] .

المعنى : هذا تنزيلُ الكتاب[3] .

وقيل : المعنى ﴿ **الٓمٓ** ﴾ من تنزيل الكتاب .

---

(١) هذا قول الكلبي ، ومقاتل ، وقال غيرهما : إلاَّ خمسَ آياتٍ من قوله تعالى ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ ﴾ إلى قوله ﴿ عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُوْنَ ﴾ وانظر جامع الأحكام للقرطبي ١٤/٨٤ .

(٢) قال ابن عباس وعطاء : نزلت الآية في « عليّ بن أبي طالبٍ » و« الوليد بن عُقْبةَ بنِ أبي مُعَيْطٍ » كان بينهما منازعةٌ ومخاصمة ، فقال له الوليد : أنا أبسطُ منك لساناً ، وأَحَدُّ سِناناً ، وأردُّ منك للكتيبةِ ، فقال له عليٌّ رضي الله عنه : اسكتْ فإنكَ فاسقٌ ، فنزلت الآية ، وروى أنها نزلت في عليّ وعُقبة بن أبي مُعيط ، وعلى هذا القول تكون الآية مكية ، كما قال ابن عطية ، لأن عُقبة لم يكن بالمدينة ، وإنما قُتل بعد رجوعه من بدرٍ في طريق مكة ، وانظر تفسير ابن الجوزي ٦/٣٤٠ والدر المنثور ٥/١٧٨ والقرطبي ١٤/١٠٥ .

(٣) على هذا التقدير الذي ذكره المصنف ، تكون الجملة خبراً لمبتدأ محذوف ، تقديره : هذا المتلوُّ تنزيلُ الكتاب .

ويجوز أن يكون المعنى : تنزيلُ الكتابِ لا شكَّ فيه[1] .

وقد بينّا معنى ﴿ الٓمٓ ﴾ و﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ في سورة البقرة .

٢ ـ وقوله جلَّ وعز : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ .. ﴾ [آية ٣] .

أي بل[2] أيقولون افتراه ؟

٣ ـ وقولُه جل وعز : ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ .. ﴾ [آية ٥] .

أي يقضي القضاء في السماء ، ثم يُنزلُه إلى الأَرْض .

٤ ـ وقوله جل وعز ﴿ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّوْنَ ﴾ [آية ٥] .

قال أبو جعفر : هذه الآيةُ مشكلةٌ ، وقد قال في موضعٍ آخَرَ ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[3] .

ولأهل التفسير فيها أقوال :

أ ـ من ذلك ما حدثنا بكرُ بنُ سَهْلٍ ، قال : حدثنا عبدالله بن

---

(١) ذكر المصنف في كتابه إعراب القرآن ٦٠٩/٢ هذا الوجه من الإعراب ﴿ تنزيلُ ﴾ مبتدأ ،والخبر جملة ﴿ لا ريبَ فيه ﴾ .

(٢) هذه تسمى « أم » المنقطعة ، وهي انتقال من حديث إلى حديث ، وتقدَّر بـ (بل) وألف الاستفهام ولهذا قال المصنف أي بل أيقولون ؟ ومعنى الآية : بل أيقول كفار مكة اختلق محمد القرآن ، وافتراه من تلقاء نفسه ؟ ليس الأمر كما يدَّعون .

(٣) سورة المعارج آية ٤ .

صالح ، قال : حدثنا معاويةُ بنُ صالح ، عن عليّ بن أبي طَلْحةَ عن ابنِ عباس ﴿ **فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ قال : هذا في الدنيا ، وقولُه جلَّ وعز ﴿ **فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ قال فهذا يومُ القيامة ، جَعَلَهُ الله عز وجل على الكفار ، مقدارَ خمسين ألف سنة[١] .

ب ـ **وحدثنا عبدالله بن أحمد بن عبدالسلام قال** : حدثنا أبو داود سُليمانُ بن داودَ .

قال حدثنا إسحاقُ بن إبراهيمَ قال : أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمرٌ عن ابن أبي نجيح عن وهبِ بن منبّه ﴿ **فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ قال : ما بين أسفل الأرضِ إلى العرش[٢] .

جـ ـ **قال ابن أبي نجيح عن مجاهد وفي ذلك قال** : الدنيا من أولها

---

(١) ذكر هذا الأثر الطبري في تفسيره ٢١/٩٢ وهو مرويٌّ عن عكرمة وقتادة أيضاً ، كما في القرطبي والدر المنثور ، أن اليوم الذي هو كألف سنة من أيام الدنيا ، النزولُ خمسمائة سنة ، والصعودُ خمسمائة سنة ، فذلك ألفٌ ، قال ابن عباس : مسيرةُ ما بين السماء والأرض خمسُمائةِ عامٍ ، وأما اليومُ الذي هو كخمسين ألف سنة ، فذلك يوم القيامة ، وهذا لهَوْله وشدته يكون بهذا المقدار على الكافر ، وأما المؤمن فيخفُّ عليه ذلك اليوم حتى يكون أخفَّ عليه من صلاة مكتوبة كما ورد في الحديث الصحيح .

(٢) هذا الأثر عن وهب بن منبه ذكره القرطبي ١٤/٨٩ وهو قول غريب لأن سياق الآية في سورة المعارج يدلُّ على أنه يوم القيامة ﴿ تَعْرُجُ المَلائِكَةُ والرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ وليست الآية لبيان البعد ما بين العَرْش والأرض .

إلى آخرها خمسون ألف سنة ، لا يَدْرِي أحدٌ كمْ مَضَى منها ، ولا كمْ بَقِيَ[1] ؟

قال أبو جعفر : وقيل : يومُ القيامة أيامٌ ، فمنه ما مقدارُه ألفُ سنة ، ومنه ما مقدارُه خمسون ألف سنة[2] .

قال أبو جعفر : يومٌ في اللغة بمعنى وقتٍ ، فالمعنى على هذا : تعرجُ الملائكةُ والرُّوحُ إليه ، في وقتٍ مقدارُهُ ألفَ سنة ، وفي وقت آخر أكثر من ذاك ، وعروجاً أكثر من ذاكَ ، مقدارُه خمسون ألف سنة .

٥ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ .. ﴾ [آية ٧] .

رَوَى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : أتقنه[3] .

---

(١) هذا الأثر عن مجاهد لم أعثر عليه في كتب التفسير ، ولعله غير صحيح عنه ، لأنه لا يعلم مقدار مدة الدنيا إلا الله الخبير .

(٢) يمكن الجمع بين الآيتين بأن القيامة فيها مواقف ومواطن ، فيها خمسون موقفاً كل موقف ألف سنة ، فيكون طول يوم القيامة خمسين ألف سنة ، كما ذهب إليه بعض المفسرين ، وانظر فتح الرحمن فيما يلتبس في القرآن ، لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري صفحة ٤٥١ .

(٣) ذكره الطبري ٢١/٩٤ وعبارته : وعن مجاهد : أتقن كلَّ شيءٍ خَلَقه ، وهو الذي اختاره ابن جرير حيث قال : وأولى الأقوال بالصواب قول من قال معناه : أحكم وأتقن ، وقال أبو حيان في البحر ٧/١٩٩ : والآية أبلغ في الامتنان لأنه إذا قال ﴿ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ كان أبلغ من « أحسنَ خلقَ كلِّ شيء » لأنه قد يحسنُ الخَلْقُ ، ولا يكون الشيء في نفسه حَسَناً ، فإذا قال : أحسَنَ كلَّ شيءٍ ، اقتضى أن كلَّ شيءٍ خَلَقه حسنٌ ، بمعنى أنه وضع كل شيء في موضعه ، ولهذا قال ابن عباس : ليست القردة بحسنة ولكنها متقنةٌ محكمة .اهـ .

قال : وهو مثلُ قوله تعالى ﴿ **أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ** ﴾[1] .

أي لم يَخْلق الإنسانَ على خَلْقِ البَهيمةِ ، ولا خَلَقَ البَهِيمةَ على خَلْقِ الإنسان .

وقيل : أي لم يعجزْهُ .

وأحسنُ ما قيل في هذا ، ما رواه خُصَيفٌ عن عكرمة ، عن ابنِ عباس في قوله جلَّ وعزَّ ﴿ **أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ** ﴾ قال : أحسنَ في خَلْقِهِ ، جَعَلَ الكلبَ في خَلْقهِ حَسَناً[2] .

قال أبو جعفر : ومعنى هذا : أَحْسَنَ في فعلِهِ ، كما تقولُ : أَحْسَنَ فلانٌ في قَطْعِ اللِصِّ .

٦ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ** ﴾ [آية ٨] .

﴿ **السُّلَالَةُ** ﴾ للقليلِ ممَّا يَنْسَلُّ[3] ، و(المَهِينُ) : الضَّعِيفُ .

---

(١) سورة طه آية ٥٠ .

(٢) قال بعض العلماء : لو تصورت مثلاً أن للفيل مثل رأس الجمل ، وأن للأرنب مثل رأس الأسد ، وأن للإنسان مثل رأس الحمار ، لوجدتَ في ذلك تناقضاً ونقصاً كبيراً ، وعدم انسجام ، ولكنَّك إذا علمتَ أن طول عنق الجمل ، وشقَّ شفته ، ليسهل تناوله الكلأ عليه أثناء السَّير ، وأن الفيل لولا خرطومه الطويل ، لما استطاع أن يبرك بجسمه الكبير لتناول طعامه وشرابه ، لو علمت كل هذا لقلت : تبارك الله أحسنُ الخالقين ، الذي أتقن كل شيء .

(٣) السُّلالة : الخلاصةُ مشتقةٌ من السَّلِّ وهو استخراج الشيء من الشيء ، برفقٍ ولين ، تقول : =

٧ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [آية ١٠] .

ورُوي عن الحَسَنِ أنه قَرَأ ﴿ صَلَلْنا ﴾ بفتح اللَّام[1] ، ورَوَى بعضُهم بكسر اللَّام .

قال مجاهد : ﴿ ضَلَلْنَا ﴾ أي أُهْلِكنا[2] .

قال أبو جعفر : معنى ﴿ ضَلَلْنا ﴾ صِرْنَا تُراباً وعظاماً فلم نتبيَّن ، وهو يرجع إلى قول مجاهد .

ومعنى « صَلَلْنا » بفتح اللَّام : أنتَنَّا وتَغَيَّرنا ، وتغيَّرتْ صورُنا ، يقال : صَلَّ اللَّحمُ ، وأَصَلَّ : إذا أنتَنَ وتَغَيَّر .

ويجوز أن يكون من الصَّلَّةِ ، وهي الأرضُ اليابسةُ ، ولا يُعرف صَلِلْنا بكسر اللَّام[3] .

= سَلَلْتُ الشعر من العجين ، قال أمية بن أبي الصلت :

خَلَقَ البريَّةَ من سُلالةِ مُنْتِنٍ ... وإلى السُّلالةِ كُلُّها ستَعُودُ

(١) أي قرأها بالصَّاد المهملة ، مفتوحة اللَّام أو مكسورتها ، وهي من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ١٧٣/٢ وقراءة الجمهور بالضَّاد ﴿ ضَلَلْنا ﴾ .

(٢) قال القرطبي ٩١/١٤ : هذا قول منكري البعث ، ومعناه : هلكنا وبطلنا ، وصرنا تراباً ، وأصلُه من قول العرب : ضلَّ الماءُ في اللَّبنِ إذا ذَهَبَ ، والعربُ تقول للشيء غلب عليه غيرُه حتى خَفِيَ فيه أثره : قد ضلَّ . اهـ .

(٣) قال النحاس في إعراب القرآن ٦١١/٢ : ولا يُعرف في اللغة « صَلِلْنا » ولكن يُعرف « صَلَلْنَا » يُقال : صَلَّ اللحمُ وأُصَلَّ ، وخَمَّ وأَخَمَّ : إذا أنتن . اهـ وكذلك قال الفراء في معاني القرآن =

٨ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً .. ﴾ [آية ١٢] .

في الكلام حذفٌ ، والمعنى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ المجرمونَ ناكِسُوا رءوسِهِمْ عِندَ ربِّهمْ ﴾ لرأيتَ ما تعتبرُ به اعتباراً شديداً[١] .

والمعنى : يقولون ربَّنا ، ثم حَذَف القول أيضاً .

٩ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا .. ﴾ [آية ١٣] .

أي لو شئنا لأريناهم آيةً تضطرهم إلى الإيمان[٢] ، كما قال تعالى ﴿ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾[٣] .

١٠ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ القَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [آية ١٣] .

قال قتادة : أي بذنوبهم[٤] .

= ٣٣١/٢ : وذُكر عن الحسن أنه قرأ « أئذا صَلِلْنا » بالصَّاد وكسر اللَّام ، ولستُ أعرفها ، ولو كانت « صَلَلْنا » بفتح اللّام لكانت صواباً ، ولكني لا أعرفها بالكسر . اهـ .

(١) قال أبو السعود : وجواب ﴿ لَوْ ﴾ محذوفٌ تقديره : لرأيتَ أمراً فظيعاً لا يُقادرُ قدرُه ، من هَوْلِهِ وفظاعته . اهـ إرشاد العقل السليم ١٩٧/٤ .

(٢) أي لو شئنا هداية جميع الخلق لفعلنا ، ولكنَّ ذلك ينافي حكمتنا ، لأنَّا نريد منهم الإيمان بطريق الاختيار ، لا بطريق الإكراه والإجبار .

(٣) سورة الشعراء آية رقم (٤) .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير عن قتادة ٩٩/٢١ وابن الجوزي ٣٣٧/٦ ومعنى ﴿ ولكن حقَّ القولُ =

١١ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وطَمَعاً ﴾** [آية ١٦] .

رَوَى قتادة عن أنس قال : يَتَيَقَّظون بين العِشاء والعَتَمة[1] ، فيُصَلُّون .

وقال عطاء : لا ينامون قبل العِشاء حتى يُصَلُّوها[2] .

وقال الحسن ومجاهد : يصلُّون في جوف الليل .

= مني ﴾ أي ثبت ووجب قولي بعذاب المجرمين بسبب ذنوبهم . ولهذا قال بعده ﴿ فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾ أي ذوقوا العذاب بسبب تكذيبكم بلقاء الله .. والآية ردٌّ على « الجبريّة » الذين قالوا الخلقُ مجبورون على أعمالهم ، ولا إرادة لهم ولا اختيار ، والإنسان كالريشة في مهبّ الهواء .

وردٌّ أيضاً على « القدريّة » المنكرين للقدر ، الذين يقولون : الخلق خالقون لأفعالهم ، وليس هناك قضاءٌ ولا قدر . قال القرطبي ٩٧/١٤ : ومذهب أهل السنة هو الاقتصادُ في الاعتقاد ، وهو مذهبٌ بين مذهبي « المجبِّرة » و« القدريّة » وخيرُ الأمور أوساطها ، وذلك أن أهل الحق قالوا : نحن نفرّق بين الاضطرار والاختيار ، وهو أنّا ندرك تفرقةً بين حركة الارتعاش ، الواقعة في يد الإنسان بغير محاولته وإرادته ، ولا مقرونةٍ بقدرته ، وبين حركة الاختيار ، إذا حرَّك يده حركةٍ إرادية ، ومن لا يفرّق بين الحركتين : حركة الارتعاش وحركة الاختيار ، فهو معتوهٌ في عقله ، ومختلٌّ في حسّه ، وخارجٌ من حزب العقلاء ، وهذا هو الحقُّ المبين ، وهو طريقٌ بين الإفراط والتفريط ، وبهذا الاعتبار سمَّى أهل النظر هذه المنزلة بين المنزلتين كسباً ، وأخذوها من الكتاب العزيز ﴿ لَهَا مَاكَسَبَتْ وعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ اهـ .

(١) قال في المصباح : العَتَمةُ من الليل بعد غيبوبة الشفق إلى آخر الثلث الأول . اهـ .

(٢) ذكر الطبري بسنده عن عطاء قال هي العَتَمة ــ يعني العِشاء ــ وروى أيضاً عن أنس وقتادة : كانوا يتطوَّعون فيما بين المغرب والعشاء . اهـ . وانظر الطبري ١٠٠/٢١ .

وكذلك قال مالكٌ والأوزاعيُّ .

وهذا القولُ أشبهُها لجهتين :

إحداهما : أنَّ أبا وائل رَوَى عن معاذ بنِ جبل قال قال ليَ النبيُّ ﷺ : أَلَا أدلُّكَ على أعمالِ الخير ؟ الصَّومُ جُنَّةٌ ، والصَّدقةُ تطفيءُ الخطيئةَ ، كما يُطفيءُ الماءُ النَّارَ ، وصلاةُ الرجل في جوف الليل ، ثم تلا ﴿ **تَتجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ** ﴾ حتى ﴿ **يَعْمَلُونَ** ﴾[1] .

والجهة الأخرى أنه جلَّ وعزَّ قال ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ** ﴾ .

حدثنا محمدُ بنُ أحمد يُعرف بالجَرِيجِيِّ[2] ، قال : حدثنا محمد بن عبدالرحمن السُّلَميُّ ، قال : حدثنا عمرُو بنُ عبدالوهاب ، قال : حدثنا أبو أسامةَ عن الأعمش ، عن أبي صالح عن أبي هريرة عن

---

(١) في المخطوطة « حتى يعملوا » والواجبُ إثباتُ النون على الحكاية ، لأنه أراد أن يقول : ثم تلا الآية إلى آخرها حتى قوله تعالى ﴿ جزاءً بما كانوا يعملون ﴾ والحديث أخرجه الترمذي في سننه رقم ٢٧٤٩ عن معاذ بن جبل قال : كنت مع النبي في سفر ، فأصبحت يوماً قريباً منه ، فقلت يارسول الله : أخبرني بعمل يدخلني الجنة ، ويباعدني عن النار ، فقال : لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسَّره الله عليه . تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، ثم قال : (ألا أدلك على أبواب الخير ...) الحديث قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وانظر تمام الحديث في تحفة الأحوذي ٣٦٣/٧ .

(٢) قولُه الجَرِيجِيُّ : بفتح الجيم وكسر الراء ، نسبة إلى بلدة من نواحي مَرْو ، على شاطيء النهر ، وانظر الأنساب للسمعاني ٢٦٢/٣ .

النبي ﷺ كان يقرأ ﴿ مِنْ قُرَّاتِ أَعْيُنٍ ﴾[1] فهذه بصلاة الليل أشبَهُ ، لأنهم جُوْزُوا على ما أَخْفَوْا بما خَفِي[2] .

رَوَى أبو سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « قال ربُّكم : (أَعْدَدْتُ لعبادِي الصَّالحينَ ، ما لا عَيْنٌ رأتْ ، ولا أُذنٌ سَمِعتْ ، وَلَا خَطَرَ على قَلْبِ بَشر ، اقرءوا إن شئتم : ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لهمْ من قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزاءً بِمَا كَانُوْا يَعْمَلُونَ** ﴾[3] .

١٢ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً .. ﴾ ؟
[آية ١٨] .

رَوَى أبو عمرِو بنِ العَلَاءِ ، عن مجاهد عن ابن عباس قال : نزلتْ في رجلين من قريش ، إلى تمام الآيات الثلاث[4] .

---

(١) ﴿ قُرَّة أَعْيِنٍ ﴾ أي كرامة وبهجة ، ومسرَّة تَقَرُّبها أعينهم ، وأما قراءة ﴿ قُرَّات أَعْيُن ﴾ فجمع قُرَّة وليست سبعية ، بل هي من القراءات الشاذة كما في المحتسب ٢/١٧٤ وقد قرأ بها « أبو هريرة » و« أبو الدرداء » و «ابن مسعود» لإضافتها إلى جمع ، وانظر القرطبي ١٤/١٠٣ .

(٢) هذا وجهٌ وجيهٌ في دقة الاستدلال ، فإنهم لمَّا قاموا لعبادة المولى سبحانه في ظلمة الليل ، لا يراهم أحدٌ ، وأخفوا صلاتهم عن الناس ، أكرمهم الله تعالى فأخفى جزاءهم بحيث لا يعلمه أحد ، ولو كان المقصود بها صلاة المغرب أو العشاء لكانت معلنةً ظاهرة .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة السجدة ٦/١٤٥ ومسلم في كتاب الجنة ٨/١٤٣ والترمذي في تفسير سورة لقمان رقم ٣١٩٧ وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وفي بعض الروايات بعد قوله « ولا خطر على قلب بشر » بَلْهَ ما أطلعكم الله عليه » قال الحافظ ابن حجر ٨/٥١٥ أي دَعْ ما أطلعكم الله عليه ، فإنه سهلٌ في جنب ما ادَّخر لهم . اهـ وقولُه في الحديث (اقرءوا إن شئتم) من كلام أبي هريرة كما ذكره المحدِّثون .

(٤) قوله إلى تمام الآيات الثلاث أي إلى نهاية قوله تعالى ﴿ الذي كنتم به تكذبون ﴾ .

وقال ابنُ أبي ليلى : نزلت في علي بن أبي طالب صلوات الله عليه[1] ، ورجلٍ من قريش .

وقيل : نزلت في « عليّ » عليه السلام و« الوليد بن عُقبة بن أبي معيط »[2] .

فشهد اللهُ جلَّ وعزَّ لعلي بن أبي طالب بالإيمان ، وأنه في الجنة ،

١٣ ــ فقال جل وعز ﴿ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ المأْوَى ﴾ [آية ١٩] .

وجاء على الجمع ، لأن الاثنين جماعة ، ويكون لجميع المؤمنين ، وإن كان سبب النزول مخصوصاً ، لإبهام « مَنْ »[3] .

---

(١) هذه الصيغة خاصة بالأنبياء والمرسلين ، والأولى أن يقال : عليٌّ رضي الله عنه ، أما الرجل من قريش فقيل هو « عُقبة بن أبي معيط » كما في ابن كثير ٣٧٠/٦ والدر المنثور ١٧٨/٥ وقيل في ابنه « الوليد بن عُقبة بن أبي معيط » كما ذكره المصنف في الرواية الثانية .

(٢) ذكره الطبري في تفسيره ١٠٧/٢١ والقرطبي ١٠٥/١٤ والسيوطي في الدر المنثور ١٧٨/٥ قال ابن جرير : نزلت بالمدينة في علي بن أبي طالب ، والوليد بن عُقبة بن أبي معيط ، كان بين الوليد وبين عليّ كلامٌ ــ أي نزاع وخصام ــ فقال الوليد بن عقبة : أنا أَبْسَطُ منكَ لساناً ، وأحدُّ منك سِنَاناً ، وأردُّ منك للكتيبة، فقال له عليٌّ : اسكتْ فإنك فاسقٌ ، فأنزل الله فيهما قوله : ﴿ أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون ﴾ إلى قوله ﴿ كنتم به تُكذِّبون ﴾ اهـ .

(٣) يريد المصنف أن « مَنْ » في قوله ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً ﴾ للعموم ، لأنها لا تفيد شخصاً بعينه ، والأصلُ في الآية أن يُقال : لا يستويان بالتثنية ، ولكنه جاء بصيغة الجمع ، لإفادة الشمول ، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

١٤ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأَدْنَى دُونَ العَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُون ﴾ [آية ٢١] .

رَوَى أبو الضُّحى عن مسروق عن عبدالله بن مسعود ﴿ ولنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأَدْنَى ﴾ قال يوم بدر.

﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ لعلَّ مَنْ بقيَ منهم يتوب[١] .

وَرَوَى إسرائيلُ عن أبي إسحقَ عن أبي الأَحْوصِ وأبي عُبَيْدَة[٢] عن عبدالله ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأَدْنَى ﴾ قال : سِنُونَ أصابتْ قوماً قبلكم[٣] .

ورَوَى عكرمةُ عن ابن عبَّاسٍ ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأَدْنَى ﴾ قال : الحُدودُ[٤] .

---

(١) إنما فسَّره بذلك ، لأن من قُتل من المشركين في بدر ، كيف يرجع ويتوب ؟ وهذا الأثر ذكره الطبري ١٠٩/٢١ والسيوطي في الدر ١٧٨/٥ والألوسي في روح المعاني ١٣٤/٢١ قال الطبري بسنده عن ابن مسعود هو : القتلُ يوم بدر ، وعن الحسن بن علي : القتل بالسيف صبراً .

(٢) في المخطوطة « أبو عُبَادة » وهو تصحيفٌ ، وصوابهُ « أبو عُبَيْدة » عن عبدالله ، والمراد بـ « عبدالله » ابن مسعود ، قال ابن حجر في تقريب التهذيب ٣٤٤٨/٢ : أبو عُبيدة بن عبدالله بن مسعود ، مشهورٌ بكنيته ، كوفيٌّ ثقة من كبار الثالثة . اهـ .

(٣) ذكره الطبري عن النخعي ١١٠/٢١ والمراد بالسِّنين : القحطُ ، والجدبُ ، الذي أصاب المشركين .

(٤) هذا قول آخر عن ابن عباس مرجوح ، ذكره الطبري عنه ١٠٩/٢١ وابن كثير ٣٧٠/٦ ويعني بذلك إقامة الحدود عليهم ، وهي عقوبات من الله تعالى للعصاة المجرمين ، والقول الثاني وهو الأرجحُ والأصحُ ، أن المراد بالعذاب الأدنى : مصائب الدنيا ، وأسقامُها وآفاتها ، وما يحلُّ بأهلها من عذاب عاجل ، من البلايا والمحن ، كما ذكره الحافظ ابن كثير .

وقال عَلْقمةُ ، والحَسَنُ ، وأبـو العَاليـةِ ، والضَّحـاكُ قالـوا : المصيباتُ في الدنيا .

ورَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : القتـلُ ، والجوعُ لقـريشٍ في الدنيا[1]

﴿ **دُوْنَ العَذَابِ الأَكْبَرِ** ﴾ يوم القيامةِ في الآخرة .

ورَوَى أبو يحيى عن مجاهد قال ﴿ **العَـذَابُ الأَدْنـى** ﴾ عذابُ القبر[2] ، وعذابُ الدنيا .

ورَوَى الأعمش عن مجاهد قال : المصيباتُ[3] .

وهذه الأقـوالُ ليست بمتنـاقضة ، وهـي ترجـع إلى أن معنـى ﴿ **الأَدْنَى** ﴾ ما كان قبل يوم القيامة .

---

(١) الأثـر أخرجـه الـطبري ٢١/١١٠ والألـوسي ٢١/١٣٤ والقرطبـي ١٤/١٠٧ قال المفسرون : أصابهم القحطُ والجدبُ سبع سنين ، حتى أكلوا فيها الجِيَف ، والكلابَ ، والعظام .

(٢) ذكر هذا الأثر كثير من المفسرين ، أن المراد به عذاب الـقبر ، وفيـه نظـرٌ ، لأن اللـه تعـالى قال ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُوْنَ ﴾ وإذا عُذِّب الكافر في قبره ، فلن يرجع إلى الحيـاة نيتـوب ، قال ابـن جزي في التسهيل ٣/٢٨٤ : قيل المراد بعـذاب الدنيـا : الجوعُ ومصائب الدنيـا ، وقيـل : القتـلُ يوم بدر ، وقيل : عذاب القبر ، وهذا بعيد لقوله ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ .

(٣) أخرجه مسلم في صفة القيامة رقم ٢٧٩٩ عن أُبَيِّ بن كعب ، فقد فسر العذاب الأدني بمصائب الدنيا وآية الروم ، والدخان وهذه الآثار كلها وردت عن السلف ، وأصحها ما قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والحسنُ البصري : إنها البلايا والمحن ، والنكبات والأمراض والأسقـام ، والقتـل والجـوع ، وسائر المصائب ، التي يصيبهم الله بها في الدنيا .

١٥ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ ﴾** [آية ٢٣] .

قيل : الهاءُ للكتاب ، واسمُ موسى ﷺ مضمرٌ .

والمعنى : الهاءُ لموسى ، وحَذَف الكتابَ ، لأنه تقدَّم ذكرُهُ ، وهذا أَوْلى .

والمعنى : فلا تكنْ في شكٍّ من تَلقِّي موسَى الكتابَ بالقبول ، ومخاطبةُ النبيِّ ﷺ مخاطبةٌ لجميع الناس .

ويجوز أن يكون المعنى : قل لهذا الشاكِّ[1] .

ويجوز أن يكون المعنى : فلا تكن في شكٍّ من تلقّي هذا الخبر بالقبول .

قال قتادة : معنى ذلك : فلا تكنْ في شكٍّ من أنَّك لقيتَه ؛ أو تلقاه ليلة أُسْرِي به[2] .

---

(١) أي فلا تشكَّ أيها السامع من لقاء موسَى الكتابَ أي تلقِّيه التوراة .

(٢) ذكره الطبري ١١٢/٢١ والقرطبي ١٠٨/١٤ والسيوطي في الدر المنثور ١٧٨/٥ وهذا القول مرويٌّ عن ابن عباس أيضاً ، وقد حكاه عنه القرطبي فقال : المعنى فلا تكن يا محمد في شكٍّ من لقاء موسى ، وقد لقيه ليلة الإسراء ، قاله ابن عباس .

وعلى هذا الرأي يكون الضمير في قوله ﴿ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ عائداً إلى « موسى » أي وجعلنا موسى هدىً لبني إسرائيل كما فسَّره به قتادة ، وهو خلاف الظاهر ، والأرجح أن معنى الآية : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتابَ ﴾ أي أعطينا موسى التوراة ﴿ فلا تكنْ في مِرْيةٍ من لِقَائِه ﴾ أي فلا تكن يا محمد في شكٍّ من تلقي القرآن كما تلقى موسى التوراة ،

واختار هذا القولَ بعضُ أهلِ العِلمِ ، لأنَّ ابنَ عباسٍ رَوَى عن النَّبي ﷺ أنه قال : (أُريتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي موسَى بنَ عمرانَ رجلاً آدَمَ ، طُوالاً ، جَعْدَاً ، كأنه من رجال شنوءة ..)[1] الحديث .

فالتقديرُ على هذا ﴿ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ ﴾ أنه قد رأى موسى ، ليلةَ أُسْرِيَ به[2] .

وتأوَّل ﴿ وَجَعَلْنَاهُ ﴾ بمعنى وجعلنا موسى **﴿ هُدًى ﴾** أي رشاداً **﴿ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾** يرشدون باتّباعه ، ويصيبون الحقَّ بالاقتداء به .

وقد رَوَى سعيدٌ عن قتادة ﴿ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ قال : جعل اللهُ موسى هدىً لبني إسرائيل .

والمقصودُ من الآية تقريرُ رسالته عليه السلام ، وتحقيق أن ما معه من الكتاب وحي سماوي . وهو اختيار جمهور المفسرين . البيضاوي ، وأبي السعود ، إلخ وتكون الضمائر متناسقة . ويؤيده قوله سبحانه ﴿ وإنَّكَ لَتُلَقَّى القرآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ وقوله سبحانه ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرءونَ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ وانظر الكشاف ١٧٨/٢ والفخر الرازي ١٨٦/٢٥ .

(١) الحديث أخرجه البخاري في الأنبياء ٣٠٧/٦ ومسلم في الإيمان رقم ١٦٨ والترمذي في التفسير رقم ٣٨٢٩ وأخرجه أحمد في المسند ٢٨٢/٢ وذكره السيوطي في الدر ١٧٨/٥ وعزاه إلى ابن مردويه والبيهقي أيضاً .

(٢) قصة رؤية الرسول ﷺ لموسى عليه السلام وردت في الصحاح ، في أحاديث « الإسراء والمعراج » ولكنْ كونُ المرادِ من الآية لقاءُ الرسول بموسى ، قولٌ مرجوحٌ كما بيَّنا ، لأن في إعادة الضمير على موسى في قوله ﴿ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى ﴾ أي وجعلنا موسى هُدَى ، تكلُّفٌ ظاهرٌ ، فتنبه .

١٦ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ أَوَلَمْ نَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ .. ﴾ [آية ٢٦] .

أي أَوَلَمْ نُبيِّنْ لهم[١] .

١٧ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ .. ﴾ [آية ٢٧] .

قال مجاهد : هي الأرضُ التي لا تُنبتُ[٢] .

قال الضحاك : هي الأرض التي لا نبات بها[٣] .

قال أبو جعفر : الجُرُزُ في اللُّغة : الأرضُ اليابسة ، المحتاجة إلى الماء ، التي ليس فيها نباتٌ ، كأنها أَكَلتْ ما فيها ، ومنه قيل : رجلٌ جَرُوزٌ إذا كان أَكُولاً[٤] .

---

(١) قرأ الجمهور بالياء ﴿ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ وقرأ السلمي وقتادة عن يعقوب ﴿ نَهْدِ لَهُمْ ﴾ بالنون ، قال النحاس في إعراب القرآن ٦١٦/٢ : وقراءة النون قراءة بيِّنة ، والقراءة الأولى بالياء فيها إشكالٌ ، لأن الفعل لا يخلو من فاعل ، فأين الفاعل لـ « يَهْدِ » ؟ قال الفراء : « كم » في موضع رفع بـ « يَهْدِ » كأنك قلت : أو لم تهدهم القرونُ الهالكة ، وهذا نقضٌ لأُصول النحويين في قولهم : إن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ، وقيل : المعنى : أو لم يهد اللَّهُ لهم . فيكون معنى الياء والنون واحداً . اهـ .

(٢) و(٣) هذا قول عكرمة وقتادة والسدي وابن زيد فإنهم قالوا : الأرض الجرز : التي لا نبات فيها وأنظر الآثار في الطبري ١١٥/٢١ وابن كثير ٣٧٣/٦ والدر المنثور ١٧٩/٥ .

(٤) قال في المصباح المنير : وأرض جرز بضمَّتين : قد انقطع الماء عنها ، فهي يابسة ، لا نبات فيها . اهـ وفي لسان العرب مادة « جرز » : الجَرُوزُ : وإنسانٌ جَروزٌ إذا كان أكولاً ، والجَرُوزُ : الذي إذا أكل لم يترك على المائدة شيئاً . اهـ .

١٨ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [آية ٢٨] .

قال مجاهد : هو يوم القيامة(١) .

وقال قتادة : الفَتْحُ : القضاءُ(٢) .

وقال الفرَّاء والقُتَبيُّ : فتح مكة(٣) .

قال أبو جعفر : والقولُ الأول أوْلى لقوله تعالى ﴿ **قُلْ يَوْمَ الفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ** .. ﴾ [آية ٢٩] .

وسُمِّي « فتحاً » لأنَّ اللهَ جل وعزَّ ، يفتح فيه على المؤمنين(٤) .

(١ــ٣) انظر الآثار في الطبري ١١٦/٢١ وتفسير القرطبي ١١١/١٤ ومعاني الفراء ٣٣٣/٢ وفي الدر المنثور ١٧٩/٥ وأرجح الأقوال قول قتادة ومجاهد ، وأما قول الفراء فضعيف ، وقد ذكره ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ص ٣٧٦ بقوله : ويقال : أراد فتح مكة ، وقال الحافظ ابن كثير ٣٧٥/٦ ومن زعم أن المراد به «فتح مكة» فقد أبعد النجعة ، وأخطأ فأفحش ، فإن الرسول قد قبل إسلام الطلقاء ، وكانوا قريباً من ألفين ، ولو كان المراد فتح مكة لما قَبِل إسلامَهم لقوله سبحانه ﴿ قل يومَ الفَتْح لا يَنْفعُ الَّذِينَ كَفَروا إيمانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ وإنما المراد الفتحُ الذي هو القضاءُ والفصلُ . اهـ .

(٤) قال البيضاوي : يومُ الفتح هو يوم القيامة ، فإنه يوم نصر المؤمنين على الكافرين ، والفصلِ بينهم . اهـ . وقال ابن قتيبة : الفتحُ : القضاءُ ، لأن القضاء فصلٌ للأمور ، وفتحٌ لما أشكل منها ، وسُمِّي يومُ القيامة يومَ الفتح ، لأنَّ اللَّهَ يقضي فيه بين عباده ، وقال أعرابي لآخَرَ يُنازعه : بيني وبينك الفتَّاحُ ، يعني الحاكم . اهـ تأويل مشكل القرآن ص ٣٧٦ .

أو لأنَّ القضاء فيه ، كما قال تعالى ﴿ **رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ** ﴾[1] أي اقْضِ .

١٩ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُوْنَ ﴾** [آية ٣٠] .

ثم نسخ هذا بالأمر بالقتال[2] .

انتهت سورة السجدة

* * *

(١) سورة الأعراف آية ٨٩ .

(٢) هذا إنما كان بمكة قبل أن يؤمر الرسول ﷺ بقتالهم ، ولهذا قال ابن عباس : نسختها آيةُ السيف ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ .

تفسير سورة الأحزاب

مَدنيّة وآياتها ٧٣ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأحزاب وهي مدنية

قال ابن عباس : وهي مدنيَّةٌ(١) .

١ ــ **من ذلك قولُه جلَّ وعز ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ الله ، وَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ والمُنافِقينَ .. ﴾** [آية ١] .

معناه : اثبتْ على تقوى الله(٢) ، كما قال سبحانه ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوْا آمِنُوا** ﴾(٣) .

٢ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمَاً حَكِيمَاً ﴾** [آية ١] .

أي ﴿ **عَلِيمَاً** ﴾ بما يكونُ قبلَ أن يكون ﴿ **حَكِيماً** ﴾ فيما يخلقهُ قبل أن يخلقه(٤) .

---

(١) قال القرطبي : مدنية في قول جميعهم ، نزلت في المنافقين وإيذائهم رسول الله ﷺ وطعنهم فيه ، وفي مناكحته وغيرها . اهـ تفسير القرطبي ١٤/١١٣ .

(٢) في البحر ٧/٢١٠ : الأمر بالتقوى ﴿ اتَّقِ اللهَ ﴾ للمتلبِّس بها ، أمرٌ بالديمومة عليها ، والازدياد منها . اهـ أي دم على التَّقوى وزدْمنها ، وعلى هذا جمهورُ المفسرين .

(٣) سورة النساء آية رقم (١٣٦) ومعنى ﴿ آمَنُوْا آمِنُوْا ﴾ أي يا أيها المؤمنون اثبتوا على الإيمان .

(٤) قال أبو حيان : ﴿ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ عليماً بالصواب من الخطأ ، والمصلحة من المفسدة ، (حكيماً) لا يضع الأشياء إلاَّ مواضعها ، مقرونةً بالحكمة ، وسبب نزول الآيات أن أبا سفيان وجماعة من قريش قدموا المدينة في الموادعة ــ أي الصلح ــ الذي كان بينهم وبينه عليه السلام ، فقالوا يا محمد : ارفضْ ذكر آلهتنا ، وقل أنها تشفعُ وتنفعُ ، ونَدَعُك وربَّك ، فشقَّ ذلك على النبيِّ وعلى المؤمنين ، وهمُّوا بقتلهم ، فنزلت الآيات . اهـ البحر المحيط ٧/٢١٠ .

٣ ـــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ في جَوْفِهِ .. ﴾ [آية ٤] .

قال أبو جعفر : في معنى هذا ونزولِهِ ثلاثة أقوالٍ :

أ ـــ **فمن ذلكَ ما حدَّثَنَا أحمد بن محمَّدِ بنِ نافعٍ** ، قال: حدثنا سَلَمةُ ، قال : حدثنا عبدالرزاق ، قال : أخبرنا مَعْمرٌ ، قال : قال قتادة : « كان رجلٌ لا يسمع شيئاً إلاَّ وَعَاهُ ، فقال النَّاسُ : ما يَعِي هذا ، إلاَّ أنَّ له قلبين ، فكان يسمَّى « ذا القَلْبَيْن » فقال الله عز وجل ﴿ **مَا جَعَلَ اللهُ لرجلٍ من قلبين** ﴾[١] .

قال معمرٌ : وقال الحسنُ : « كان رجلٌ يقول إن نفساً تأمرني بكذا ، ونفساً تأمرني بكذا ، فقال اللهُ جلَّ وعز ﴿ **مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ** ﴾[٢] .

وروى أبو هلالٍ عن عبدالله بن بُرَيْدةَ قال : كان في الجاهلية رجلٌ يُقالُ له : ذُو قلبَيْن ، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ ﴿ **ما جَعَلَ اللَّهُ لرجلٍ من قَلْبين في جوفه** ﴾ .

وَرَوَى ابنُ أبي نجيح ، عن مجاهد قال قال رجلٌ من بني فهر : « إنَّ في جوفي قلبين ، أعقلُ بكل واحدٍ منهما ، أفضل من عقل محمد ﷺ » وكَذَبَ[٣] .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوالُ ترجع إلى معنى واحد ، وهو أنَّ

(١ــ٢) ذكرهما القرطبي ١١٦/١٤ والسيوطي في الدر ١٨٠/٥ وأبو حيان في البحر ٢١١/٧ .

(٣) انظر الطبري ١١٨/٢١ والبحر المحيط ٢١١/٧ والدر المنثور ١٨٠/٥ .

الآية نزلت في رجلٍ بعينــه ، ويُقــال : إن الرجــل « عبداللّـــهِ بنُ خَطل »[1] .

ب ـــ **والقولُ الثاني** : قولٌ ضعيفٌ لا يصحُّ في اللغة ، وهـــو من منْقطعات الزهريِّ ، رواه مَعْمرٌ عنه ، في قوله جلَّ وعز ﴿ **مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ في جَوْفِهِ** ﴾ قال : بَلَغنا أنَّ ذلك في شأن « زيد بن حارثةَ » ضُرِبَ له مثلاً ، يقول : ليس ابنُ رجلٍ آخر ابنَكَ[2] .

جـ ـــ **والقول الثالث**: أصحُّها وأعلاها إسناداً ، وهـو جيد الإسناد ، قُرِئ على محمد بن عمرو بن خالد عن أبيه قال : حدثنـــا زهير بن معاوية قال : حدثنا قابوس بن أبي ظبيان أنَّ أباه حدَّثه قال : قلنا لابن عباس أرأيتَ قولَ اللهِ جلَّ وعزَّ ﴿ **مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ في**

(١) جمهور المفسرين على أن اسم الرجل « جميل بن معمر الفِهْري » الجُمَحي ، كما قال السهيلي وغيرهُ ، وفيه يقول الشاعر :

وكَيْــفَ ثَوائـــي بالمدينــــةِ بَعْدَمَــــا ... قَضَى وَطَـــراً منها جميــــلُ بنُ مَعْمَــــر

قال القرطبي ١١٦/١٤ : نزلت في جميل بن معمر الفهري ، وكان رجلاً حافظاً لما يسمع . فقالت قريش : ما يحفظ هذه الأشياء إلا وله قلبان ، وكان يقول : لي قلبان أعقل بهما أفضل من عقل محمد ، فلما هُزم المشركون يوم بدر ، ومعهم جميل بن معمر ، رآه أبو سفيان وهو معلّق إحدى نعليه في يده ، والأخرى في رجله ، فقال أبو سفيان : ما حالُ الناس ؟ قال انهزموا ، قال فما بال إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك ، قال : ما شعرت إلا أنهما في رجلي ، فعرفوا أنه ليس له قلبان .

(٢) ذكره الطبري في تفسيره ١٩/٢١ وهو كما قال المصنف ضعيف ردَّه المفسرون ، وهو محمولٌ على التمثيل أي كما لا يكون لرجل قلبان ، كذلك لا يكون ولدٌ واحد لرجلين . وانظر القرطبي ١١٧/١٤ .

جَوْفِهِ ﴾ ما عنـي بذلك ؟ قال : كان نبـيُّ اللهِ يومـاً يصلي ، فخَطـر خَطْرةً[1] ، فقال المنافقون الذين يصلُّون معه : ألَا ترون أنَّ له قلبين قلباً معكم ، وقلباً معهم !؟ فأنزل الله جل وعزَّ ﴿ **مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ** ﴾[2] .

قال أبو جعفر : وهذا أولى الأقوال في الآية لما قلنا[3] .

والمعنى : ما جعل الله لرجلٍ قلبـاً يحبُّ به ، وقلبـاً يُبْغِضُ به ، وقلباً يُؤمنُ بهِ ، وقلباً يكفُرُ به .

٤ ــ **ثم قَرَن بهذا ما كان المشركون يُطلِّقون به ، ممَّا لا يكون فقـال :** ﴿ **وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّاتِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ..** ﴾ [آية ٤] .

---

(١) أي سها عليه السلام في صلاته سَهْوةً خفيفةً بسبب ما خَطَر له ، قال الأزهري : يُقال : خطر ببالي كذا ، إذا وقع ذلك في بالك وهمِّك ، والخاطِرُ : ما يخطر في القلب ، من تدبيرٍ أو أمرٍ . اهـ تهذيب اللغة ٢٢٥/٧ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢٦٧/١ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٨١/٥ ورواه الترمذي في كتاب التفسير بهذا اللفظ رقم ٣١٩٩ من تفسير سورة الأحزاب ، وقال : هذا حديث حسن .

(٣) هذا ما رجحه المصنف ، واختار كثير من المفسرين أنها نزلت في رجلٍ من قريش هو « جميل بن معمر الفهري » الذي كان لدهائه يسمى ذا القلبين ، قال الحافظ ابن كثير ٣٧٧/٦ : وقد ذكر غير واحد أن هذه الآية نزلت في رجلٍ من قريش كان يُقال له « ذو القلبين » وأنه كان يزعم أن له قلبين ، كلٌّ منهما بعقلٍ وافرٍ ، فأنزل الله هذه الآية ردّاً عليه ، هكذا روى عن ابن عباس ، وقاله مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، واختاره ابن جرير . اهـ أقول : وهذا هو الأشهر والأظهر ، وهو قول جمهور المفسرين .

وهو لفظٌ مشتقٌّ من الظَّهر[1] .

وقَرَأ الحسنُ ﴿ تَظَاهَرُونَ ﴾[2] وأنكر هذه القراءة أبو عَمْرِو بنِ العلاء ، وقال : إنما يكون هذا من المعاونة .

قال أبو جعفر : وليس يمتنع شيءٌ من هذا ، لاتِّفاقِ اللفظين ، ويدلُّ على صحته الظِّهارُ .

٥ ـــ **ثم قال جل وعزَّ** : ﴿ **وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ** .. ﴾ [آية ٤] .

أي ما جعل من تبنَّيتُموهُ واتَّخذتُموه ولداً[3] ، بمنزلة الولد في الميراث .

قال مجاهد : نزل هذا في « زيدِ بن حارثة »[4] .

---

(١) لفظ الظهار مشتقٌّ من الظهر ، يقال : ظاهر من امرأته : إذا حرَّمها على نفسه ، قال في المصباح : ظاهَرَ من امرأته ظِهاراً ، مثلُ قاتل قتالاً : إذا قال لها : أنتِ عليَّ كظهر أمي ، أي ركوبُكِ للنكاح حرامٌ عليَّ ، كما تحرم عليَّ أمي ، وكان الظهار طلاقاً في الجاهلية . اهـ .

(٢) كلا القراءتين « تُظَاهِرونَ » و« تَظَاهَرون » من القراءات السبع ، فالأولى قراءةُ عاصم بضم التاء وكسر الهاء ، وقرأ حمزة والكسائي وخلف بفتح التاء والهاء ، وهناك قراءة ثالثة ﴿ تَظَّاهَرُونَ ﴾ بتشديد الظاء وهي قراءة ابن عامر ، وانظر النشر ٣٤٧/٢ والسبعة لابن مجاهد ٥١٩/٢ .

(٣) أدعياءكم : جمع دعيٍّ ، وهو الولد المتبنَّى من أولاد الغير ، قال في اللسان : والدَّعيُّ المنسوبُ إلى غير أبيه . اهـ .

(٤) قال القرطبي ١١٨/١٤ : أجمع أهل التفسير على أن هذا نزل في زيد بن حارثة . اهـ .
أقول : روى البخاري في كتاب التفسير ١٤٥/٦ ومسلم رقم ٢٤٢٥ والترمذي رقم ٣٢٠٧ عن عبدالله بن عمر أنَّ « زيد بن حارثة » مولى رسول الله ﷺ ماكنا ندعوه إلاَّ « زيد بن =

٦ ـ ثم قال جلَّ وعز ﴿ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بأفْوَاهِكُمْ ، وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ [آية ٤] .

أي هو شيءٌ تقولونه على التشبيهِ ، وليس بحقيقة .

﴿ واللهُ يَقُولُ الحَقَّ ﴾ أي لا يجعل غيرَ الوَلِدِ وَلداً .

﴿ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ أي سبيلَ الحقِّ[١] .

٧ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ أُدْعُوْهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ .. ﴾ [آية ٥] .

رَوَى سَالمٌ عن ابن عمر قال : ما كنا ندعو « زيدَ بن حارثة » إلاَّ « زيدَ بن محمد » حتى نزلت ﴿ أُدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ ﴾[٢] .

ثم قال جل وعز ﴿ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ ﴾ أي أعدل[٣] .

٨ ـ وقولُه جلَّ وعز ﴿ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوالِيكُمْ ..﴾ [آية ٥] .

= محمد » حتى نزل القرآن ﴿ أدعوهم لآبائهم هو أقسطُ عند الله ﴾ اهـ . صحيح البخاري .

(١) أي يرشد إلى طريق الحق ، أو طريق الشرع والإيمان ، والغرض من الآية التنبيهُ على بطلان مزاعم الجاهلية ، فكما لا يكون للإنسان الواحد قلبان ، فكذلك لا يمكن أن تصبح الزوجة بالظهار أمًّا ، ولا الولد المُتَبَنَّى إبناً ، لأن الأم الحقيقية هي التي ولدته ، والابن الحقيقي هو الذي وُلِد من صلب الرجل ، فكيف يجعلون الزوجات أمهات ؟ والأدعياء أبناء ؟!

(٢) تقدم تخريج الحديث في الصفحات السابقة حاشية رقم ٤ .

(٣) قال ابن جرير ١٢٠/٢١ : أي دعاؤكم إياهم لآبائهم هو أعدل عند الله ، وأصدقُ وأصوبُ من دعائكم إياهم لغير الله . اهـ .

أي فقولوا يا أخي في الدين[1].

﴿ ومواليكم ﴾ أي بنو عمكم ، أو أولياؤكم في الدين[2] .

٩ ــ **ثم قال جل وعزّ ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ .. ﴾** [آية ٥] .

في معناه ثلاثة أقوال :

أ ــ **قال مجاهد :** ﴿ **فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ** ﴾ قبل النَّهي في هذا ، وفي غيره[3] .

﴿ **وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ** ﴾ بعد النَّهْي ، في هذا ، وفي غيره .

ب ــ **وقيل :** ﴿ **فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ** ﴾ أن يقول له : يا بُنَيَّ في المخاطبة على غير تَبَنٍّ[4] .

---

(١) يريد بقوله : يا أخي ، أخوَّة الإسلام ، لا أخوة النسب ، قال ابن كثير ٣٧١/٦ : أمر تعالى بردِّ أنساب الأدعياء إلى آبائهم إن عُرفوا ، فإن لم يُعرفوا فهم إخوانهم في الدين ومواليهم ، عوضاً عما فاتهم من النسب ، ولهذا قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة : « أنت أخونا ومولانا » اهـ .

(٢) في المصباح : المَوْلَى : الناصرُ ، وابن العم ، والحليف ، والعتيق ، والوَلاءُ : النُّصرةُ . اهـ ومعنى الآية : إذا لم تعرفوا أبا الشخص وأردتم خطابه فقولوا له : يا ابن عمي ، أو يامولاي يعني الولاية في الدين .

(٣) قال في البحر ٢١٢/٧ : وهذا ضعيفٌ لا يوصف بالخطأ ما كان قبل النهي ، وإنما هو فيما سبق إليه اللسانُ على سبيل الغَلَط . اهـ .

(٤) أي يقول له : يا بنيّ على سبيل الشفقة والحنان ، أو يقول الولد للرجل : يا أبتِ على سبيل التوقير والتعظيم ، فهذا لا حرج فيه .

جـ ــ **وقال قتادة** : هو أن تنسب الرجلَ إلى غير أبيـهِ ، وأنت ترى أنه أبوه[1] .

وهذا أَوْلاَهَا وأبينُها .

١٠ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَــى بِالْمُؤْمِنِيــنَ منْ أَنْفُسِهِــم .. ﴾ [آية ٦] .

رَوَى جابرٌ عن النبي ﷺ قال : (أنــا أَوْلى بالمؤمنيــنَ من أنفسِهِــمْ ، فأيُّمـا رجــلٍ ماتَ وتــرك دينــاً فإلــيَّ ، وإن ترك مالاً فلورثته)[2] .

وحقيقةُ معنى الآية ــ واللهُ جلَّ وعـزَّ أعلـمُ ــ أن النبـي ﷺ إذا أمر بشيءٍ ، أو نهى عنه ، ثم خالفتْه النَّفْسُ ، كان أمـرُ النبـيِّ ﷺ ونهيُه أولى بالاتِّباعِ من النَّاس[3] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري في جامـع البيـان ٢١/١٢١ والقرطبـي ١٤/١٢٠ قال القرطبـي : لو نَسَبَـه إنسانٌ إلى أبيه من التبنِّي ، فإن كان على جهة الخطأ ، وهو أن يسبـق لسانُـهُ إلى ذلك ، من غير قصدٍ ، فلا إثم ولا مؤاخذة ، وكذلك لو دَعَوْتَ رجلاً إلى غير أبيه ، وأنت ترى أنه أبـوه ، فلـيس عليك بأسٌ ، قاله قتادة ، وفي الحديث الصحيح (من ادَّعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيـه فالجنة عليه حرام) . اهـ .

(٢) الحديث أخرجـه البخـاري في التـفسير ٦/١٤٥ بلفـظ (ما من مؤمـنٍ إلاَّ أنـا أولى به في الدنيـا والآخرة ، اقرءوا إن شئتم « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهـم » فأيما مؤمـنٍ هلك وتـرك مالاً فلْيرثـه عصبتُه من كانوا، ومن ترك دينـاً أو ضَيَاعـاً فليأتنـي فأنـا مولاه) ورواه مسلـم في الفـرائض رقـم ١٦١٩ وأحمد في مسنده ٢/٣٣٤ بنحوه .

(٣) قال في البحر ٧/٢١٢ : وأطلق ولم يقيِّـد في قولـه تعـالى ﴿ أولى بالمؤمـنين ﴾ أي في كل شيء =

١١ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ .. ﴾ [آية ٦] .

أي هنَّ في الحرمة ، بمنزلة الأُمَّهاتِ في الإجلال ، ولا يُتَزَوَّجنَ بعده صلَّى الله عليه وسلم[1] .

ورُوي أنه إنما فعل هذا ، لأنهن أزواجُه في الجنة .

١٢ ــ ثم قال جل وعزَّ : ﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلاَّ أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفاً .. ﴾ [آية ٦] .

قال مجاهد : أي إلاَّ أن تُوْصوا لمن حالفتموه ، من المهاجرين والأنصار . وكان رسولُ اللهِ آخى بين المهاجرين ، فكانوا يتوارثون حتى هذا ، وأبيحت لهم الوصيَّة ، وهذا قولٌ بيِّنٌ ، لأنه بعيدٌ أن يُقال للمشرك : وليٌّ .

وقال ابن الحنفيَّة[2] ، والحسنُ ، وعطاءٌ في قوله تعالى :

= فيجب أن يكون أحبَّ إليهم من أنفسهم ، وحكمُه أنفذُ عليهم من حكمها ، وحقوقه آثر ، إلى غير ذلك مما يجب عليهم في حقه . اهـ .

(١) قال القرطبي ١٢٣/١٤ : شرَّف الله تعالى أزواج نبيه ﷺ بأن جعلهن أمهات المؤمنين ، أي في وجوب التعظيم والمبَّرة ، والإجلال ، وحرمة النكاح على الرجال ، وحجبهنّ بخلاف الأمهات . اهـ .

(٢) ابن الحنفية : هو محمد بن علي بن أبي طالب ، أبو القاسم بن الحنفيْة ، ثقة ، عالم توفي بعد الثمانين . اهـ تقريب التهذيب ١٢٩/٢ .

﴿ **إلاَّ أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً** ﴾ أن يوصي لذي قرابته من المشركين .

قال الحسن : هو وليُّك في النَّسَب ، وليس بوليِّك في الدِّين[1] .

١٣ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **كَانَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ مَسْطُوراً** ﴾ [آية ٦] .

قال قتادة : أي مكتوباً عند اللَّهِ جلَّ وعزَّ ، لا يرث كافرٌ مسلماً[2] .

قال أبو جعفر : **يجوز أن يكون المعنى** : حلَّ ذلك في الكتاب أي في القرآن .

ويجوز أن يكون ذلك قوله ﴿ **وأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ** ﴾ .

١٤ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ** .. ﴾ [آية ٧] .

---

(١) عبارة الطبري ١٢٤/٢١ : وعن ابن الحنفية قال : يوصي لقرابته من أهل الشرك اهـ .
وقال القرطبي ١٢٦/١٤ قال محمد بن الحنفية : نزلت في إجازة الوصية لليهودي والنصراني ، أي يفعل هذا مع الوليِّ والقريب ، وإن كان كافراً ، فالمشرك وليٌّ في النسب ، لا في الدين ، فيوصي له بوصية . اهـ .

(٢) أي كان حكم التوارث بين ذوي الأرحام ، مكتوباً مسطَّراً في الكتاب العزيز ، لا يُبدَّل ولا يُغيَّر ، وهَذا القول أظهر وأوضح .

قال **مجاهد** : هذا في ظهر آدم صلى الله عليه وسلم[1] .

وقال **قتادة** : أخذنا ميثاقَهم أن يُصدِّق بعضُهم بَعْضاً[2] .

١٥ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ .. ﴾** [آية ٨] .

أي ليسأل الصادقين من الرسل ، توبيخاً لمن كذَّبهم . كما قال جلَّ وعزَّ ﴿ **أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاس اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾[3] ؟ .

وقيل : ليسأل الصادقين عن صدقهم ، هل كان للَّهِ جلَّ وعز[4] .

وقيل : ليثابوا عليه .

١٦ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ .. ﴾** [آية ٩] .

قال **مجاهد** : جاءهم أبو سفيان ، وعُيَيْنَةُ بنُ بدرٍ ، وبنو قُريظة ، وهم الأحزاب[5] .

---

(١)و(٢) ذكرهما الطبري ١٢٥/٢١ والقرطبي ١٢٧/١٤ والسيوطي في الدر ١٨٣/٥ .

(٣) سورة المائدة آية رقم (١١٦) وهذا السؤال لعيسى بن مريم في أرض المحشر ، يسأله تعالى توبيخاً لمن اتخذه إلهاً وعَبَده من دونِ اللَّهِ ، فالحكمةُ من سؤال الرسل ، مع علمه تعالى أنهم صادقون ، تبكيتُ من أُرسلوا إليهم .

(٤) أي هل كان عملُهم للَّه جلَّ وعلا . أم كان لأغراض دنيوية ؟ والقول الأول أظهر .

(٥) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ١٨٧/٥ عن مجاهد أي حين التقت على حربكم قريشٌ ، بقيادة =

١٧ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا .. ﴾** [آية ٩] .

رَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : هي الصَّبَا ، كفَأَتْ قُدورَهُمْ ، ونزعتْ فَسَاطِيطَهم ، حتى أظعنتهم[١] .

ورَوَى ابن عباس عن النبي ﷺ (نُصِرتُ بالصَّبَا ، وأُهْلِكَت عَادٌ بالدَّبورِ)[٢]

ثم قال جل وعزَّ ﴿ وَجُنُودَاً لَمْ تَرَوْهَا .. ﴾ [آية ٩] .

قال مجاهد : الملائكةُ ، ولم تقاتل يومئذٍ « يوم الأحزاب »[٣] .

١٨ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ .. ﴾** [آية ١٠] .

قال محمد بن إسحق : الذين جاءوهم من فوقهم « بنو قريظة »

= أبي سفيان ، وقبيلة غطفان بقيادة عُيينة بن بدر ، ويهود بني قريظة ، وعددهم يزيد على اثني عشر ألف ، وهم الأحزاب الذين تحزَّبوا على حرب المسلمين ، وغزوهم في المدينة المنورة ، وتسمى هذه الغزوة أيضاً غزوة الخندق .

(١) قال في المصباح : ظَعَنَ ظَعْنَاً : ارتحل ، ويتعدَّى بالهمزة وبالحرف فيقال : أظْعَنْتهُ وظعنت به . اهـ والمراد أن الريح لشدتها أطفأت نيرانهم ، وقلبت قدورهم ، وجفانهم ، وهدَّت خيامهم ، وسفت التراب في وجوههم ، حتى اضطروا للارتحال ، وترك القتال .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء ٢/٤١ ومسلم في باب ريح الصَّبا والدبور ٣/٢٧ .

(٣) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٥/١٨٥ ولم يثبت أن الملائكة قاتلت في غزوة من الغزوات إلا في غزوة بدر ، وأما بقية المعارك والغزوات فكانت تنزل لتثبيت المؤمنين .

والذين جاءوهم من أسفَل منهم « قريشٌ » و« غَطَفان »[1] .

١٩ ــ **ثم قال جلَّ وعــز : ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَــغَتِ القُلُــوبُ الحَنَاجِرَ .. ﴾** [آية ١٠] .

رَوَى حماد بن زيــد عن أيــوب عن عكرمــة قال : بَلَــغَ فَزَعُها[2] .

وقـال قتـادة : شَخَصتْ عن مَواضعهـا ، فلـولا أن الحُلُــوق ضاقتْ عنها لخرجتْ[3] .

وقيل : كادتْ تبلغُ .

قال أبـو جعفـر : وأحسنُ هذه الأقـوالِ القـولُ الأول ، أي بلـغ وجيفُها من شدَّة الفزع الحلوقَ ، فكأنها بلغتِ الحلوقَ بالوجيب[4] .

٢٠ ــ **وقوله جل وعزَّ ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِـيَ المُؤْمِنُـونَ وَزُلْزِلُوا زِلْـزَالاً شَدِيـداً ﴾** [آية ١١] .

---

(١) انظر كامل القصة في تفسير ابن كثير ٣٨٥/٦ والغرض من الآية تصوير الواقعة ، وكأنها رأي عين ، فقد أحاط المشركون بالمسلمين ، إحاطة السِّوار بالمعصم ، فحاصروهم من جهة المشرق ، والمغرب ، وأتوهم من فوق الوادي ، ومن أسفل الوادي ، وشدَّدُوا عليهم الخناق ، وأعانهم يهود بني قريظة ، فنقضوا العهد مع الرسول ، وانضموا إلى المشركين ، فاشتد الخوف ، وعظم الكرب .

(٢) هذا تمثيل لشدة الرعب والفزع الذي دهاهم ، حتى كأن أحدهم قد وصل قلبه إلى حنجرته من شدة الهول والفزع .

(٣) انظر الأثر في الطبري ١٣١/٢١ والقرطبي ١٤٥/١٤ والدر المنثور ١٨٧/٥ .

(٤) قال في المصباح المنير : وجَبَ القلبُ وجيباً : رَجَف ، ووَجف وَجيفاً : اضطرب . اهـ .

قال **مجاهد** : أي مُحِّصوا[1] .

ثم قال ﴿ **وزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً** ﴾ أي أُزعجوا وحُرِّكوا[2] .

٢١ ــ ثم قال جل وعز ﴿ **وَإِذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً** ﴾ [آية ١٢] .

قال **قتادة** : قال قومٌ من المنافقين : وَعَدنا محمدٌ أن نفتح قصورَ الشَّامِ وفارسَ ، وأحدُنَا لا يقدِرُ أن يُجَاوزَ رَحْله ﴿ **ما وَعدنا اللهُ ورسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً** ﴾[3] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٣٢/٢١ والسيوطي في الدر ١٨٧/٥ قال الطبري : مُحِّص القوم وعُرف المؤمن من المنافق ، وقال القرطبي ١٤٦/١٤ : كان هذا الابتلاءُ بالخوفِ والقتال ، والجوع والحصر والنزال ، واختُبِر المؤمنون ليتبيَّن المخلصُ من المنافق . اهـ .

(٢) التعبير بلفظ « زُلزلوا » يدلُّ على ضخامة الأمر ، وفداحة الهول ، أي حُرِّكوا تحريكاً عنيفاً ، من شدة ما دهاهم ، حتى لكأن الأرض تتزلزل ، وتضطرب تحت أقدامهم ، وأصل الزلزلة : شدة التحريك .

(٣) قال المفسرون : لمَّا حفر المسلمون الخندق ، عرضت لهم صخرة عظيمة لم يستطيعوا تحطيمها ، فأخبروا رسول الله ﷺ فجاء وأخذ المعول وضربها الضربة الأولى فكسر ثلثها ، وبرقت منها بارقة فقال : الله أكبر هذه كنوز كسرى ، ثم ضربها الضربة الثانية ، وبرقت لها بارقة ، فبشَّرهم بكنوز قيصر ، فعل ذلك ثلاث مرات حتى كسرت فقال « معتب بن قشير » وأصحابه من المنافقين ، وكانوا قريباً من سبعين رجلاً : يعدنا محمد أن نفتح كنوز كسرى وقيصر ونحن لايقدر أحدنا أن يذهب إلى الغائط لقضاء حاجته من شدة الخوف ، ما هذا إلاَّ وعدُ غرورٍ ، يغرُّنا به محمدٌ ، فذلك قوله تعالى ﴿ وإذْ يَقُولُ المنافقونَ والذِينَ في قلوبهم مَرَضٌ ما وَعَدَنا اللَّهُ ورسُولُه إلاَّ غُروراً ﴾ .

٢٢ ـ ثم قال جل وعز ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا .. ﴾ [آية ١٣] .

وقَرَأ أبو عبدالرحمن والأعرجُ ﴿ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ بضم الميم[١] .

قال أبو جعفر : المَقَامُ بالفتح : الموضعُ الذي يُقام فيه ، والمصدرُ من قام يقوم .

والمُقَامُ بالضمِّ : بمعنى الإقامة والموضع ، من أقام هو ، وأقامه غيرُه .

٢٣ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ .. ﴾ [آية ١٣] .

قال ابن اسحق : هو « أوسُ بن قَيْظِيّ » الذي قال : إن بيوتنا عورة ، عن ملأٍ من قومه[٢] .

وقَرَأ يحيى بن يعمر ، وأبو رجاء ﴿ عَوِرَةٌ ﴾ بكسر الواو[٣] .

---

(١) هذه من القراءات السبع قال ابن الجزري في كتابه النشر ٣٤٨/٢ : اختلفوا في ﴿ لا مُقَامَ لكم ﴾ فروى حفص بضم الميم ، وقرأ الباقون بفتحها . اهـ .

(٢) ذكره الطبري في تفسيره ١٣٥/٢١ والقرطبي ١٤٨/١٤ وابن كثير ٣٩٠/٦ ومعنى قوله « عن ملإٍ من قومه » أي قاله بالنيابة عن قومه ، يقول ما يتردَّد بين جماعته وعشيرته .

(٣) هذه من القراءات الشاذة ، كما في المحتسب لابن جني ١٧٦/٢ .

يُقال : أَعْورَ المنزلُ إذا ضاع ، أو لم يكن له ما يستُره ، أو سَقَط جدارُه[1] .

فالمعنى : إنَّ بيوتَنا ضائعةٌ متهتِّكةٌ ، ليس لها من يحفظها ، فأعلمَ اللَّهُ جلَّ وعزَّ أنَّها ليستْ كذلك ، وأن العدوَّ لا يصلُ إليها ، لأنَّ الله جلَّ وعزَّ يحفظها .

قال مجاهد : أي نخافُ أن تُسرق[2] .

ويُقال للمرأة : عورةٌ ، فيجوز أن يكون المعنى : إن بيوتنا ذاتُ عورةٍ ، فأكذبَهُمُ اللَّهُ جل وعزَّ .

قال قتادة : قال قومٌ من المنافقين : إن بيوتنا عورةٌ ، وإنَّا نخاف على أهلينا ، فأرسل النبي ﷺ إليها فلم يوجد فيها أحد[3] .

ويجوز أن يكون ﴿ عَوْرَةٌ ﴾ مُسَكَّناً من عَوِرَة[4] .

---

(١) أصل العَوْرة : الخَلَلُ في البناء ونحوه ، قال الهروي : كل مكان ليس بممنوع ولا مستور فهو عورة ، تقول العرب : دارُ فلان عورة إذا لم تكن حصينةً ، وقد أعوَر الفارسُ : إذا بدا فيه خلل للضرب والطعن ، وقال الجوهري : العورةُ كلُّ خَلَلٍ يتخوَّف منه في ثغر أو حرب . اهـ الصحاح مادة عور .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٢١/١٣٦ والسيوطي في الدر المنثور ٥/١٨٨ ، ومراد المنافقين أن بيوتهم خالية من السكان ، ليس فيها أحد يحرسها، وهم يخافون عليها من السُّرَّاق .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٢٥/١٣٦ ولفظه : إن بيوتنا مما يلي العدوَّ ، وإنا نخاف على السُّراق ، فبعث النبي فلم يجد بها عدواً . اهـ .

(٤) يريد المصنف أنه قد يطلق المصدر ، ويُراد به اسم الفاعل ، مثل قولهم : رجلٌ عَدْلٌ أي عادل .

٢٤ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ إنْ يُرِيدُونَ إلاَّ فِرَارًا ﴾ [آية ١٣] .

أي عن نصرة النبيِّ صلى الله عليه وسلم[١] .

٢٥ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الفِتْنَةَ لأَتَوْهَا .. ﴾ [آية ١٤] .

قال الحسن : ﴿ مِنْ أَقْطَارِهَا ﴾ أي من نواحيها[٢] .

قال غيره : نواحي البيوت[٣] .

﴿ ثُمَّ سُئِلُوا الفِتْنَةَ لأَتَوْهَا ﴾ أي لقصدوها وجاءوها .

قال الحسن : الفتنةُ ههنا : الشِّرْكُ .

وقُرِئ : ﴿ لآتَوْهَا ﴾[٤] .

---

(١) قال القرطبي ١٤٩/١٤ : أي ما يريدون إلا اهرب من القتل ، أو من الدِّين ، وقال الألوسي ١٦١/٢١ : أي ما يريدون بالاستئذان إلاَّ هرباً من القتال ونصرة المؤمنين ، وقيل : فراراً من الدِّين .

(٢) في المصباح المنير (أقطارها) جمع قُطر بالضمّ : الجانب والناحية ، مثل قُفل وأقفال .

(٣) الأظهر أن المراد بقوله ﴿ ولو دُخلتْ عليهم من أقطارها ﴾ أي لو دخل الأعداء على هؤلاء المنافقين من نواحي المدينة وجوانبها ، وهو قول المفسرين ، وقد ذكره النحاس في إعراب القرآن حيث قال : من أقطار البيوت ، أو المدينة ..

(٤) قرأ عاصم . والكسائي ، وحمزة وأبو عمرو ﴿ لآتوها ﴾ ممدودة ، وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ﴿ لأَتَوْها ﴾ بدون مدٍّ من أتيتُ . والقراءتان سبعيتان كما في السبعة ص ٥٢٠ وعلى قراءة القصر (لأتوها) أي لجاءوها ، وعلى قراءة المدِّ (لآتَوْهَا) أي لأعطوها من أنفسهم ، طائعين مختارين غير مكرهين .

قال **الحسن** : أي لأُعطَوْها من أنفسهم .

قال **غيره** : كما رُوي في الذين عُذِّبُوا، أنهم أَعْطَوْا ما سُئِلوا في النبي ﷺ إلاَّ بلالاً[1] .

٢٦ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاَّ يَسِيراً ﴾ [آية ١٤] .

قال **القُتبي** : أي بالمدينة[2] .

٢٧ ــ وقولُه جلَّ وعز ﴿ وَإِذاً لَا تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [آية ١٦] .

قال مجاهد والربيع بن خُثَيْمَ في قوله ﴿ وَإِذاً لا تُمتَّعُونَ إلاَّ قَليلاً ﴾ : ما بينهم وبين الأجل[3] .

٢٨ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ المُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا .. ﴾ [آية ١٨] .

---

(١) ذكره القرطبي ١٤/١٤٩ فقال : اختار أبو عبيد وأبو حاتم قراءة المدِّ ، وقد جاء في الحديث إن أصحاب النبي ﷺ كانوا يُعَذبون في اللَّهِ ، ويُسألون الشرك ، فكلٌّ أعطي ما سألوه إلاَّ بلالاً قال : وفيه دليلٌ على قراءة المدّ (لآتَوْهَا) بمعنى لأعطوها ، من الإعطاء . اهـ .

(٢) هذا قول السدي ، والحسن ، وإليه ذهب الفراء في معانيه ٢/٣٣٧ قال : أي لم يكونوا يلبثون بالمدينة إلا قليلاً حتى يهلكوا ، قال القرطبي ١٤/١٥٠ : وأكثر المفسرين على أن المراد : وما احتبسوا عن فتنة الشرك إلاَّ قليلاً ، ولأجابوا بالشرك مسرعين . اهـ قال الحافظ ابن كثير ٦/٣٩٠ : ومعنى الآية : أنهم لو دخل عليهم الأعداء من كل جانب من جوانب المدينة ، ثم سئلوا الفتنة وهي الدخول في الكفر ، لكفروا سريعاً ، وهم لا يحافظون على الإيمان ، ولا يستمسكون به ، مع أدنى خوف وفزع ، هكذا فسرها قتادةُ ، وابنُ زيد ، وابن جرير . اهـ .

(٣) أخبر تعالى أن فرارهم لا يؤخّر آجالهم ، ولا يطيل أعمارهم ، فلن يعيشوا أكثر من عمرهم المقدَّر .

قال **قتادة** : هم قومٌ من المنافقين قالوا : ما أصحابُ محمَّدٍ عندنا إلاَّ أَكَلَةُ رأسٍ[1] ، ولن يُطِيقُوا أَبا سفيانَ وأصْحَابَه ، فهَلُمَّ إلينا[2] !!

٢٩ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَلَا يَأْتُون البَأْسَ إلاَّ قَلِيلاً ﴾** [آية ١٨] .

أي إلاَّ تعذيراً[3] .

٣٠ ــ **ثم قال جلّ وعزّ ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ .. ﴾** [آية ١٩] .

أي **﴿ أَشِحَّةً عَليكُمْ ﴾** بالنفقة على فقرائكم ، ومساكينكم[4] .

﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ أي بالغوا في الاحتجاج عليكم .

---

(١) قوله إلا أُكلةُ رأسٍ أي هم قليل يشبعهم رأس واحد ، جمع آكل .

(٢) ذكره الطبري ٢١/١٣٩ وفي البحر ٧/٢٢٠ والألوسي ٢١/١٦٣ ومعنى : هلمَّ إلينا أي أقبلُوا إلينا .

(٣) أي لايحضرون القتال إلاَّ زماناً قليلاً ، لدفع اللَّوم عنهم ، قال في المصباح عذرتُه عُذْراً : رفعتُ عنه اللَّومَ ، واعتذر عن فعله : أظهر عذره ، واعتذر إليَّ : طلب قبول معذرته . اه المصباح المنير مادة عذر .

(٤) قال في التسهيل ٣/٣٩٣ : أشحَّةً جمع شحيح ، معناه يشحُّون بأنفسهم فلا يقاتلون ، وقيل : يشحُّون بأموالهم . اهـ وقال الطبري ٢١/١٤٠ : وصف الله المنافقين بالشحِّ والبخل ، فهم كما وصفهم الله به ، أشحةً على المؤمنين بالغنيمة والخير ، والنفقة في سبيل الله على أهل مسكنة المؤمنين . اهـ .

وقال **قتادة** : سلقوكم بطلب الغنيمة[1] .

وهذا **قولٌ حسنٌ ، لأن بعده ﴿ أَشِحَّةً عَلَى الخَيْرِ ﴾** .

وعن ابن عباس : استقبلوكم بالأذى .

وقال يزيدُ بن رومانَ : سَلَقُوكم بما تحبُّون نفاقاً منهم[2] .

يُقال : خطيبٌ مِسْلاَقٌ ، وسَلاَّقٌ أي بليغ .

٣١ ــ ثم قال جل وعزَّ ﴿ أَشِحَّةً عَلَى الخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا .. ﴾ [آية ١٩] .

أي أشحةً على الغنيمة.

﴿ أولئك لم يُؤْمنوا ﴾ وإن كانوا قد أظهروا الإيمان ، فإن اعتقادهم غير ذلك .

٣٢ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وإِنْ يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ .. ﴾ [آية ٢٠] .

---

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ١٨٩/٥ ولفظُه : سَلَّطوا ألسنتهم بطلب الغنيمة ، يقولون أعطونا أعطونا ، فإنا قد شهدنا الحرب معكم ، ولستم أحقَّ بها منَّا ، فأمَّا عند البأس ، فأجبنُ قوم وأخذلهم للحق . اهـ وانظر الطبري ١٤١/٢١ .

(٢) الأثر ذكره الطبري ١٤١/٢١ وما ذُكر عن ابن عباس أن المراد به الإيذاء بالكلام هو الأظهر والمعنى : إذا ذهب الخوف عنهم وانجلت المعركة ، آذوكم بالكلام بألسنةٍ سليطة ، يقولون : نحن الذين قاتلنا ، وبنا انتصرتم ، ، وكسرتم العدوَّ وقهرتموه ، ويطالبونكم بالنصيب الأوفر من الغنيمة ، وكانوا قبل ذلك راضين من الغنيمة بالإياب ، وهذا الأوفقُ بجوِّ الآية . وهو اختيار الطبري ، والله أعلم .

أي يحسبون الأحزاب لم يذهبوا لجبنهم .

﴿ وَإِنْ يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الأَعْرَاب ﴾ : المعنى : إنهم لفَزَعهم ورُعِبِهِمْ إذا جاء من يقاتلهم ، ودُّوا أنهم بادون في الأعراب[1] .

وقَرَأ طلحةُ بنُ مصرِّف : ﴿ يَوَدُّوا لَو أَنَّهُمْ بُدًّاً فِي الأَعْرَابِ ﴾[2] .

والمعنى واحدٌ : ، وهو جمع بادٍ ، كما يقال : غازٍ ، وغُزَّى .

٣٣ ــ **ثم خبَّر تعالى بما يقول المؤمنون فقال : ﴿ وَلَمَّا رأَى المُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ .. ﴾** [آية ٢٢] .

وقيل : الذي وعدهم في قوله **﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ**

---

(١) قال الطبري ١٤٢/٢١ : أي يتمنوا من الخوف والجبن ، أنهم غُيَّبٌ عنكم في البادية مع الأعراب ، خوفاً من القتل ، يستخبرون عن أخباركم بالبادية ، هل هلك محمد وأصحابه ؟ اهـ .

(٢) هذه من القراءات الشاذة ، كما في المحتسب لابن جني ١٧٧/٢ ولفظهُ : ومن ذلك قراءة ابن عباس « بُدَّىً في الأعراب » شديدة الدَّال منوَّنة ، جمع بادٍ ، ونظيره قوله سبحانه ﴿ أو كانوا غُزَّىً ﴾ جمع غازٍ . اهـ .

ومعنى الآية الكريمة : يحسب المنافقون من شدة خوفهم وجبنهم ، أن الأحزاب ــ وهم كفار قريش ومن تحزَّب معهم ــ بعد انهزامهم من المعركة ، لم ينصرفوا عن المدينة ، وهم قد انصرفوا فعلاً ، وإنْ يرجعْ إليهم الكفارُ كرَّةً ثانيةً للقتال ، يتمنوا لشدة جزعهم وجبنهم ، أن يكونوا في البادية مع الأعراب ، حَذَراً من القتل ، يسألون الناس عن أخبار المسلمين يقولون : أهلك المؤمنون ؟ أغلبَ أبو سفيان ؟ ليعرفوا حالكم بالاستخبار لا بالمشاهدة . اهـ .

وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ البَأْسَاءُ والضَّرَّاءُ ﴾[1] كذا قال قتادة .

وقال يزيدُ بن رومان : الأحزابُ : قريشٌ ، وغَطَفانُ[2] .

٣٤ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ .. ﴾ [آية ٢٣] .

يقال : صَدَقْتُ العهدَ : أي وفَّيتُه .

٣٥ ــ ثم قال جل وعزَّ ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلوا تَبْدِيلاً ﴾ [آية ٢٣] .

رَوَى سعيدُ بن مسروق عن مجاهد قال : ﴿نَحْبَهُ﴾ : عَهْده[3] .

ورَوَى خُصيف عن عكرمةَ عن ابن عباس ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ قضى نحبه ﴾ :

قال : مات على ما عاهد عليه ﴿**ومنهم من يَنْتَظِرُ**﴾ ذلك[4] .

---

(١) الآية من سورة البقرة رقم (٢١٤) وهذا الأثر أخرجه الطبري ١٤٤/٢١ عن قتادة . والسيوطي في الدر ١٩٠/٥ وهو قول ابن عباس أيضاً كما ذكره الطبري والسيوطي قال الطبري ١٤٤/٢١ : إن الله قال لهم في سورة البقرة ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدخُلُوا الجَنَّةَ ﴾ إلى قوله ﴿ ألاَ إنَّ نصرَ اللَّهِ قريبٌ ﴾ فلمَّا مسَّهم البلاء ، حيث رابطوا الأحزاب في الخندق ، تأول المؤمنون ذلك ، ولم يزدهم ذلك إلاَّ إيماناً وتسليماً أي صبراً على البلاء ، وتسليماً للقضاء ، وتصديقاً بتحقيق ما وعدهم الله ورسوله به . اهـ .

(٢) الأحزاب : هم الذين تحزَّبوا على حرب المسلمين وهم قريش ، وغطفان ، وبنو قريظة ، وأوباش العرب ، وسائر كفار الجزيرة العربية ، ولهذا سميت الوقعة « غزوة الأحزاب » .

(٣)و(٤) انظر الآثار في الطبري ١٤٦/٢١ وابن كثير ٣٩٥/٦ والدر المنثور ١٩١/٥ .

قال أبو جعفر : حَكَى أهل اللغة أن النَّحْبَ : العْهدُ ، والنَّفسُ ، والخطرُ العظيم[1] .

وأشهرُها أن النَّحْبَ : العهدُ ، كما قال مجاهد .

ويُصحِّحهُ أنه يُروى أن قوماً جعلوا على أنفسهم ، إنْ لاقَوْا العدُوَّ ، أن يَصْدُقُوا القِتالَ ، حتى يُقْتَلوا[2] ، أو يفتحَ اللّهُ جلَّ وعز عليهم .

فالمعنى : فمنهم من قضى أجَلَه ، وسُمِّي الأجلُ عهداً ، لأنه على العهد كان ، أو قَضَى عهده .

---

(١) في المصباح : نَحَب نَحْباً من باب قَتَل : نذر ، وقَضَى نَحْبَه : مات ، أو قُتل في سبيل الله ، وأصلهُ الوفاءُ بالنَّذر ، وفي التنزيل ﴿ فمنهم من قضى نحبه ﴾ اهـ . وفي اللسان مادة نَحَبَ : والنَّحْبُ : النَّذرُ ، تقول منه : نحبتُ أنْحُب بالضمّ ، والنَّحْبُ : الخطرُ العظيمُ ، والنَّحْبُ : النَّفسُ ، والموتُ ، كأنه يلزم نفسه أن يقاتل حتى يموت . اهـ .

(٢) روى ابن جرير الطبري ١٤٧/٢١ عن أنس بن مالك قال : غاب عمي « أنسُ بن النضر » عن قتال يوم بدر ، فقال : غِبْتُ عن قتال رسول الله ﷺ المشركين ، لئن أشهدني الله قتالاً ليريَنَّ اللهُ ما أصنع ؟ فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون ــ أي انهزموا ــ فقال : اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون ، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء ــ يعني المسلمين ــ فمشى بسيفه ، فلقيه « سعدُ بنُ معاذ » فقال : أي سعد إني لأجد ريح الجنة دون أحد ، قال أنسُ بن مالك : فوجدناه بين القتلى ، به بضعٌ وثمانون جراحة ، بين ضرب بسيفٍ ، وطعنةٍ برمح ، ورميةٍ بسهم ، فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه ــ أي رءوس أصابعه ــ قال أنسٌ : فكنا نتحدث أن هذه الآية ﴿ مِنَ المُؤْمنينَ رِجَالٌ صَدَقُوا ما عَاهَدوا اللّهَ عَلَيْهِ ﴾ نزلت فيه وفي أصحابه . اهـ .

ثم قال تعالى ﴿ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ [آية ٢٣] .

أي وما بدَّلوا دينهم تبديلاً .

٣٦ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا .. ﴾ [آية ٢٥] .

قال مجاهد : أبا سفيان وأصحابَه[1] .

٣٧ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ .. ﴾ [آية ٢٦] .

أي أعانوهم من أهل الكتاب .

قال مجاهد : بني قُريظة[2] .

﴿ من صَيَاصِيهِمْ ﴾ من قصورهم .

وروَى ابنُ عُيينة عن عمروِ بن دينار عن عكرمة ﴿ من صَيَاصِيهِمْ ﴾ من حصونهم[3] .

قال أبو جعفر : والقصورُ قد يُتحصنَّ بها ، وأصلُ الصِّيصِيَة[4] .

---

(١) هذا كان قبل إسلامه رضي الله عنه ، فقد كان أحد كبار زعماء قريش ، وكان قائد جيوشهم في كثير من الغزوات ، ثم أسلم عام فتح مكة .

(٢) قال الطبري ٢١/١٥٠ : عَنى بذلك « بني قريظة » وهم الذين ظاهروا الأحزاب على رسول الله ﷺ .

(٣) ما قاله عكرمة أن المراد بالصياصي الحصونُ ، أظهر مما قاله مجاهد، لأن المراد أنه تعالى أنزلهم من حصونهم التي كانوا يتحصنون بها .

(٤) في تاج العروس : الصَّياصي : جمع صِيصِيَة ، وهو الحصنُ ، وكذا في القاموس واللسان .

في اللغة : ما يُمْتنعُ بِهِ ، ومنه قيل لقرون البقر : صياصي ، ومنه قوله :

« كَوَقْعِ الصَّياصِي فِي النَّسِيجِ المُمَدَّدِ »[1]

يُقال : جذَّ اللَّهُ صِيصَتَه : أي أصلَهُ .

٣٨ ــ **وقولـه جلَّ وعـزَّ : ﴿ وَأَوْرَثَكُـمْ أَرْضَهُـمْ وَدِيَارَهُـمْ وَأَمْوَالَهُـمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَئُوهَا .. ﴾** [آية ٢٧] .

قال الحسن : فارس والروم[2] .

وقال قتادة : مكة[3] .

وقال ابن اسحق : خيبر[4] .

قال أبو جعفر : وهذه كلُّها قد أورثها اللهُ جلَّ وعز المسلمين .

إلا أنَّ الأشبه بالمعنى أن تكون « خيبر »[5] واللهُ أعلم .

---

(١) هذا عجز بيتٍ لدُريد بنِ الصِّمَّة ، وتمامُه :
فَجِئْتُ إلَيْهِ والرِّمَاحُ تَنُوشُهُ ... كَوَقْعِ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيجِ المُمَدَّدِ
والبيت في لسان العرب ٥٢/٧ والصحاح ١٠٤٤/٣ ورسالة دريد بن الصمة . حياته ، شعره ص ٣٦ لماحي القثامي .

(٢)(٣)(٤) هذه الآثار كلها عن السلف ذكرها الطبري في تفسيره ١٥٥/٢١ وصاحب البحر ٢٢٥/٧ والسيوطي في الدُّر ١٩٣/٥ واختار الطبري أنها : جميعُ البلاد التي فتحها المسلمون فقال : أخبر تعالى أنه أورث المؤمنين أرض بني قريظة ، وديارهم ، وأموالهم ، وأرضاً لم يطئوها يومئذٍ ، وذلك كلُّه داخلٌ في قوله ﴿ وأرضاً لم تطئوها ﴾ . اهـ .

(٥) إنما اختار الإمام النحاس أنها « خيبر » لأن الآية في يهود بني قريظة ، فبشرهم تعالى أنهم سيملكون أرضاً أخرى لليهود ، ولم يسكنوها قبل ذلك اليوم . وخيبر كانت مقرَّ اليهود .

رَوَى ابن عُيَيْنَةَ ، عن عَمْرِو بنِ دينارٍ ، عن عكرمة ، في قوله تعالى ﴿ وَأَرْضاً لم تَطَئُوهَا ﴾ قال : ما يُفتح على المسلمين إلى يوم القيامة[1] .

٣٩ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ، فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً ﴾** [آية ٢٨] .

رَوَى يونس عن الزهري عن أبي سلمة عن عائشة ، ومَعْمَرٌ عن عروة عن عائشة قالت : لمَّا أُمِرَ النبيُّ ﷺ بتخيير أزواجِهِ، بدأ بي فقال : « إني ذاكرٌ لكِ أمراً ، ولا عليكِ أن لا تَعْجلي فيه حتى تستأمري أبويْكِ »[2] قالت : وقد علم أنَّ أبويَّ لم يكونا ليأمراني بفراقه ، ثم تلا **﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا .. ﴾** فقلت : أَوَ في هذا استأمرُ أبويَّ ؟ فإنِّي أختار الله جلَّ وعز ورسوله والدَّار الآخرة[3] .

---

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ١٩٣/٥ والقرطبي في جامع الأحكام ١٦١/١٤ واختاره أبو حيان في البحر المحيط ٢٢٥/٧ حيث قال ﴿ وأرضاً لم تطئوها ﴾ وعدٌ صادق في فتح البلاد ، كالعراق ، والشام ، واليمن ، ومكة ، وسائر فتوح المسلمين . اهـ .

(٢) في المخطوطة « أبا بكر » وصوابُه ما أثبتناه « أبويك » كما في رواية البخاري والترمذي ، ويدلُّ عليه قولها : وقد علم أن أبويَّ .. » الحديث .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير من سورة الأحزاب ١٤٧/٦ ورواه الترمذي في التفسير أيضاً ٦٥/٩ من تحفة الأحوذي وقال : حديث حسن صحيح ، وانظر الروايات كاملة في تفسير ابن كثير ٤٠٢/٦ والدر المنثور ١٩٤/٥ وتفسير القرطبي ١٦٣/١٤ .

قال يونس في حديثه : وفعلَ أزواجُه كما فعلتْ ، فلم يكن ذلك طلاقاً ، لأن رسول الله ﷺ خيرَّهُنَّ فاخترنه[1] .

٤٠ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا العَذَابُ ضِعْفَيْنِ .. ﴾ [آية ٣٠] .

فرَّق أبو عَمْروٍ[2] بين ﴿ يُضَعَّفْ ﴾ و﴿ يُضَاعَفْ ﴾ قال : يُضاعفُ للمِرار الكثيرة ، ويُضعَّفُ مرتين ، وقرأ ﴿ يُضَعَّفْ ﴾ لهذا[3] .

وقال أبو عبيدة : ﴿ يُضَاعَفْ لهَا العَذَابُ ﴾ : يُجعل ثلاثة أعذبة[4] .

---

(١) قال القرطبي ١٧٠/١٤ : اختلف العلماء في كيفية تخيير النبيّ ﷺ ازواجه على قولين :
الأول : أنه خيَّرهن في البقاء على الزوجية أو الطلاق ، فاخترن البقاء . وهو قول عائشة ومجاهد وعكرمة .
الثاني : إنما خيَّرهنَّ بين الدنيا فيفارقهن ، وبين الآخرة فيمسكهنَّ ، ولم يخيرهن في الطلاق ، وهذا قول الحسن وقتادة . والقول الأول أصح لقول عائشة لما سئلت عن الرجل يخيّر امرأته : قد خيَّرنا رسول الله ﷺ أفكان طلاقاً ؟ ولحديث عائشة « لاتعجلي حتى تستأمري أبويك » ومعلوم أنه لم يرد الاستئمار في اختيار الدنيا وزينتها على الآخرة . اهـ .

(٢) « أبو عمروٍ » هو أبو عمرو بن العلاء ، اسمه زبّان بن عمار التميمي ، من أئمة اللغة والأدب توفي سنة ١٥٤ هـ وانظر ترجمته في الأعلام ٧٢/٣ .

(٣) في المخطوطة « هذا » وتصويبه « لهذا » كما في القرطبي ١٧٥/١٤ .

(٤) قال في اللسان : العذابُ : النَّكالُ والعقوبة ، وكسَّره الزجّاج على أعذبة فقال في قوله تعالى ﴿ يُضَاعَفْ لها العذابُ ضِعْفين ﴾ قال أبو عبيدة : ثلاثة أعذبة . اهـ وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٣٦/٢ فقد قال ما نصُّه : ﴿ يُضَاعَفْ لها العَذَابُ ضِعْفَينْ ﴾ أي يُجعل لها العذاب =

قال أبو جعفر : التفريقُ الذي جاء به « أبو عَمْرٍو » لا يعرفه أحدٌ من أهلِ اللُّغةِ ــ عَلِمْتُهُ ــ والمعنى في ﴿ **يُضاعَفْ** ﴾ و﴿ **يُضَعَّفْ** ﴾ واحدٌ أي يُجعل ضعفين أي مثلين ، كما تقول : إن دفعتَ إليَّ درهماً دفعتُ إليك ضِعْفيه أي مثليه يعني درهمين ، ويدلُّ على هذا ﴿ **نُؤْتِها أجرها مرَّتَيْن** ﴾ فلا يكون العذابُ أكثر من الأجر[1] .

وقال في موضع آخر ﴿ رَبَّنا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ العَذَابِ ﴾[2] أي مثلين .

وَرَوَى مَعْمرٌ عن قَتَادة ﴿ يُضَاعَفْ لَهَا العَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ .

قال : عذابُ الدنيا ، وعذابُ الآخرة[3] .

= ثلاثة أعذبة ، لأن ضعف الشيء مثله ، وضعفيْ الشيء مثلا الشيء . اهـ . وقال القرطبي ١٧٥/١٤ : والضعفُ في كلام العرب : المِثْلُ إلى ما زاد ، وليس بمقصور على مثلين ، يُقال : هذا ضعف هذا أي مثله ، وهذا ضعفاه أي مثلاه ، فالضعف في الأصل زيادة غير محصورة ، قال الله تعالى ﴿ فأولئك لهم جزاء الضِّعْفِ ﴾ ولم يرد مثلاً ولا مثلين ، هذا قول الأزهري . اهـ .

(١) قال ابن عطية : معناه : يكون العذابُ عذابيْن أي يُضاف إلى عذاب سائر الناس عذاب آخر مثله ، وقال أبو عُبيدة : يضاف إليه عذابان مثله فيكون ثلاثة أعذبة . وضعَّفه الطبري ، وكون الأجر مرتين ، يفسد قول أبي عبيدة ، لأن العذاب في الفاحشة بإزاء الأجر في الطاعة . اهـ . المحرر الوجيز ٥٥/١٢ .

(٢) سورة الأحزاب آية ٦٨ .

(٣) وهكذا قال زيد بن أسلم وسعيد بن جبير قال : يُجعل عذابهن ضعفين . ويُجعل على من قذفهُنَّ الحدُّ ضعفين ، كما في الدر المنثور ١٩٥/٥ والجمهور على أن مضاعفة العذاب في الآخرة .

٤١ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُوْلِهِ .. ﴾ [آية ٣١] .

ومعناه : من يُطِعْ .

قال قتادة : كلُّ قنوتٍ في القرآن طاعةٌ(١) .

وقال : ﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً ﴾ : الجنَّة(٢) .

٤٢ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ .. ﴾ [آية ٣٢] .

يقال : خَضَع في قوله : إذا لَانَ ولم يُبيِّنْ .

ويُبيِّنُه قولُه تعالى ﴿ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً ﴾ أي بيِّناً ظاهراً .

قال قتادة والسُّدّي : ﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي في قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ أي شكٌّ ونفاق(٣) .

قال عكرمة : هو شهوةُ الزنى(٤) .

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره ٢٦٦/٣ من حديث مرفوع : كل حرف يُذكر فيه القنوتُ من القرآن ، فهو طاعةٌ لله . اهـ . قال في اللسان : القنوتُ الخشوعُ ، والقِيامُ بالطاعةُ قال ابن سيده : القنوتُ الطاعة هذا هو الأصل ومنه قوله تعالى ﴿ كُلٌّ لَه قَانِتُوْنَ ﴾ اهـ .

(٢ــ٤) هذه الآثار كلُّها وردت عن السلف ، وذكرها الطبري في تفسيره ٣/٢٢ وصاحب الدر المنثور ١٩٦/٥ والقرطبي ١٧٧/١٤ قال القرطبي : ﴿ مرض ﴾ أي شك ونفاق ، قاله قتادة والسدي ، وقيل : تشوُّفٌ لفجور وهو الفسق ، والغزل ، قاله عكرمة ، وهذا أصوب ، وليس للنفاق مدخل في هذه الآية . اهـ .

٤٣ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَقِرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّة الأُولَى .. ﴾ [آية ٣٣] .

هو منْ وَقَر ، يَقِرُ ، وَقَاراً في المكان : إذا ثبتَ فيه[1] ، وفيه قولٌ آخر :

قال محمد بن يزيد[2] : هو من قَرَرْتُ في المكان أقِرُّ ، والأصلُ واقْرَرْنَ ، جاء على لغة من قال في « مَسِسْتُ » مِسْتُ ، حُذفت الراء الأولى ، وأُلقِيتْ حركتُها[3] على القاف ، فصار ﴿ وَقِرْنَ ﴾ .

قال : ومَنْ قرأ ﴿ وَقَرْنَ ﴾ فقد لَحَن[4] .

قال أبو جعفر : يجوز أن يكون ﴿وَقَرْنَ﴾ من قَرَرْتُ به عيناً أقَرُّ ، فيكون المعنى : واقْرَرْنَ به عيناً في بيوتكنّ[5] .

---

(١) هذه على قراءة الكسر ﴿ وَقِرْنَ ﴾ وهي قراءة الأعمش ، وحمزة ، والكسائي . وقرأ أهل المدينة ونافع ، وعاصم ﴿ وَقَرْنَ ﴾ بفتح القاف . وكلاهما من القراءات السبع ، وانظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ٥٢١/٢ والنشر في القراءات العشر ٣٤٨/٢ .

(٢) محمد بن يزيد هو النحوي الشهير المعروف بالمبّرد . المتوفى سنة ٢٨٥ وقد تقدمت ترجمته ٥٥/١ .

(٣) في المخطوطة « حركاتها » وصوابهُ « حركتها » كما في إعراب القرآن للنحاس وتفسير القرطبي .

(٤) القرآن يحكم على اللغة ، ولا تحكم اللغةُ على القرآن ، فإذا وردت القراءة عن المعصوم بطريق التواتر ، فكيف يُقال إنها لحنٌ ؟ وهذه قراءة صحيحة متواترة ثبتت عن رسول الله . فلا يقال إنها لحن ، وسامح الله أهل اللغة يقبلون قول الأعراب الأجلاف ، ويعتبرون كلامهم حجة في اللغة ، ويرفضون القراءات المتواترة التي جاءت عن المعصوم الذي لاينطق عن الهوى ؟!

(٥) هذا بعيدٌ والراجح ما عليه المفسرون من أن المعنى : إلْزَمْنَ بيوتكن ولا تخرجن لغير حاجة . فهو =

٤٤ ـ ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُوْلَى ﴾ [آية ٣٣] .

رَوَى عليُّ بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس قال : ﴿ الجاهليةُ الأولى ﴾ ما بين إدريسَ ونوح صلى الله عليهما[١] .

ورَوَى عبد الله بن عَمْرٍو عن عبدالكريم عن عكرمة عن ابن عباس قال : ستكون جاهليةٌ أخرى[٢] .

ورَوَى هُشَيم عن زكريا عن الشعبي قال : ﴿ الجاهليةُ الأولى ﴾ ما بين عيسى ومحمد صلَّى الله عليهما .

ـ من القرار في المكان قال في الصحاح : والقرار في المكان : الاستقرارُ فيه ، تقول قَرِرْتُ بالمكان أقَرُّ قراراً ، بالكسر وبالفتح . اهـ .

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ١٦٧/٥ والطبري في تفسيره ٤/٢٢ في قصة طويلة وذكره الحافظ ابن كثير ٤٠٦/٦ عن ابن عباس قال : كانت بين نوح وإدريس ، وكانت ألف سنة . وفي البحر ٢٣٠/٧ و﴿ الجاهلية الأولى ﴾ هي القديمة التي يُقال لها : الجاهلية الجهلاء ، وهي الزمان الذي وُلد فيه إبراهيم ، كانت المرأة تجمع بين زوج وعشيق ، وتلبس الدرع من اللؤلؤ ، فتمشي وسط الطريق ، تعرض نفسها على الرجال .

(٢) قال عمر لابن عباس : هل كانت الجاهلية إلا واحدة ؟ فقال ابن عباس : وهل كانت الأولى إلاَّ ولها آخرة ؟ فقال عمر : لله درُّك يا ابن عباس . اهـ من البحر المحيط ٢٣١/٧ وفي التفسير الكبير للرازي ٢٠٨/٢٥ : وقوله تعالى ﴿ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن المراد من كان في زمن نوح ، والجاهلية الأخرى من كان بعده .

وثانيهما : أن هذه ليست أولى تقتضي أخرى ، بل معناه تبرج الجاهلية القديمة كقول القائل : أين الأكاسرة الجبابرة الأُلى ؟ .

قال مجاهد : كان النِّساءُ يتمشَّيْن بين الرجال ، فذلك التبرُّجُ[1] .

وقال ابن أبي نجيح : هو التَّبختُر .

قال أبو جعفر : التبرُّج في اللغة : هو إظهار الزينة ، وما تُستدعى به الشهوة ، وكان هذا ظاهراً بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما ، وكان ثَمَّ بَغَايَا يُقْصدن[2] .

— **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ .. ﴾** [آية ٣٣] .

قال عطية : حدَّثني أبو سعيدٍ الخُدريُّ ، قال : حدَّثتني أُمُّ سَلَمةَ ، قالت : نزلت هذه الآية في بيت ، وكنتُ جالسةً على الباب ، فقلتُ يارسولَ اللهِ : ألستُ من أهل البيتِ ؟ قال : إنَّكِ إلى خَيْرٍ ، وأنتِ منْ أَزْواجِ النبي ﷺ ، وكان في البيت « النبيُّ ، وعليٌّ ، وفاطمةُ ، والحسنُ ، والحسينُ » صلوات الله عليهم[3] .

---

(1) ذكره ابن كثير عن مجاهد قال : كانت المرأة تخرج تمشي بين يديْ الرجال ، فذلك تبرج الجاهلية . اهـ .

(2) قال الطبري ٤/٢٢ : التبرج هو إظهار الزينة ، وإبراز المرأة محاسنها للرجال ، وهي الجاهلية التي قبل الإسلام . اهـ .

(3) هذا الأثر أخرجه الطبري في تفسيره ٧/٢٢ والسيوطي في الدر المنثور ١٩٨/٥ ورواه الترمذي من حديث عطاء بن أبي رباح عن عمر بن سلمة ٣٢٨/٥ وقال : حديث غريب ، وأخرجه —

٤٦ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّـهِ وَالْحِكْمَةِ .. ﴾ [آية ٣٤] .

قال قتادة : أي القرآن ، والسُّنَّة .

ورَوَى محمدُ بن عَمْروٍ عن أبي سلمة عن أم سلمة قالت : قلتُ يارسولَ اللَّهِ : أَرَى اللَّهَ جلَّ وعزَّ يذكرُ الرِّجالَ ، ولا يذكرُ النِّساءَ !! فنزلت ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ .. ﴾[١] .

٤٧ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ ..[٢] ﴾ [آية ٣٥] .

= أحمد في المسند ٢٩٢/٦ وفي بعض الروايات : عن أم سَلَمة قالت : نزلت هذه الآية في بيتي ، وفي البيت سبعةٌ : « جبرائيلُ ، وميكائيلُ ، وعليٌّ ، وفاطمةُ ، والحسنُ ، والحسينُ ، وأنا على باب البيت ... » الحديث وقال القرطبي ١٨٢/١٤ : اختلف أهل العلم في « أهل البيت » من هم ؟ فقال عطاء وعكرمة وابن عباس : هم زوجاتهُ خاصَّةً ، لقوله تعالى « واذكرن ما يُتلى في بيوتكنَّ » وقالت فرقة منهم الكلبي : هم « عليٌّ وفاطمة ، والحسن ، والحسين » خاصة ، واحتجوا بقوله تعالى ﴿ليذهب عنكم الرجس .. ويطهركم ﴾ ولو كان للنساء خاصة لكان « عنكنَّ ، ويطهركنَّ » والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم ، وإنما قال : « ويطهركم » لأن رسول الله وعلياً وحسناً وحسيناً كان فيهم ، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلّب المذكّر .اهـ .

(١) الحديث أخرجه الترمذي في التفسير رقم ٣٢١١ عن أم عمارة الأنصارية وأحمد في المسند ٣٠٥/٦ والطبري ١٠/٢٢ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٠٠/٥ .

(٢) في المخطوطة « والحَافِظَاتِها » ذكرت الهاء متصلة بالآية ، وفيها إيهام أنها قراءة وليست بقراءة ، إنما هي متضمنة للمعنى ، ولهذا قال في البحر ٢٣٢/٧ : وحُـذِف من ﴿ الحافظات ﴾ و﴿ الذاكرات ﴾ المعمولُ ، لدلالة ما تقدم ، والتقدير : والحافظاتها والذاكراته . اهـ .

أي والحافِظَاتِها ، ونظيرُه :

وكُمْتاً مُدَمَّاةً كَأَنَّ مُتُونَها
جَرَى فَوقَها وَاسْتَشْعَرتْ لَوْنُ مُذهب[1]

ورَوَى سيبويه « لونَ مُذْهَب » بالنَّصب ، وإنما يجوز الرفع على حذف الهاء ، كأنه قال : فاستَشْعرتْهُ فيمن رفع « لوناً » .

٤٨ — وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرَاً .. ﴾ [آية ٣٦] .

قال قتادة : لمَّا خطبَ النبي ﷺ زينبَ بنتَ جحشٍ — وهي ابنةُ عمَّتِه — وهو يريدها لزيد ، ظنَّت أنه يريدها لنفسه ، فلمَّا علمت أنه يريدها لزيدٍ ، أَبَتْ وامتنعتْ ، فأنزل الله عز وجل ﴿ وَمَا كَانَ لمؤمنٍ ولاَ مُؤْمِنَةٍ إذَا قَضَى اللهُ ورسولُهُ أمْراً أن يَكُون لَهُم الخِيَرَةُ من أَمْرِهِمْ ﴾ فأطاعتْ وسلَّمتْ[2] .

---

(١) البيت للشاعر طُفيل الغَنَوي ، وهو في ديوانه ص ٢٣ وفي شواهد سيبويه ص ٦٩ والمقتضب للمبرد ٤/٧٥ والعيني ٣/٢٤ وابن يعيش ١/٧٨ يصف خيلاً وأن ألوانها كمتٌ مشوبة بحمرة ، كأن عليها شعار الذهب ، والشِّعارُ : ما يلي الجسدَ من الثياب .

(٢) ذكرَ هذا الأثر السيوطي في الدر المنثور ٥/٢٠١ والقرطبي ١٤/١٨٦ وابن كثير ٦/٤١٧ بسنده عن ابن عباس ولفظُه قال : إن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب على فتاه « زيد بن حارثة » فدخل على « زينب بنت جحش الأسدية » فخطبها ، فقالت : لستُ بناكحته ، فقال رسول الله ﷺ : بل فانكحيه ، قالت : يارسول الله أؤامر في نفسي — أي دعني حتى أرى رأي فيه — فبينا هما يتحادثان ، أنزل الله هذه الآية على رسوله ﴿ وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسوله أمراً .. ﴾ الآية قالت : قد رضيتَهُ لي يارسول الله مَنْكَحاً ؟ قال : نعم ، قالت : إذاً لا أعصي رسول الله ، قد أنكحتُه نفسي » .. وأخرجه ابن جرير وابن مردويه .

٤٩ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ .. ﴾ [آية ٣٧] .

قال قتادة : هو « زيد بن حارثة » أنعم الله عليه بالإسلام ، وأنعم عليه النبي ﷺ بالعتق ، ثم قال ﴿ **أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ، وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ** .. ﴾

رَوَى ثابتٌ عن أنسٍ قال : « جاء زيدٌ يشكو زينب إلى رسول الله ﷺ فقال له ﴿ **أَمْسِكْ عليكَ زَوجَكَ واتَّقِ اللهَ** ﴾ فأنزل الله جلَّ وعز ﴿ **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ** .. ﴾ إلى آخر الآية .

قال : ولو كَتَمَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه شيئاً من القرآن لكَتَمها »(١) .

قال قتادة : جاء زيدٌ فقال يارسول الله : إني أشكو إليك لسان زَيْنبَ ، وإنّي أريد أن أطلِّقها ، فقال له ﴿ **أَمْسِكْ عليك**

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في التفسير رقم ٣٢١٢ وقال : حديث صحيح ، وبعضه في البخاري ، وذكره ابن جرير في تفسيره ١٣/٢٢ والسيوطي في الدر المنثور ٢٠٢/٥ وأخرج ابن جرير عن عائشة رضي الله عنها قالت : لو كان النبي ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية ﴿ وإذْ تقولُ للذي أَنْعَمَ اللَّهُ عليه .. ﴾ الآية وإن رسول الله لمَّا تزوَّجها قالوا : تزوَّج حليلةَ ابنهِ ، فأنزل الله ﴿ ما كان محمدٌ أبا أحد من رجالكم ... ﴾ الآية .

زَوْجَكَ واتَّقِ اللّهَ ﴾ وكان النبي ﷺ يحبُّ أن يُطلِّقها زيدٌ ، فكَره أن يقول له : طلِّقْها ، فيسمعَ النَّاسُ بذلك[1] .

---

(١) كانت زينب رضي الله عنها ذات شرفٍ وحسب وجمال ، وكانت ترى لها فضلاً على زيد لأنها من أشراف قريش ، وهو كان عبداً مملوكاً أعتقه الرسول ثم تبنَّاه ، فلذلك كانت تتكبَّر عليه ، وتشمخ بأنفها على زيد ، فكان يأتي النبي ﷺ شاكياً ، ويطلب منه أن يأذن له بطلاقها ، فيقول له الرسول ﴿ أمسكْ عليك زوجَكَ واتَّقِ الله ﴾ أمَّا ما ذكره بعض المستشرقين من أن الرسول رأى زينب وأحبَّها وهويَها ، وأراد أن يطلقها ليتزوج الرسول بها .. إلى آخر تلك الفرية المزعومة ، فباطلٌ لا يُعوَّل عليه ، وكما قال العلاَّمة أبو بكر بن العربي في أحكام القرآن ٥٣١/٣ : « قد بينا في غير موضع « عصمة الأنبياء » صلوات الله عليهم من الذنوب ، وحققنا القول فيما نُسب إليهم من ذلك ، فإن أخبارهم مرويَّة ، وأحاديثهم منقولة : بزيادات تولاَّها أحدُ رجلين : إما غبيٌّ عن مقدارهم ، وإما بِدْعيٌّ لا رأي له في بِرِّهم ووقارهم ، فيدسُّ تحت المقال المطلقِ الدَّواهي ، ولا يُراعِي الأدلة والنَّواهي ، وقد قال الله تعالى ﴿ نحن نقصُّ عليك أحسن القصص ﴾ أي أصدقه على أحد التأويلات ، وهي كثيرة بيَّناها في أمالي أنوار الفجر ، فهذا محمد ﷺ ما عصى قطُّ ربَّه ، لا في حال الجاهلية ولا بعدها ، تكرمةً من الله وتفضُّلاً وحلالاً ، فلم يقع قطُّ لا في ذنب صغير ـــ حاشا لله ـــ ولا كبير ، ولا وقع في أمرٍ يتعلق به لأجله نقص ولا تعيير ، وهذه الروايات كلُّها ساقطة الأسانيد ـــ وذكر تلك الروايات المفتراة ـــ ثم قال : وإنما الصحيح منها ما رُوي عن عائشة أنها قالت : لو كان رسول الله ﷺ كاتماً من الوحي شيئاً لكتم هذه الآية ﴿ وإذ تقولُ للذي أنعمَ الله عليه ﴾ يعني بالإسلام ﴿ وأنعمتَ عليه ﴾ يعني بالعتق ﴿ أمسكْ عليكَ زوجَك واتَّقِ الَّلهَ .. ﴾ إلى آخر الآية ﴿ وكان أمر الله مفعولاً ﴾ وإن رسول الله لمَّا تزوجها قالوا : تزوج حليلة ابنه ، فأنزل الله ﴿ ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم ﴾ وكان رسولُ الله تبناه وهو صغير ، فلبث حتى صار رجلاً يقال له : زيدُ بن محمد ، فأنزل الله ﴿ أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله .. ﴾ قال القاضي : وما وراء هذه الروايات غير معتبر ، فأمَّا قولهم : إن النبي ﷺ رآها فوقعت في قلبه وأحبَّها فباطلٌ وبهتان ، فإنه كان معها في كل وقت وموضع ، ولم يكن حينئذ حجاب ، فكيف تنشأ معه ويلحظها في كل ساعة ولاتقع في قلبه إلا إذا كان لها زوج ؟ وكيف يتجدد له هوى لم يكن ؟ حاشا لذلك القلب

قال أبو جعفر : أي فيفتتنوا .

وسُئل عليٌّ بنُ الحسين عليه السلام ، عن هذه الآية فقال : أَعْلَمَ اللَّهُ جلَّ وعز النبي ﷺ أنَّ زيداً سَيُطلِّق زينب ثم يتزوجها النبيُّ ﷺ بعده .

أي فقد أعلمتُك أنه يُطلِّقُها ، قبل أن يُطلِّقها[1] .

٥٠ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا .. ﴾ [آية ٣٧] .

قال الخليل : معنى « الوَطَرِ » : كلُّ حاجةٍ يُهْتَمُّ بها ، فإذا قَضَاها قيل : قَضَى وَطَرَه ، وأَرَبَه .

٥١ ــ ثم خبَّر جلَّ وعزَّ بالعلَّة التي من أجلها كان من أمرِ زيدٍ ما كان فقال : ﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً ﴾ [آية ٣٧] .

أي زوَّجناكَ زينب ، وكانت امرأة « زيد » وأنت متبنٍّ له ، لئلا

المطهَّر من هذه العلاقة الفاسدة . اهـ .

أقول : انظر صفوة التفاسير ٥٢٧/٢ ففيه ردٌّ مفصل لتلك الفرية المكذوبة .

(١) قول علي بن الحسين ذكره الطبري في تفسيره ١٣/٢٢ وأبو حيان في البحر المحيط ٢٣٤/٧ بأوضح مما ذكره الإمام النحاس حيث قال : أعلم اللهُ نبيَّه أن زينب ستكون من أزواجه بعد أن يطلقها زيد ، فلما شكى زيدٌ خلُقها وأنها لاتطيعه ، وأعلمه بأنه يريد طلاقها ، قال له ﷺ : ﴿ أمسك عليك زوجك ﴾ على طريق الأدب والوصية ، فعاتبه الله على هذا القدر في شيء قد أباحه له . اهـ .

يُتوهَّـم أن « تحريـمَ التبنّـي » كتحريـمِ الـولادةِ ، كما كانت الجاهليـة تقول[1] .

٥٢ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَبِيّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ .. ﴾** [آية ٣٨] .

قال قتادة : أي فيما أحلَّ اللَّهُ له[2] .

قال أبو جعفر : وفيـه معنـى المدح ، كما قال جلَّ وعـزَّ : **﴿ مَا عَلَى المُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ﴾**[3] .

٥٣ ــ **ثم قال جلَّ وعـزَّ : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَـوْا مِنْ قَبْـلُ .. ﴾** [آية ٣٨] .

أي لا يُؤاخذون بما لم يُحَرَّم عليهم[4] .

---

(١) كان العرب في الجاهلية ، يعطون الولد من التبني حكـمَ الولـد الصلبـيِّ ، في جميع الأمـور ، في الميراث ، والنكاح ، والحجاب ، وسائر الأحكام ، فأبطل الله سبحانـه حكـم التبنّـي ، وأمـر بردِّ نسـب الأبنـاء إلى الآباء ، وزوَّج رسوله ﷺ بزينـب زوجـة ولـده من التبنّـي ، ليُبطـل أحكـام الجاهلية بالقول والعمل .

(٢) قال الألوسي في تفسيره روح المعـاني ٢٦/٢٢ : ﴿ فيمَـا فَرَض اللـه له ﴾ أي فيمـا قسَمَ اللَّهُ له وقدَّر ، من قولهم : فرض له في الديوان كذا ، وقال قتـادة : أي فيمـا أحلَّـه له ، وقـال الحسن : فيما خصَّه به من صحَّة النكاح بلا صَدَاق ، وقال الضحاك :فيما أحله لهمن الزيادة على أربع .

(٣) سورة التوبة آية ٩١ .

(٤) قال ابن كثير ﴿ سنة الله في الذين خلوا من قبلُ ﴾ أي هذا حكم الله في الأنبياء قبله ، لم يكن يأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حرج ، وهذا ردٌّ على من توهّم من المنافـقين نقصاً في تزوجـه امـرأة زيد مولاه ومتبناه . اهـ .

٥٤ ــ وقوله جلّ وعز ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً ﴾ [آية ٣٩] .

يجوز أن يكون بمعنى « مُحَاسب » كما تقول : أكيل ، وشريبٌ .

ويجوز أن يكون بمعنى « مُحْسِب » أي كافٍ ، يُقال : أحسَبَني الشيءُ : كفاني .

٥٥ ــ وقولُه جل وعزَّ : ﴿ مَاكَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ .. ﴾ [آية ٤٠] .

قال علي بن الحسين عليه السلام : نزلت في « زيد بن حارثة » .

قال أبو جعفر : أي ليس هو أباهم بالولادة ، وإن كان كذلك في التَّبجيل والتعظيم[1] .

---

(١) قال الإمام القرطبي ١٩٦/١٤ : لما تزوَّج النبي ﷺ زينب قال الناس : تزوَّج امرأة ابنه ، فنزلت الآية ﴿ ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم ﴾ أي ليس هو بابنه حتى تحرم عليه حليلتُه ، ولكنَّه أبو أمَّتِه في التبجيل والتعظيم ، فأذهب الله بهذه الآية ما وقع في نفوس المنافقين وغيرهم ، وأعلم أن محمداً لم يكن أبا أحدٍ من الرجال المعاصرين له ، ولم يقصد أنه ليس له ولد ، فقد وُلد له ذكور ، إبراهيم ، والقاسم ، والطيب ، والطَّاهر . اهـ .

وقال ابن كثير : نُهي أن يُقال بعد هذا « زيد بن محمد » أي لم يكن أباه ، وإن كان قد تبناه ، فإنه صلوات الله عليه لم يعش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم ، فإنه ولد له القاسم ، والطيب ، والطاهر من خديجة فماتوا صغاراً ، وولد له إبراهيم من « مارية القبطية » فمات أيضاً رضيعاً ، وكان له من خديجة أربع بنات : زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة » اهـ .

٥٦ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ .. ﴾ [آية ٤٠] .

قال قتادة : أي آخرهم .

قال أبو جعفر : من قرأ ﴿ **خَاتَمَ** ﴾ بفتح التَّاء فمعناه عنده : آخرهم . ومن قرأ بالكسر ﴿ **خَاتِمَ** ﴾ فمعناه عندهم أنه خَتَمهم[1] .

قال قتادة : ﴿ **وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً** ﴾ : [آية ٤٢] .

صلاة الصبح ، والعصر[2] .

٥٧ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ .. ﴾ [آية ٤٣] .

قال الحسن : سألت بنو إسرائيل موسى صلى الله عليه : أيصلِّي ربُّك ؟ فكأنه أعظم ذلك ، فأوحى الله جلَّ وعزّ إليه « إن صلاتي أنَّ رحمتي تَسبِقُ غضبي »[3] .

---

(١) هما قراءتان سبعيتان ، قرأ عاصم بفتح التاء ﴿ وخاتَم النبيّين ﴾ وقرأ الباقون بكسرها ، وانظر النشر ٢/٣٤٨ .

(٢) ذكره الطبري في تفسيره ٢٢/١٧ والسيوطي في الدر ٥/٢٠٥ وقال القرطبي : أي أشْغِلُوا ألسنتكم في معظم أحوالكم بالتسبيح ، والتهليل ، والتكبير ، والتحميد ، قال مجاهد : وهذه كلمات يقولهنَّ الطاهر ، والمحدث ، والجنب ، وقيل المراد : صلوا بكرة وأصيلاً . اهـ .

(٣) الأثر لم يخرجه إلا السيوطي في الدر المنثور ٥/٢٠٦ ولفظه : إن بني إسرائيل سألوا موسى عليه السلام : هل يصلِّي ربُّك ؟ فكأن ذلك كبر في صدر موسى عليه السلام ، فأوحى الله إليه ، أخبرهم أني أصلي ، وأن صلاتي أن رحمتي سبقت غضبي » .

والأصيلُ : العشيُّ .

قال الفراء : معنى ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ ومَلَائِكَتُهُ ﴾ هو الذي يغفر لكم ، وتستغفر لكم ملائكتُه[1] .

٥٨ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾** [آية ٤٤] .

هو كما قال : **﴿ وَالمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾**[2] .

أي تحيتهم في الجنة سلامٌ[3] .

٥٩ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾** [آية ٤٥] .

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٣٤٥/٢ . وقال الحافظ ابن كثير ٤٢٨/٦ : والآية تهييجٌ إلى الذِّكر ، أي إنه سبحانه يذكركم فاذكروه أنتم ، والصلاةُ من الله ثناؤه على العبد عند الملائكة ، حكاه البخاري عن أبي العالية ، وقال غيره : الصلاة من الله الرحمةُ ، وأما الصلاة من الملائكة فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار ، كقوله سبحانه عن ملائكة العرش ﴿ ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيءٍ رحمةً وعلماً فاغفر للذين تابوا .. ﴾ الآية .

(٢) سورة الرعد آية رقم (٢٣) .

(٣) أعاد النحاس الضمير على الملائكة أي تُسلِّم عليهم الملائكة ، واستشهد بالآية الكريمة في سورة الرعد ، والأظهر أن الضمير يعود على الله عزَّ وجل ، لأن قبله ﴿ هو الذي يصلي عليكم ﴾ ثم قال ﴿ تحيتهم يوم يلقونه سلام ﴾ فالضمائر متناسقة ، أي تحيتهم يوم يلقون ربهم ، السَّلامُ من الملك العلَّام كما قال سبحانه ﴿ سلامٌ قولاً من ربٍ رحيم ﴾ وهذا ما اختاره الحافظ ابن كثير ٤٢٩/٦ وجمعٌ من المحققين .

﴿ **شَاهِداً** ﴾ أي شاهداً بالإبلاغ .

﴿ **وَمُبَشِّراً** ﴾ بالجنة .

﴿ **وَنَذِيراً** ﴾ من النار .

وَدَاعِيَاً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ﴾ أي بأمره .

﴿ **وَسِرَاجَاً مُنِيراً** ﴾ أي وذا سراجٍ وهو القرآن[1] .

ويجوز أن يكون المعنى : ومبيِّناً وتالياً .

حدثنا محمد بن إبراهيم الرازي قال : حدثنا عبدالرحمن بن صالح الأَزْديُّ[2] قال : حدثنا عبدالرحمن بن محمد المحاربيُّ ، عن شيبان النحوي ، قال : حدثنا قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لمَّا نزلت ﴿ **يا أَيُّها النَّبِيُّ إِنَّا أرسلناك شَاهِداً ومُبَشِّراً ونَذِيراً ، وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيرَاً** ﴾ دعا رسول اللَّهِ عليَّاً ، ومعاذاً فقال : انطلقا فيسِّرا ولا تُعَسِّرا[3] ، فإنه قد نزل عليَّ الليلةَ آية ﴿ **إِنَّا أرسَلْناك**

(١) قال الحافظ ابن كثير ٦/٤٣١ ﴿ وسراجاً منيراً ﴾ أي وأمرك ظاهر فيما جئت به من الحق ، كالشمس في إشراقها وإضاءتها ، لايجحدها إلا معاند . اهـ .

(٢) في المخطوطة : الأذري وهو تصحيف وصوابه الأزديُّ كما في تفسير ابن كثير ٦/٤٣١ .

(٣) يوجد جملة في النصِّ النبوي قد سقطت من المخطوطة وهي « فبشِّرا ولا تُنَفِّرا » ولفظ الحديث كما في تفسير ابن كثير ٦/٤٣٠ : لمَّا نزلت الآية وقد كان أمر علياً ومعاذاً أن يسيرا إلى اليمن فقال لهما « انطلقا فبشِّرا ولا تُنفِّرا ، ويَسِّرا ولا تُعَسِّرا » إنه قد أُنزل عليّ ﴿ يا أيها النبيُّ إنا أرسلناك شاهداً ..﴾ الآية ، أخرجه ابنُ أبي حاتم عن ابن عباس ، كذا في الدر المنثور ٥/٢٠٦ .

شَاهِداً ومُبَشِّراً ونَذِيراً ﴾ من النار ﴿ **ودَاعِيَاً إلى اللَّـهِ** ﴾ قال : شهادة أن لا إله إلاَّ الله ﴿ **بإذْنِهِ** ﴾ بأمره ﴿ **وسِرَاجاً مُنِيراً** ﴾ قال : بالقرآن[1] .

٦٠ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ .. ﴾** [آية ٤٨] .

قال مجاهد ﴿ وَدَعْ أَذَاهُمْ ﴾ أي أعرضْ عنهم[2] .

٦١ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوْا إِذَا نَكَحْتُمُ المُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا .. ﴾** [آية ٤٩] .

قال حَبِيبُ بنُ أبي ثابت : سُئِل علي بن الحسين عليه السلام ، عن رجلٍ قال لامرأته : إن تزوجَّتُكِ فأنتِ طالقٌ ، فقال : ليس بشيء ،

---

(١) على هذا القول لا بدَّ من تأويله كما قال الزجَّاج أي ذا سراجٍ منير أي كتابٍ نيِّر ، والأظهرُ أن هذا وصفٌ للرسول لا للقرآن ، أي أنت يا محمد كالسِّراج الوهَّاج ، الذي يضيء للإنسانية طريق الرشاد ، قال في الكشاف ١٩١/٢ : ﴿ وسراجاً منيراً ﴾ جَلَى به الله ظلمات الشرك ، واهتدى به الضالون ، كما يُجْلى ظلامُ الليل بالسراج المنير ، أو أمدَّ الله بنور نبوَّته نورَ البصائر ، كما يُمَدُّ بنور السِّراج نورُ الأبصار . اهـ وإلى هذا الرأي جنح الحافظ ابن كثير ، وعدد من المحققين .

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ٢٠٧/٥ وابن جرير الطبري في جامع البيان ١٩/٢٢ .

ذَكَر اللَّهُ جلَّ وعز النكاح قبل الطلاق ، فقال : ﴿ **إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ** ﴾[1] .

٦٢ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ فَمَتِّعُوهُنَّ وسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً ﴾** [آية ٤٩] .

قال سعيد بن المسيّب : هي منسوخةٌ بالتي في البقرة ، يعني قوله جلَّ وعز ﴿ **وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً** .. ﴾[2] أي فلم يذكر المتعة[3] .

٦٣ ــ **وقوله جل وعزَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا النبيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ** .. ﴾ [آية ٥٠] .

---

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ٢٠٧/٥ والقرطبي في جامع الأحكام ٢٠٣/١٤ وهو قول ابن عباس وجماعة من السلف ، قال الحافظ ابن كثير ٤٣١/٦ : وقد استدل ابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، والحسن البصري ، وعليُّ بن الحسين « زين العابدين » وجماعةٌ من السلف بهذه الآية ، على أن الطلاق لايقع ، إلاَّ إذا تقدمه نكاحٌ ، لأن الله تعالى قال ﴿ إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُموهُنَّ ﴾ فعقَّب النِّكاحَ بالطَّلاقِ ، فدلَّ على أنه لايصحُّ ولا يقع قبله ، وهذا مذهب الشافعي وأحمد بن حنبل ، وذهب مالك وأبو حنيفة رحمهما الله إلى صحَةِ الطلاق قبل النكاح فيما إذا قال « إن تزوجتُ فلانة فهي طالقٌ » فعندهما متى تزوجها طلقت منه . اهـ أقول : انظر روائع البيان ٢٩٠/٢ ففيه تفصيل للمسألة شافٍ ، والله يرعاك .

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٣٧) .

(٣) الأثر في الطبري ٢٠/٢٢ وفي الدر المنثور ٢٠٧/٥ وهذا قول قتادة وبعض علماء السلف ، ونقل الحافظ ابن كثير عن ابن عباس قال : إن كان سمَّى لها صداقاً فليس لها إلا النصف ، وإن لم يكن سمَّى لها صداقاً أمتعها على قدر عسره ويسره ، وهو السراح الجميل . اهـ تفسير ابن كثير ٤٣٢/٦ .

قال مجاهد : أي صَدَاقَهُنَّ .

ورَوَى أبو صالح عن أم هانىء قالت : خطبني رسولُ الله ﷺ فاعتذرتُ منه فعذرني[1] ، فأنزل الله جلَّ وعزَّ ﴿ **يَا أَيُّهَا النبيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ** .. ﴾ إلى قوله ﴿ **اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ** ﴾ ولم أكنْ هاجرتُ ، إنما كنتُ من الطُّلقاء ، فكنتُ لا أَحِلُّ له[2] .

٦٤ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ** .. ﴾ [آية ٥٠] .

قال علي بن الحسين رضي الله عنه وعُروةُ ، والشعبيُّ ، هي : « أُمُّ شَرِيكٍ »[3] .

وقال الزهري وعكرمة ومحمد بن كعب هي : « ميمونةُ ابنة الحارث » وهبتْ نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم[4] .

---

(١) ورد في بعض الروايات أنها قالت يارسول الله : لأنت أحبُّ إليَّ من سمعي وبصري ، وأنا امرأة ذاتُ صِبْيانٍ ، وحقُّ الزوج عظيم ، فأخشى أن أضيِّع حقه ، فهذا هو الاعتذار الذي اعتذرت به للرسول ﷺ .

(٢) أخرجه الترمذي رقم ٣٢١٤ وقال : هذا حديث حسن صحيح لانعرفه إلاَّ من هذا الوجه ، ومعنى الطلقاء : الذين أطلق الرسول ﷺ سراحهم يوم فتح مكة ، ومنَّ عليهم بقوله (اذهبوا فأنتم الطلقاء) ولم يقتلهم .

(٣) « أُمُّ شَرِيكٍ » بفتح الشّين بنت جابر الأسدية ، صحابيةٌ جليلة ، واسمها « غَزِيَّةُ » أو « غُزَيْلَةُ » كما في تقريب التهذيب ٦٢٢/٢ وانظر الإصابة في تمييز الصحابة ٢٣٦/٨ .

(٤) اللواتي وهبن أنفسهن للرسول ﷺ أربعٌ : « ميمونة بنت الحارث ، وزينب بنت خزيمة ، وأمُّ =

قال الزهري : ووهبت « سودةُ » يومَها لعائشة .

وقرأ الحسنُ ﴿ أَنْ وَهَبَتْ ﴾[1] .

وقرأ الأعمش : ﴿ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً وَهَبَتْ ﴾ .

وكسرُ « إِنْ » أجمعُ للمعاني ، لأنه قيل : إنهنَّ نساءٌ ، وإذا فُتِح كان المعنى على واحدةٍ بعينها ، لأَنَّ الفتحَ على البدل من امرأة ، وبمعنى لِأَنْ .

وقال مجاهد : لم تهبْ نَفْسَها[2] .

فعلى هذا القول لا تكون « إِنْ » إلاَّ مكسورة .

وقيـــل : ومعنـــى ﴿ وَهَـــبَتْ نَفْسَهَـــا ﴾ إن تُزُوِّجتْ بلا صَدَاق[3] .

= شريك بنت جابر الأسدية ، وخولــةُ بنت حكيم » كذا في تفسير القرطبـــي ٢٠٨/١٤ قال القرطبـي : وروى البخاري عن عائشة أنها قالت : « كانت خولةُ بنتُ حكيم من اللائي وهبن أنفسهنَّ لرسول الله ﷺ » قال : فدلَّ على أنهن كنَّ غير واحدة . اهـ .

(١) هذه قراءة أبيّ بن كعب ، وسلّام ، وهي من القراءات الشاذة كما في المحتسب ١٨٢/٢ قال ابن جني : وتقديره لِأَنْ وهبت نفسها أي أنها تحلُّ من أجل أنَّها وهبت نفسها له . اهـ .

(٢) غرضه أنه لم يكن عند النبي ﷺ امرأةٌ بطريق الهبة ، وإن كان الله سبحانه قد أباحه له ، ويدلُّ له ما روى عن ابن عباس ، أنه قال : لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة إلاَّ بعقد نكاح ، أو ملك يمين . وانظر القرطبي ٢٠٨/١٤ .

(٣) هذه من خصائص النبي ﷺ ، أن الله عز وجلَّ أباح له نكاح من وهبت نفسها له ، بدون مهر ، توسعةً عليه ﷺ وتكرمةً من الله تعالى له ، ليتفرغ لتبليغ الدعوة ، ولا يحل لغيره من المسلمين أن يتزوج بطريق الهبة ، ومن غير مهر لقوله سبحانه ﴿ خالصةً لك من دون المؤمنين ﴾ .

وقيل : هو أن تجعل الهبة صَدَاقاً ، وأَنَّ هذا لا يحلُّ لأحدٍ بعد النبي ﷺ .

قال أبو جعفر : والقولُ الأولُ أَوْلى[1] ، لأن معنى الهبة في اللغة : دفعُ شيءٍ بلا عَوَض .

٦٥ ـ وقوله جل وعز ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ .. ﴾ [آية ٥٠] .

أي قد علمنا ما في ذلك من الصَّلاح[2] ، وهذه كلمةٌ مستعملةٌ يُقال : أنا أعلم مالَكَ في ذا .

ورَوَى زيادُ بنُ عبدالله عن أُبَيٍّ بن كعب في قوله تعالى ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ ﴾ قال : مَثْنَى ، وثُلاثَ ، ورُبَاع[3] .

وقال قتادة : فُرض عليهم أن لا نكاح إلاَّ بوليٍّ ، وشاهديْ

---

(١) أي أن تتزوج بدون مهر ، لأن هذا هو معنى الهبة في اللغة .

(٢) هذه جملة اعتراضية لبيان الغاية من هذا التشريع ، والمعنى : قد علمنا ما أوجبنا على المؤمنين ، من نفقةٍ ، ومهرٍ ، وشهودٍ في العقد ، وعدم تجاوز أربع من النساء ، حسب الحكمة الإلهية ، وأما أنت يا محمد فقد خصصناك بخصائص لم تكن لأمّتك تيسيراً عليك .

(٣) الأثر أخرجه الحافظ ابن كثير ٦/٤٣٦ بمعناه فقال : في حصرهم في أربع نسوة حرائر ، وما شاءوا من الإماء . اهـ .

عدلٍ ، وصَدَاقٍ ، وأن لا يتزوَّج الرجلُ أكثر من أربع[1] .

٦٦ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ .. ﴾[2] [آية ٥٠] .

متعلقٌ بقوله ﴿ إنَّا أحلَلْنَا لكَ أَزْواجَكَ اللَّاتي آتَيْتَهُنَّ أُجُوْرَهُنَّ ﴾ .

٦٧ ــ وقوله جل وعزَّ : ﴿ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ ..[3] ﴾ [آية ٥١] .

رَوَى هِشامِ بن عُرْوةَ ، عن أبيه عن عائشة ، في قوله تعالى

---

(١) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ٢٤/٢٢ والسيوطي في الدر المنثور ٢٠٩/٥ وهو قول ابن عباس ومجاهد ، والحسن البصري ، وهذا بالنسبة لعامة المسلمين ، وأما الرسول ﷺ فله خصوصيات خصَّه الله تعالى بها : من الزواج بأكثر من أربع ، ومن الزواج بطريق الهبة ، وبدون عقدٍ وشهود ، كما هو الحال في تزويجه بزينب ، كما قال سبحانه ﴿ فلمَّا قضى زيدٌ منها وَطَراً زوَّجْناكها .. ﴾ الآية وغير ذلك من الخصائص التي أكرمه الله بها .

(٢) عبارة الطبري ٢٤/٢٢ : ﴿ لكيلا يكون عليك حرج ﴾ أي أحللنا لك يا محمد أزواجك ، اللواتي ذُكِرْنَ في هذه الآية ، لكيلا يكون عليك إثم وضيقٌ ، في نكاح هؤلاء الأصناف التي أبحتُ لك نكاحهن . اهـ .

(٣) قال ابن عباس : معنى الآية : تطلِّق من تشاء من زوجاتك ، وتمسكُ من تشاءُ منهن ، وقال مجاهد والضحاك : « تقسم لمن شئت ، وتؤخر عنك من شئتَ ، وتقلِّل لمن شئت ، وتكثر لمن شئت ، لا حرج عليك في ذلك » كذا في البحر ٢٤٧/٧ .

﴿ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ﴾ قال : هذا في الواهباتِ أنفسَهُنَّ[1] .

قال الشعبي : هنَّ الواهباتُ أنفسهنَّ ، تزوَّج رسولُ اللهِ منهنَّ ، وتركَ منهنَّ[2] .

وقال الزهريُّ : ما علمنا أن رسول الله ﷺ أرجأ أحداً من أزواجِهِ ، بل آواهُنَّ كُلَّهنَّ[3] .

وقال قتادة : أُطْلِقَ لرسولِ الله ﷺ أن يَقْسِم بينهنَّ ، كيف شاء ، ولم يَقْسم بينهنَّ إلاَّ بالقسط[4] .

حدثنا أحمدُ بنُ محمد بن نافع ، حدثنا سَلَمة ، حدثنا عبدالرزاق ، أنبأنا مَعْمرٌ عن منصورٍ عن أبي رُزَيْنٍ قال : « المُرْجَآتُ : ميمونة ، وسودةُ ، وصفيَّةُ ، وجويريةُ ، وأمُّ حبيبةَ » وكانت عائشةُ ، وحفصةُ ، وأمُّ سلَمة ، وزينبُ ، سواءً في قَسْمِ النبيِّ ﷺ ، يساوي بينهنَّ في القَسْمِ »[5] .

(١ـ٤) هذه الآثار عن الشعبي ، والزهري ، وقتادة ، ذكرها القرطبي في تفسيره ٢١٥/١٤ وكذلك الطبري ٢٥/٢٢ قال الطبري : فجعله الله في حلٍّ من ذلك ، أن يَدَع من يشاء منهن ، ويأتي من يشاء ، بغير قَسْم ، وكان نبيُّ الله ﷺ يقسم .

(٥) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ٢٥/٢٢ والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢١٥/١٤ ثم قال القرطبي : وأصحُّ ما قيل في الآية التوسعةُ على النبي ﷺ في ترك القَسْم ، فكان لايجب عليه القَسْم بين زوجاته ، وهذا هو الذي ثبت في الصحيح كما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كنت أغارُ على اللائي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وأقول : أَوَ تَهبُ المرأة نفسها لرجل ؟ فلمَّا أنزل الله عز وجل ﴿ ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ، ومن ابتغيتَ ممن عزلتَ ﴾ قلت : ما أرى ربَّك إلاَّ يسارع في هواك » . اهـ صحيح البخاري ٥٢٥/٨ من فتح الباري .

وقال **مجاهد** : هو أن يعتزلهنَّ بلا طلاقٍ[1] .

قال أبو جعفر : قولُ قتادة ، وأبي رُزين ، ومجاهد ، يرجع إلى معنى واحد ، أن ذلكَ في القَسْمِ .

وقد رَوَى منصور عن أبي رُزين أن رسول الله ﷺ أراد أن يُخلِّيَ اللواتي أرجأهنَّ ، فقلْن له : اقسِمْ لنا كيف شئتَ ، واتركنا على حالنا ، فتركهنَّ[2] .

وقال قتادة : في قوله تعالى ﴿ **ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ** ﴾ [آية ٥١] .

إذا علِمْنَ أنَّ ذلك من اللَّهِ جلَّ وعزَّ ، قرَّتْ أعينهُنَّ ، ولم يَحْزَنَّ ، ورَضِينَ[3] .

---

(١) أي يترك القسمة لهنَّ ، من غير أن يطلقهنَّ ، كما يدلُّ عليه روايةُ رُزَين ، وكما في قصة « سودة » رضي الله عنها ، فإنها لمَّا خشيت أن يطلِّقها النبي ﷺ وهبت يومها لعائشة ، وقالت : لا تطلِّقْني حتى أُحشر في زمرة نسائك ، كما ذكره صاحب البحر ٢٤٣/٧ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٢٥/٢٢ والقرطبي ٢١٥/١٤ ولفظه : قال أبو رزين : كان رسول الله ﷺ قد هَمَّ بطلاق بعض نسائه ، فقلن له : اقسم لنا ما شئتَ . اهـ وكذا في الدر المنثور ٢١١/٥ .

(٣) الأثر أخرجه القرطبي ٢١٦/١٤ .. عن قتادة بأوسع من هذا ، وقال الحافظ ابن كثير ٤٣٧/٦ : والمعنى : إذا علمن أن الله قد وضع عنك الحرج في القَسْم ، فإن شئتَ قسمتَ ، وإن شئتَ لم تقسم ، لا جُناح عليك في ذلك ، ثم قسمت لهنَّ اختياراً ، لا على سبيل الوجوب ، فرحن بذلك ، واستبشرن به ، وحملن جميلك في قسمك لهن ، وتسويتك بينهن ، وإنصافك وعدلك فيهن .

٦٨ ـــ **وقولُه جل وعزَّ : ﴿ لاَ يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ .. ﴾** [آية ٥٢] .

في هذه الآية أقوالٌ :

أ ـــ فمنها ما رَوَى ابنُ عُيَيْنَةَ ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، عن عائشة قالت : ما مات رسولُ الله ﷺ حتَّى أُحِلَّ له النِّساءُ[٤] .

ب ـــ **وقال الحسن** : لما خَيَّر النبي ﷺ أزواجَهُ فاخْترنَهُ ، شكرَ اللهُ جلَّ وعزَّ لهنَّ ذلك ، فحرَّم على النبي ﷺ أن يتزوَّج غيرهنَّ ، أي فامتحنه بذلك كما امتحنهنَّ[١] .

جـ ـــ **وقال عليُّ بنُ الحسين** : قد كان له أن يتزوَّج[٢] .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب التفسير رقم ٣٢١٦ وقال : حديث حسن ، وانظر تحفة الأحوزي ٧٩/٩ وروى ابن أبي حاتم عن أم سلمة قالت : لم يمت رسول الله ﷺ حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ما شاء ، إلاّ ذات محرم . اهـ ابن كثير ٤٣٨/٦ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٢٨/٢٢ عن قتادة ولفظه : لمَّا خيَّرهنَّ الرسول فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، قصره اللهُ عليهنَّ فقال ﴿ لا يحلُّ لك النساءُ من بعدُ .. ﴾ وهنَّ التسع اللاتي اخترن الله ورسوله ، وقال الحافظ ابن كثير ٤٣٨/٦ : ذكر غير واحدٍ من العلماء ـــ كابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة ـــ أن هذه الآية نزلت مجازاةً لأزواج النبي ﷺ ورضىً عنهنَّ ، على حسن صنيعهنَّ ، في اختيارهن اللَّه ورسوله ، فلما اخترن رسولَ الله ﷺ كان جزاؤهنَّ أن قصره عليهنَّ ، ثم إنه تعالى رفع عنه الحجر في ذلك ، ونسخ حكم هذه الآية ، وأباحَ له التزوج ، ولكنْ لم يقع منه بعد ذلك تزوج ، لتكون المِنَّةُ للرسول ﷺ عليهنَّ . اهـ .

(٣) هذا الأثر ممَّا يؤيد رأي الجمهور بالقول بالنسخ ، فإنه ﷺ ما توفي حتى أحلَّ الله له النساء ، أن يتزوج منهن ما شاء ، كما روت عائشة في الحديث الذي رواه الترمذي ٣٣٢/٥ « ما مات رسولُ اله ﷺ حتى أحلَّ اللهُ له النساء » .

قال أبو جعفر : هذه الثلاثة الأقوالِ غيرُ متناقضة .

تقول عائشة : ما ماتَ رسول الله ﷺ حتى أُحِلَّ لهُ النِّساءُ ، إسنادُه جيِّد ، ويُتأوَّل على أنه ناسخٌ للحظر ، ويُحتجُّ به في أنَّ السُّنَّة تنسخُ القرآن ، كما قالَ جلَّ وعزَّ ﴿ **إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ** ﴾[1] وقال النبي ﷺ : (لا وصيَّةَ لوارثٍ)[2] .

ومذهب الضحاك أن الناسخ لها قوله ﴿ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ .. ﴾

وهذا لا يصحُّ ، لأنَّ بعده ﴿ **ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ** ﴾ .

وقولُ علي بن الحسين عليه السلام ، يجوز أن يكون يرجع إلى قول عائشة وإن كان قد أنكر قول الحسن ، فإن الحسن لم يذكر أن الآية منسوخة فيجوز أن يكون أنكره من هذه الجهة ، وتكون الآية عنده منسوخة .

---

(١) سورة البقرة آية رقم (١٨٠) وتمامها ﴿ كُتِبَ عليكم إذا حضر أحدكم الموتُ إن ترك خيراً .. ﴾ الآية .

(٢) يريد المصنف رحمه الله أن الحديث الشريف قد نسخ حكم الآية الكريمة ، التي أباحت الوصيَّة للوالدين ، فالناسخ هو السنة المطهرة وهو قوله ﷺ : « إن الله أعطى كل ذي حقّ حقَّه ، ألا لا وصية لوارث » والحديث أخرجه أحمد في المسند ١٨٧/٤ وأبو داود والترمذي .

وعَـوَّضَ اللهُ جلَّ وعـزَّ نساءَ النبـي ﷺ من ذلك ، أن جعلهـنَّ أزواجَهِ في الجنة .

وفي الآية غيـرُ هذا ، قال زيـادُ بنُ عبدالله ، سألتُ أُبَـيَّ بنَ كعبٍ عن قول الله جلَّ وعـز ﴿ **لَا يَحِـلُّ لَكَ الـنِّسَاءُ مِنْ بَعْـدُ** ﴾ فقلت : أكان يحِلُّ لهُ أن يتزوَّج ؟ فقال : نعم ، ما بأسٌ بذلك ، قال الله جل وعزَّ ﴿ **إِنَّا أَحْلَلْنَـا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ** ﴾ إلى قوله ﴿ **وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً** ﴾ ثم قال جل وعـزَّ ﴿ **لَا يَحِـلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ** ﴾ أي لا يحلُّ لك الأُمَّهـات ، ولا الأخـواتُ ، ولا البنـاتُ ، فهـذا قولٌ آخر[1] .

أي لا يحلُّ لك النِّساءُ مِن بعـدِ مَنْ أحللنـا ، إلاَّ ما ملـكتْ يمينك .

وقـال مجاهـدٌ ، وسعيـدُ بن جبير ، وعطـاءُ ، والحَكَـمُ قولاً آخر .

قالـوا ﴿ **لَا يَحِـلُّ لَكَ الـنِّسَاءُ مِنْ بَعْـدُ** ﴾ أي لا يحل لك اليهودياتُ ، ولا النصرانيات[2] .

---

(١) الأثـر ذكـره الطبري ٢٩/٢٢ ولفظـه عن زيـاد قال : قلت لأُبيّ بن كعب : أرأيتَ لو أنَّ أزواج النبي ﷺ تُوفِّينَ ، أَمَا كان له أن يتزوَّج ؟ فقال : ومـا يُحـرِّم عليـه ذلك ؟ .. الحديث ، ورواه السيوطي في الدر المنثور ٢١١/٥ .

(٢) ذكر هذا الأثر أبو حيان في البحر المحيط ٢٤٤/٧ والطبري ٣٠/٢٢ والقرطبي ٢٢٢/١٤ .

قال مجاهد : أي لا يحلُّ أن تتزوج كافرة فتكون أمًّاً للمؤمنين ، ولو أعجبك حسنُها ، إلاَّ ما ملكت يمينك ، فإنَّ له أن يَتَسَرَّى بها(١) .

٦٩ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ .. ﴾** [آية ٥٣] .

قال أنسُ بنُ مالكٍ : أنا أعلمُ النَّاسِ . بهذه الآيةِ ، لمَّا تزوَّج النبيُّ ﷺ « زينبَ ابنةَ جحشٍ » أمرني أن أدعوَ كلَّ من لقيتُ ، ودَعَا النبيُّ ﷺ ، فجعلَ اللهُ جلَّ وعزَّ في الطَّعامِ البركةَ ، فأكلَ قومٌ وانصرفوا ، وبقيتْ طائفةٌ ،وكانت « زينبُ » في البيت ، فدخل النبي ﷺ وخرج وهم جلوسٌ ، فأنزل الله جلَّ وعزَّ **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾** إلى آخر الآية ، فضرب رسول الله ﷺ الحجاب ، وانصرفوا(٢) .

---

(١) أظهر ما قيل في معنى الآية ما ذكره الطبري ٢٢/٣٢ حيث قال : وإنما نُهي ﷺ بهذه الآية أن يفارق من كان عنده بطلاقٍ أراد به استبدال غيرها بها ، لإعجابه حسن المستبدلة بها ، إذْ كان اللهُ قد جعلهن أمهات المؤمنين ، وخيرَّهن بين الحياة الدنيا والآخرة ، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، فمنع من فراقهن بطلاق ، فأما نكاح غيرهن ، فلم يمنع منه ، بل أحلَّ الله له ذلك على ما بيِّن في كتابه . اهـ .

(٢) هذه القصة مذكورة في البخاري ومسلم والترمذي والنسائي مفصَّلة ، ومن أجمع الروايات ما أخرجه الترمذي في سننه عن أنس بن مالك قال : « تزوج رسول الله ﷺ فدخل بأهله ، قال : فصنعت أمي « أمُّ سُليم » حَيْساً فجعلته في تور ــ أي طعاماً من تمر ودقيق وسمن =

قال مجاهدٌ في قوله تعالى ﴿ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ ﴾ [آية ٥٣] .

غير متحيِّنينَ نُضْجَهُ.

﴿ **وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ** ﴾ قال : بعد الأكل[1] .

وقولُه جلَّ وعز ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ [آية ٥٣] .

= ووضعته في إناء من نحاس ــ فقالت يا أنس : إذهب بهذا إلى النبي ﷺ فقل له : بعثت بهذا إليك أمي ، وهي تقرئك السلام وتقول : إن هذا لك منا قليل يارسول الله !! قال : فذهبت به إلى رسول الله ﷺ فقلت : إن أمي تقرئك السلام وتقول إن هذا لك منا قليل ، فقال : ضَعْه ، ثم قال : اذهب فادعُ لي فلاناً وفلاناً وفلاناً ومن لقيتَ ، وسمَّى رجالاً ، قال : فدعوتُ من سمَّى ومن لقيتُ ، قال قلتُ لأنس : عددَ كم كانوا ؟ قال زهاء ثلاثمائة ، قال وقال لي رسول الله ﷺ : يا أنس هاتِ بالتَّور ، قال : فدخلوا حتى امتلأت الصُفَّةُ والحجرة فقال رسول الله ﷺ ليتحلق عشرةٌ عشرة ، وليأكل كلُّ إنسانٍ مما يليه ، قال : فأكلوا حتى شبعوا ، : قال : فخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى أكلوا كلُّهم ، قال فقال لي يا أنس ارفع ، قال : فرفعتُ فما أدري حين وضعتُ كان أكثر أم حين رفعت ؟ قال : وجلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ ، ورسولُ الله جالس وزوجتهُ موليةٌ وجهها إلى الحائط ، فثقلوا على رسول الله ﷺ فخرج ﷺ فسلَّم على نسائه ثم رجع ، فلما رأوا رسول الله ﷺ قد رجع ظنوا أنهم قد ثَقُلوا عليه ، فابتدروا الباب فخرجوا كلهم ، وجاء رسول الله ﷺ فأرخى الستر ودخل وأنا جالسٌ في الحجرة ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى خرج عليَّ وأنزلت هذه الآيات ، فخرج رسول الله ﷺ فقرأهنَّ على الناس ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي .. ﴾ الآية قال أنس : أنا أحدثُ الناس عهداً بهذه الآيات ، وحجبن نساء النبي ﷺ » انظر تحفة الأحوذي ٨٣/٩ .

(١) الأثر أخرجه الطبري ٣٦/٢٢ عن مجاهد ، قال الطبري ومعناه : ولا متحدثين بعد فراغكم من أكل الطعام ايناساً من بعضكم لبعض .

فكان لا يحلُّ لأحدٍ أن يسألهنَّ طعاماً ولا غيره ، ولا ينظر إليهنَّ ، متنقِّبَاتٍ ولا غيرَ متنقِّباتٍ ، إلاَّ من وراء حجاب[1] .

وكانت عائشةُ إذا طافتْ بالبيتِ سُتِرت[2] .

وفي الحديث لمَّا ماتتْ زينبُ قال عمرُ : لايخرج في جنازتها إلاَّ ذو محرم منها .. فوُصِفَ لهُ النَّعْشُ ، فاستحسنَه وأمَرَ به ، وقال : اخرجوا فصلُّوا على أمِّكُمْ[3] .

قال أنسٌ : كنتُ أدخلُ على أزواج النبيِّ ﷺ ، فلمَّا نزلت هذه الآية ، جئتُ لِأدخلَ فقال ليَ النبيُّ ﷺ : وَرَاءَك يا بُنَيَّ[4] .

---

(١) قال القرطبي ١٤/٢٢٧ : وفي الآية دليل على أن الله سبحانه أذن بسؤالهن من وراء حجاب . في حاجة تعرض ، أو مسألةٍ يستفتين فيها ، ويدخل في ذلك جميع النساء بالمعنى ، وبما تضمنته أصول الشريعة من أن المرأة كلها عورة . بدنُها وصوتها ، فلا يجوز كشفُ ذلك إلاَّ لحاجة كالشهادة عليها ، أو داءٍ يكون ببدنها ، أو سؤالها عما تعيَّن عندها ، ولا ينبغي لأحدٍ أن يثق بنفسه ، في الخلوة مع من لا تحلُّ له ، فإن مجانبة ذلك أحصنُ لنفسه ، وأتم لعصمته . اهـ .

(٢) هذا يدل على وجوب استتار المرأة عن الأجانب ، فإذا كانت عائشة وهي أم المؤمنين لا تتكشف على أحد حتى في الطواف فكيف بغيرها ؟

(٣) ذكر هذه الرواية الإمام القرطبي في تفسيره ١٤/٢٣٠ قال : لمَّا ماتت زينب بنت جحش ، قال عمر : لايشهد جنازتها إلا ذو محرمٍ منها — مراعاةً للحجاب الذي نزل بسببها — فدلَّته أسماء بنتُ عُميس على سترها في النعش ، وأعلمته أنها رأت ذلك في بلاد الحبشة ، فاستحسنه رضي الله عنه ، وأذن للمسلمين بالخروج للصلاة عليها .

(٤) هذا جزء من حديث أخرجه ابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان ، وفيه : فجئت لأدخل فقال النبي ﷺ : على مكانِك يابنيَّ ، إنه قد حدث بعدك أمرٌ ، لا تدخل علينا إلاَّ بإذن . اهـ وانظر الدر المنثور ٥/٢١٣ .

٧٠ ــ **وقولُه عزَّ وجل : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً .. ﴾** [آية ٥٣] .

قال قتادة : قال رجلٌ من أصحاب رسولِ الله ﷺ : إنْ ماتَ رسولُ الله ﷺ تزوجتُ فلانةً .

قال معمرٌ : قال هذا « طلحة » لعائشة[١] .

٧١ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ لا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ في آبائِهِنَّ ، وَلَا أَبْنَائِهِنَّ ، وَلَا إِخْوَانِهِنَّ ، وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ ، وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ ، وَلَانِسَائِهِنَّ ، وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ..﴾** [آية ٥٥] .

يعني في الاستئذان .

وقيل : معنى ﴿ **وَلَا نِسَائِهِنَّ** ﴾ ولا أهل دينهِنَّ .

وقد قيل : بل هو لجميع النساء ، أي اللَّواتي من جنسهن[٢] .

---

(١) يريد أن قائل هذه العبارة « طلحة بن عُبَيْد الله » قال : لو توفي رسول الله ﷺ لتزوجت عائشة كما نقله عنه مقاتل ، والصحيح أن القائل رجلٌ من المنافقين وليس هو طلحة ، كما رُوي ، فقد قال الإمام القرطبي نقلاً عن ابن عطية : وهذا عندي لا يصح على طلحة بن عبيدالله ، فقد قال شيخنا الإمام أبو العباس : وقد حُكي هذا القول عن بعض فضلاء الصحابة ، وحاشاهم عن مثله ، والكذب فيمن نقله ، وإنما يليق مثل هذا القول بالمنافقين الجهال . اهـ القرطبي ٢٢٩/١٤ .

(٢) هذا قول أكثر السلف أن المراد بقوله ﴿ أو نسائهنَّ ﴾ المسلمات ، فلا يجوز للمسلمة أن تُبدي زينتها أمام الكافرة المشركة ، بل ينبغي أن تحتجب منها كما تحتجب من الرجال . ولهذا قال ابن =

وقيل : ﴿ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ﴾ من النِّساء خاصة .

وقيل : عامٌّ إذا لم تُعْرَفْ رِيبَةٌ[1] .

٧٢ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ إِنَّ اللَّهَ وملائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ .. ﴾ [آية ٥٦] .

قال أبو مسعود الأنصاري : أَتَانَا رسولُ الله ﷺ في مجلسِ « سَعْدِ بن عُبَادة » فقال لهُ بَشيرُ بنُ سَعْدٍ : أَمَرنا اللهُ جلَّ وعزَّ أن نُصَلّي عليكَ يا رسول الله فكيف نصلي عليك ؟ قال : فسَكَتَ رسولُ الله ﷺ حتى تمنَّينا أنه لم يسأله ، ثم قال النبي ﷺ : قولوا : « اللهُمَّ صلِّ على محمد ، وعلى آل محمد ، [كما صَلَّيْتَ على إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد][2] ، كما باركتَ على إبراهيم ، في العالمين ،

= عباس : « لايحل للمسلمة أن تراها يهوديةٌ أو نصرانية ، لئلا تصِفها لزوجها » ، وقال بعض العلماء : ﴿ أو نسائهنَّ ﴾ المراد العموم أي جميع النساء ، وهذا ما رجحه ابن العربي ، وأمَّا ما ورد عن السلف فمحمولٌ على الاستحباب عنده وهذا أيسر وأرفق ، وإنما قال : ﴿ نسائهن ﴾ ولم يقل أو النساء للإتباع ، وانظر أحكام القرآن لابن العربي ١٣٦٠/٣ .

(١) أي إذا لم يعرف العبدُ بالتهمة ، ولم يشكَّ الإنسان في عفته ونزاهته ، وتخصيصهُ بالنساء المملوكات مذهب أبي حنفة ، وقد استدل بقول سعيد بن المسيب : لاتغرنكم آية النور ، فإنها في الإماء خاصة ، وقال الشافعي : هي عامة تشمل العبيد والإماء ، فيجوز للمرأة أن تنكشف أمام عبدها لضرورة الخدمة .

(٢) في المخطوطة سَقْطٌ وهو الآتي (كما صليتَ على إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد) وقد صوَّبناه من تفسير ابن كثير ٤٥٨/٦ والحديث أخرجه مسلم في كتاب الصلاة برقم (٤٠٥) ورواه أبو داود والترمذي والنسائي ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وانظر كامل الروايات في تفسير الحافظ ابن كثير ، فقد أورد جميع الروايات المتواترة في كيفية الصلاة عليه ﷺ .

إنك حميدٌ مجيد » والسَّلامُ كما علمتم[1] .

ورَوَى المسعوديُّ عن عون بن عبدالله ، عن أبي فاختة ، عن الأسود ، عن عبدالله[2] أنه قال : إذا صلَّيتم على النبي ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه ، فإنكم لا تدرون لعلَّ اللَّهَ يعرض ذلك عليه ؟! قالوا : فعلِّمْنَا ، قال قولوا :

• اللهَّم اجعلْ صَلَواتِكَ ورحمتَكَ وبركاتِكَ ، على سيِّدِ المرسلين[3] ، وإمامِ المتَّقينَ ، وخاتَمِ النَّبيِّينَ محمَّدٍ عبدِكَ ورسُولِكَ ، إمامِ الخيرِ ، وقائدِ الخيرِ ، ورسولِ الرَّحمة ، .

• اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأوّلون والآخرون ،

• اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد ، كما صلَّيتَ على إبراهيم وآل إبراهيم ، إنك حميدٌ مجيدٌ .

---

(١) قال الإمام القرطبي في تفسيره ١٤/٢٣٢ : هذه الآية شرَّف الله بها رسوله عليه السلام حياته وموته ، وذكر منزلته منه ، وطهَّر بها مقامه ، والصلاةُ من الله رحمتهُ ورضوانُه ، ومن الملائكة الدعاءُ والاستغفار ، ومن الأمة الدعاءُ والتعظيم لأمره ، ثم قال : وعممهم في التحيات كيفية السلام عليه « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » .

(٢) إذا أطلق « عبدالله » فالمراد به « عبدالله بن مسعود »رضي الله عنه الصحابي المشهور .

(٣) في المخطوطة « سيد المسلمين » وهو تصحيفٌ وصوابه « سيد المرسلين » كما في تفسير القرطبي ١٤/٢٣٤ والدر المنثور ٥/٢١٩ .

• اللهـم بارك على محمـد وعلى آل محمـد ، كما باركت على إبـراهيم وآل إبراهيم ، إنك حميد مجيد[1] » .

٧٣ ــ وقولـه جل وعـزَّ : ﴿ إِنَّ الَّذِيـنَ يُؤْذُونَ اللَّـهَ وَرَسُولَـهُ لَعَنَهُـمُ اللَّـهُ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ .. ﴾ [آية ٥٧] .

قيل : المعنى : يؤذون أولياء الله[2] .

ورَوَى همَّـــام عن أبي هريـــرة عن النبـــي ﷺ قال الله عز وجل :

(شَتَمني عبدي ، ولم يكن له أن يَشْتُمني .

وكذَّبني ولم يكن ينبغي له أن يُكذِّبني .

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجة برقم ٩٠٦ ورواه السيوطي في الدر المنثور ٢١٩/٥ ولفظه : « إذا صليتم على رسول الله ، فأحسنوا الصلاة عليه ، فإنكـم لا تدرون لعلَّ ذلك يُعرض عليـه ، قال فقالوا له : فعلِّمْنا . قال قولوا : اللهمَّ اجعل صلاتَك ، ورحمتَك ، وبركاتك على سيـد المرسلين ، وإمام المتقين ، وخاتم النبيين ..» الحديث وعزاه السيوطي إلى عبدالرزاق ، وعبد بن حميد ، وابـن مردويه عن ابن مسعود .

(٢) قال أبو حيان في البحر ٢٤٩/٧ : لا يتصوَّر الأذى حقيقـةً في حقّ اللـه تعـالى ، فقيـل هو على حذف مضاف أي يؤذون أولياء الله . اهـ وليس هذا بشيء كما قال الألوسي . والأولى أن يحمل اللفظ على فعل ما يكرهه اللهُ ورسولُه ، ليعمَّ الإيذاء الحقيقي في حقِّ الرسول ، والمجازي في حقـه تعالى ، فإيذاء الله بالكفر ، ونسبة الصاحبة والولد له ، ووصفُـه بما لا يليـق به جلَّ وعـلا كقـول اليهود ﴿ يدُ اللهِ مغلولـةٌ ﴾ وقـول النصارى ﴿ المسيـحُ ابـن اللـهِ ﴾ وإيـذاء الـرسول بالتكـذيب برسالته ، والطعن في شريعته ، والاستهزاء بدعوته ، والانتقاص لقدره الشريف .. الخ .

فأما شتمُهُ إيَّايَ فقولُه : إني اتَّخذتُ ولداً ، وأنا الأحدُ الصَّمدُ .

وأما تكذيبُهُ إيَّايَ ، فإنه زعم أن لن يُبْعث)[1] .

يعني بعد الموت .

٧٤ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ ما اكْتَسَبُوا ﴾ [آية ٥٨] .

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : يقعون في المؤمنين والمؤمنات ، بغير ما عملوا[2] .

٧٥ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ .. ﴾ [آية ٥٩] .

قال أبو مالكٍ والحسنُ : كان النِّساءُ يخرجن بالليل في حاجاتهن ، فيؤذيهنَّ المنافقون ويتوهَّمُونَ أنهنَّ إماءٌ ، فأنزل الله جلَّ وعزَّ

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق رقم (٣١٩٣) وهو من الأحاديث القدسية ، ونصُّه كما في البخاري « يشتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني ، ويكذبني وما ينبغي له ، أما شتمه فقوله : إن لي ولداً ، وأما تكذيبه فقوله : ليس يعيدني كما بدأني » فتح الباري ٢٨٧/٦ وفي رواية أخرى له « وأما شتمه إيَّايَ فقولُه : اتَّخذَ اللَّهُ ولداً ، وأنا الأحدُ الصَّمدُ ، لم ألِدْ ولم أولد ، ولم يكنْ لي كفواً أحد » . وأخرجه النسائي في الجنائز ٩١/٤ وأحمد في المسند ٣١٧/٢ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٤٥/٢٢ وقال الحافظ ابن كثير ٤٧٠/٦ : أي ينسبون إليهم ما هم براء منه ، لم يعلموه ، ولم يفعلوه . اهـ .

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ** .. ﴾[1] إلى آخر الآية .

قال الحسن : ذلك أدنى أن يُعْرفَ أنهنَّ حرائرُ فلا يُؤذينَ[2] .

قال الحسن : تغطِّي نصف وجهها .

وكان عمر إذا رأى أَمَةً قد تَقَنَّعَتْ عَلَاها بالدِّرةِ[3] .

قال محمَّدُ بنُ سيرينَ : سألتُ عَبِيدةَ[4] عن قوله تعالى ﴿ **يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ** ﴾ فقال : تُغَطِّي حاجبها بالرِّداء ، ثم تردُّه على أنفها ، حتَّى تغطي رأسها ووجها وإحدى عينيْها[5] .

---

(١) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٤٢٢/٦ : رُوي عن السُدِّي أن الفُسَّاق كانوا يؤذون النساء إذا خرجن بالليل ، فإذا رأوا المرأة عليها قِناعٌ تركوها ، وقالوا : هذه حُرَّةٌ ، وإذا رأوها بغير قناع ، قالوا : أمةٌ فآذوها ، فأنزل الله آية الحجاب .

(٢) هذا قول جمهور المفسرين أن المراد بالآية أن تميُّز الحرَّة من الأمة ، قال ابن كثير ٤٧١/٦ : ﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ أي إذا فعلن ذلك عُرفن أنهن حرائر ، لَسْنَ بإماءٍ ولا عواهر . اهـ وذهب أبو حيان في البحر ٢٥٠/٧ إلى أن الحجاب عام للحرائر والإماء ، قال : والفتنةُ بالإماء أكثرُ ، لكثرةِ تصرفهن ، فيحتاج إخراجهن من عموم النِّساء إلى دليلٍ واضح ، ومعنى قوله تعالى ﴿ ذلك أدنى أن يُعْرفنَ ﴾ قال : يعرفن لتسترهنَّ بالعفة ، فلا يتعرض لهن بالمكروه ، لأن المرأة إذا كانت في غاية التستر والاحتشام ، لم يقدم عليها ، بخلاف المتبرجة فإنها مطموع فيها . اهـ وهو فهمٌ للآية ثاقب يدلُّ على بعد النظر ، فتدبره فإنه نفيسٌ .

(٣) ما فعله عمر رضي الله عنه هو من قبيل « السياسة الشرعية » فلا ينبغي للأمة أن تلبس لباس الحرة .

(٤) هو « عَبِيدة بن عَمْرٍو السَّلماني » تابعي كبير ، ثقةٌ ثبتٌ ، قال ابن حجر في تقريب التهذيب ٥٤٧/١ : توفي قبل سنة سبعين على الصحيح .

(٥) الأثر أخرجه الطبري ٤٦/٢٢ والجلابيب : جمع جلباب ، وهو الملحفة ، قال القرطبي :=

قال **مجاهد** : يتجَلْبَبْنَ[1] حتى يُعرفْنَ ، فلا يُؤْذينَ بالقول .

٧٦ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ لَئِنْ لمْ يَنْتَهِ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ .. ﴾** [آية ٦٠] .

قال **قتادة** : كان ناسٌ من المنافقين أرادوا أن يُظهروا نفاقهم ، فأنزل الله جلَّ وعزَّ **﴿ لئنْ لَمْ يَنْتَهِ المُنَافِقُونَ والَّذِينَ في قُلُوبهِمْ مَرَضٌ والمُرْجِفُونَ في المَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾** أي لَنُحَرِّشَنَّك عليهم[2] .

وقال **مالك بن دينار** : سألتْ عكرمة عن قوله **﴿ وَالَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾** فقال : الزِّنى[3] ، وكذلك شهرُ بنُ حوشب .

= الصحيح أنه الثوب الذي يستر جميع البدن ، وروى الطبري عن ابن سيرين عن عَبيدة السلماني أنه لما سئل عن الآية ، أخرج ملحفة فغطى رأسه ووجهه إلا عيناً واحدة ، وانظر جامع البيان .

(١) الأثر أخرجه الطبري ٤٩/٢٢ والسيوطي في الدر ٢٢٢/٥ ومعنى « يتجلْبَبْن » أي يلبس الجلباب الشرعي وهو العباءة التي تستر سائر الجسد ، كما قاله المفسرون ، وأهلُ اللغة ، قال ابن كثير : وقال مجاهد : يتجلببن فيعلم أنهن حرائر ، فلا يعرض لهن فاسق بأذى ولا ريبة . اهـ ابن كثير ٤٧١/٦ . وقال ابنُ عباس : أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة ، أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلابيب ، ويُبدين عيناً واحدة . اهـ .

(٢) ذكر هذا الأثر الطبري في تفسيره ٤٨/٢٢ والسيوطي في الدر المنثور ٢٢٢/٥ ونصُّه : قال قتادة : الإرجافُ : الكذبُ الذي كان يذيعه أهل النفاق ، ويقولون : قد أتاكم عَدَدٌ وعُدَّة ، وذُكر لنا أن المنافقين أرادوا أن يُظهروا ما في قلوبهم من النفاق ، فأوعدهم الله بهذه الآية إلى قوله تعالى ﴿ لنغرينَّكَ بهم ﴾ أي لنحملنَّك عليهم ولنحرشنك بهم فلما أوعدهم كتموا ذلك وأسرُّوه ، وقال الطبري ﴿ لنغرينَّك بهم ﴾ لنسلطنَّك عليهم ولنحرشنَّك بهم . اهـ يُقال أغراه به : حثَّه وسلَّطه عليه .

(٣) عبارة الدر ٢٢٢/٥ : ﴿ والَّذِينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ ﴾ قال : أصحاب الفواحش ، وفي رواية الزناة .

وقال طاووس : نزلت هذه الآية في أمر النساء[1] .

وقال سَلَمةُ بن كُهيل : نزلت في أصحاب الفواحش .

٧٧ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إلاَّ قَلِيلاً ﴾** [آية ٦٠] .

يجوز أن يكون المعنى : إلاَّ وهم قليل .

ويجوز أن يكون المعنى : إلاَّ وقتاً قليلاً[2] .

٧٨ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوْا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ﴾** [آية ٦٩] .

حدَّثنا محمدُ بنُ إدريسَ ، قال : حدثنا إبراهيمُ بن مرزوقٍ ، قال : حدثنا رَوْحُ بنُ عُبادة ، قال : حدثنا عوفٌ عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة في هذه الآية **﴿ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ﴾** قال : قال رسولُ الله ﷺ (إنَّ موسى ﷺ كان رجلاً حيِّياً سِتِّيراً ، لا يكاد يُرَى من جِلْدِهِ شيءٌ ، استحياءً منه ، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل ، وقالوا : ما يستترُ هذا التَسَتُّرَ

---

(١) أي نزلت في أمر الفسَّاق الذين يتتبعون النساء ، كما تشير الرواية الثانية عن سلمة أنها نزلت في أصحاب الفواحش ، قال أبو حيان في البحر المحيط ٢٥٠/٧ : وظاهر العطف في الآية التغايرُ بالشخص ، فيكون المعنى : لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم ، والفسقةُ عن فجورهم ، والمرجفون عمَّا يقولون من أخبار السوء ، ويشيعونه ﴿ لنغرِّينَّكَ ﴾ أي لنسلطنَّك عليهم . اهـ .
أقول : وهو الأظهر : لأن الواو تقتضي المغايرة ، والله أعلم .

إلاَّ من عيبٍ بجِلِدِه ، إمَّا بَرَصٌ ، وإمَّـا أُدْرَةٌ[١] ، وإمَّـا آفـةٌ ، وإنَّ اللـه عزَّ وجـل أراد أن يُبرِّئـه ممَّـا قالـوا ، وإنَّ موسى خلا يومـاً وَحْده ، فوضع ثوبه على حَجَـر ، ثم اغتسل ، فلمَّـا فرغ من غُسْلِـه ، أقبـل إلى ثوبـه ليأخـذه ، وإنَّ الحجـر عَدَا بثوبـه ، فأخـذ موسى عَصَاهُ وطلبَ الحَجَر ، وجعل يقول : ثوبي حَجَرُ ، ثوبي حَجَـرُ ، حتـى انتهى إلى ملأٍ من بني إسرائيل ، فرأوه عُرْياناً كأحسن الرجـال خَلْقـاً ، فبـرأوه ممَّـا قالـوا له ، وإنَّ الحجـر قام ، فأخـذ ثوبـه فلبسَهُ ، قال : فطَفِـقَ بالحجر ضرباً ، قال : فواللّهِ إنَّ في الحجر لنَدَباً من أثـرِ ضَرْبـهِ ثلاثـاً ، أو أربعاً ، أو خمساً[٢] .

ورَوَى سفيـانُ بنُ حُسيـنٍ ، عن الحَكَـم ، عن سعيـد بن جُبير ، عن ابن عباس عن عليٍّ عليـه السلام في قولـه جلَّ وعـزَّ ﴿ **لا تكونـوا كالَّذيـنَ آذَوْا موسَى فَبـرَّأهُ اللَّـهُ مِمَّـا قَالُـوا** ﴾ قال : صَعِـدَ موسى وهارونُ صلَّى الله عليهما وسلـم إلى الجبـل ، فمـات هارونُ عليـه السلام ، فقالت بنو إسرائيل لموسى : أنتَ قتلْتَه ، كان ألينَ لنـا منكَ ، وأشدَّ حُبّاً !! فأوذي في ذلك ، فأمر اللهُ جلَّ وعزَّ الملائكـة فحَمَلَتْـه ،

---

(١) أُدْرةٌ : في المصباح المنير « الأُدْرَةُ » وزن غُرْفة : انتفاخُ الخصْيةِ . اهـ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الغسل ١/٧٨ ومسلم برقم ٣٣٩ في كتاب الفضائل ولفظهُ « كانت بنو إسرائيل يغتسلون عُراةً ، ينظر بعضهم إلى سوأة بعض ، وكان موسى يغتسل وحده ، فقالوا : والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنـا إلاَّ أنـه آدر ، فذهب يوماً يغتسل فوضع ثوبـه على حجر ، ففر الحجر بثوبه .. » الحديث .

فمرُّوا به على مجالسِ بني إسرائيل ، فتكلمتِ الملائكةُ بموته ، حتى علمتْ بنو إسرائيل أنه مَات ، فدفنوه فلم يُعلم موضعَ قبره إلاَّ الرَّخْمُ ، فإن الله قد جعله أصمَّ أبكم[1] .

قال أبو جعفر : والمعنى : لاتُؤذوا محمداً ﷺ كما آذى قومُ موسى ، فبرَّأه الله ممَّا قالوا ، مما رموه به من الأمرين جميعاً .

﴿ وكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ﴾ أي كلَّمه تكليماً[2] .

٧٩ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقَولُوا قَولاً سَدِيدَاً﴾ [آية ٧٠] .

قال مجاهد : ﴿ وَقُولُوا قَولاً سَدِيدَاً ﴾ أي سَدَاداً[3] .

وقال الحسن : أي صِدْقاً[4] .

٨٠ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَواتِ وَالأَرْضِ

---

(١) هذا الأثر رواه ابن أبي حاتم ، والحاكم ، وصححَّه عن علي بن أبي طالب ، كما في الدر المنثور ٢٢٣/٥ وأخرجه الطبري في تفسيره ٥٢/٢٢ وابن كثير ٤٧٥/٦ والقرطبي ٢٥١/١٤ ثم قال : والصحيحُ الأول ، ويحتمل أنهم فعلوا كل ذلك فبَّرأه اللَّهُ من جميع ذلك .

(٢) هذا أحد الأقوال لبيان بعض وجاهته عليه السلام عند الله ، حيث كلَّمه ربُّه ، بدون وساطة جبريل ، قال الحسن : كان مستجاب الدعوة ما سأل شيئاً إلا أُعطي ، إلاَّ الرؤية في الدنيا ، وقال القرطبي : ﴿ وجيهاً ﴾ : أي عظيماً ، والوجيه عند العرب : العظيم القدر ، الرفيع المنزلة .

(٣و٤) ذكر الأثرين الطبري في تفسيره ٥٣/٢٢ وقال المعنى: قولوا قولاً قاصداً غير جائر ، حقاً غير باطل . اهـ .

وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا .. ﴾ [آية ٧١] .

في هذه الآية أقوال :

أ ــ **منها أن المعنى** : على أهل السموات[1] .

ويكون معنى ﴿ **عَرَضْنَا** ﴾ أظهرنا ، كما تقول : عرضتُ المتاع .

ويكون ﴿ **فَأَبَيْنَ** ﴾ على لفظ الأول ، لأنهم لم يحملوها كلهم ، ويكون المعنى : فأبوا أن يقبلوها[2] .

﴿ **وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ** ﴾ أي تكلَّفها ، وكلُّهم قد كُلِّفها .

ب ــ **وقيل** : لمَّا حضرت آدم ﷺ الوفاةُ ، أُمِرَ أن يَعْرِض الأمانةَ على الخَلْقِ ، فعرضها فلم يقبَلْهَا إلاَّ بنوه[3] .

ج ــ **وقول ثالث هو الذي عليه أهل التفسير :**

---

(١) أي فيه مجاز بالحذف أي على الملائكة الذين هم أهل السموات ، فهو على حذف مضاف ، قال الألوسي : وليس بشيء ، يريد أنهُ قول ضعيف .

(٢) ذكر هذا القول الفخر الرازي في تفسيره ٢٥/٢٣٥ فقال : ﴿ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا ﴾ لم يكن إباؤُهنَّ كإباء إبليس في قوله تعالى ﴿ أبى أن يكون من الساجدين ﴾ من وجهين :
أحدهما : أن هناك السجود كان فرضاً ، وههنا الأمانة كانت عَرْضاً .
وثانيهما : أن الإباء كان هناك استكباراً ، وههنا استصغاراً ، استصغرن أنفسهن ، بدليل قوله (وأشفقن منها) .

(٣) ذكر هذا القول القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ١٤/٢٥٤ وهو قول مرجوح .

حدثنا بكرُ بنُ سَهْلٍ ، قال : حدثنا أبو صالح عن معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : قوله تعالى ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ** ﴾ قال : الأمانةُ : الفرائضُ ، عَرَضها اللّهُ على السَّمواتِ والأرضِ والجبالِ ، إن أدَّوْها أثابهم ، وإن ضيَّعوها عَذَّبهم ، فكرهوا ذلك ، وأشفقوا من غير معصيةٍ ، ولكنْ تعظيماً لدين اللهِ جلَّ وعزَّ ، ألاَّ يقوموا به ، ثم عرضها على آدم فقَبِلها بما فيها وهو قوله تعالى ﴿ **وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جُهولاً** ﴾ غِرَّاً[1] بأمرِ اللّهِ جلَّ وعزَّ[2] .

وقال مجاهد : عَرَض اللّهُ الثواب والعقاب ، على السَّمواتِ والأرضِ والجبال ، فأبَيْنَ ذلكَ ، وأشفقْنَ منه ، وقيل لآدمَ فقبِلَه ، فما أقام في الجنة إلاَّ ساعتين[3] .

وقال سعيد بنُ جُبَيرٍ : عُرضت الفرائض على السَّمواتِ والأرضِ والجبالِ ، فأشفقن منها وامتنعن ، وقَبِلَها آدم صلى اللّه عليه وسلم[4] .

---

(١) في المصباح المنير : « غِرٌّ » بالكسر أي جاهل بالأمور ، غافل عنها .

(٢) انظر الأثر في الطبري ٥٤/٢٢ وابن كثير ٤٧٩/٦ والقرطبي ٢٥٥/١٤ .

(٣) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ٢٢٥/٥ والطبري في جامع البيان ٥٤/٢٢ والألوسي في تفسيره روح المعاني ٩٨/٢٢ .

(٤) قال الألوسي في تفسيره روح المعاني ٩٨/٢٢ : « وذهب كثير إلى أن المراد بالإنسان آدم عليه السلام ، وأنا لا أميلُ إلى هذا القول ، وإن كان آدمُ أوَّل أفراد الجنس ، ومبدأ سلسلتها ، لقوله =

وقال **عبدالله بن عمر** : عُرض على آدم الثوابُ والعقاب[1].

وقال الضحَّاك : الأمانـةُ : الطَّاعـةُ ، عُرِضتْ على السمـوات والأرض والجبال ، إن خالفْنَها عُذِّبن ، فأبيْنَ ، وحملها الإنسانُ[2] .

وقال قتادة : عُرضت الفرائضُ على الخلـق ، فأبَيْـن إلاَّ آدم صلى الله عليه وسلم[3] .

= بعده ﴿ إِنَّهُ كان ظَلَوماً جَهُولاً ﴾ فإنه يبعد غاية البعد ، وصفُ صفيِّ اللّـهِ بنصٍّ قوله عز وجـل ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ ﴾ بمزيد الظلم والجهل ، وقولُ بعضهم كان ظلوماً جهولاً بزعم الملائكـة قولٌ باردٌ ، اللهمَّ إلا على القول بإرادة الجنس كما في قولـه سبحانـه ﴿ إن الإنسان لربـه لكنـود ﴾ و﴿ إن الإنسان لفي خسرٍ ﴾ فإن أكثر أفراد الإنسان في غاية الظلم ، ونهاية الجهل . اهـ بشيء من الاختصار .

(١ـ٣) هذه الآثار والتي سبقتها كلها رُويت عن السلف الصالح ، وذكرها المفسرون كالطبري ، والقرطبي ، وابن كثير ، والألوسي ، وغيرهم ، وقد ذكر ابن جزي في تفسيره « التسهيل لعلوم التنزيل » ٣١٦/٣ كلاماً نفيساً جيداً حول الآية الكريمة فقال : الأمانة هي التكاليف الشرعية من التزام الطاعات ، وترك المعاصي ، وقيل : هي الأمانةُ في الأموال ، وقيل : غسلُ الجنابة ، والصحيح العموم في التكاليف ، وعرضها على السموات والأرض والجبال يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يكون الله سبحانه خَلَق لها إدراكاً فعُرضت عليها الأمانة حقيقة ، فأشفقت منها وامتنعت من حملها .

والثاني : أن يكون المراد تعظيم شأن الأمانة ، وأنَّها من الثِّقل بحيثُ لو عُرضتْ على السمواتِ والأرض والجبال ، لأَبَيْنَ من حملها وأشفقن منها ، فهذا ضربٌ من المجاز كقولك : عرضتُ الحمل العظيم على الدابة ، فأبتْ أن تحمله ، والمراد أنها لا تقدر على حمله . اهـ وقال أبو حيان في البحر المحيط ٢٥٣/٧ : « لما أرشد المؤمنين إلى ما أرشدَ من ترك الأذى ، واتّقاء الله ، وسداد القول ، ورتَّب على الطاعة ما رتَّب ، بيَّن سبحانه أن ما كُلِّفه الإنسانُ أمر عظيم =

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال وهي أقوال الأئمة من أهل التفسير ، تُتأوَّل على معنَيَيْنِ :

أحدهما : أن الله جلَّ وعزَّ جعل في هذه الأشياء ما تُميِّز به ، ثم عرض عليها الفرائض ، والطاعة ، والمعصية .

والمعنى الآخر : أن الله جلَّ وعزَّ ائتمن ابن آدم على الطاعة ، وائتمنَ هذه الأشياءَ على الطَّاعةِ والخضوع ، فخبَّرنا أن هذه الأشياء لم تحتمل الأمانةَ ، أي لم تَخُنْها ، يُقال : حمَلَ الأمانةَ ، واحتملها ، أي خَانَها ، وحَمَل إثمها .

= فقال ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ ﴾ تعظيماً لأمر التكليف .

والأمانةُ الظاهر أنها كلُّ ما يُؤتمن عليه من أمرٍ ونهي ، وشأنِ دينٍ ودنيا ، والشرعُ كلُّه أمانة ، وهذا قول الجمهور ، ولذلك قال « أُبيُّ بنُ كعبٍ » من الأمانة أن المرأة أؤتمنت على فرجها ، وقال أبو الدرداء : غسلُ الجنابة أمانة ، والظاهر أنّه عَرَض الأمانةَ على هذه المخلوقات العظام ــ وهي الأوامرُ والنَّواهي ــ فتُثاب إن أحسنتْ ــ وتُعاقب إن أسأت ، فأبت وأشفقت ، ويكون ذلك بإدراكٍ خلَقَه اللهُ فيها ، وهذا غير مستحيل ، إذ قد سبَّح الحصى في كفه عليه السلام ، وحنَّ الجذع إليه ، وكلمته الذراع ، فيكون هذا العرضُ والإباء حقيقة ، قال ابن عباس : أُعطيت الجمادات فهماً وتمييزاً فخيِّرتْ في الحمل فأبت تعظيماً للأمر .. وقال الزمخشري : إن ما كُلِّفه الإنسانُ بلغ من عِظَمه وثِقَل محمله ، أنه عُرض على أعظم ما خلق اللهُ من الأجرام ، وأقواه ، وأشدّه ، أن يتحمله ويستقلَّ به فأبى حمله ، وحملها الإنسانُ على ضعفهِ ورخاوة قوته ، ونحو هذا كثير في لسان العرب ، وما جاء القرآن إلا على أساليبهم وطرقهم كما قالوا للمتردّد : ما لي أراك تقدم رِجلاً وتؤخر أخرى ؟ انتهى .

وقيل المعنى : وحملها الإنسانُ ولم يقم بها ، فحُذِف لعلم المخاطَبِ بذلك فقال جلَّ وعزّ ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾[1] وقال ﴿ وَإِنَّ مِنْها لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾[2] .

﴿ وَحَمَلَهَا الإنسانُ ﴾ أي خانها وحمل إثمها .

قال الحسن : ﴿ وحَمَلَها الإنْسَانُ ﴾ أي الكافر والمنافق .

قال أبو جعفر : وقول الحسن يدلُّ على التأويل الثاني ، ويدلُّ عليه أيضاً قوله ﴿ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ المُنَافِقِينَ وَالمَنَافِقَاتِ والمُشْرِكِينَ وَالمُشْرِكَاتِ ، وَيتُوبَ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيمَاً ﴾ .

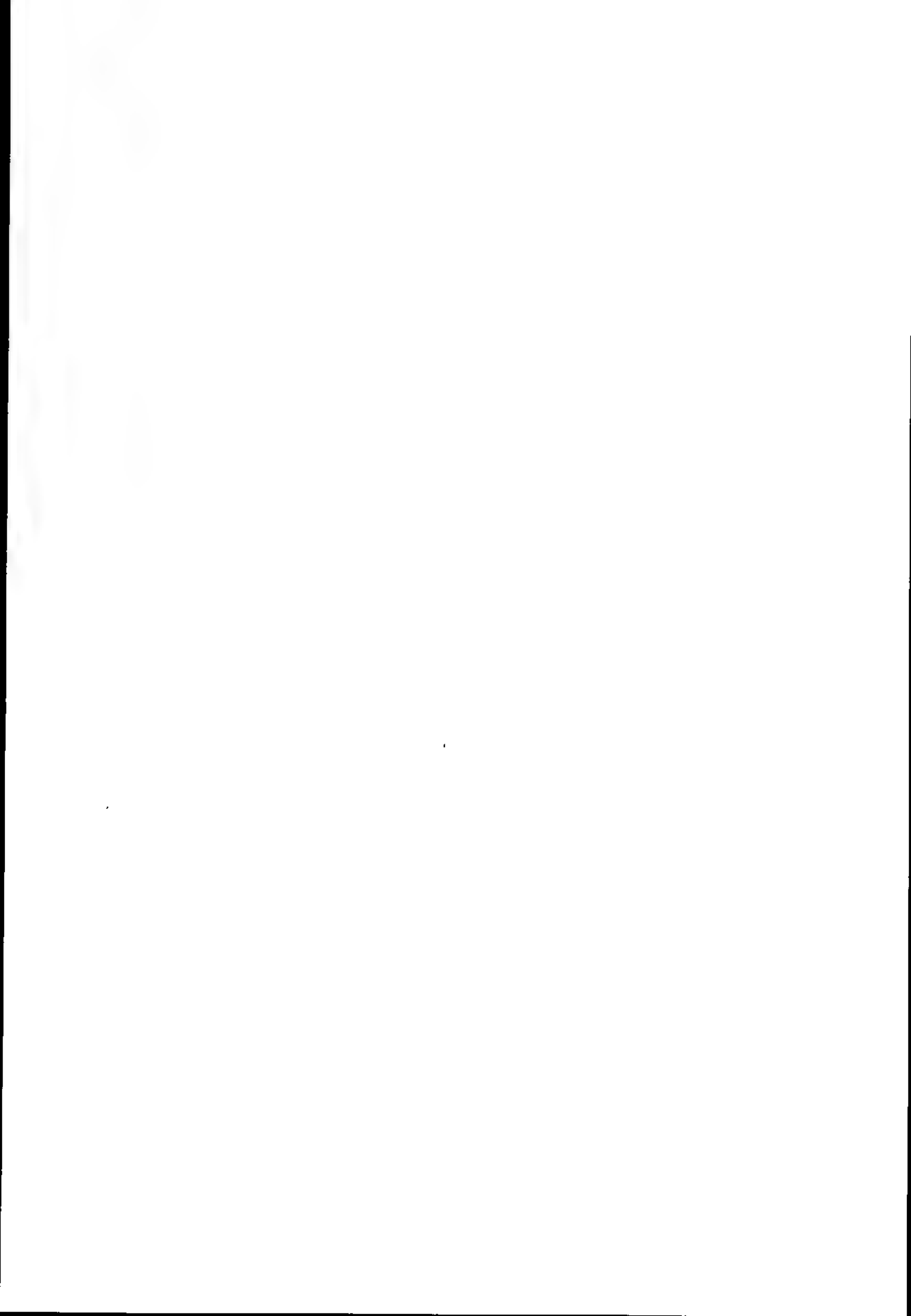
« تمت بعونه تعالى سورة الأحزاب »

* * *

---

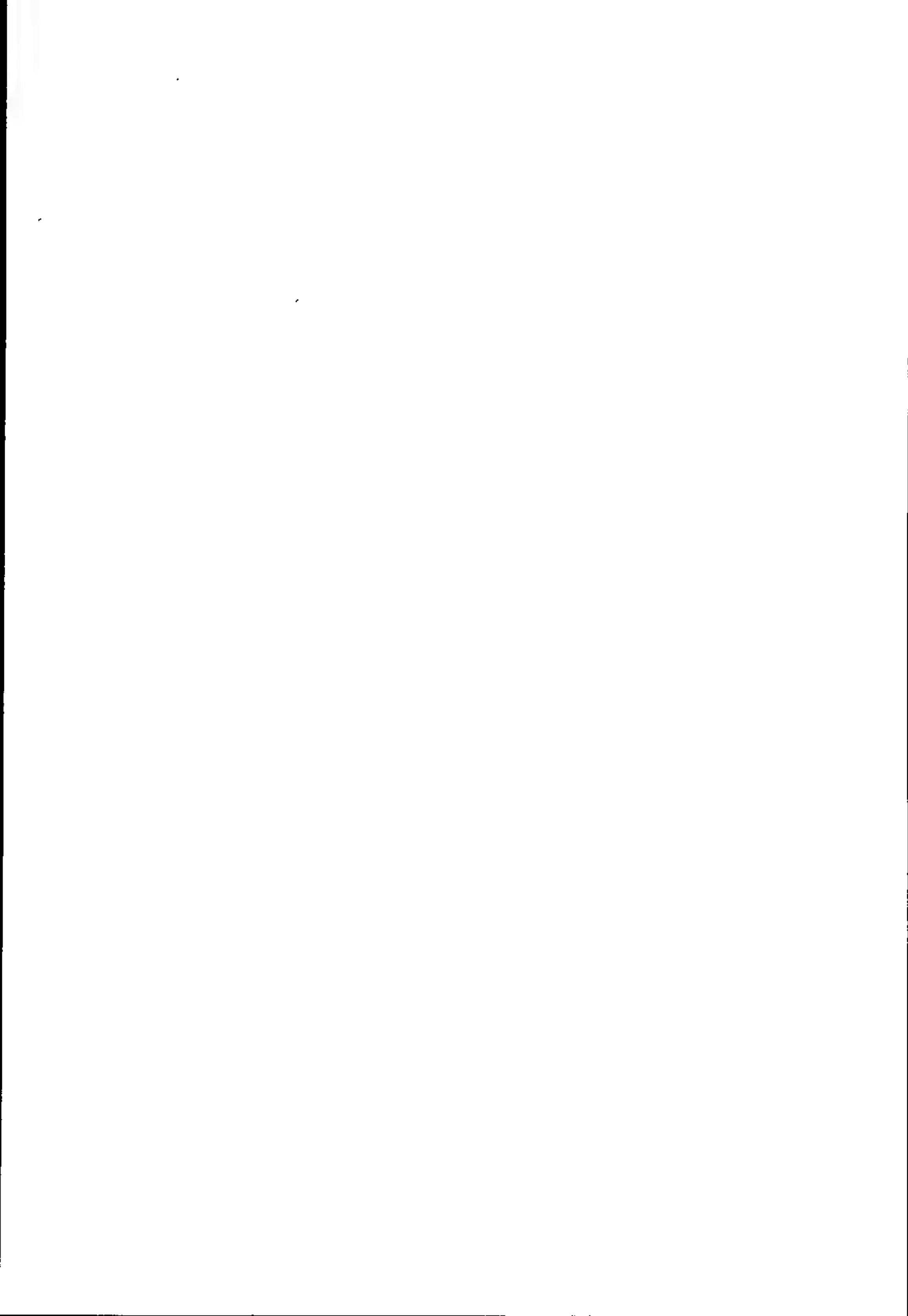
(١) سورة فُصِّلت آية (١١) .

(٢) سورة البقرة (٧٤) .



تفسير سورة سبأ

مكية وآياتها ٥٤ آية



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة سبأ وهي مكية[1]

١ ــ من ذلك قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ ..[2] ﴾ [آية ١] .

وهو قوله جل وعزَّ ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[3] .

ثم قال تعالى ﴿ وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ ﴾ [آية ١] .

رَوَى معمرٌ عن قتادةَ قال : حكيمٌ في أمره ، خبيرٌ بخلقه[4] .

٢ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا .. ﴾ [آية ٢] .

---

(١) قال القرطبي ٢٥٨/١٤ : السورة مكية في قول الجميع ، إلا آية واحدة اختلف فيها ، وهي قوله تعالى ﴿ويرى الذين أوتوا العلم .. ﴾ وهي أربع وخمسون آية .

(٢) أي هو جلَّ وعلا المحمودُ في الآخرة ، كما أنه المحمودُ في الدنيا ، وهو المالكُ للآخرة ، كما أنَّه المالكُ للأُوْلى . اهـ تفسير القرطبي ٢٥٩/١٤ .

(٣) سورة يونس آية رقم (١٠) .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٥٩/٢٢ والسيوطي في الدر ٢٢٦/٥ .

أي ما يدخل فيها من قَطْرٍ وغيره ، وما يخرج منها من نباتٍ وغيره[(١)] .

﴿ وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾

من عَرَج يعرُج إذا صَعِد[(٢)] .

٣ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ، قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الغَيْبِ .. ﴾ [آية ٣] .

أي بلى وربيِّ عالمِ الغيب ، لتأتينَّكُم[(٣)] .

٤ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ .. ﴾ [آية ٣] .

رَوَى أبو يحيى عن مجاهد عن ابن عباس : ﴿ لَا يَعْزُبُ ﴾ لا يغيب[(٤)] .

---

(١) هذه الآية تفصيلٌ لبعض معلوماته جلَّ وعلا أي يعلم ما يدخل في جوفِ الأرض من المطر ، والأموات ، والكنوز ، والدفائن ، وما يخرج من الأرض من الزروع ، والنبات ، والعيون ، والآبار . اهـ من الصفوة ٥٤٥/٢ .

(٢) العروج : الصعود أي وما يصعد إليها من الملائكة وأعمال العباد وغيرها اهـ من القرطبي ٢٥٩/١٤ .

(٣) قال في البحر ٢٥٧/٧ : سبب نزولها أن أبا سفيان قال لكفار مكة : إن محمداً يتوعَّدُنا بالعذاب بعد أن نموت ، ويُخوِّفنا بالبعث ، واللاَّتِ والعُزَّى لا تأتينا الساعةُ أبداً ولا نُبْعَثُ ، فقال اللهُ تعالى : قل لهم يا محمد بلى وربِّي لتبعثن . اهـ .

(٤) قال البخاري في كتاب التفسير ١٥٢/٦ قال مجاهد : ﴿ لايعزب ﴾ لا يغيب .

وقرأ « يحيى بنُ وثَّاب » : ﴿ لَا يَعْزِبُ ﴾[١] وهي لغة معروفة ، يقال عَزَبَ يَعْزُبُ ويَعْزِبُ : إذا بَعُدَ وغَابَ[٢] .

٥ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ [آية ٥] .

قال قتادة : ظنُّوا أنهم يُعْجِزونَ اللَّهَ جلَّ وعز ، ولنْ يُعْجِزوه[٣] .

قال أبو جعفر : يُقَالُ : عَاجَزَهُ ، وأعجَزَه : إذا غالَبه وسَبَقَه ، ومن قرأ ﴿ مُعَجِّزِينَ ﴾[٤] أراد مثبِّطين المؤمنين ، كذا قاله ابن الزبير .

٦ ـ وقال قتادة في قوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ [آية ٧] .

---

(١) هذه قراءة الكسائي وهي من القراءات السبع قال في حاشية الجمل ٤٥٩/٣ : ﴿ لا يَعْزُبُ ﴾ بضم الزَّاي في قراءة الجمهور ، وقرأ الكسائي بكسرها . اهـ وانظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٥٢٧ .

(٢) في المصباح : عَزَب الشيءُ من بَابَيْ قتل ، وضَرَب : غابَ وخفيَ . اهـ قال الحافظ ابن كثير ٤٨٣/٦ : قال مجاهد وقتادة ﴿ لايَعْزُبُ عنه ﴾ لا يغيب عنه ، أي الجميعُ مندرجٌ تحت علمه ، فلا يخفى عليه منه شيء ، فالعظام وإن تلاشت ، وتفرَّقت ، وتمزقت ، فهو عالمٌ أين ذهبت ، وأين تفرَّقتْ ، ثم يعيدها كما بدأها أول مرة ، وهو بكل شيء عليم . اهـ .

(٣) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ٢٢٦/٥ وعبارة الألوسي : ﴿ مُعَاجِزِينَ ﴾ أي مسابقين ، يحسبون أنهم يفوتوننا ، قاله قتادة .

(٤) هذه من القراءات السبع ، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ، وانظر النشر في القراءات العشر ٣٢٧/٢ .

أي إذا أكلتكُـمُ الأرضُ ، وصِرْتم عظامـاً ورُفَاتـاً.

﴿ **إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ** ﴾ [أي ستحيون وتُبعثون][1] ؟ .

٧ ــ **ثم أعلَمهـم أنَّ الـذي خَلَـق السَّمـواتِ والأرضَ ، يقـدِرُ على ذلك ، وعلى أن يُعجِّلَ لهم العقوبةَ فقال :**

﴿ **أَفَلَـمْ يَرَوْا إِلَـى مَا بَيْـنَ أَيْدِيهِـمْ وَمَـا خَلْفَهُـمْ مِنَ السَّمَـاءِ وَالأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِـمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِـطْ عَلَيْهِـمْ كِسَفَـاً مِنَ السَّمَاءِ ..** ﴾ ؟ [آية ٩] .

أي قطعةً[2] .

﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ** ﴾ [آية ٩] .

قال قتادة : أي تائب[3] .

٨ ــ **وقولـه جلَّ وعـز ﴿ وَلَقَـدْ آتَيْنَـا دَاوُدَ مِنَّـا فَضْلاً يَا جِبَـالُ أَوِّبِـي مَعَهُ ..** ﴾ [آية ١٠] .

---

(١) سقط تفسيرها من الأصل وأثبتناه من تفسير الطبري ٢٢/٦٢ .

(٢) هذا تفسير « كِسْفَة » بالإفراد ، والأَوْلى أن يقـول : قِطَعـاً ، ليكـون مطابقـاً للجمـع ، كما قالـه المفسرون ، ففي الطبري : أو نسقط عليهم السماء قِطَعـاً ، وفي القامـوس : الكِسْفَـةُ بالـكسر : القطعـةُ من الشيء ، والجمـعُ كِسَفٌ ، وكِسْفٌ ، وجمع الجمـع أَكْسَافٌ . اهــ وفي المخطوطــة ﴿ أولم يَرَوْا ﴾ والنصُّ القرآني ﴿ أفلم يروا ﴾ كما أثبتناه .

(٣) قال القرطبي ﴿ منيب ﴾ أي تائبٍ رجـاع إلى اللـه بقلبـه ، وخصَّ المنيبُ بالذِّكـرِ لأنـه المنتفـع بالفكرة في حجج الله وآياته . اهـ القرطبي ١٤/٢٦٤ .

﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ ﴾ أي قلنا[1] .

قال سعيدُ بن جُبَيْرٍ ومجاهدٌ ، وقتادةُ ، والضحَّاكُ ، وأبو مَيْسَرَة[2] ﴿ أَوِّبِي ﴾ : أي سبِّحي[3] .

وقرأ الحسنُ ، وابنُ أبي إسحق ﴿ أُوبِي مَعَهُ ﴾[4] .

والمعروف : في اللغة أنه يُقال : آبَ يَئُوبُ : إذا رجعَ وعادَ ، فيكون معنى ﴿ أُوْبِي ﴾ أي عودي معه في التَّسبْيحِ .

و ﴿ أَوِّبِي ﴾ في كلام العرب على معنَيَيْن .

أحدهما : على التكثير[5] من « أُوْبِي » فيكون معنى ﴿ أَوِّبِي ﴾ على هذا : رَجِّعي معه في التَّسْبيح .

---

(١) أي هو على إضمار القول أي قلنا ياجبال أَوِّبي معه ، وانظر البحر ٢٦٢/٧ .

(٢) (أبو مَيْسرة) هو عَمْرو بن شرحبيل الهمداني الكوفي ، ثقةٌ عابدٌ مخضرم ، مات سنة ٦٣ هـ ، كذا في تقريب التهذيب ٧٢/٢ .

(٣) ذكره الطبري ٩٥/٢٢ وفي الدر ٢٢٥/٥ وفي البحر ٢٦٢/٧ وعبارته ﴿ أَوِّبِي مَعَهُ ﴾ أي سبِّحي معه إذا سَبَّح أي يسبّح هو وتُرجِّعُ معه التسبيح أي تردّده بالذكر ، وضُعِّف الفعلُ للمبالغة قاله ابن عطية ، والظاهر أن التضعيف للتعدية إذ أصله آب وهو لازمٌ بمعنى رجع ، فعُدّي بالتضعيف إذ شرحوه بقولهم : رجِّعي معه التسبيح . اهـ .

(٤) هذه القراءة ليست من السبع ، والمعنى على هذه القراءة (أُوْبِي) بضم الهمزة وسكون الواو : أمرٌ من آب ، يئوبُ ، إذا رجع أي ارجعي معه بالتسبيح ، وانظر حاشية الجمل على الجلالين ٤٦٢/٣ والبحر ٢٦٣/٧ .

(٥) أي ضُعِّف الفعلُ بالتَّشديد من أجل إرادة التكثير ، قال ابن عطية : وضُعِّف الفعل للمبالغة .

(الثاني)[1] ويُقال : أَوَّبَ إذا سَار نهاراً[2] ، فيكونُ معنى ﴿ أَوِّبِي ﴾ على هذا : سيري معه .

٩ ـ وقولهَ جل وعز : ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ .. ﴾ [آية ١٠] .

قال قتادة : أَلاَنَ اللّٰهُ جلَّ وعزَّ له الحديدَ ، فكان يعمله بغيرِ نارٍ[3] .

وقال الأعمش : أُلِينَ له الحديدُ ، حتى صار مثل الخيوط[4] .

١٠ ـ ثم قال جل وعزَّ ﴿ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ .. ﴾ [آية ١١] .

قال قتادة : أي دُرُوعاً سابغاتٍ[5] .

---

(١) سقط من المخطوطة لفظ الثاني ، وهو من مستلزمات قوله : على معنَيَيْن .

(٢) قال القرطبي : وقيل : المعنى : سيري معه حيث شاء ، من التأويب الذي هو سير النهار ، قال ابن مقبل :

لَحِقْنا بحيٍّ أَوَّبوا السَّيْرَ بَعْدَما دَفَعْنَا شُعَاعَ الشَّمسِ والطَّرْفُ يَجْنَحُ

(٣) الأثر ذكره الطبري ٦٦/٢٢ وابن كثير ٤٨٥/٦ وفي الدر ٢٢٧/٥ ولفظه : قال قتادة : ليَّن الله له الحديد ، فكان يسرد حلقاته بيده ، يعمل به كما يعمل بالطين ، من غير أن يُدخله النار ، ولا يضربه بمطرقة ، وكان داود أول من صنع الدروع . اهـ .

(٤) الأثر ذكره ابن كثير ٤٨٥/٦ وعزاه إلى الحسن البصري ، وقتاده ، والأعمش ، ولفظه « كان لايحتاج أن يدخله ناراً ، ولا يضربه بمطرقة ، بل كان يفتله بيده مثل الخيوط » اهـ .

(٥) هذا صفة لموصوف محذوف أي دروعاً سابغات أي تامات واسعات قال في البحر ٢٥٥/٧ : السابغاتُ : الدروعُ ، وأصلُه الوصف بالسبوغ ، وهو التَّمامُ والكمالُ ، وغَلَب على الدِّرع =

قال أبو جعفر : يُقال : سَبَغَ الثوبُ والدِّرعُ وغيرهما : إذا غطّى كلَّ ما هو عليه ، وفَضَل منه .

ثم قال : ﴿ **وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ..** ﴾ [آية ١١] .

قال قتادة : السَّرْدُ : المسمارُ الذي في حَلَق الدِّرع .

قال أبو جعفر : وقال ابن زيد : ﴿ **السَّرْدُ** ﴾ : الحَلَقُ(١) .

والسَّرْدُ في اللغة : كلُّ ما عُمل مُتَّسقاً متتابعاً ، يقربُ ، بعضُه من بعض(٢) ، ومنه سَرْدُ الكلام .

قال سيبويه : ومنه رجل سَرَنْدِيٌّ أي جريء ، قال : لأنه يمضي قُدُماً(٣) .

قال أبو جعفر : ومنه قيل للذي يصنع الدروع : زَرَّادٌ ، وسَرَّادٌ .

= كالأبطح ، قال الشاعر :

عليهَا أسودٌ ضارياتٌ لَبُوسُهمْ   سَوَابغُ بيضٌ لا يُخَرِّقُها النَّبلُ

(١) في المصباح : الحَلْقةُ بالسكون كحلْقة الباب ، والجمع « حَلَقٌ » بفتحتين على غير قياس . اهـ .

(٢) في البحر ٢٥٥/٧ : السَّرْدُ : إتباعُ الشيءِ بالشيءِ من جنسهِ ، ويقال للدرع : مسرودةٌ ، لأنه تُوبع فيها الحَلَق بالحَلَق ، ويقال لصانع ذلك : سَرَّادٌ ، وزرَّادٌ . اهـ وفي اللسان : السَّرْدُ في اللغة : تَقْدِمةُ شيء إلى شيء ، تأتي به متّسقاً بعضُه في إثر بعضٍ متتابعاً ، وسَرْدُ الدرع : نسجُها وهو تداخل الحَلَق بعضها ببعض . اهـ لسان العرب مادة سرد .

(٣) ذكره ابن منظور في لسان العرب عن سيبويه مادة سرد .

فالمعنى ــ وهو قول مجاهد ــ وقدِّر المساميرَ في حَلَق الدِّرع ، حتى تكون بمقدار لا يغلظ المسمارُ وتضيق الحَلَقة ، فتفصم الحلقة ، ولا توسِّعْ الحلقة وتُصَغِرّ المسمارْ وتُدِقَّهُ ، فتسلسُ الحلقة[1] .

١١ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** ﴿ **وأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ القِطْرِ ..** ﴾ [آية ١٢] .

قال قتادة : أَسَالَ اللَّهُ جلَّ وعزَّ له عيناً من نحاس[2] .

أي حتى سالتْ وظهرتْ ، فكان يستعملها فيما يريد .

قال الأعمش : سُيِّلت له كما يُسيَّل الماءُ[3] .

وقيل : لم يَذُبِ النُّحاسُ لأحدٍ قبله .

١٢ ــ **وقوله جلَّ وعز** ﴿ **يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ ..** ﴾ [آية ١٣] .

رَوَى أبو هلالٍ عن قتادة قال : ﴿ **مَحَارِيبَ** ﴾ : مساجد ،

---

(١) الأثر ذكره الطبري ٦٨/٢٢ عن مجاهد ، وابن كثير أيضاً ٤٨٦/٦ والسيوطي في الدر المنثور ٢٢٧/٥ .

(٢) روى هذا الأثر ابن كثير في تفسيره ٤٨٧/٦ وعزاه إلى ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وزيد بن أسلم وغير واحد قالوا : القِطْرُ النُّحاس ، وكذلك ذكر الطبري .

(٣) ذكره القرطبي في جامع الأحكام ٢٧٠/١٤ ثم قال : والظاهر أنه تعالى جعل النحاس لسليمان في معدنه ، عيناً تسيل كعيون المياه ، دلالةً على نبوته ، وقال الخليل : القطر : النحاس المذاب . اهـ قرطبي وفي الكشاف ٢٠٠/٢ : أراد بعين القطر معدن النحاس ، ولكنه أسالهَ ــ كما ألان الحديد لداود ــ فنبع كما ينبع الماء من العين ، فلذلك سماه عين القطر . اهـ .

وكذلك قال الضحاك[1] .

قال مجاهد : المحاريبُ دون القصور .

والمحاريبُ في اللغة : كلُّ موضعٍ مُشْرِفٍ ، أو شريف[2] .

ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وتماثيلَ ﴾ قال الضحاك : أي صُوَراً[3] .

قال مجاهد : ﴿ تماثيل ﴾ أي من نحاس[4] .

١٣ ــ ثم قال جل وعزَّ ﴿ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ .. ﴾ [آية ١٣] .

قال مجاهد : ﴿ الجوابي ﴾ : حياضُ الإبل[5] .

قال أبو جعفر : الجابيةُ في اللغة : الحوضُ الذي يُجْبَى فيه الشيءُ أيْ يُجمعُ .

ومنه قول الأعشى :

---

(١) الأثر ذكره ابن كثير ٤٨٧/٦ والألوسي في روح المعاني ١١٨/٢٢ والسيوطي في الدر المنثور ٢٢٨/٥ .

(٢) عبارة القرطبي ٢٧١/١٤ : المحراب في اللغة : كلُّ موضع مرتفع ، وقيل للذي يُصلَّى فيه : محرابٌ ، لأنه يجب أن يرفع ويُعظَّم ، وقال أبو عبيدة : المحراب أشرف بيوت الدار . اهـ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ٧٠/٢٢ .

(٤ــ٥) انظر هذه الآثار في الطبري ٧١/٢٢ والدر المنثور ٢٢٨/٥ وقال البخاري في التفسير ١٥٢/٦ : قال ابن عباس : كالجَوَابِ كالجَوْبةِ من الأرض .

نَفَـى الـذَمَّ عن آلِ المُحَلَّـقِ جَفْنـــةٌ
كَجَابِيـةِ الشَّيْـخِ العِـرَاقِي تَفْهَـــقُ[1]

ويُروى : كجابية السَّيْح[2] .

قال مجاهد : ﴿ رَاسِيَاتٍ ﴾ أي عِظام[3] .

وقـال سعيـد بن جبير : ﴿ راسِيـاتٍ ﴾ : تُفْـرَغُ إفرَاغـاً ، ولا تُحمل[4] .

وقال قتادة : ﴿ رَاسِياتٍ ﴾ : أي ثابتات[5] .

١٤ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرَاً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَـادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [آية ١٣] .

---

(١) البيت للأعشى « ميمون بن قيس » وهو في ديوانه ص ١٢١ والشاهد فيه لفظ « الجابية » وهي الحوض الواسع الكبير ، ومعنى « تَفْهَقُ » أي تفيض من الامتلاء ، واستشهد به الطبري في جامع البيان ٧١/٢٢ . وهو في القرطبي ٢٧٥/١٤ والبحر المحيط ٢٥٥/٧ بلفظ « كجابية السَّيْح العراقي تفهق » .

(٢) السَّيْحُ : بالسِّين والحاء المهملتين ، وهو ما يفيض من الماء ويسيح ، وقد ذكر هذه الرواية المبرد في كتابه الكامل ٤/١ بعد أن ذكر الأولى قال : ومعناه النهر الذي يجري على جابيته ، فماؤها لا ينقطع لأن النهر يمدُّه . اهـ وانظر أيضاً القرطبي ٢٧٥/١٤ والألوسي ١١٩/٢٢ .

(٣ــ٥) هذه الآثارُ عن السلف ذكرها المفسرون ، الطبري في جامع البيان ٧٢/٢٢ والقرطبي في الجامع للأحكام ٢٧٦/١٤ والسيوطي في الدر المنثور ٢٢٨/٥ ولا تعارض بينها فهي كبيرة ضخمة ، ثابتة ، لاتحمل لثقلها وضخامتها ، وقد جمعها ابن كثير في تفسيره فقال : ثابتات في أماكنها ، لاتتحول ولا تتحرك عن أماكنها لعظمها . اهـ قال ابن العربي : وكذلك كانت قدور « عبدالله بن جدعان » يُصعد إليها في الجاهلية بسُلَّم . اهـ من القرطبي ٢٧٦/١٤ .

قال عطاء بن يسار : صعد رسولُ اللّهِ ﷺ يوماً المنبر ، فتلا ﴿ **اعْمَلُوا آلَ دَاودَ شُكْرَاً** ﴾ فقال :

« ثلاثٌ من أوتيهنَّ فقد أوتي مثل ما أُوتي آل داود :

- العدلُ في الغضبِ والرِّضَى .
- والقَصْدُ في الفَقْرِ والغِنَى .
- وخَشْيةُ اللَّهِ جلَّ وعز في السرِّ والعَلَانيةِ »[1] .

قال مجاهد : « لمَّا قال الله جلَّ وعزَّ ﴿ **اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرَاً** ﴾ قال داود لسليمانَ صلى الله عليهما : إنَّ اللَّهَ جلَّ وعزَّ قد ذكر الشكر ، فاكفني صلاة النهار ، أَكْفِكَ صلاةَ اللَّيل !! قال : لا أقدِرُ ..

قال فاكفني ــ قال الفَارَيابيُّ[2] أُراه قال ــ: إلى صلاة الظهر ، قال : نعم ، فكَفَاهُ »[3] .

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة مرفوعاً ، وأخرجه ابن مردويه من حديث حفصة مرفوعاً ، وانظر الدر المنثور ٢٢٩/٥ والقرطبي ٢٧٦/١٤ ، وفي الدُر ، ورد بلفظ « وذكرُ اللَّهِ في السرِّ والعلانية » .

(٢) قال السمعاني في الأنساب ١٢٨/١٠ : (الفَارَيَابيّ) بفتح الفاء والراء نسبة إلى الفَاريَاب ــ مدينةٌ مشهورة بخراسان كما في معجم البلدان ــ والمنسوب إليها « محمد بن يوسف الفَارَيابي » صاحب سفيان الثوري . اهـ .

(٣) ذكر هذا الأثر القرطبي في تفسيره ٢٧٦/١٤ ولم يعزه ، وذكره الألوسي في روح المعاني ١٢٠/٢٢ من رواية ابن أبي حاتم عن مجاهد ، والسيوطي في الدر المنثور ٢٢٨/٥ وقال : أخرجه الفاريابي ، وابنُ أبي حاتم .

وقال الزهري : ﴿ اعْمَلُوا آل دَاوُدَ شُكْرَاً ﴾ أي قولوا : الحمدُ للَّهِ[1] .

ورُوي عن عبدالله بن عباس قال : شكراً على ما أنعم به عليكم .

١٥ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ** : ﴿ **فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ المَوْتَ مَادَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ** .. ﴾ [آية ١٤] .

قال عبدالله بن مسعود : أقام حولاً حتى أكلت الأَرَضَةُ[2] عصاه فسقط ، فعُلِم أنه قد مات[3] .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : « المِنْسَأة » العَصَا[4] .

---

(١) « الحمد للَّهِ » طرف من الشكر ، والشكر أعمُّ من ذلك ، ولهذا قال القرطبي : ظاهر القرآن والسنة أن الشكر بعمل الأبدان ، دون الاقتصار على عمل اللسان ، فالشكر بالأفعال عملُ الأركان ، والشكر بالأقوال عمل اللسان . اهـ .

(٢) الأَرَضة : قال الجوهري بالتحريك « أَرَضة » : دويبةٌ تأكل الخشب . اهـ .

(٣) ذكر هذا الأثر القرطبي عن ابن مسعود ١٤/٢٧٨ قال : وكان سليمان سأل الله تعالى ألا يعلموا بموته حتى تمضي عليه سنة . والسبب أن الجن كانت تدعي علم الغيب ، فلما مات سليمان وخفي الأمر عليهم ﴿ تبيّنت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ﴾ .

(٤) قال الزجاج ٤/٢٤٧ : المنسأة : العَصَا ، سميت منسأة لأنه يُنسأ بها أي يُطرد بها ويُزجر ، قال الفراء : أهل الحجاز : لا يهمزون المنسأة ، وتميم وفصحاءُ قيس يهمزونها . اهـ زاد المسير ٦/٤٤١ وفي اللسان : نسأتُ البعير أي زجرتُه ليزداد سيرهُ قال الشاعر :

أَمِنْ أَجْلِ حَبْلٍ لا أَبَاكَ ضَرَبْتَهُ بِمِنْسَأَةٍ قَدْ جَرَّ حَبْلُكَ أَحْبُلاَ

قال أبو جعفر : قيل للعَصا مِنْسأةٌ : لأنه يُؤَخَّر بها الشيءُ ، ويُساق بها ، قال طَرَفة :

أَمُونٍ كَأَلْوَاحِ الإِرَانِ نَسَأْتُهَا
على لاَحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُدِ[1]

١٦ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي العَذَابِ المُهِينِ ﴾ [آية ١٤] .

قال قتادة : كانت الجنُّ تُخبرُ الإنسَ أنهم يعلمون الغيب ، فلمَّا مات سليمانُ ﷺ ، ولم تعلمِ به الجنُّ ، تبيَّنتِ الجنُّ للإنسِ أنهم لا يعلمون الغيب[2] .

وهذا أحسنُ ما قيل في الآية .

---

(١) البيت لطَرَفة بن العبد من معلقته المشهورة « لخولةَ أطلالٌ .. » وهو في ديوانه ص ٣٥ وقد ورد فيه « نَصَأْتُها » بالصاد ومعناه : زجرتها ، ومعنى « أَمُونٍ » مأمونة العثار . و« الإِرَان » التابوتُ العظيم . و« اللَّاحبُ » الطريق الواضح ، و« البُرْجُدُ » الثوب المخطط ، والبيت من شواهد أبي عبيدة في مجار القرآن ١٤٥/٢ يقول : إن هذه الناقة في شدتها وقوة جسمها كأنها تابوت عظيم ، فيه خطوط متنوعة ، تسير بقوة ونشاط في طريق واضح .

(٢) ذكر هذا الأثر الطبري ٧٥/٢٢ والسيوطي في الدر ٢٣٠/٥ ولفظه : عن قتاده قال « كانت الجنُّ تخبر الإنس أنهم يعلمون من الغيب أشياء ، وأنهم يعلمون ما في غد ، فابتلوا بموت سليمان عليه السلام ، فمات فلبثَ سنةً على عصاه ، وهم لا يشعرون بموته ، وهم مسخَّرون ، يعملون دائبين تلك السنة ، فلما خرَّ تبيَّنت الإنس أن لو كان الجن يعلمون الغيب ، ما لبثوا يعملون له حولاً بعد موته » اهـ .

والمعنى : تبيَّن أمرُ الجنِّ[1] .

ويدلُّ على صحته الحديثُ المرفوع .

رَوَى إبراهيم بن طَهْمَانَ ، عن عَطَاءٍ عن السائب[2] ، عن سعيد بنِ جُبَيْر ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : « كان سليمانُ نبيُّ اللَّهِ ، إذا صلَّى رأى شجرة نابتةً بين يديه ، فيسألها ما اسمُك ؟ فإن كانت لغرسٍ غُرِستْ ، وإن كانت لدواءٍ كُتِبَتْ ، فبينما هو يصلي ذات يومٍ ، إذا شجرةٌ نابتةٌ بين يديه ، فقال : ما اسمك ؟ فقالت : الخرنوبُ قال لأيِّ شيءٍ أنت ؟ قالت : لخرابِ أهلِ هذا البيت ، قال : اللهم عَمِّ على الجنّ موتي ، حتى يعلم الإنسُ أن الجنَّ لا يعلمون الغيب ، فَنَحتَها عَصًا ، فتوكَّأ عليها حَوْلاً لا يعلمون ، فسقطت ، فعلمت الإنسُ أنَّ الجنَّ لا يعلمونَ الغيب ، فنظروا مقدار ذلك ، فوجدوه سَنَةً ، فشكرتِ الجنُّ للأَرَضَةِ »[3] .

---

(١) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٦/٤٤١ : ﴿ تَبَيَّنَت الجِنُّ ﴾ أي : ظهرت وانكشف للناس أنهم لا يعلمون الغيب ، ولو علموا ما عمِلوا مسخرين وهو ميت ، وهم يظنونه حياً ، وقيل ﴿ تبيَّنت الجنُّ ﴾ أي علمت الجنُّ ، لأنها كانت تتوهم باستراقها السمع ، أنها تعلم الغيب ، فعلمت حينئذٍ خطأها في ظنها . اهـ .

(٢) وقع تصحيف في اسم الراوي ، فقد ورد في المخطوطة « عطاء بن السائب » وصوابه « عطاء عن السائب » وعطاء هذا هو « عطاء بن أبي مسلم الخراساني » وليس « عطاء بن السائب » وقد قال الحافظ ابن كثير ٧/٤٩٠ : وعطاء بن أبي مسلم الخراساني » له غرابات ، وفي بعض حديثه نكارة وذكر الحديث وقال : — في رفعه غرابة ونكارة .

(٣) الحديث أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٥/٢٤٠ وزاد نسبته إلى البزار ، وابن جرير وابن أبي =

قال **قتادة** : وفي مصحف عبدالله بن مسعود : ﴿ **تَبَيَّنتِ الإِنْسُ أَنْ لَوْ كَانَ الجِنُّ يَعْلَمُونَ الغَيبَ مَالَبِثُوا في العَذَابِ المُهِينِ** ﴾[1] .

ومن قرأ ﴿ **تُبُيِّنَتِ الجِنُّ** ﴾[2] أراد تبيَّنت الإنسُ الجنَّ .

١٧ ـ **وقوله جل وعز** : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وشِمَالٍ** .. ﴾ [آية ١٥] .

يُروى أنَّ « سَبَأً » اسمُ رجلٍ ، فيكونُ على هذا اسماً للقبيلةِ ، فيمن لم يَصْرِفْ[3] .

وقيل : هو اسم موضع .

= حاتم ، والطبراني عن ابن عباس مرفوعاً ، وذكره القرطبي في تفسيره ٢٧٨/١٤ وأبو حيان في البحر المحيط ٢٦٦/٧ والحافظ ابن كثير ٤٨٩/٦ وقال : وقد ورد في ذلك حديث مرفوع غريب ، وفي صحته نظر ، وفي رفعه غرابة ونكارة ، والأقرب أن يكون موقوفاً . اهـ .

(١) هذه القراءة شاذة كما في المحتسب لابن جني ١٨٨/٢ وهي محمولة على أنها تفسير ، كما قال القرطبي ٢٨١/١٤ : وهذه القراءة من ابن عباس على جهة التفسير . اهـ .

(٢) بالبناء للمجهول ، وهي قراءة ابن عباس ويعقوب ، وانظر النشر في القراءات العشر ٣٥٠/٢ .

(٣) هذه من القراءات السبع وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ﴿ لِسَبَأَ ﴾ بغير صرف ، جعله اسماً للقبيلة ، وهو اختيار أبي عُبيد ، كذا في القرطبي ٢٨٣/١٤ وقال في التسهيل ٣٢٣/٣ : « سبأ » قبيلة من العرب سميت باسم أبيها الذي تناسلت منه ، وقيل باسم موضعها ، والأول أشهر لأنه ورد في الحديث ، وكانت مساكنهم بين الشام واليمن . اهـ .

ثم قال تعالى ﴿ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾.

أي جنَّةٌ عن اليمين ، وجنَّةٌ عن اليسار . [آية ١٥] .

١٨ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ [آية ١٥] .

والمعنى : هذه بلدةٌ طيِّبةٌ ، واللَّهُ ربٌّ غفورٌ[١] .

١٩ ــ **ثم قال جلَّ وعز** : ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ .. ﴾ [آية ١٦] .

أي فأعرضوا عن أمرِ اللَّهِ جلَّ وعز وشكرِه ، فأرسلنا عليهم سيل العَرِمِ .

قال عطاء : العَرِمُ : اسمُ الوادي[٢] .

وقيل : هو الجُرَذُ الَّذِي أُرسِلَ عليهم[٣] .

---

(١) يريد المصنف أنه خبر لمبتدأ محذوف . أي هذه بلدةٌ طيبة . فحذف المبتدأ وأبقى الخبر ، ومثله (وربٌّ غفورٌ) أي ربكم الذي أنعم عليكم ربٌّ غفور .

(٢) الأثر مرويٌّ عن قتادة ، والضحاك ، ومقاتل ، كما في زاد المسير لابن الجوزي ٦/٤٤٥ والقرطبي ١٤/٢٨٥ والدر ٥/٢٣٣ ولفظه قال قتادة : ذُكر لنا أن العَرِم وادي سبأ ، كانت تجتمع إليه مسايل من أودية شتَّى ، فلما تركوا أمر الله غرقهم الله به . اهـ .

(٣) حكاه الزجاج في معانيه ٤/٢٤٨ أن العرم اسم الجُرَذ الذي نقب السدَّ ، فنسب السيل إليه لأنه بسببه . وذكره القرطبي ١٤/٢٨٥ وابن الجوزي في تفسيره ٦/٤٤٥ والطبري ٢٢/٨٠ وعزاه إلى قتادة . واختار ابن جرير أنه اسمٌ للسدِّ الذي كان بالوادي ، وأنَّ الله خرَّب عليهم السَدَّ الذي كان يحبس عليهم السيول ، لمَّا كفروا النعمة .

رَوَى عليُّ بنُ أبي طَلْحــةَ عن ابــنِ عبــاس (العَــرِمُ) : الشَّديدُ[1] .

وقيل : هو المطرُ العَرِمُ أي الشديد .

وقال قتادة : أرسل اللهِ عليهم جُرَذاً ، فهـدم عَرِمَهـم ، يريـدُ بالعَـرِمِ : السِّكْـرَ[2] ، قال : فغـرَّق جنَّاتِهـم ، وخـرَّبَ أرضَهـم عقوبـةً لهم .

وهذا أعرف ما قيـل في معنـى ﴿ العَـرِمِ ﴾ .

يُقال : للسِّكْرِ : عَرْمَـةٌ ، وجمعـه عَرِمٌ ، سُمِّـي بذلك لشدَّتـه ، ومنه قيل : فلان عَارِمٌ[3] ، قال الشاعر :

قال الشاعر :

« إِذْ يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهِ العَرِمَا »[4]

---

(١) الأثر عن ابن عباس أخرجه في الدر المنثور ٥/٢٣٣ وابن الجوزي ٦/٤٤٥ والقرطبي ١٤/٢٨٦ وفي الصفوة ٢/٥٥٠ : فأعرضوا عن طاعة الله وشكره ، فأرسلنا عليهم السيـل المدمِّـر المخرِّب ، الذي لأيطاق لشدته وكثرته ، فغرَّق بساتينهم وزروعهـم ، وخرَّب أرضهـم وديارهـم » وقـول ابـن عباس أرجح الأقوال ، والله أعلم .

(٢) في المصباح : السِّكْرُ بالكسر : ما يُسدُّ به ، والعَرِمِ : قيل جمع عَرمة ، مثل كَلِـم وكَلِمـة ، وهـو السَدُّ ، وقيل : السيُّلُ الذي لا يُطاق دفعه ، ومنه قوله تعالى ﴿ فأرسلنا عليهم سَيْلَ العَرِمِ ﴾ اهـ المصباح المنير .

(٣) في الصحاح : وصبيٌّ عارِمٌ : أي شَرِسٌ ، والعَرِمُ : العارمُ . اهـ الجوهري .

(٤) هذا شطر بيت ينسب إلى النابغة الجعدي ، وتمامُه كما في الجمهرة ٣/٢٠٥ .

من سَبَـــأَ السَّاكِنيـــنَ مَأْرِبَ إذْ   يَبْنُـــونَ من دُونِ سَيْلِهـــا العَرِمَـــا =

٢٠ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ .. ﴾** [آية ١٦] .

الأُكُلُ : الثَّمَرُ .

قال أبو مالك ومجاهد وقتادة والضحاك : الخَمْطُ : الأَرَاك[١] ، وكذا قال الخليل .

قال أبو عُبيدة : الخَمْطُ : كلُّ شجرةٍ فيها مَرَارةٌ ، ذاتُ شوكٍ[٢] .

وقال القتبيُّ في أدب الكاتب : يُقال للحامضة خَمْطَةٌ ، ويُقال : الخَمْطةُ التي أخذت شيئاً من الريح ، وأنشد :

= وقد اختلفوا في عزو هذا البيت ، فبعضهم نسبه إلى النابغة ، وبعضهم إلى أمية بن أبي الصلت ، وهو في ديوانه ص ٤٠٩ والسمط ص ١٨ والقرطبي ٢٨٣/١٤ وذكره المبرد في الكامل وابن منظور في اللسان ، وأبو عبيدة في مجاز القرآن ١٤٧/٢ .

(١) **الأثر** أخرجه الطبري ٨١/٢٢ عن ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، ومجاهد ، وابن زيد ، كلهم قالوا : الخَمْطُ : الأَرَاك ، قال الطبري : جعل مكان بساتيهم من الفواكه والثمار ، بساتين من جَنَى ثَمرِ الأَرَاكِ ، والأراكُ : هو الخَمْطُ . اهـ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٣٣/٥ والقرطبي ٢٨٦/١٤ .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ١٤٧/٢ وما قاله أبو عُبيدة هو الأشبهُ بالصواب ، قال الزجاج ٢٤٩/٤ : الخمطُ : كل نبتٍ فيه مرارة لايمكن أكله ، وفي الصفوة ٥٥٠/٢ : أبدلهم الله بتلك البساتين الغناء ، بساتين قاحلة جرداء ، ذات أكل مرٍ بشع ، وشيء من الأشجار التي لاينتفع بثمرها كشجر الأثل والسدر .

عُقَارٌ كَمَاءِ النِّيءِ لَيْسَتْ بِخَمْطَةٍ
وَلَا خَلَّةٍ يَكْوِي الشُّرُوبَ شِهَابُها[1]

٢١ ــ **وقوله جلّ وعز : ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وهَلْ نُجَازِي إلاَّ الكَفُورَ ﴾** [آية ١٧] .

قال طاووس : هو المناقشةُ في الحساب ، من نُوقش عُذِّب[2] .

قال أبو جعفر : ويُبيِّن لك صِحَّةَ هذا ، ما رواه أيُّوبُ ، عن ابن أبي مُلَيْكَةَ ، عن عائشة أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال : (من حُوسِبَ عُذِّب ، قالت : قلت فإنَّ الله يقول : **﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِي كِتَابَهُ بِيمَينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابَاً يَسِيرَاً ﴾** فقال : إنَّما ذَاكِ العَرْضُ ، ولكنْ من نُوْقِشَ الحسَابَ عُذِّبَ[3] .

---

(١) البيت لأبي ذؤيب كما في اللسان ، والشاعر يصف الخمر بأنها ليست بِمُرَّةٍ ، وليس فيها حموضة تشبه الخَلَّ ، بل هي لذيذة تطرب الندامى ، وهي في لون اللحم النيء .

(٢) الأثر أخرجه القرطبي ٢٨٨/١٤ وابن كثير ٤٩٦/٦ والسيوطي في الدر المنثور ٢٣٣/٥ والمراد بالمناقشة : الاستقصاء في الحساب ، بحيث لا تُترك منه صغيرة ولا كبيرة إلاَّ ويحاسب عليها ، وعبارته : وقال طاووس : هو المناقشةُ في الحساب ، ومن نُوقش الحساب عُذِّب ، وهو الكافر لا يغُفر له . اهـ .

(٣) الحديثه أخرجه أحمد في المسند ٤٧/٦ والبخاري في صحيحه ٢٠٨/٦ ولفظه عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ : (ليس أحد يُحاسب إلاَّ هلك ، قالت قلتُ يارسول الله : جعلني اللهُ فداءك ، أليس يقول الله عز وجل ﴿ فأمَّا من أُوتي كتابَهُ بيمينهِ فسوف يُحاسب حساباً =

قال أبو جعفر : المعنى أن المؤمن يُكفِّر عنه سيِّئاته ، والكافرُ يُحبطُ عملُه ويُجازى ، كما قال جلَّ وعز ﴿ **أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ** ﴾[1] .

٢٢ ـ **وقوله جل وعزَّ** : ﴿ **وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً** .. ﴾ [آية ١٨] . .

قال الحسن : بين اليمن والشام ، قال : ﴿ **الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا** ﴾ : الشَّامُ[2] .

قال قتادة: ﴿ **قُرًى ظَاهِرَةً** ﴾ على الطريق متَّصلة[3] .

وقال مجاهد : يَرِدُون كلَّ يومٍ على مَاءٍ .

٢٣ ـ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ** ﴾ [آية ١٨] .

قال قتادة : يَغْدون ويَقيلون في قرية ، ويروحون[4] ويبيتون في

= يسيراً ﴾ ؟ قال : ذاكِ العرضُ ، ومن نُوقش الحساب هَلَكَ) وأخرجه مسلم في صحيحه بمثه ١٦٤/٨ والترمذي في سننه ٢٥٦/٩ من تحفة الأحوذي .

(١) سورة محمد آية رقم (١) وتمامها ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٨٣/٢٢ والقرطبي ٢٨٩/١٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٤٨/٦ .

(٣) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ٢٣٤/٥ وفي التسهيل ٣٢٥/٣ : وهذه الآية وما بعدها ، وصفُ حال سبأ ، قبل مجيء السيل وهلاك جنَّاتهم ، والقرى الظاهرة قرى متصلة من بلادهم إلى الشام ، ومعنى ﴿ ظاهرة ﴾ يظهر بعضها من بعض ، لاتصالها . اهـ .

(٤) في المخطوطة « ويرحلون » وصوابه « ويروحون » كما في القرطبي ٢٨٩/١٤ وزاد المسير ٤٤٨/٦ وهو الأنسب .

قرية ، يسيرون غير خائفين ، ولا جياع ، ولا ظِمَاءٍ ، وإنْ كانت المرأةُ لتَمُرُّ وعلى رأسها مِكْتلُها ، فلا ترجعُ إلاَّ وهو ملآن ثَمَراً ، من غير اجتناءٍ .

قال : فبَطِروا النِّعمة ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا [1] ﴾ [آية ١٩] .

٢٤ ــ قال الله جل وعز : ﴿ وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ .. ﴾ [آية ١٩] .

وقرأ عبدالله بن عباس وابنُ الحنفية[2] ﴿ رَبُّنَا بَاعَدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾[3] .

قال ابنُ عباس : شَكَوْا رَبَّهُمْ جَلَّ وعزَّ .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة والحسن ٨٤/٢٢ وأبو حيان في البحر ٢٧٢/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٢٣٤/٥ وقال ابن الجوزي في زاد المسير ٤٤٨/٦ « وكانت القرى متواصلة ، ينظر بعضها إلى بعض ، وكانوا يَغْدون فيقيلون في قرية ، ويروحُونَ فيبيتون في قريةٍ ، قاله الحسن وقتادة ، وقوله تعالى ﴿ سِيرُوا فيهَا لَيَالِيَ وأَيَّاماً آمِنِين ﴾ أي قلنا لهم : سيروا فيها ليلاً ونهاراً ، آمنين من مخاوف السفر ، من جوع أو عطش ، أو سَبُع ، أو تعب ، وكانوا يسيرون أربعة أشهر في أمان ، فبطروا النعمة وملُّوها ، كما ملَّ بنو إسرائيل المنَّ والسَّلْوى » اهـ .

(٢) ابن الحنفية : هو محمد بن أبي طالب « أبو القاسم » بن الحنفية ، المدني ، ثقة عالم من الثانية ، مات بعد الثمانين . اهـ تقريب التهذيب ١٩٢/٢ سمي ابن الحنفية لأن أمَّه من بني حنيفة ، كما ذكره ابن حجر في التهذيب ٣٥٤/٩ .

(٣) هذه القراءة ذكرها ابن الجزري في النشر في القراءات العشر ٣٥٠/٢ وهي قراءة يعقوب .

وقرأ يحيى بن يَعْمُر ، وعيسى : ﴿ رَبَّنَا بَعِّدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾[1] .

وقرأ سعيدُ بنُ أبي الحسن ــ أخو الحسين ــ : ﴿ رَبَّنَا بَعُدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا [2] .

والقراءةُ الأولى أَبْيَنُ ، وأهلُ التفسيرِ يقولون : بَطِرُوا النِّعمةَ ، وأخبرَ اللَّهُ جلَّ وعزَّ ، أنه عاقَبَهُمْ على ذلك ، إلاَّ أنه يجوز أن يكونوا قالوا هذا ، بَعْدَما باعَدَ اللهُ جلَّ وعزَّ بين أسفارهم ، أو يكونوا لبطرِهم استبعدوا القريب[3] .

وكانت العربُ تضربُ بهم المَثَل فتقول : « تَفَرَّقُوا أَيْدِيَ سَبأٍ »[4] و« أَيَادِيَ سَبَأٍ » أي مذاهب سَبَأٍ وطُرُقَها .

---

(١) هذه من القراءات السبع ، كما في كتاب السبعة لابن مجاهد ص ٥٢٩ .

(٢) عدَّها ابن جني في المحتسب ١٨٩/٢ من القراءات الشاذة .

(٣) قال أبو حيان في تفسيره البحر المحيط ٢٧٢/٧ « ولما طالت بهم مدة النعمة ، بطروا وملُّوا العافية ، وطلبوا استبدال الذي هو أدنى بالدي هو خيرٌ ، كما فعلت بنو إسرائيل ، وقالوا : لو كان جَنَى ثمارها أبعدَ ، لكان أشهى وأغلى قيمة ، فتمنوا أن يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ، ليركبوا الرواحل فيها ، ويتزودوا الأزواد ، فقالوا ﴿ رَبَّنا باعِدْ بينَ أسفارِنا ﴾ اهـ . أقول : الآية وردت على سبيل الحكاية عنهم ، أنهم سئموا العيش الهنيء ، وملُّوا الدَّعَة والراحة ، كما طلب بنو إسرائيل البصل والثوم مكان المنّ والسلوى .

(٤) في المثل « ذهبوا أيدي سبأ » « وتفرقوا أيادي سبأ » أي تفرقوا في طرقٍ شتَّى ، وفي اللسان مادة سبأ ضربت العرب بهم المَثَل في الفرقة ، لأنه لمَّا أذهب الله عنهم جنتهم ، وغرَّق مكانهم ، تبدَّدوا في البلاد ، ومنه قول كثيِّر عزَّة :

أَيَادِي سَبَا ياعَزُّ ما كُنْتُ بَعدكُمْ ... فَلَمْ يَحْلُ للعَيْنَيْنِ بَعْدَكِ مَنْزِلُ

٢٥ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسَ ظَنُّهُ ..(١) ﴾ [آية ٢٠] .

وهي قراءةُ الهَجْهَاجِ(٢) .

ويجوز ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إبليسُ ظَنَّهُ ﴾ في ظَنِّه(٣) .

رُوِي عن ابن عباس أنه قال : قال إبليسُ : خُلقتُ من نارٍ ، وخُلِق آدمُ صلى الله عليه من طينٍ ، ضعيفاً ﴿ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾(٤) .

ويُروى أنه قال : قد أغويتُ آدمَ على موضعِهِ وعلمِهِ ، فأنا على وَلَده أقدرُ ، فصدَّق ظنَّه .

ويُبيِّن هذا قولُه تعالى ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ، وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾(٥) وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ

---

(١) بفتح السين من إبليس ، والفاعلُ ظنُّه ، أي صَدَقَ ظنُّ إبليسَ فيهم ، عدَّها ابن جني من القراءات الشاذَّة ، وانظر المحتسب ١٩١/٢ .

(٢) قوله قراءة أبي الهجهاج هكذا في المخطوطة وإعراب القرآن للنحاس والمحتسب لابن جني ١٩١/٢ وفي روح المعاني والبحر المحيط « أبو الجَهْجَاهِ » الأعرابي من فصحاء العرب ، وانظر البحر ٢٧٣/٧ .

(٣) عبارة ابن الجوزي في زاد المسير ٤٥٠/٦ : صَدَق عليهم في ظنه بهم . اهـ .

(٤) الأثر ذكره في الدر المنثور ٢٣٤/٥ والقرطبي في تفسيره ٢٩٣/١٤ .

(٥) سورة الأعراف آية رقم (١٧) .

المُخْلَصِينَ ﴾[1] فإنما قال هذا ظَنّاً ، فصَدَق ظَنُّه[2] .

ومن قرأ ﴿ صَدَّقَ ﴾[3] صيَّر الظنَّ مفعولاً .

ومـن رفـع الظـنَّ ، ونصَب إبليسَ ، أراد : ولقـد صَدَق ظنُّ إبليس حين اتَّبعوه .

٢٦ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ .. ﴾ [آية ٢١] .

أي من حجة .

﴿ إلاَّ لِنَعْلَـمَ مَنْ يُؤْمِـنُ بِالآخِرَةِ ﴾ أي ما امتحناهـم به ، إلاَّ لنعلم من يؤمنُ بالآخرة ، علم شهادة[4] ، فأمَّا علمُ الغيب ، فاللهُ جلَّ وعزَّ عالمٌ به ، قبل أن يكون .

---

(١) سورة ص آية رقم (٨٢ ــ ٨٣) .

(٢) عبارة الطبري أوضح فقد قال : إن إبليس قد صَدَق على الكفـار في ظنـه ، وصَدَق عليهم ظَنُّـه ، حين قال ﴿ ثم لآتينَّهـم من بينِ أيديهِـم ومِـنْ خَلْفِهِـمْ .. ﴾ وحين قال ﴿ ولأُضِلَّنَّهُـمْ وَلآمُرَنَّهمْ .. ﴾ الآية ، قال ذلك عدوُّ اللـهِ ظنـاً منـه أن يفعـل ذلك ، لا علمـاً ، فصار ذلك حقاً باتباعهـم إيَّاه . اهـ وقـال ابـن الجوزي ٤٥٠/٦ : حقَّـق ما ظنَّـه فيهم بما فعـل بهم ، قال الحسنُ : واللّهِ ما ضَرَبَهـم بعصا ، ولا قهرهـم على شيء ، إلا أنـه دعاهـم إلى الأمـاني والغـرور ، فأطاعوه . اه .

(٣) قرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿ صَدَّقَ ﴾ بتشديد الدال ، وقرأ ابن كثير ونافع ﴿ صَدَقَ ﴾ مخففاً كما ذكره ابن الجزري في النشر ٣٥٠/٢ وابن مجاهد في السبعـة ٥٢٩/٢ والقراءتان من القـراءات السبع .

(٤) المراد أنه تعالى يكشف للناس ويُظهر لهم علمه كشف ظهـور ، وإلا فإن اللـه سبحانـه يعلـم ما كان وما يكون ، ولا حاجة إلى ابتلائهم ليعلم تعالى حالهم ، ولهذا قال المفسرون ﴿ إلا لنعلـم ﴾ علم ظهورٍ وشهادة ، لا علم غيب وخفاء .

٢٧ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ [آية ٢٢] .

قال أبو عُبيدة ﴿ من ظهير ﴾ أي من معين[١] .

٢٨ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ .. ﴾ [آية ٢٣] .

يجوز أن يكون المعنى : إلاَّ لمن أُذِنَ له أن يَشْفع[٢] .

وأن يكون للمشفوع .

والأَوَّلُ أبينُ ، لقوله تعالى ﴿ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ﴾ .

وقرأ ابنُ عباس ﴿ حتَّى إذَا فَزَّعَ عن قُلُوبِهِمْ ﴾[٣] أي فَزَّع

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ١٤٧/٢ .

(٢) يجوز أن يكون الضمير عائداً إلى الشافع أو إلى المشفوع له ، والمعنى على الأول أعني « الشافع » : « ولاتنفع شفاعة أحدٍ من الشفعاء ، إلاَّ لمن أذن له الرحمن بالشفاعة » ويدلُّ على هذا المعنى قوله تعالى ﴿ مَنْ ذَا الذي يشفع عنده إلاَّ بإذنه ﴾ ؟

أي لا تنفع شفاعة مَلَكٍ ، ولا نبيّ ، ولا وليٍّ ، حتى يأذن الله له في الشفاعة ، وهذا ما اختاره المصنف والجمهور .

والمعنى على الثاني : أي لا تنفع شفاعة أحد من الشفعاء إلا فيمن أذن لهم الرحمن بالشفاعة له ، ويكون وفيه ردٌّ على المشركين الذين كانوا يقولون ﴿ هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ .

(٣) هذه من القراءات السبع ، قال ابن مجاهد في السبعة ٥٣٠/٢ : قرأ ابن عامر ﴿ حتَّى إذا فَزَّع ﴾ مفتوحة الفاء والزاي ، وقرأ الباقون ﴿ فُزِّعَ ﴾ بضم الفاء وكسر الزاي ، وانظر أيضاً النشر ٣٥١/٢ .

اللَّهُ عزَّ وجل عن قلوبهم ، يُقال : فزَّعتُه : أزلتُ عنه الفَزَعَ[1] .

والمعـــروفُ من قراءة الحسن : ﴿ حتـــى إذا فُرِّغَ عن قُلُوبِهِمْ ﴾[2] أي فُرِّغ منها الفَزَعُ .

قال عكرمة : سمعتُ أبا هريرة يقـولُ : إنَّ نبـيَّ الله ﷺ قال : « إذَا قَضَى اللَّهُ الأمرَ في السَّماء ، ضَربتِ الملائكةُ بأجنـحتها خُضْعَانـاً للَّهِ جلَّ وعزَّ ، فيُسْمَعُ كالسِّلْسِلةِ على الصَّفْوان[3] ، فيقولون : مَاذَا قال ربُّكُمْ ؟

فيقـال للـذي قال : الحقَّ ، وهـو العلـيُّ الكبيـــرُ .. » وذكـــر وذكر الحديث[4] .

وقال عبدالله بن مسعود : « تسمع الملائكةُ في السماء للوحـي

---

(١) معنى ﴿ حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم ﴾ أي حتى إذا زال الفزع والخوف عن قلـوب الشفعـاء ، من الملائكة والأنبياء .

(٢) قراءة الحسن ﴿ فُرِّغ عن قلوبهم ﴾ بالراء غير المعجمة وبالغين المعجمة من القراءات الشاذة وقـد ذكرها ابن جني في المحتسب ١٩٢/٢ من الشواذ ، وانظر زاد المسير لابن الجوزي ٤٥٢/٦ .

(٣) الصفوان : الحجر الأملس .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ١٥٢/٦ من حديث أبي هريرة ، وتمامه « فيسمعها مسترق السمع ، ومسترقُ الســمع هكـذا بعضُه فوق بعض ، فيسمـع الكلمـة فيلـقيها إلى من تحته ، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحـر أو الكاهـن ، فيكـذب معهـا مائة كذبة . فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا ، كذا وكذا ، فيُصدَّق بتلك الكلمـة التـي سمع من السمـاء » وأخرجـه الترمـذي رقـم ٣٢٢٣ وقـال الترمـذي : هذا حديث حسن صحيـح ، وأخرجه أبو داود ، وابن ماجه بنحوه ، وانظر تحفة الأحوذي ٩٠/٩ والدر المنثور ٢٣٦/٥ .

صوتاً ، كصوت الفولاذ على الصَّفا ، فيخِرُّون على جباهِهِمْ ، فإذا جُلِّي عنهم ، قالوا للرُّسل : ماذا قَالَ ربُّكم ؟ فيقولون : الحقَّ ، الحقّ »[١] .

وقال قتادة : لمَّا كانتَ الفترة بين عيسى ومحمد صلَّى الله عليهما وسلم فنزل الوحي ، خرَّت الملائكةُ سُجَّداً ﴿ **حتى إذا فُزِّع عَنْ قُلُوبِهِمْ** ﴾ أي جُلِّي.

﴿ **قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ** ﴾ ؟ قالوا : الحقَّ[٢] .

٢٩ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾** [آية ٢٤] .

المعنى : وإنا لَعَلى هُدَى أو في ضلالٍ مبين ، أو إيَّاكم لعلى هدىً أو في ضلال مبين .. ثم حُذف .

وهذا على حُسْنِ المخاطبة والتقرير ، أي قد ظهرتِ البراهينُ ، وتبيَّن الحقُّ ، كما يُقال : قد علمتَ أيُّنا الكَاذِبُ[٣] ؟ .

---

(١) الحديث عن ابن مسعود أخرجه أبو داود في سننه رقم (٤٧٣٨) وأورده السيوطي في الدر ٢٣٦/٥ وزاد نسبته لابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي ، وانظر تفسير ابن الجوزي ٤٥٢/٦ .

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ٢٣٦/٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٥٣/٦ والقرطبي في تفسيره ٢٩٧/١٤ ولفظُه : « كان بين عيسى ومحمد عليهما السلام فترةُ خمسمائة وخمسين سنة ، لا يجيء فيها الرسل ، فلما بعث الله تعالى محمداً ﷺ كلَّم الله جبريل بالرسالة ، فلما سمعت الملائكة الكلام ، ظنوا أنها الساعة قد قامت ، فصعقوا مما سمعوا » اهـ .

(٣) هذا أسلوبٌ « استدراج المخاطب » والتعريضُ فيه أبلغ من التصريح ، إذ فيه ملاطفةٌ وتنزُّلٌ في المجادلة مع الخصم ، إلى غاية الإنصاف ، كما تقول للرجل تكذِّبه : والله إنَّ أحدنا لكاذبٌ ، =

قال **قتادة** : ﴿ ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا ﴾ أي يقضي بيننا[1] .

٣٠ ــ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ .. ﴾
[آية ٢٨] .

قال **مجاهد** : أي إلى النَّاس جميعاً[2] .

وقال **النبي** ﷺ : (أُرْسِلتُ إلى كلِّ أحمرَ وأسودَ)[3] .

٣١ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا القُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ .. ﴾ [آية ٣١] .

قال **أبو إسحق**[4] : يعني الكتبَ المتقدِّمة ، وهم كفَّارُ العربِ[5] .

= وأنت واثق من صدقك وكذبه ، فقد كذَّبته تكذيباً غير مكشوف ، وهو أبلغ من التصريح ، الذي يثير حفيظته ، وانظر البحر المحيط ٢٧٥/٧ فقد أبدع في هذا وأجاد .

(١) في المصباح المنير ١١٤/٢ : فَتح الحاكمُ بين النَّاس فتحاً : قَضَى ، فهو فَاتِحٌ ، وفتَّاحٌ للمبالغة . اهـ والأثر في الطبري ٩٥/٢٢ .

(٢) الأثر أخرجه في الدر المنثور ٢٣٧/٥ ، وهذا التفسير مجمعٌ عليه ، ويدلُّ له قوله تعالى ﴿ قل يا أيُّها النَّاسُ إنِّي رسُولُ اللَّهِ إليكُمْ جَمِيعاً ﴾ وقوله ﴿ ليكون للعَالمين نَذِيراً ﴾ وفي الكلام تقديمٌ وتأخير ، التقدير : وما أرسلناك إلاَّ للنَّاسِ كافةً أي عامَّة قال ابن عطية و« كافَّةً » حالٌ من الناس قُدِّمت للاهتمام ، وانظر التسهيل ٣٢٨/٣ .

(٣) هذا طرف من حديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ٣٧٠/١ ولفظه : « أُعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ قبلي : كان كلُّ نبي يُبعث إلى قومة خاصَّةً ، وبُعثتُ إلى كلِّ أحمر وأسود .. » الحديث وأخرجه أحمد في المسند ٣٠١/١ .

(٤) « أبو إسحق » كنية الإمام الزجاج ، النحوي ، اللغوي ، المفسِّر ، أقدم أصحاب المبرد . وقد تقدمت ترجمته ٧٤/١ .

(٥) في البحر ٢٨٢/٧ : يُروى أن كفار مكة سألوا أهل الكتاب عن محمد ﷺ فأخبروهم أنَّهم=

٣٢ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .. ﴾ [آية ٣٣] .

روى معمرٌ عن قتادة : أي بل مكرُكُمْ باللَّيل والنَّهار[١] .

وقرأ سعيد بن جبير ﴿ بل مَكَرُّ اللَّيلِ والنَّهارِ ﴾ من الكرور[٢] .

وقرأراشدٌ ــ وهو الذي كان ينظر في المصاحف وقتَ الحجَّاج ــ ﴿ بَلْ مَكَرَّ اللَّيلِ والنَّهارِ ﴾[٣] .

والمعنى : وقتَ مَكَرِّ الليل والنَّهار .

٣٣ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ إلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [آية ٣٤] .

أي رؤساها ، ومتكبِّروها ، وقادتُها[٤] .

= يجدون صفته في كتبهم ، فأغضبهم ذلك ، وقرنوا إلى القرآن الكفرَ بكتبِ اللّهِ ، والمشهورُ أن ﴿ الذي بين يديه ﴾ التوراة والإنجيل ، وما تقدم من الكتب ، وهو مروي عن ابن جريج . اهـ .

(١) المكرُ أصله في كلام العرب : الاحتيالُ والخديعة ، يقال رجلٌ ماكرٌ ومكّارٌ ، وأضيفَ المكرُ إلى الليل والنهار لأنه ظرف له ، أي مكركم بنا في الليل والنهار ، هو الذي صدَّنا عن الإيمان ، ودلَّت الإضافة على كثرة المكر ودوامه ، بالليل والنهار وانظر البحر ٢٨٣/٧ .

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب ١٩٣/٢ أي ممرُّ الليل والنهار علينا جعلنا غافلين ، وهو بعيد ، والصحيح أنها من المكرِ ، لا من الكرور .

(٣) هذه القراءة بالتشديد والنَّصب « مَكَرَّ » هي من القراءات الشاذة كما ذكرها في المحتسب ١٩٣/٢ .

(٤) الأثر أخرجه ابن أبي حاتم عن قتادة قال « هم جبابرتهم ، ورءوسهم ، وأشرافهم ، وقادتُهم في الشرّ » كذا في الدر المنثور ٢٣٨/٥ .

أقول : المترفون هم : أهل الغنى والتنعم في الدنيا ، وهم الذين يبادرون إلى تكذيب الأنبياء ، والقصدُ بالآية تسليةُ النبي ﷺ على تكذيب أكابر قريش له ﷺ .

٣٤ ـ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى .. ﴾ [آية ٣٧] .

المعنى : وما أموالكم بالتي تقرِّبُكم ، ولا أولادكم بالَّذين يقرِّبُونكم ، ثم حذف[١] .

٣٥ ـ وقوله جل وعزَّ ﴿ فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا .. ﴾ [آية ٣٧] .

أي جزاء الضِّعِف[٢] الذي أعلمناكموه ، وهو قوله تعالى ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[٣] .

٣٦ ـ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ .. ﴾ [آية ٣٩] .

---

(١) أي حُذف خبر الأول لدلالة الثاني عليه ، واستشهد له الفرَّاءُ بقول الشاعر :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ ، والرأي مختلف

أي نحن بما عندنا راضون ، وأنتَ بما عندك راض ، فحذف الأول لدلالة الثاني وانظر الفراء ٣٦٣/٢ ومعنى « الزلفى » القُرْبى قال في المصباح : الزُّلفةُ والزُّلفي : القُربة أي ليست أموالكم ولا أولادكم تقرِّبكم عند الله قربى ، إنما يقربكم العمل الصالح .

(٢) لا يراد بالضعف في الآية مثل الشيء ، إنما يراد أن له الجزاء المضاعف أي تضعيف الحسنات إلى عشر أمثالها فما فوق ذلك .

(٣) سورة الأنعام آية ١٦٠ .

رَوَى المنهال عن سعيـــد بن جبير قال : في غير سرفٍ ، ولا تقتير[1] .

أي فاللَّهُ جلَّ وعزَّ يُخلِفُه بالثَّواب[2] .

٣٧ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ .. ﴾ [آية ٤٤] .

أي لم يكونوا أهل كتاب ، ولم يُبعث إليهم نبيٌّ قبل محمد صلى الله عليه وسلم[3] .

٣٨ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ .. ﴾ [آية ٤٥] .

---

(١) ذكره الطبري ٢٢/١٠١ والسيوطي في الدر ٥/٢٣٨ .

(٢) الإخلاف قد يكون بالبدل أو بالثواب والمعنى : ما أنفقتموه في طاعة الله ، فالله يخلفه عليكم ، إما عاجلاً أو آجلاً ، في الدنيا أو الآخرة .

(٣) عبارة الطبري ــ وعزاه إلى قتادة ــ : ما أنزل الله على العرب ، كتاباً قبل القرآن ، ولا بعث إليهم نبياً ، قبل محمد ﷺ الطبري ٢٢/١٠٣ .

قال قتادة : أي كذَّب الَّذِينَ قبلَ هؤلاءِ ، وما بَلَغ هؤلاءِ معشارَ ما أُوتي أولئكَ ، كانوا أَجْلَدَ ، وأقْوَى ، وقد أُهْلِكُوا[1] .

قال أبو جعفر : ﴿ **مِعْشَارَ** ﴾ بمعنى عُشْرٍ[2] ، ونظير هذه الآية قوله تعالى ﴿ **وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ** ﴾[3] .

٣٩ ـ **وقوله جل وعز** : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ..** ﴾ [آية ٤٦] .

قال قتادة : أي واحدةٌ أعظكم بها ، أن تقوموا للَّهِ ، وهذا وعظُهم .

والمعنى : على قول قتادة : ﴿ **إِنَّمَا أَعِظُكُم** ﴾ بخصلةٍ واحدة ، ثم بيَّنها فقال : ﴿ **أَنْ تَقُومُوا لِلَّه مَثْنَى ، وَفُرَادَى** ﴾[4] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٠٣/٢٢ والسيوطي في الدر المنثور ٢٤٠/٥ ومعنى الآية : كذَّب قبل كفار مكة ، أقوامٌ كانوا أشدَّ من هؤلاء بطشاً ، وأكثر أموالاً وأولاداً ، وأوسع عيشاً ، فأهلكناهم كعاد وثمود .

(٢) في البحر : المِعْشار مِفْعال من العَشْر ، ولم يُبْنَ على هذا الوزن من ألفاظ العدد غيرُه ، وغيرُ المرباع ، ومعناهما : العُشْرُ ، والرُّبع ، وقال قوم : المِعْشَارُ : عُشْر العُشر ، فيكون جزءاً من مائة .

(٣) سورة الأحقاف آية رقم (٢٦) .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ١٠٤/٢٢ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٦٥/٦ ولفظه : إن الخصلة التي أعظكم بها ، قيامكم وتشميركم لطلب الحق ، وليس بالقيام على الأقدام ، ومعنى ﴿ مثنى وفرادى ﴾ أي يجتمع اثنان فيتناظران في أمر محمد ﷺ أو يتفكر الرجل وحده . اهـ وقال ابن =

وقال مجاهد : ﴿ بِوَاحِدَةٍ ﴾ بطاعةِ الله جلَّ وعز : وقيل : بتوحيده[1] .

والمعنى على هذا : لأَنْ تقومُوا لِلَّهِ مثْنَى وفُرَادى ، ثم تَتَفكَّرُوا ما بِصَاحِبكُمْ مِن جِنَّة .

أي يقوم أحدكم وحده ، ويشاور غيره فيقول : هل علمتَ أن هذا الرجل كَذَبَ قطُّ ، أو سَحَرَ ، أو كَهَنَ ، أو شَعَر ، ثم تتفكروا بعد ذلكَ ، فإنه يُعْلَمُ أنَّ ما جاء به من عند الله جلَّ وعزَّ[2] .

ويُقال : إنَّ من تَحَيَّر في أمرٍ ، ثم شَاوَر فيه ، ثم فكَّر بعد ذلك ، تبيَّن له الحقُّ واعتبر .

٤٠ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ .. ﴾
[آية ٤٧] .

= كثير : معناه أن تقوموا قياماً خالصاً لله ، من غير هوى ولا عصبيَّة ، فيسأل بعضكم بعضاً هل بمحمد من جنون ؟ فينصح بعضكم بعضاً . اهـ .

(١) ذكر هذا الأثر الطبري ١٠٤/٢٢ والسيوطي في الدر ٢٤٠/٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٦٥/٦ والقرطبي ٣١١/١٤ .

(٢) معنى الآية دقيق ، ويحتاج إلى توضيح ، ومعناها كما ذكره المفسرون : إنما أنصحكم أيها الناس بخصلةٍ واحدة هي أن تقوموا اثنين اثنين ، للمناظرة في الأمر ، وطلب التحقيق ، وتقوموا واحداً واحداً لإحضار الذهن ، واستجماع الفكرة ، ثم تتفكروا في أمر محمد ﷺ ، فتعلموا أنه ما به جنون ، لأنه جاء بالحق الواضح ، وأقواله وأفعاله تدل على رجاحة عقله ، وأنه بلغ في الحكمة مبلغاً عظيماً ، فيدلكم ذلك على أنه ليس بمجنون ، ولا بمفترٍ على الله .

أي ما سألتكم من أجرٍ على تأدية الرسالة ، ودعائكم إلى القبول ، فهو لكم .

٤١ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾** [آية ٤٨] .

﴿ يَقْذِفُ بالحقِّ ﴾ أي يأتي به[١] .

قال قتادة : ﴿ بالْحَقِّ ﴾ : أي بالقرآن[٢] .

٤٢ ــ **وقوله جل وعزَّ : ﴿ قُلْ جَاءَ الحَقُّ ومَا يُبْدِىءُ البَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾** [آية ٤٩] .

أيْ وأيُّ شيءٍ يُبْدِىءُ البَاطِلُ[٣] ؟

ويجوز أن تكون « ما » نافية .

---

(١) أصل القذف : الرميُ بالحصي أو بالسهم أو بالكلام ، ويستعار لمعنى الإلقاء والإتيان ، فالمعنى : يلقي الحقَّ إلى أنبيائه ورسله ، أو يرمي الباطلَ بالحقِّ فيذهبه ، وهو قول ابن عباس .

(٢) الأثر أخرجه القرطبي ٣١٣/١٤ وابن جرير ١٠٦/٢٢ وقال في البحر : أي يُبيِّن الحجة ويظهرها .

(٣) على هذا التفسير تكون « ما » استفهامية ، أي ماذا يُبدىء الباطل ، وماذا يُعيد ؟ وعلى القول الثاني يكون المعنى : ذهب الباطل وتلاشى بحيثُ لا يبقى له إبداء ولا إعادة ، وهو مثلٌ يُضرب للهلاك والضياع كأنه يقول : ذهب الباطل بمجيء الحق ، فلم يبق منه بقية ، قال الزمخشري : إذا هلك الإنسان لم يبق له إبداءٌ ولا إعادة ، فجعلوا قولهم : فلان لايبدي ولايُعِيدُ ، مثلاً في الهلاك .

قال قتادة : ﴿ **البَاطِلُ** ﴾ : الشيطانُ ، ما يخلقُ أحـدا ولا يبعثهُ[1] .

٤٣ ــ **وقوله جل وعزّ : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ .. ﴾** [آية ٥١] .

قال الضحاك : هذا في الدنيا[2] .

قال سعيد بن جبير : يُخسف بهم بالبيداء ، فلا يَسْلَم منهم إلاّ رجلٌ واحدٌ ، يُخَبِّرُ النَّاسَ بخبرِ أصحابه[3] .

قال قتادة : هذا في الدنيا ، إذا رأوا بأسَ اللّهِ جلَّ وعز[4] .

وقال الحسن : هذا إذا خرجوا من قبورهم[5] .

---

(١) هذا الأثر ذكره الطبري ١٠٦/٢٢ والقرطبي ٣١٣/١٤ وذكره الحافظ ابن كثير ٥١٤/٦ ولم يرتضه حيث قال : وزعم قتادة والسدي أن المراد بالباطل هنا « إبليس » أي إنه لا يخلق أحداً ولا يُعيده ، ولا يقدر على ذلك ، وهذا ــ وإن كان حقاً ــ ولكن ليس هو المراد ههنا ، والله أعلم .

(٢ــ٥) ذكر هذه الآثار عن السلف المفسرون « الطبري ، والقرطبي ، وابن الجوزي ، وصاحب الدر المنثور » وغيرهم وأصح ما قيل فيها ما ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٥١٥/٦ قال المعنى : ولو ترى يا محمد إذا فزع هؤلاء المكذبون يوم القيامة ، فلا مفرَّ لهم ولا وزر ولا ملجأ ﴿ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ أي لم يكونوا يُمْنعون من الهرب ، بل أُخذوا من أول وهلة .. ثم قال بعد أن ذكر أقوال السلف : والصحيح أن المراد بذلك يوم القيامة وهو الطامة العظمى . اهـ . وكذلك قال أبو حيان في البحر المحيط ٢٩٢/٧ حيث قال : والظاهر أن قوله تعالى ﴿ ولو ترى إذ فزعوا ﴾ أنه وقت البعث ، وقيام الساعة ، وكثيراً ما جاء في القرآن ﴿ ولو ترى إذ وُقفوا على النار ﴾ ﴿ ولو ترى إذِ المجرمون ناكسوا رءوسهم ﴾ وكل ذلك يوم القيامة . اهـ .

قال أبو جعفر : هذه الآية مشكلةٌ .

والمعنى على القول الأول :

إذا فزعوا في الدنيا حين نزل بهم الموتُ ، أو غيرهُ ، من بأسِ اللَّهِ ، كما قال جل وعزَّ ﴿ **فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ . فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ..** ﴾[١] .

والمعنى على قول الحسن : إذا فزعوا حين خروجهم من قبورهم ، فلا فوتَ يَصِلُونَ إليهِ ، ولا مَلْجأً ولا مَهْرب .

كما قال قتادة ﴿ **ولاتَ حينَ مَناصٍ** ﴾[٢] .

٤٤ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ** ﴾ [آية ٥١] .

أي قريبٍ على اللَّهِ جلَّ وعز ، أي لأنهم حيث كانوا فهم من اللَّهِ قريبٌ ، لا يَبْعُدونَ عنه .

وقيل : ولو ترى الكفَّارَ إذْ فزعوا يوم القيامةِ ، من مكانٍ قريب

---

(١) سورة المؤمن آية رقم (٨٤ ــ ٨٥) .

(٢) قول الحسن يشير إلى فزعهم من صيحة النشور ، حين يخرجون فزعين من القبور ، وهو أقرب من قول السدي وابن زيد إنه يوم بدر ، ومعنى ﴿ فَلاَفَوْتَ ﴾ أي لايمكنهم أن يفوتوا ، لأنه لا مخلص لهم ولا مهرب ، واستشهد قتادة بالآية ﴿ وَلَاتَ حينَ مَناصٍ ﴾ أي وليس الحينُ حينَ فرارٍ ، ومهرب ونجاة .

أي من جهنَّم[1] ، فأُخِذُوا فقذِفوا فيها .

٤٥ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [آية ٥٢] .

قال مجاهد : ﴿ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ ﴾ أي باللَّهِ جل وعزَّ[2] .

[**وقال قتادة**][3] : أي بمحمدٍ صلَّى الله عليه وسلم .

﴿ وَأَنَّى لَهُمْ التَّنَاوُشُ من مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [آية ٥٢] .

قال الحسن وأبو مالك : أي التوبة[4] .

---

(١) المكان القريب : هو من الموقف إلى النار ، أو من ظهر الأرض إلى بطنها ، وكل شيء بالنسبة إلى اللَّه قريب ، سواء كان من الدنيا ، أو من القبر ، أو من المحشر ، فالكل عليه سبحانه سهلٌ يسير ، قال في البحر : ووصفُ المكانِ بالقرب ، من حيث قدرةُ اللهِ عليهم ، فحيثما كانوا فإنه تعالى قريب . اهـ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٠٩/٢٢ والقرطبي ٣١٥/١٤ والسيوطي في الدر المنثور ٢٤٣/٥ وابن الجوزي ٤٦٩/٦ .

(٣) سقط من المخطوطة « وقال قتادة » وقد أثبتناه من كتب التفسير ، لأنه قول آخر غير قول مجاهد فتنبه ، وقول قتادة إنه الإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام ، ذكره ابن الجوزي ٤٦٩/٦ والقرطبي ٣١٥/١٤ والألوسي ١٥٨/٢٢ .

(٤) حكاه المفسرون قال الطبري ١١٠/٢٢ ﴿ وأنَّى لهمُ التَّنَاوُشُ ﴾ أي وأين لهم التوبة والرجعة ، والتوبةُ المقبولة إنما كانت في الدنيا ، وقد ذهبت الدنيا فصارت بعيداً من الآخرة ؟! وقال في البحر : مثَّل حالهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من بعيد ، كما يتناوله الآخر من قريب ، وهو تمثيل لطلبهم ما لايكون ، وهو أن ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت . اهـ البحر ٢٩٣/٧ .

قال **مجاهد** : ﴿ التَّناوُشُ ﴾ : التَّناول[1] .

قال **قتادة** : ﴿ التَّناوُشُ ﴾ : تناوُل التَّوبةِ[2] .

قال **أبو جعفر** : هذا أبينُها ، يُقال : ناشَ يَنُوشُ : إذا تناول ، وأنشد النحويون :

« فهي تَنُوشُ الحَوْضَ نَوْشاً مِنْ عَلَا »[3]

ويُقال : تَنَاوشَ القَوْمُ : إذا تناوَل بعضُهم بعضاً ، ولم يَقْرَبُوا كلَّ القرب[4] .

والمعنى : ومن أين لهم تناول التوبةِ من مكانٍ بعيدٍ ؟

أي يبعدُ منه تقبُّل التوبة .

(١ـ٢) قول مجاهد وقتادة موافق لقول أهل اللغة ، ففي المصباح : نَاشَه نوشاً : تَنَاوَله ، والتناوش : التناوُل ، يُهمز ولا يُهمز . اهـ وقال الجوهري : التناؤش بالهمز : التأخر والتباعد . اهـ .

(٣) هذا صدرُ بيت لغيلان بن حُريث ، كما في اللسان ، مادة « نَوَش » وتمامُه :

فهيَ تَنُوشُ الحَوْضَ نَوْشاً مِنْ عَلَا ... نَوْشاً بِهِ تَقْطَعُ أَجْوَازَ الفَلَا

يريد أن الإبل عالية الأجسام ، طوال الأعناق ، وأنها تتناول الماء من الأعلى ، وهو يُعينها على قطع الفَلَوات .

(٤) انظر اللسان مادة « نَوَش » فقد قال : تناوَشَ القومُ في القتال : إذا تناول بعضهم بعضاً بالرماح ولم يتدانَوْا كلَّ التَّداني ، وفي حديث قيس بن عاصم : كنت أناوشهم وأهاوشهم في الجاهلية ، قال الزجاج : التناوشُ بغير همز : التناول والمعنى : وكيف لهم أن يتناولوا ما كان مبذولاً لهم وكان قريباً منهم ، كيف يتناولونه وقد بَعُد عنهم » يعني الإيمان بالله كان قريباً في الحياة فضيَّعوه .

وقرأ الكوفيون ﴿ التَّنَاؤُشُ ﴾ بالهمز ، وأنكره بعض أهل اللغة ،

قال : لأن « النَّأْشَ » البعدُ ، فكيف يكون : وأنَّى لهم البعد من مكان بعيد[1] ؟

قال أبو جعفر : وهو يُجوِّزُ أن تُهمزَ الواوُ لانضمامها ، ويكون بمعنى الأول[2] .

ورَوَى أبو إسحق عن التميمي عن ابن عباس ﴿ وأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ ﴾ .

قال : الردُّ ، سألوه وليس بحين ردٍّ[3] .

قال مجاهد : ﴿ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ ما بين الآخرة والدنيا[4] .

---

(١) ﴿ التَّنَاوشُ ﴾ و﴿ التَّنَاؤُشُ ﴾ كلاهما من القراءات السبعة ، قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم ﴿ التناوش ﴾ غير مهموز ، وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي ﴿ التناؤش ﴾ بالهمز ، قال الفراء : من هَمَز جعله من نأشتُ ، ومن لم يهمز جعله من نُشْتُ ، وهما متقاربان . اهـ وانظر معاني الفراء ٢/٣٦٥ .

(٢) قال الزجاج ٤/٢٥٩ : من هَمَز « التناؤش » فلأن واوَ التَّنَاوُش مضمومةٌ ، وكلُّ واوٍ مضمومةٍ ضمَّتُها لازمة ، إن شئتَ أبدلتَ منها همزة ، وإن شئتَ لم تُبدل . اهـ معاني الزجاج .

(٣) الردُّ : الرجوع إلى الدنيا ، وهذا الأثر ذكره ابن جرير الطبري ٢٢/١١٠ وابن كثير ٦/٥١٦ ولفظه : وعن ابن عباس : طلبوا الرجعة إلى الدنيا ، والتوبة مما هم فيه ، وليس بحين رجعةٍ ولا توبة .

(٤) معنى قول مجاهد : من أين لهم تناول الإيمان ، وهم الآن في الآخرة ؟ ومحل الإيمان في الدنيا ، وقد ذهبت الدنيا فصارت منهم بمكان بعيد ؟ فذلك مطلبٌ مستبعد .

قال **أبو جعفر** : هذا يرجع إلى الأوّل .

٤٦ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾** [آية ٥٣] .

أي قد كفروا بمحمد ﷺ في الدنيا ، حين لاينفعهم إيمانهم .

﴿ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ .

قال قتادة : أي بالظنّ ، قال يقولون : لابعث ، ولا جنة ، ولا نار[1] .

قال مجاهد : ﴿ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾.

قولهم : هو ساحرٌ ، وهو كاهنٌ ، وهو شاعرٌ[2] .

٤٧ ــ **ثم قال جل وعز : ﷺ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ .. ﴾** [آية ٥٤] .

(١ــ٢) ذكرهما ابن جرير الطبري ١١١/٢٢ والسيوطي في الدر ٢٤٢/٥ والقرطبي ٣١٧/١٤ ثم قال : والعرب تقول لكل من تكلم بما لا يعرفه عن يقين : هو يقذفُ بالغيب ، على جهة التمثيل ، لمن يرجم ولا يصيب . اهـ

قال الحسنُ : وحيل بينهم وبين الإيمان لمَّا رأوا العذاب ، يعني : قبول الإيمان[1] .

قال مجاهد : حيل بينهم وبين زهرة الدنيا ولذَّتها ، وأموالِهم وأولادهم[2] .

﴿ **كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ** ﴾ قال مجاهد : أي بالكفار قبلهم .

﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوْا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ** ﴾ فأخبَرَ جلَّ وعزَّ أنه يُعذِّب على الشكِّ[3] .

« **انتهت سورة سبأ** »

* * *

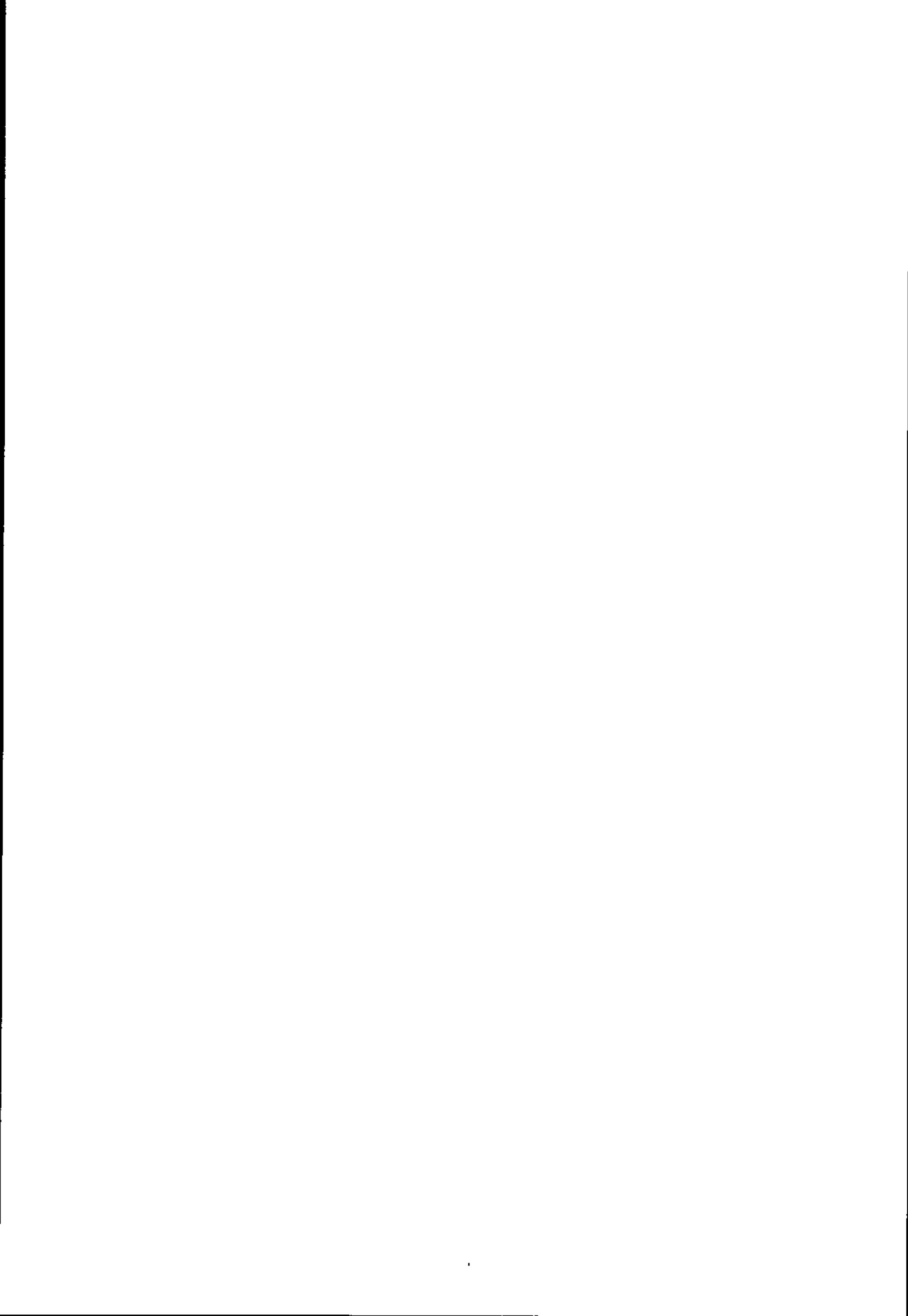
(١ ــ ٢) ذكرهما الطبري عن الحسن ومجاهد ، واختار قول الحسن أنه حيل بينهم وبين الإيمان ، وهو الأظهر والله أعلم . اهـ .

(٣) أي يعذب على الشك في أمر الله والدين ، قال قتادة : إياكم والشكَّ والريبة ، فإن من مات على شكٍّ بعث عليه ، ومن مات على يقينٍ بُعث عليه . اهـ الدر المنثور ٢٤٢/٥ .



تفسير سورة فاطر

مكية وآياتها ٤٥ آيـــة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة فاطر وهي مكيّة

١ ـ من ذلك قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ .. ﴾ [آية ١] .

قال ابن عباس : ما كنتُ أدري ما ﴿ فاطرُ ﴾ حتَّى اختصم إليَّ أعرَابيَّانِ في بئرٍ ، فقالَ أحدُهُما : أَنَا فَطَرْتها أي ابتدأتُها[١] .

٢ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ جَاعِلِ المَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ .. ﴾ [آية ١] .

الرسل منهم : « جبريلُ ، وميكائيلُ ، وإسرافيلُ ، ومَلَكُ الموتِ » صلى الله عليهم[٢] .

وقوله تعالى ﴿ أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ أي أصحاب أجنحة : اثنين اثنين ، وثلاثة ثلاثة ، وأربعة أربعة ، في كل جانب[٣] .

---

(١) هذا الأثر عن ابن عباس مشهور ، أخرجه القرطبي ٣١٩/١٤ وابن كثير ٥١٩/٦ والسيوطي في الدر ٢٤٤/٥ وهذا من حبر الأمة ، إشارة إلى أن القرآن لا ينبغي أن يُفسَّر إلاَّ بمقتضى أساليب العرب ، فمن لم يعرف الأسلوب البياني العربي ، لا يجوز له أن يقتحم هذا الميدان .

(٢) هؤلاء المذكورون « جبريل ، ميكائيل ، إسرافيل ، ملك الموت » هم سادة الملائكة وعظماؤهم ، وهم الرسلُ بين الله عز وجل وأنبيائه ، ومكانتهُم بين الملائكة ، كمكانة أولي العزم بين الأنبياء والمرسلين .

(٣) قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية ٥١٩/٦ : ﴿ جَاعِلِ الملائكةِ رُسُلاً أُوْلي أَجْنِحَةٍ ﴾=

٣ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ يَزِيدُ فِي الخَلْقِ مَا يَشَاءُ .. ﴾** [آية ١] .

أي يزيد في خلق الملائكة ما يشاء(١) .

وقال الزهري : ﴿ يَزِيدُ في الخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ : حُسْنُ الصَّوْتِ(٢) .

والأَوَّلُ أَوْلَى .

٤ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا .. ﴾** [آية ٢] .

= أي جعلهم رسلاً بينه وبين أنبيائه ، أصحاب أجنحةٍ يطيرون بها ليبلّغوا ما أُمروا به سريعاً ، منهم من له جناحان ، ومنهم من له ثلاثة ، ومنهم من له أربعة ، ومنهم من له أكثر من ذلك ، كما جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ رأى جبريل ليلة الإسراء ، وله ستمائة جناح ، بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب ، ولهذا قال تعالى ﴿ يزيد في الخلق ما يشاء ﴾ أي يزيد في الأجنحة وخلقهم ما يشاء .

(١) هذا قول ابن عباس وعليه جمهور المفسرين ، أن المراد بالآية يزيد في خلق الملائكة كيف يشاء ، من ضخامة الأجسام وتفاوت الأشكال ، وتعدد الأجنحة ، وقوة الطيران والسرعة الخ . قال أبو حيان : « وإنما جعلهم أولي أجنحة ، لأنه لما جعلهم رسلاً جعل لهم أجنحة ، ليكون أسرع لنفاذ الأمر ، وسرعة إنفاذ القضاء ، فإن المسافة بين السماء والأرض ، لا تُقطع بالأقدام إلاَّ في سنين ، فجُعِلتْ لهم الأجنحةُ ، حتى ينالوا المكان البعيد في الوقت القريب ، كالطير » . اهـ البحر المحيط ٧/٢٩٩ .

(٢) الأثر أخرجه القرطبي ، وابن الجوزي ، وابن كثير ، عن الزهري وابن جريج ، ورواه عن الزهري البخاريُ في الأدب ، وابن أبي حاتم في تفسيره ، وحسن الصوت لونٌ من ألوان الزيادة في الخلق ، وهو قول مرجوح ، والأظهر ما قاله ابن عباس .

أي ما يأتي به اللَّهُ جلَّ وعزَّ ، من الغيثِ ، والرزقِ ، فلا يقـدرُ أحدٌ على ردِّهِ .

وقال قتادة : ﴿ **مِنْ رَحْمَةٍ** ﴾ من خيـرٍ ، فلا يقـدر أحـدٌ على حَبْسِهِ[1] .

٥ ــ **وقوله تعالى :** ﴿ **لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ** ﴾ [آية ٣] .

أي فمـن أيـن تُصرفـونَ عن التَّوحيـدِ ، والإيمانِ بالبـعثِ ، بعـد البراهين والآيات ؟

٦ ــ **وقولُـه جلَّ وعـز :** ﴿ **فَلَا تَغُرَّنَّكُـمُ الحَيَـاةُ الدُّنيَـا وَلَا يَغُرَّنَّكُـمْ بِاللَّهِ الغَرُورُ** ﴾ [آية ٥] .

رَوى معمرٌ عن قتادة قال : ﴿ **الغَرُورُ** ﴾ : الشيطانُ[2] .

---

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ٥/٢٤٤ والطبري ٢٢/١١٥ وهـذا القـول هو ما اختـاره جمهـور المفسرين ، والمعنى : ما يفتـح اللـه من خزائـن رحمتـه ، من نعمـةٍ ، وصحـةٍ ، وأمـنٍ ، وعلـمٍ ، وحكمةٍ ، ورزقٍ وغير ذلك من صنوف الخير والنعماء ، فلا يقـدر أحـد على إمساكـه ، ويؤيـده الحديث الصحيح « اللهم لا مانع لما أعطيتَ ، ولا معطي لما منعت .. »

(٢) هذا الأثر أخرجه الطبري عن ابن عباس ٢٢/١١٧ وابـن كثير أيضاً ، وذكـره في الـدر ٥/٢٤٥ وهـو رأي جمهـور المفسريـن ، أن ﴿الغَرُورَ﴾ بفتـح الـغين : الشيطـان قالـوا : والمعنـى : لا يخدعنَّكم الشيطانُ بوساوسه ، فيمنِّيكم بالأماني ، ويطمعكم في رحمة الله .. الخ ويدل عليه قولـه بعده ﴿ إن الشيطان لكم عَدُوٌّ .. ﴾ .

وروَى شعبةُ عن سِمَاكِ بن حَرْب : ﴿ الغُرُورُ ﴾ بضمِّ الغَيْن[1] .

فقيل : إن هذا لايجوز ، لأنه إنما يُقال : غرَّه غرَّاً ، ولا يكاد يأتي المصدر على « فُعُولٍ » فيما يتعدى إلاَّ شاذّاً .

قال أبو جعفر : يجوز أن يكون « غُرُور » جمع غارٍّ[2] ، أو جمع غِرٍّ ، أو يُشبَّه بقولهم : نَهَكَه المرضُ نُهُوكاً ، ولَزِمَه لُزُوماً .

٧ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً .. ﴾ [آية ٨] .

الجوابُ محذوفٌ لعلم السَّامع ، فيجوز أن يكون المعنى : أفمن زُيِّن له سوءُ عملِهِ كمنْ هداهُ اللهُ جلَّ وعزَّ[3] ؟ ويكون يدلُّ على هذا المحذوف ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاء ﴾ .

---

(١) هذه قراءة أبي حيوة وأبي السَّماك ، كما في روح المعاني ١٦٨/٢٢ وليست من القراءات السبع ، والغُرورُ معناه : الباطلُ ، أي لا يغرنكم الباطلُ ، وهو ما يغتر به الإنسان من متاع الدنيا .

(٢) هذا قول الزجاج ٢٦٣/٤ كما تقله عنه في لسان العرب حيث قال « الغَرُورُ : ما غرَّك من إنسانٍ وشيطان وغيرهما ، وبه فسرت الآية قال الزجاج : ويجوز الغُرُورُ بضم الغين وهو الأباطيل ، ويجوز أن يكون الغُرور جمع غارٍّ كشاهد وشهود . اهـ اللسان مادة غرر .

(٣) هذا القول ذكره المفسرون : القرطبي ، والألوسي ، وابن الجوزي وغيرهم ، قال في زاد المسير ٤٧٥/٦ في الآية وجهان ذكرهما الزجاج :

أحدهما : أن الجواب محذوف والمعنى : أفمن زُيِّن له سوء عمله كمن هَدَاه الله ؟ .

والثاني : أن المعنى : أفمن زُيِّن له سوءُ عملِهِ فأضلَّه اللَّهُ ، ذهبتْ نفسك عليهم حسراتٍ ؟ =

ويجوز أن يكون المعنى : أفمن زُيِّنَ له سوءُ عملِهِ ذهبتْ نفسُكَ عليه ؟

ويكون يدلُّ عليه ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ﴾ .

٨ ـ وقوله جلَّ وعز : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَمِيعَاً .. ﴾ [آية ١٠] .

رَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : من كان يريدُ العزَّة بعبادة الأوثان(٢) .

قال الفرَّاء : من كان يريد علم العِزَّة(٣) .

ثم قال ﴿ فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَمِيعَاً ﴾ أي فالله عز وجل يعز من يشاء بطاعته .

= أقول : مما يرجح القول الأول ، أن المحذوف هنا ، ذُكر في موطن آخر ، كقوله تعالى ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كمنْ زُيِّنَ لهُ سُوْءُ عَمِلِهِ ﴾ ؟ وقوله ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أُنْزِلَ إليكَ من رَبِّكَ الحَقُّ كمنْ هُوَ أَعْمى ﴾ ؟ وقوله ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فأَحْيَيْنَاهُ .. إلى قوله : كَمَنْ مَثَلُهُ في الظُّلُمَاتِ .. ﴾ ؟ وأما القول الثاني فقد رجحه الكسائي والفراء ، وانظر معاني الفراء ٣٦٧/٢ وأما قوله تعالى ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ﴾ فهو تسلية للنبي عليه السلام عن حزنه لعدم إيمانهم .

(١) ذكر هذا الأثر الطبري ١١٩/٢٢ وفي البحر ٣٠٣/٧ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٧٧/٦ وابن كثير ٥٢٣/٦ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٣٦٧/٢ ولفظه : من كان يريد علم العزة ولمن هي ؟ فإنها لله جميعاً أي كل وجهٍ من العزة فللّه . اهـ وهو تأويلٌ بعيد .

وقال قتادة : فلْيتعَزَّزْ بطاعة اللَّهِ جلَّ وعزَّ[1] .

قال أبو جعفر : وأَوْلاها الأَوَّل ، لأنَّ الآيات التي قبلها ، وُبِّخ فيها المشركون بعبادة الأوثان ، فكان أولى بهذه أن تكون من جنس الحثِّ على فراقِ ذلك أيضاً .

٩ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ والْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ .. ﴾** [آية ١٠] .

في معناه ثلاثةُ أقوالٍ :

أ ــ من ذلك ما حدثنا بكرُ بنُ سَهْلٍ : قال : حدَّثنا أبو صالح ، عن معاوية بن صالح عن عليٍّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** ﴾ قال : الكلامُ الطيِّبُ : ذكرُ اللَّهِ جلَّ وعزَّ ، و﴿ **العَمَلُ الصَّالحُ** ﴾ : أداءُ فرائضه .

---

(١) هذا الأثر ذكره الطبري ٢٢/١٢٠ وابن كثير ٦/٥٢٣ وفي البحر ٧/٣٠٣ وهذا الوجه هو الأرجح والمعنى : من كان يريد العزة ، فبالله فليتعزَّز ، وبطاعته فليعتصم ، فإن العزة بيده وحده ، ومن اعتزَّ بغير الله ذلَّ ، كما قال الشاعر :

لِيكنْ بِرَبِّكَ كُلُّ عِزِّكَ يَسْتَقِرُّ ويَثْبُتُ فَإِذَا اعْتَزَزْتَ بِمَنْ يَمُوتُ فإن عزَّكَ ميِّتُ

وهذا القول هو الذي رجحه الطبري والقرطبي ، وقول مجاهد قريب منه ، لأن معناه : من كان يريد العزة بعبادته للأوثان ، فإنها جمادات لاتنفع ولا تضر ، فليترك الاعتزاز بها وليعتزَّ بالقويّ العزيز ، فهو سبحانه مالك الدنيا والآخرة ، ولا عزَّة إلاَّ للهِ ولأوليائه ﴿ ولِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنينَ ﴾ .

فمن ذكَرَ اللَّهَ سبحانه في أداءِ فرائضه ، حمَلَ عملُه ذِكْرَ اللَّـهِ ، فَصعِدَ إلى اللَّهِ سبحانه .

ومن ذَكَر اللَّهَ ، ولم يُؤدّ فرائِضهُ ، رُدَّ كلامُه على عملـه ، فكـان أولى به[1] .

قال أبـو جعفـر : وكـذلك قال الحسنُ ، وسعيـــدُ بن جُبير ، ومجاهد ، وأبو العالية ، والضحَّاكُ ، قالوا : العملُ الصَّالحُ يرفـعُ الكـلامَ الطيِّب[2] .

قال الحسن : فإذا كان كلامٌ طيِّبٌ ، وعمـلٌ سيّءٌ ، رُدَّ القـولُ على العمل ، فكان عملُك أَوْلَى بكَ من قولِكَ[3] .

---

(١) هذا الأثر أخرجه الطبري ١٢١/٢٢ عن ابـن عبـاس ، وذكـره في البحـر ٣٠٣/٧ والحافـظ ابـن كثير ٥٢٤/٦ وفي الدر ٢٤٥/٥ عن أبي هريرة موقوفاً وقال أخرجه ابن مردويه والديلمي . ومعنى قوله « فكان أَوْلى به » أي كان عمله السيىءُ أولى بكلامه ، فيحبط قوله وعمله وهـذا معـى قول الحسن البصري : يعرض القول على الفعـل ، فإن وافـق القـول الفعـلَ قُبِـل ، وإن خالفـه رُدَّ . وانظر البحر المحيط ٣٠٣/٧ .

(٢) عبارة الطبري في تفسيره ١٢١/٢٢ : وقال الحسن وقتادة : لا يقبـلُ اللهُ قولاً إلاَّ بعمـلٍ ، من قالَ وأحسنَ العملَ ، قَبِلَ اللهُ منه . اهـ .

(٣) انظر تفصيل الأقوال في زاد المسير لابن الجوزي ٤٧٨/٦ وفي البحر المحيط لأبي حيان ٣٠٣/٧ فيه تحقيقٌ علميٌّ نفيس ، فقد نقل أبو حيان عن ابن عطيـة فيمـا حُكـي عن ابـن عبـاس قال : « وهذا قولٌ يردُّه معتقد أهل السنة ، ولا يصحُّ عن ابن عبـاس ، والحقُّ أن المؤدي لفـرائضه ، إذا ذكر الله ، وقال كلاماً طيِّباً ، فإنه مكتوبٌ له متقبَّلٌ ، وله حسناتُه وعليـه سيئاتـه ، والله يتقبـل من كل من اتَّقى الشرك . اهـ أقول : ويؤيده قول الله جل ثناؤه ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ﴾ .

ب ــ وقال شهر بنُ حَوْشَب : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ : القرآنُ : ﴿ والعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ القرآنُ .

جـ ــ وَرَوَى معمرٌ عن قتادة قال : والعملُ الصالحُ يرفعهُ اللَّهُ عزَّ وجل[1] .

قال أبو جعفر : قولُ قتادة ليس ببعيدٍ في المعنى ، لأن الله عزَّ وجل يرفع الأعمال .

وقولُ شَهْرِ بن حَوْشَبٍ معناه : أن العملَ الصَّالح ، لا ينفعك إلاَّ مع التوحيد ، فكأنَّ التوحيدَ يرفعه .

إلاَّ أن القول الأوَلَ أَوْلاَهَا وأصحَّها لعلوٍّ من قال بِهِ ، وأنه في العربية أَوْلى ، لأن القُرَّاءَ على رفع العمل ، ولو كان المعنى : والعملُ الصالحُ يرفعُه اللَّهُ[2] ، أو والعملُ الصالح يرفعه الكلمُ الطيِّبُ ، لكان الاختيارُ نصبَ العَمَل ، ولا نعلم أحداً قرأه منصوباً ، إلاَّ شيئاً رُوِيَ عن عيسى بن عمرَ أنه قال : قرأه أناسٌ ﴿ والعملَ الصالحَ يرفعهُ ﴾[3] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ، والقرطبي ، وصاحب البحر المحيط ، وغيرهم من المفسرين .

(٢) سقط من المخطوطة لفظ « الله » والصواب إثباتها لضرورة تمام الكلام .

(٣) ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر ٣٠٤/٧ والألوسي في روح المعاني ١٧٥/٢٢ وليست من القراءات المعتبرة وإنما هي من الشواذ ، وقد رجح ابن عطية أن الضمير يعود على الله أي يرفعه الله ، بمعنى يقبله . وانظر المحرر الوجيز ٢٢٢/١٢ .

١٠ ـ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ [آية ١٠] .

رَوَى معمرٌ عن قتادة ﴿ يَبورُ ﴾ قال : يفسد(١) .

قال أبو جعفر : وقد بيَّن الله جلَّ وعزَّ هذا المكر في قوله ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ .. ﴾(٢) .

ورَوَى قيسٌ عن منصور عن مجاهد ﴿ وَمَكْــرُ أُوْلَــئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ قال : الرِّياءُ(٣) .

١١ ـ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ .. ﴾ [آية ١١] .

في معنى هذه الآية أقوال :

أ ـ فمن أحسنِها وأشبهِهَا بظاهر التنزيل ، قولُ الضحَّاك

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور عن قتادة ٢٤٦/٥ والمشهور في اللغة أن البوار هو الهلاك والبطلان قال في المصباح : بار الشيء يبور : هَلَك ، وبار الشيء بواراً ، كسد ،وقال القرطبي : بَارَ ، يبورُ إذا هلك وبطل ، وبارت السوقُ : كَسَدَتْ اهـ القرطبي ٣٣٢/١٤ .

(٢) سورة الأنفال آية (٣٠) والآية تحكي المؤامرة التي دبَّرها أشراف قريش في دار الندوة لقتل النبي عليه السلام .

(٣) الأثر في زاد المسير ٤٧٩/٦ وفي الدر ٢٤٦/٥ وابن كثير ٥٢٤/٦ والقرطبي ٣٣٢/١٤ والأولى العموم والمعنى : والذين يحتالون بطريق المكر والخديعة لإطفاء نور الله ، ويدبرون المؤامرات ، ويكيدون للإسلام والمسلمين ، لهم في الآخرة عذاب شديد ، ومكرهم هالك باطل ، وقد حقق الله ذلك إذ أخرجهم من مكة ، وقتل صناديدهم ورءوس الفتنة فيهم ، وهزمهم في بدر والأحزاب وحنين الخ وهو اختيار الحافظ ابن كثير ٥٢٤/٦ .

قال : « مَنْ قضيتُ له أن يُعمَّر حتى يدركه الهَرمُ ، أو يُعمَّر دونَ ذلك فكلٌّ ذلكَ بقضاءٍ ، وكلٌّ في كتاب »[1] .

قال أبو جعفر : والمعنى على هذا ﴿ **وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ** ﴾ أي هَرِمٍ ، وفلانٌ معمَّرٌ أي كبيرٌ ﴿ **وَلَا يُنْقَصُ** ﴾ آخر ﴿ **مِنْ عُمُرِهِ** ﴾ من عمر الهرم ، إلا بقضاءٍ من اللَّهِ عز وجل .

ب ــ وروَى عَطَاءُ بنُ السَّائبِ ، عن سعيدِ بنِ جُبَير ، عن ابن عباس في قوله جل وعزَّ ﴿ وَمَا[2] يُعَمَّرُ من مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إلاَّ في كِتَابٍ .. ﴾ .

قال : يُكتب عمُرُه كَذَا وكذا سَنَةً ، وكذا وكذا شهراً ، وكَذَا وكَذَا يوماً ، ثم يكتب نَقَص من عُمُره يومٌ ، ونَقَص من عُمُره شهرٌ ، ونَقَص من عمره سنةٌ ، في كتابٍ آخر ، إلى أن يستوفي أجلَه ، فيموت[3] .

---

(١) ذكره الطبري ٢٢/١٢٢ عن ابن عباس وأبي معاذ . وكذا ذكره في الدر ٥/٢٤٦ والمعنى : ما يطول عمر أحدٍ من الخلق فيصبح هرماً ، ولا ينقص من عمر أحد فيموت وهو صغير أو شاب ، إلا وهو مسجل في اللوح المحفوظ ، وهذا أرجح الأقوال .

(٢) في المخطوطة (ولا يُعَمَّرُ) وهو خطأ ، وصوابه ما أثبتناه ﴿ وما يُعمَّرُ ﴾ كما هو النصُّ القرآني الكريم .

(٣) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ٥/٢٤٧ بمعناه ، وذكره الألوسي في روح المعاني ٢٢/١٧٧ وقال : والمراد ينقص عمره ما يمرُّ منه وينقضي ، مثلاً يكتب عمره مائة سنة ، ثم يكتب تحته مَضَى يومٌ ، مَضَى يومان ، وهكذا حتى يأتي على آخره ، وهذا مرويٌّ عن ابن عباس ، وابن جبير ، والسدي ، وفي معناه قال الشاعر :

حَيَاتُكَ أَنْفَاسٌ تُعَدُّ فَكُلَّمَا ... مَضَى نَفَسٌ منها انْتَقَصْتَ بِهِ جُزْءَا

جـ ـــ **قال سعيد بن جبير** : فيما مَضَى من عُمُـــرِهِ فهـــو النقصانُ ، وما يُستقبل فهو الذي يُعمَّرُ(١) .

د ـــ **ورَوَى الزُّهريُّ عن سعيدِ بن المسيَّب عن كعب الأحبار أنه قال** : « لمَّا طُعِن عمرُ بنُ الخطَّاب ، لو دَعَا اللَّـهَ لزاد في أَجَلِهِ ، فأنكر ذلك عليه المسلمون ، وقالـوا : إنَّ اللـهَ عزَّ وجـل يقـولُ ﴿ **فإذَا جَاءَ أَجَلُهُـمْ لَايَسْتَأْخِـرُونَ سَاعَـةً وَلَا يَسْتَقْدِمُـونَ** ﴾(٢) فقـال : وإنَّ اللَّهَ تعالى يقول ﴿ **وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ ، وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُـرِهِ إلاَّ في كِتَابٍ** ﴾(٣) .

---

(١) الأثر في زاد المسير ٤٨٠/٦ والدر المنثور ٢٤٧/٥ والقرطبي ٣٣٣/١٤ .

(٢) سورة الأعراف آية ٣٤ .

(٣) هذا الأثر ذكره الألوسي في روح المعاني ١٧٧/٢٢ وأبو حيان في البحر المحيط ٣٠٤/٧ قال ابـن عطية : وهو قولٌ ضعيفٌ مردودٌ ، يقتضي القـول بالأجـلين كما ذهـبت إليـه المعتزلـة . اهـ وزبـدة القول في هذا الموضوع ، أن العمر محدود لا يزيـد ولا يـنقص ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُم لَايَسْتَأْخِرونَ سَاعَةً ولَايَسْتَقْدِمُوْنَ ﴾ وكما ثبت في صحيح مسلم أن أم حبيبـة ـــ زوج النبـي ﷺ ـــ دعت الله عز وجل فقالت : « اللهُّم أَمْتِعْني بزوجي النبي ﷺ ، وبأبي أبي سفيان ، وبأخـي معاويـة ، فقال لها النبـي ﷺ : قد سألتِ اللهَ لآجالٍ مضروبـة ، وأيـامٍ معـدودة ، وأرزاق مقسومـة ، لن يُعجِّل شيئاً قبل حِلِّه ـــ أي قبل حينه وأجله ـــ أو يُؤخِّر شيئـاً عن حِلِّـه ولـو كنتِ سألتِ اللـهَ أن يُعيذكِ من عذابٍ في النـار ، أو عذابٍ في الـقبر ، كان خيراً وأفضل » فهـذا نصٌّ صريح على أن العمر محدودٌ ، لايزيد ولا ينَـقُص ، ومـا ورد من التـأخير في الأجـل بسبب صلـة الرحـم كما في سنن النسائي (من سرَّه أن يُبسط له في رزقه ، ويُنسأ له في أجله ، فلْيصِلْ رَحِمَهَ) فهـو محمـولٌ على البركة ، في العمر ، وبالذريـة الصالحة ، كما روى الحافـظ ابـن كثير ٥٢٦/٦ عن أبي الـدرداء رضي الله عنـه قال : ذكرنـا ذلك عنـد رسول الله ﷺ فقـال : إن اللـه لا يؤخـر نفساً إذا جاء أجلها ، وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة يُرْزَقها العبدُ ، فيدعون له من بعده ، فيلحقـه دعاؤهـم =

هـ ــ **قال الزُّهريُّ** : تَرَى أنـه يُؤَخَّـر ما لم يحضُرِ الأَجَلُ ، فإذا حَضَرَ الأَجَلُ لم يُزَدْ في العُمُر ، ولم يقع تأخيرٌ .

قال أبو جعفر : وقيل في معنى الآية : إنه يكون أَنْ يُحكم أنَّ عمر الإنسان مائة سنة إن أطاع ، وتسعون إن عَصَى ، فأيُّهما بَلَغَ فهو في كتاب .

﴿ **إنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾ أي إحصاءُ طويلِ الأعمارِ وقصيرها لا يتعذَّر عليه .

١٢ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي البَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ .. ﴾ [آية ١٢] .

قال أبو عُبيدة : الفُرَاتُ : أعـذبُ العُذوبـة ، والأُجَاجُ : أملـح الملوحة[1] .

١٣ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمَاً طَرِيَّاً وتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا .. ﴾ [آية ١٢] .

الحِليـةُ : اللؤلـؤُ والمرجـانُ ، كما قال تعـالى ﴿ **يَخْرُجُ مِنْهُمَا**

= في قبره ، فذلك زيادة العمر » وهناك قول آخر ، وهو أن ما يجري فيه التغيير بالزيادة والنقص ، إنما هو في صحف الملائكة ، فيكتب عندهم مثلاً أن عمر فلان ستين سنة ، ولكنه سيصل رحمه فيعيش ثمانين سنة ، فهذا الذي تكون فيه الزيادة ، أما العلم الأزلي فلا يتبدل ولا يتغير ، والله أعلم .

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٥٣/٢ .

﴿ اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجَانُ ﴾ وإنما يخرج من المِلح[1] .

قال أبو جعفر : وهذا كثيرٌ في كلام العرب ، لأن البحرين مختلطان ، فجاز أن يُقال : يخرج منهما ، وإنما يخرج من أحدهما ، على قولٍ بعض أهل اللغة[2] .

١٤ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَتَرَى الفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ .. ﴾ [آية ١٢] .

قال قتادة : أي تجري الفُلْكُ مقبلةً ، ومدبرة[3] .

قال أبو جعفر : مَخَرتِ السَّفينةُ تَمْخُرُ ، وتَمْخَرُ ، مَخْراً ، ومُخُوراً : إذا خرقتِ الماء[4] .

١٥ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ [آية ١٣] .

---

(١) هذا مثلٌ ضربه الله عز وجل لتوضيح الفارق الكبير بين المؤمن والكافر ، والبرِّ والفاجر ، فكما لا يتساوى البحران : العذب ، والملح ، فكذلك لا يتساوى المؤمن مع الكافر ، وقد زاد تعالى في بيان نفع البحر المالح ، بأنه يخرج منه اللؤلؤ والمرجان ، والحلية التي يتحلى بها الإنسان ، بخلاف الكافر فإنه ضارٌّ مضرٌّ .

(٢) إنما قال ﴿ يخرج منهما ﴾ مع أن الحلية تستخرج من البحر المالح ، لأن في البحر الملح عيونٌ عذبة تمتزج بالملح ، فبهذا الاعتبار عبَّر بالتثنية .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٢٤/٢٢ وهذا تفسير لمعنى قوله تعالى ﴿ مواخِرَ فيه ﴾ فإن المخر معناه الشقُّ والجريان .

(٤) في اللسان : مَخَرت السفينةُ : جَرَتْ تشقُّ الماءَ مع صوتٍ ، فهي ما خِرَةٌ ، وفي التنزيل : ﴿ وتَرى الفُلْكَ فيهِ مَوَاخِرَ ﴾ يعني : جواريَ . اهـ .

رَوَى خُصَيف ، عن عكرمة ، عن ابن عبَّاسٍ قال : (القِطْمِيرُ) : القِشْرَةُ التي على النَّواةِ أي بينها وبين التَّمرةِ ، و « الفَتيلُ » : الذي في شقِّ النواة ، قال « والنَّقيرُ » الحبَّةُ التي في وسط النَّواة[1] .

١٦ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ولا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [آية ١٤] .

أي يتبرَّءونَ منهم ، ومن عبادتهم إيَّاهم ، ويوبِّخونهم على ذلك .

ثم قال تعالى ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ وهو اللَّهُ جلَّ وعزَّ ، خبيرٌ بما يكون ، لا يعلمه غيرُه[2] .

---

(١) هذا هو المشهور عند علماء التفسير وعلماء اللغة ، فقد نقل الحافظ ابن كثير عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وعطاء ، والحسن ، وقتادة وغيرهم ، أن القطمير هو : اللِّفافة التي تكون على نَوَاة التَّمْرةِ ، وكذلك قال الطبري ، والقرطبي ، وابن الجوزي ، وغيرهم ، وهو الأشهر ، وفي لسان العرب : القِطميرُ : القشرةُ الدقيقة التي على النواة ، بين النواة والتمرة قاله في الصحاح ، وفي الفتوحات الإلهية ٣/٤٩٠ : في النواة أربعةُ أشياءَ ، يُضربُ بها المثَلُ في القِلَّة : « الفتيلُ » وهو ما في شقِّ النواة ، و« القطميرُ » وهو اللُّفافة ، و« النَّقيرُ » وهو ما في ظهرها ، و« الثُّفْرُوقُ » وهو ما بين القمع والنواة . اهـ انظر القرطبي ١٤/٣٢٦ والبحر ٧/٣٠٥ واستشهد بقول الشاعر :

وَأَبُوكَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ مُتَوَرِّكاً مَا يَمْلِكُ المِسْكِينُ من قِطْمِير

(٢) عبارة ابن الجوزي ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِير ﴾ أي عالِم بالأشياء ، يعني نفسه عز وجل ، والمعنى : لا أخبرَ منه عز وجلَّ وقال الخازن في الآية : يعني اللهُ بذلكَ نفسَه ، أي لاينبئك أحدٌ مثلي ، لأني عالمٌ بالأشياء وغيري لا يعلمها . اهـ حاشية الجمل ٣/٤٩٠ .

١٧ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى .. ﴾ [آية ١٨] .

رَوَى سِمَاكٌ عن عكرمة عن ابن عباس قال : لا يُؤاخذ أحدٌ بذنب أحد[1] .

١٨ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لاَ يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ .. ﴾ [آية ١٨] .

قال مجاهد : ﴿ إلَى حِمْلِها ﴾ : أي إلى الذنوب[2] .

قال أبو جعفر : المعنى : وإن تدعُ نفسٌ قد أثقلته[3] الذنوب ﴿ إلى حِمْلِهَا ﴾ ــ وهو ذنوبها ــ لا يُحمل من حِمْلِها ، وهو ذنوبُها شيءٌ[4] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري ١٢٧/٢٢ وهو في الدر المنثور٥/٢٤٨ وفي البحر ٧/٣٠٦ قال : والمعنى : لاتحمل نفسٌ آثمةٌ إثم نفسٍ أخرى ، ولا تُعاقبُ بذنب غيرها ، كما يفعل جبابرة الدنيا من أخذ الجار بالجار ، والقريب بالقريب . اهـ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٢٧/٢٢ وأصلُ الحِمْل : ما يُحمل على الظهر من ثقيل المتاع ، شُبِّهت الذنوبُ بالحِمْل ، لأنها تُثقلُ كاهلَ الإنسان ، ثم استعير اللفظ للمعاني من المعاصي والآثام .

(٣) قوله « قد أثقلته » ولم يقل : قد أثقلتها ، لأنه أراد بالنفس : الشخص ، قال في المصباح : النفس أنثى إن أريد بها الروحُ ، وإن أريد الشخص فذكرٌ ، وجمعُ النفس أنفسٌ ونفوسٌ . اهـ .

(٤) في الآية ردٌ على السفهاء المضلِّين الذين قالوا للمؤمنين ﴿ اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ ﴾ فأخبر تعالى أنه لايحمِلُ شخصٌ عن قريبة ، أو حبيبه ، شيئاً من الأوزار ، حتى ولو كان المدعو أقرب الناس إليه ، وأحبَّهم لديه ، فالآية بيانٌ وتكميلٌ لمعنى قوله تعالى ﴿ وَلَاتَزِر وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ .

﴿ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾ أي ولو كان الذي تدعوه إلى ذلك ، أباً ، أو إبناً ، أو ما أشبههما(١) .

١٩ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ، وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّوْرُ ، وَلَا الظِلُّ وَلَا الحَرُورُ ﴾** [آية ٢٠] .

قال قتادة : أي كما لايستوي الأعمى والبصيرُ ، لايستوي المؤمن والكافر(٢) .

وقال غيره : المعنى : وما يستوي الأعمى عن الحقِّ وهو الكافرُ ، ولا البصيرُ بالهدى وهو المؤمن **﴿ وَلَا الظُّلُمَاتُ ﴾** وهي الضلالات **﴿ وَلَا النُّوْرُ ﴾** وهو الهدى .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَا الظِلُّ وَلَا الحَرُورُ ﴾ .

---

(١) قال الفُضَيلُ بنُ عياضٍ : تلقى المرأة ولدها يوم القيامة فتقول له : ياولدي ، ألم يكن بطني لكَ وعاءً ؟ ألم يكن ثدي لكَ سِقاءً ؟ ألم يكن حِجْري لكَ وِطَاء ؟ فيقول : بلى يا أماه ، فتقول : يابُني قد أثقلتني ذنوبي ، فاحملْ عني منها ذنباً واحداً ، فيقول : إليك عني يا أمَّاه ، فإني بذنبي عنك لمشغول . اهـ القرطبي ٣٣٨/١٤ .

(٢) هذا على قول قتادة من باب التشبيه والتمثيل ، فقد مثَّل للكافر بالأعمى ، وللمؤمن بالبصير ، والمعنى : كما لايتساوى الأعمى مع البصير ، كذلك لايتساوى المؤمن مع الكافر ، ولا العالم مع الجاهل ، فهو مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ، ويؤيده قوله تعالى ﴿ أفمنْ يَعْلَمُ أنما أُنْزِلَ إليكَ مِن رَبِّكَ الحَقُّ كَمَنْ هُوَ أعْمَى ﴾ ؟ .

قال أبو عبيدة : ﴿ **الحَرُورُ** ﴾ في هذا الموضع ، إنما يكون بالنَّهارِ مع الشمس[1] .

وقيل : يعني الجنَّةَ ، والنَّارَ[2] .

وقيل : لا يستوي من كان في ظلٍّ من الحقِّ[3] ، ومن كان في الحَرُورِ .

وقال الفراء : (الحَرُورُ) : الحَرُّ الدائم ليلاً أو نهاراً ، والسَّمُومُ بالنَّهار خاصَّةً[4] .

وقال رؤبةُ بن العجَّاج : ﴿ **الحَرُورُ** ﴾ باللَّيْلِ خاصة ، والسَّمُومُ بالنَّهار[5] .

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ١٥٤/٢ ومراده أنه لايسمى « حَرُوراً » إلا إذا كان الحرُّ مع الشمس بالنهار .

(٢) حكاه أبو حيان في البحر المحيط عن بعض المفسرين ٣٠٨/٧ .

(٣) هذا القول محمولٌ على المجاز أي لايستوي ظلُّ الحق ، وسَمومُ الباطل ، وهو وجهٌ لبعض المفسرين ، ذكره في اللسان ، وحكاه الزجاج في معانيه ٢٦٨/٤ على أنه وجهٌ في التفسير . وهو قريب من قول مجاهد إنه ظلُّ الجنة ، وحَرُور النَّار ، فالمؤمن بإيمانه كمن هو في ظلٍ وراحة ، والكافر بكفره كمن هو في حرٍّ وتعب ، وانظر غرائب القرآن للنيسابوري ٧٤/٢٢ .

(٤) حكاه الطبري عن الفراء ١٢٨/٢٢ والقرطبي ٣٣٩/١٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٨٣/٦ ولفظه : وقال الفراء : الحَرُورُ بمنزلة السمُّومِ وهي الرِّياحُ الحارة ، والحَرُورُ تكون بالنهار وبالليل ، والسَّمومُ لا تكونُ إلاَّ بالنَّهار . اهـ ورجح الطبري قول أبي عُبيدة وقال : هو أشبه ، لأن الظلَّ إنما يكون في يوم شمس .

(٥) الأثر أخرجه ابن الجوزي في تفسيره ٤٨٣/٦ وهو في البحر ٣٠٨/٧ وقال ابن عطية : ليس كما =

قال أبو جعفر : وقولُ أبي عُبيدة أشبهُ ، لأن الظِلَّ إنما يُستعمل في اليومِ الشَّمسِ[1] .

٢٠ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلَا الأَمْوَاتُ .. ﴾** [آية ٢٢] .

أي العقلاء والجُهَّالُ[2] .

والمراد بالأحياء : الأحياءُ القلوبِ بالإيمانِ والمعرفةِ .

والأموات : الأمواتُ القلوبِ بغلبة الكفر عليها ، حتى صارت لا تعرف الهُدى من الضلال[3] .

٢١ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾** [آية ٢٤] .

أي سَلَف فيها نبيٌّ .

= قال رؤبة ، وإنما الأمر كما حكى الفراء وغيره أن الحرور في حرِّ الليل وحرِّ النهار ، والسموم يختص بالنهار ، قال أبو حيان : ولا يُردُّ على رؤبة لأنه مه تؤخذ اللغة ، فقد أخبر عن لغة قومه . اهـ من البحر ٣٠٨/٧ .

(١) ما اختاره النحاس هو ما رجحه الطبري ، وهو الأشهر عند علماء اللغة ، وقال في إعراب القرآن ٦٩٤/٢ : « وهذا أصح القولين ، لأن الحَرُور فَعُول من الحرّ ، وفيه معنى التكثير أي الحرّ المؤذي » انتهى كلام النحاس .

(٢) هذا قول ابن قتيبة كما في القرطبي ٣٤٠/١٤ .

(٣) عبارة الطبري كما في تفسيره ١٢٨/٢٢ : وما يستوى الأحياء القلوب بالإيمان بالله ورسوله ، ومعرفة تنزيل الله ، والأموات القلوب لغلبة الكفر عليها حتى صارت لا تعقل عن الله أمره ونهيه ، ولا تعرف الهدى من الضلال ، وكل هذه أمثال ضربها الله للمؤمن والإيمان ، والكافر والكفر .

٢٢ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَمِنَ الجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ وَغَرَابِيبُ سُودٌ** ﴾ [آية ٢٧] .

قال الضحاك : أي ألوانٌ مختلفةٌ أي أبيضُ ، وأحمرُ ، وأسودُ ، قال : والجُدَدُ : الطَّرائقُ[١] .

قال أبو جعفر : قال أبو عُبيدة : الغربيبُ : الشديدُ السَّواد[٢] .

٢٣ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ** .. ﴾ [آية ٢٨] .

قال الضحاك : أي ومن النَّاس الأبيضُ ، والأحمرُ ، والأسودُ[٣] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن الضحاك ٢٢/١٣٢ والجُدَدُ : جمع جُدَّة ، وهي الطرائقُ المختلفةُ الألوان ، قال الجوهريُّ : الجُدَّةُ : الخُطَّةُ التي في ظهر الحمار تخالف لونَه . والجُدَّة : الطريقةُ والجمع جُدَدٌ . اهـ صحاح .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/١٥٤ وقال القرطبي ١٤/٣٤٢ : الغريبُ الشديدُ السواد ، ففي الكلام تقديمٌ وتأخير ، والمعنى : ومن الجبال سودٌ غرابيب ، والعربُ تقول للشديد السوَّاد الذي لونُه كلونِ الغُراب : أسودُ غربيب . اهـ .

(٣) الآية الكريمة وردت في سياق الحثِّ والتحريض ، على النظر في عجائب صنع الله تعالى . وآثار قدرته ، ليصل الإنسان منها إلى معرفة عظمة الله وجلاله ، ويؤدي به العلم إلى خشيته سبحانه ، ولهذا ختمت بقوله ﴿ إنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ ﴾ وفيها لفتةٌ رائعةٌ عجيبة ، إذ هي وردت في معرض الحديث عن « العلوم الكونية » بدءاً من إنزال الماء من السماء ، ثم بإخراج النبات والثمرات المختلفات الألوان ، ثم بألوان الجبال ، ففي ألوان الصخور شبهٌ عجيب بألوان =

٢٤ ـــ ثم قال جل وعز : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ .. ﴾ [آية ٢٨] .

أي العلماءُ بقدرته على ما يشاءُ ، فمن علمَ ذلك أيْقن بمعاقبته على المعصية ، فخافه .

كما رَوَى عليُّ بنُ أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

قال : الذينَ يعلمونَ أنَّ اللَّهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ[1] .

وفي الحديث (كَفَى بخَشْيَةِ اللَّهِ عِلْماً ، وبالغِرَّة بِهِ جهلاً)[2] .

= الثمار وتنوعها وتعددها ، فإن البياض والحمرة تتفاوت بالشدة والضعف ، فأبيضُ لا يشبهُ أبيض ، وأحمرُ لا يشبه أحمر ، وإن اشتركا في أصل اللون ، واللفتة في الآية الكريمة إلى ألوان الصخور وتنوعها داخل اللَّون الواحد ، تهزُّ القلب هزاً ، إلى عظمة الخالق المبدع ، وتوقظ في الإنسان حاسة الذوق الجمالي العالي بما يستحق النظر والالتفات ، حتى لتجد الجبل الواحد ذا ألوانٍ عجيبة ، وفيه عروق تشبه المرجان ، ولا سيما في صخور الرخام ، ثم ألوان الناس ـــ وهي لاتقف عند حدّ وكذلك ألوان الدواب والأنعام ، والطيور الجميلة الأشكال ، ذات الألوان والأصباغ العجيبة ، كلها معروضة للأنظار في هذا الكتاب الكوني الرائع ، الجميل الصفحات ، العجيب في التكوين والتلوين .

(١) هذا الأثر ذكره الطبري ١٣٢/٢٢ والقرطبي ٢٤٣/١٤ وابن الجوزي ٤٨٦/٦ وابن كثير ٥٣١/٦ قال الحافظ ابن كثير والمعنى : إنما يخشى الله حقَّ خشيته العلماءُ العارفون به ، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير ، الموصوف بصفات الكمال أتم ، والعلم به أكمل ، كانت الخشيةُ له أعظم وأكثر . اهـ .

(٢) الحديث أثرٌ من كلام « عبدالله بن مسعود » ويسمى بالحديث الموقوف ويسمى أيضاً بالأثر ، =

٢٥ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فمنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، ومنْهُمُ مُقْتَصِدٌ ، ومِنهُمْ سَابِقٌ بِالخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ .. ﴾ [آية ٣٢] . .

قيل : إنَّ النَّاجيَ هو المقتصدُ ، والسَّابقُ ، وأن قولَه تعالى ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ للمقتصدِ والسَّابقِ ، هذا مذهبُ ابنِ عبَّاسٍ ، ومجاهدٍ ، وعكرمةَ ، والحسنِ ، وقتادةَ[١] .

رَوَى ابنُ عُيَيْنَةَ عن عَمْرِو بن دينار ، عن عطاء ، عن ابن عباس ﴿ فَمِنْهُم ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ قال : كافرٌ[٢] .

= والمرادُ بـ « الغِرَّة » أي الاغترار بحلمه ، وبعظيم رحمته ، وذكره القرطبي ٣٤٢/١٤ والسيوطي في الدرِّ المنثور ٢٥٠/٥ ولفظه : وأخرج أحمد في الزهد عن ابن مسعود قال « كفى بخشية الله علماً ، وكفى باغترار المرء جهلاً » اهـ .

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٣٤/٢٢ وابن الجوزي ٤٨٨/٦ وابن كثير ٥٣٢/٦ وهذا القول هو قول أكثر المفسرين ، أن الأصناف الثلاثة « الظالم ، والمقتصد ، والسابق » كلهم مسلمون من أمة محمد ﷺ لقوله تعالى ﴿ الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ فالظالم لنفسه من هذه الأمة على ما فيه من عوج وتقصير ، قال الحافظ ابن كثير : والصحيح أن الظالم لنفسه ــ وهو المفرِّط في فعل بعض الواجبات ، المرتكب لبعض المحرمات ــ هو من هذه الأمة للأحاديث والآثار التي وردت في ذلك ، منها ما أخرجه أحمد في المسند أن النبي ﷺ تلا الآية ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا .. ﴾ الآية ثم قال : أما الذين سبقوا فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يُحاسبون حساباً يسيراً ، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحبسون في طول المحشر ، ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته ، فهم الذين يقولون ﴿ الحمدُ للهِ الذي أذهب عنا الحَزَن .. ﴾ الآية انظر مسند أحمد ١٩٨/٥ .

(٢) هذا القول رواية ثانية عن ابن عباس ، ذكرها الطبري ، وابن كثير ، والسيوطي في الدر ، وهو قولٌ مرجوح والأول أرجح .

وعن ابن عباس قال : ﴿ الكِتَابُ ﴾ : كلُّ كتابٍ أُنْزِل .

وعنه : كلُّهم أمةُ محمد ﷺ من رواية ابن أبي طلحة عنه ، وهذا أولى ما قيل فيها[1] .

ورَوَى الثوريُّ عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس في قوله عز وجل ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا .. ﴾ إلى آخر الآية .

قال : هذا مِثْلُ قولِهِ جل وعزَّ ﴿ **فَأَصْحَابُ المَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ المَيْمَنَةِ . وَأَصْحَاب المَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ المَشْأَمَةِ . وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَئِكَ المُقَرَّبُونَ** ﴾[2] .

قال : فنجَتْ فرقتانِ[3] .

قال مجاهد : ﴿ **فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ** ﴾ أصحاب المشأمة

---

(١) هذا هو الأشهر والأظهر وهو الذي اختاره الطبري وابن كثير وجمهور المفسرين قال ابن جزي في التسهيل ١٥٨/٣ : وأكثر المفسرين أن هذه الأصناف الثلاثة في أمة محمد ﷺ فالظالم لنفسه : العاصي ، والسابق : التقي ، والمقتصد : بينهما . اهـ .

(٢) سورة الواقعة آية ٨ ــ ١٠ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري في تفسيره ١٣٥/٢٢ وابن كثير ٥٣٣/٦ والسيوطي في الدر المنثور ٢٥٢/٥ وهذا مرويٌّ عن عكرمة وقتادة والضحاك ، فقد قالوا : نجت فرقتان وهلكت الثالثة ، وجعلوا الضمير في قوله تعالى ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُوْنَها ﴾ يعود على « المقتصِد » و« السَّابق » لا على الظالم ، قالوا : وبعيدٌ أن يكون الظالم ممن يصطفيه الله عز وجل .. الخ وانظر تفصيل الأقوال في القرطبي ٣٤٦/١٤ .

﴿ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ السابقون من النَّاسِ كلهم[١] .

وقال عكرمة : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ كما قال ﴿ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾[٢] .

وقال الحسن وقتادة : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ المنافق .

قال قتادة : ﴿ الكتابُ ﴾ : شهادةُ أن لا إله إلا اللَّهُ[٣] .

وقيل : إن الفِرَقَ الثلاث ناجية ، قال ذلك عمرُ ، وأبو الدرداء ، وإبراهيم النَّخَعي ، وكعب الأحبار[٤] .

---

(١) الأثر ذكره الطبري ١٣٥/٢٢ وابن كثير ٥٣٣/٦ وعزاه إلى الحسن البصري أيضاً وعبارة الطبري : وقال الحسن : أما الظالم لنفسه فإنه المنافق ، سقط هذا ــ أي في النار ــ وأما المقتصد والسابق فهما صاحبا الجنة . اهـ .

(٢) قال عكرمة : الظالم لنفسه في النار ، والمقتصدُ والسابقُ بالخيراتِ في الجنة ، حكاه عنه الطبري وابن كثير .

(٣) هذا الأثر عن قتادة حكاه الطبري ١٣٥/٢٢ عنه وهو قول غريب ، لأن تفسير الكتاب بالشهادة مستبعد ، إلاَّ إن قصد به كتاب الأعمال ، وهذا خلاف الظاهر ، لأن المفسرين اختلفوا في تفسير الكتاب على قولين : أحدهما أن المراد به الجنس أي الكتب التي أنزلها الله ، وهذا اختيار الطبري فإنه قال : إن الله أورث أمة محمد كل كتاب أنزله قبل القرآن بمعنى أنهم يؤمنون بكل الكتب السماوية ويعملون بها لأن هذا معنى الإرث . والثاني أن المراد به القرآن العظيم وهو قول الأكثرين وهو الأرجح ، فقول قتادة بعيدٌ عن هذين القولين ، وانظر الطبري ١٣٥/٢٢ ــ ١٣٦ .

(٤) هذا أرجح الأقوال ويؤيده ما روي عن عمر رضي الله عنه في هذه الآية أنه قال : « سابقُنا سابقٌ . ومقتصدُنا ناجٍ ، وظالِمُنا مغفورٌ له » وهو حديثٌ موقوف ولم يثبت المرفوعُ ، وقد ذكره في الدر ٢٥٢/٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٨٩/٦ وهذا هو الأصح تكريماً لهذه الأمة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم .

وقال **عثمان** : هم أهلُ باديتنا ، يعني الظالم لنفسه[1] .

قال عمر : سابقُنا سابقٌ ، ومقتصِدُنَا ناجٍ ، وظالِمُنَا مغفورٌ له[2] .

وقال **أبو الدرداء** : السَّابقُ يدخل الجنة بغير حساب ، و(المقتصِدُ) يُحاسَبُ حساباً يسيراً ، و(الظَّالمُ لنفسه) يُؤخذ منه ثمَّ يَنْجو ، فذلك قوله جل وعزَّ ﴿ **وَقَالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ** ﴾[3] .

وقال **كعب** : هذه الأمَّةُ على ثلاثِ فِرَقٍ ، كلُّها في الجنة ، ثم تلا ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ** .. ﴾ إلى قوله ﴿ **جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا** .. ﴾ فقال : دَخَلوها وربِّ الكعبة[4] .

وبعد هذا للكفار .

---

(١) الأثر مرويٌّ عن عثمان بن عفان رضي الله عنه كما في الدر المنثور ٥/٢٥٦ فقد أخرج ابن المنذر وابن مردويه عنه أنه قال : « ألا إن سابقنا أهلُ جهاد ، ألا وإنَّ مقتصدنا ناجٍ أهلُ حَضَرِنا ، ألا وإنَّ ظالمنا أهلُ بَدْونا » . اهـ .

(٢) هذا الأثر موقوف على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولم يثبت رفعه ، قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ١٣٩ : رواه سعيد بن منصور ، عن فرج بن فضالة ، فذكره موقوفاً ، وذكره السيوطي في الدر مرفوعاً ، والصحيح أنه موقوف .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٢٢/١٣٧ وابن كثير ٦/٥٣٤ والدر المنثور ٥/٢٥١ .

(٤) هذا الأثر ذكره الطبري عن كعب ٢٢/١٣٤ أن الظالم من هذه الأمة والمقتصد والسابق بالخيرات ، كلُّهم في الجنة ، قال : ألم تر أن الله عز وجل قال ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين

٢٦ ــ وهو قولُه جلَّ وعزّ : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا .. ﴾ [آية ٣٦] .

قال **محمد بن يزيد**[1] : الرِّجالُ أربعةٌ : جوادٌ ، وبخيلٌ ، ومسرفٌ ، ومقتصدٌ .

فالجوادُ : الذي وجَّه[2] نصيبَ آخرتِهِ ، ونصيبَ دنياه ، جميعاً إلى آخرته .

والبخيلُ : الذي لايُعْطي واحدةً منهما حقاً .

والمسرفُ : الذي يجمعهُما للدنيا .

والمقتصدُ : الذي يُلْحِقُ بكلّ واحدةٍ نصيبَها ، أي عملهُ قصدٌ ليس بمجتهد[3] .

اصطفينا من عبادنا .. ﴾ ؟ وبعدها قال عن الكفار ﴿ والذين كفروا لهم نارُ جهنم لا يُقضى عليهم فيموتوا .. ﴾ قال كعب : فهؤلاء أهل النار . اهـ .

أقول : ويتلخص من الأقوال التي تقدمت ، أن قول الجمهور هو الأصح والأرجح ، وهو أن الجميع من أمة محمد ﷺ يدخلون الجنة ، إما برحمة أرحم الراحمين ، أو بشفاعة سيد المرسلين ، ولا يُخلَّد أحد منهم في نار جهنم لأن الخلود للكفار وهؤلاء مؤمنون موحِّدون ، وغاية ما في الأمر أنهم من العصاة وقد قال النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم : « إنَّ لكل نبيّ دعوةً مستجابةً ، وقد تعجَّل كل نبيّ دعوته ، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي ، فهي نائلة ــ إن شاء الله ــ مَنْ مات لا يشرك بالله شيئاً » . رواه أحمد ٤٢٦/٢ .

(١) هو الإمام المبرِّد المتوفى سنة ٢٨٦ هـ وقد تقدمت ترجمته ٥٥/١ .

(٢) في المخطوطة « توجَّه نصيبَ » وصوابه : وجَّه نصيبَ بحذف التاء ليستقيم المعنى .

(٣) لم أر هذا القول لأحدٍ من المفسرين ، ومعناه صحيحٌ ، ولكنه لا تعلق له بهذه الآية ، ولعلَّ الأقرب أن يكون متعلقاً بالآية السابقة ، فيكون وجهاً من وجوه « السابق » و« المقتصد » .

قال أبو إسحق[1] : معنى ﴿ **أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ** ﴾ : أي الهمَّ بالمعيشةِ ، والخوفَ من العَذابِ ، وتوقُّع الموت[2] .

وكلُّ ما قاله قد جاء في التفسير ، فهو عامٌّ لجميع الحُزْن .

والمُقامةُ والمَقامُ واحدٌ ، والنَّصَبُ : التَّعبُ .

واللُّغُوبُ : الإعياءُ ، واللَّغُوبُ بفتح اللَّام : ما يُلْغَبُ منه .

وقرأ الحسنُ : ﴿ **لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُونَ** ﴾[3] .

والمعنى على قراءته : لا يُقْضى عليهم الموتُ ، ولا يموتون .

٢٧ ـ **وقوله جلَّ وعزَّ** ﴿ **أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ** .. ﴾ [آية ٣٧] .

---

(١) هذه كنيةُ الإمام الزجاج ، النحوي اللغوي وقد تقدمت ترجمته ١/٧٤ .

(٢) الحَزَنُ بالفتح والحُزْنُ واحد ، وهو كل ما يُحْزِنُ الإنسَانَ ويكدِّر صفْوَه ، من خوف المرضِ ، والفقرِ ، والموتِ ، وأهوال الآخرة وغير ذلك ، وقد اختلف المفسرون في معنى الحَزَن ، فقال بعضهُم : هو خوفهم من الموت ، وقال آخرون : خوفهم من هموم الدنيا ، وقال بعضهم : خوفهم من عذاب النار ، وقيل من أهوال القيامة ، إلى غير ذلك ، والصحيح العموم في ذلك كما ذهب إليه الطبري ، قال الحافظ ابن كثير ٥٣٧/٦ : « الحَزَن » هو الخوفُ من المحذور والمعنى أراحنا مما كنا نتخوفه ونحذره ، من هموم الدنيا والآخرة ، وأزاحه عنا ، ثم أورد الحديث الشريف عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ «ليس على أهل «لا إله إلا الله» وحشة في الموت ، ولا في قبورهم ، ولا في النشور ، وكأني أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رءوسهم من التراب ويقولون ﴿ الحمد للهِ الذي أذهبَ عنَّا الحَزَن إنَّ ربَّنا لغفور شكور ﴾ رواه الطبراني .

(٣) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢٠١/٢ .

قال أبو هريرة وابن عباس : ستِّينَ سنةٍ[1] .

وعنه أيضاً : أربعين .

وهذا أشبهُ ، لأن في الأربعينَ تناهي العقل[2] ، وما قبل ذلك وما بعده ، منتَقَصٌ عنه ، واللهُ جلَّ وعزَّ أعلم .

وقال الحسن أيضاً : أربعين ، ويُقال : إن ابن سبع عشرة داخلٌ فيها .

ثم قال تعالى : ﴿ **وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ** ﴾ [آية ٣٧] .

قال ابن زيد : النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلم[3] .

---

(١) هذا توبيخ لهم وإقامة حجةٍ عليهم ، والمعنى : أو لم نمهلكم في الدنيا زمناً مديداً يتذكر فيه من أراد منكم التبصُّر والتفكر ؟ والمراد بالعمر هنا ستون سنة كما ذهب إليه ابن عباس وأبو هريرة لحديث (أعذَرَ اللهُ إلى امرىءٍ أخَّرَ أجلَه حتَّى بلغ ستين سنة) أخرجه البخاري وترحم له بقوله « باب من بلغ ستين سنة فقد أُعذر إليه في العمر وذكر الآية » قال ابن كثير : وهذا هو الصحيح في مقدار العمر .

(٢) هذا القول حكاه الطبري عن ابن عباس ومجاهد ومسروق ورجَّحه ١٤١/٢٢ وحكاه أيضاً القرطبي وابن كثير ، ولهذا القول وجهٌ صحيح ، والحجة له قوله تعالى ﴿ حتى إذا بلغ أشدَّه وبلغ أربعين سنة .. ﴾ الآية ، ويبقى القول الأول هو الأصح والأرجح ، للحديث الصحيح المتقدم « أعذر الله .. » ومعناه بلغ به أقصى العذر .

(٣) الأثر ذكره الطبري ١٤٢/٢٢ وابن كثير ٥٤٢/٦ وأبو حيان في البحر المحيط ٣١٦/٧ وابن الجوزي ٤٩٤/٦ وهذا القول مرويٌّ عن قتادة وابن زيد ، وهو الأظهر لقوله تعالى ﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ ﴾ فقد احتج الله عليهم بالعمر والرسل ، والمراد بالآية جاءكم الرسول المنذر وهو محمد ﷺ ، قال الحافظ ابن كثير : وما روي عن قتادة أن النذير هو رسول الله ﷺ هو الصحيح وهو اختيار ابن جرير ، وهو الأظهر . اهـ انظر ابن كثير ٥٤٢/٦ .

وقيل : يعني الشَّيْبُ[1] .

والأول أكثرُ ، والمعنى على الثاني : حتى شبتم ، وهو قول ابن عباس .

٢٨ ــ **وقوله جل وعزَّ : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ .. ﴾** [آية ٣٩] .

أي تَخْلُفُون من كان قبلَكُم ، وتعتبرون بما نَزَل بهم .

٢٩ ــ **ثم قال جل وعزَّ ﴿ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ .. ﴾** [آية ٣٩] .

أي جزاءُ كفرِهِ[2] .

﴿وَلَا يَزِيدُ الكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً .. ﴾ [آية ٣٩] .

المَقْتُ : أشدُّ الإبغاض[3] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٢/١٤٢ عن ابن زيد وهو مروي عن ابن عباس ، وعكرمة ،وقتادة ، وسفيان وغيرهم قالوا : النذيرُ هو الشيبُ ، لأنه ينذر بالموت وانتهاء الحياة كما قال الشاعر :
فقلتُ لَهَا المَشيبُ نذيرُ عُمْري ولستُ مُسَوِّداً وجهَ النَّذيرِ
والقول الأول هو الأرجح وهو قول جمهور المفسرين وانظر تفسير ابن كثير ٦/٥٤٢ .

(٢) أي هو على حَذْف مضاف والمَعنى : عليه عقوبة وجزاءُ كفره ، حُذف منه المضاف فأصبح ﴿ فعليهِ كفرُه ﴾ ويُسمَّى المجازَ المرسل كقوله تعالى ﴿وَاسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾ أي أهل القرية .

(٣) قال في المصباح المنير : مَقَتَه مَقْتاً من باب قَتَل : أبغضَه أشدَّ البغض عن أمرٍ قبيح . اهـ .

٣٠ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ..[1] ﴾ [آية ٤٠] .

المعنى عند سيبويه : أخبروني[2] عن الذين تدعون من دون الله على التوقيف .

٣١ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ .. ﴾ ؟ [آية٤٠] .

أي أعبدتموهم لأنهم خلقوا من الأرض شيئاً ؟ أم لهم شركة في خلق السموات ؟

﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً ﴾ بالشركة ﴿ فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ ﴾ أي على بيِّناتٍ[3] منه ؟

٣٢ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولَا .. ﴾ [آية ٤١] .

---

(١) في المخطوطة ﴿ قل أرأيتم ما تدعون من دون الله ﴾ وما أثبتناه هو : النصُّ القرآن الكريم .

(٢) يريد المصنف أن معنى ﴿ أرأيتم ﴾ أخبروني ، فليس المراد منها النظر ، بل المراد الإخبار والإعلام ، والمراد من الآية التقريعُ والتوبيخُ لمن عبدوا الأصنام وجعلوها شركاء مع الله جلَّ وعلا ، قال ابن الجوزي في زاد المسير ٤٩٥/٦ : المعنى : أخبروني عن الذين عبدتم من دون الله ، واتخذتموهم شركاء بزعمكم ، بأيِّ شيءٍ أوجبتم لهم الشركة في العبادة ؟ أبشيءٍ خلقوه من الأرض ؟ أم شاركوا خالق السمواتِ في خلقها ؟ اهـ .

(٣) المراد بالبّينة : البصيرةُ ، والحُجَّة ، والبرهانُ على صدِق الدَّعوى ، قال الألوسي : وهو ضربٌ من التهكم ، وقرأ نافع ، وابن عامر ، ويعقوب ﴿ بينات ﴾ بالجمع ، وابن كثير وعاصم وحمزة بالإفراد ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٣٥ .

المعنى : عند البصريين : كراهة أن تزولا[1] ، كما قال سبحانه ﴿ واسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾ .

٣٣ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ .. ﴾ [آية ٤١] .

يجوز أن يكون المعنى : لِزَوالهما يوم القيامة[2] .

ويجوز أن يُقال هذا وإن لم تزولا ، و« إِنْ » بمعنى « ما » وهو يشبه قوله تعالى ﴿ **وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً** ﴾[3] .

قال أبو جعفر : وفي الآية سؤال ، يُقال : هذا موضعُ قدرةٍ ،

---

(١) يشير المصنف إلى أن قوله تعالى ﴿ أَنْ تَزُولا ﴾ منصوبٌ على أنه مفعولٌ لأجله أي كراهة زوالهما أو لئلا تزولا ، وأجاز الزجاج أن يكون في محل نصب مفعول به ، لأنَّ ﴿ يُمْسِكُ ﴾ بمعنى : يمنع ، أي يمنع زوال السموات والأرض .

(٢) هذا قولٌ حكاه بعض المفسرين ، أن المراد زوالهُما يوم القيامة ، عند طيِّ السَّماءِ ، وتبديل الأرضِ ، ونسفِ الجبال ، وهو وجهٌ ضعيف ليس بالقوي ، لأن الآية وردت على سبيل الفرض والتقدير أي ولو فرضنا زوالهما لم يمسكهما أحد ، ويؤيده قراءة ابن أبي عبلة « وَلَوْ زَالَتَا » وهو الوجه الثاني الذي نبَّه إليه المصنف كما سنبيِّنُه إن شاء الله

(٣) هذا هو الوجه الصحيح في الآية كما ذهب إليه جمهور المفسرين ، أن الآية واردة على سبيل الفرض والتقدير ، والمعنى : إن الله تعالى بقدرته يُمسكُ السمواتِ والأرض من الزوال أو السقوط كما قال سبحانه ﴿ ويُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ على الأَرض إلاَّ بإِذْنِهِ ﴾ ولئن زالتا عن أماكنهما ــ فرضاً وتقديراً ــ لا يستطيع أحد كائناً من كان على إمساكهما ، فهما قائمتان بقدرة الله الواحد الأحد ، و« إن » نافية بمعنى « ما » قال الفراء : أي لو زالتا ما أمسكهما أحد ، قال وهو مثل قوله ﴿ ولئنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرأَوْهُ مُصْفَرّاً لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهُ يَكْفُرُوْنَ ﴾ اهـ وانظر القرطبي ١٤/٣٥٦ .

فكيف قال ﴿ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمَاً غَفُورَاً ﴾[1] ؟ .

فالجواب : أنهم لمَّا قالوا ﴿ **اتَّخَذَ الرَّحْمَـٰنُ وَلَدَاً** ﴾ كادت الجبالُ تزولُ ، وكادتِ السَّمَواتُ يَنْفطِرْن ، وكادت الأرضُ تخِرُّ ، لعِظَم ماقالوا ، فأسكنها اللَّهُ جلَّ وعزَّ ، وأخَّرَ عِقَابَهم ، وحَلُم عنهم ، فذلك قوله سبحانه ﴿ **إِنَّه كَانَ حَلِيمَاً غَفُورَاً** ﴾ [آية ٤١] .

٣٤ ــ **وقوله عز وجل : ﴿ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ .. ﴾** [آية ٤٢] .

معنى ﴿ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ ﴾ من اليَهودِ والنَّصَارى .

٣٥ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ اسْتِكْبَارَاً فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّءِ وَلَا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّءُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ .. ﴾** [آية ٤٣] .

﴿ **وَمَكْرَ السَّيِّءِ** ﴾[2] قيل : أي ومكْرَ الكفرِ .

---

(١) نبَّه المصنف إلى شبهةٍ قد تردُ ، وهي كيف ختم الآية بقوله ﴿ إنَهَ كان حليماً غفوراً ﴾ والسياق أن يقال : إنه كان «قوياً قديراً» أو علياً كبيراً ؟ فأجاب بأن الآية تدل على أنَّ السموات كادت تنشقّ . والأرض كادت تهدّ ، من شناعة كفر الكافرين ، كما قال سبحانه ﴿ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض ، وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولداً ﴾ ومع هذا القول الشنيع الذي تندك له السموات والأرض ، فإن الله كان حليماً بالعباد ، لا يعجلُ لهم العقوبة مع استحقاقهم للعذاب .

(٢) هذا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف ، والأصلُ فيها : المكرُ السيِّءُ ، قال الفراء في معاني القرآن٢/٣٧١ : أُضيف المكرُ إلى السيِّء ، وهو كقوله تعالى ﴿إنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ اليَقينِ﴾ ويؤيده قراءة عبدالله ﴿ وَمَكْرَاً سَيِّئَاً ﴾ اهـ وللمفسرين في ﴿ وَمَكْرَ السَّيِّء ﴾ قولان : أحدهما : أنه=

ثم قال تعالى ﴿ **وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ** ﴾ أي ولا ينزل مكروهُ المكْرِ السيِّءِ إلاَّ بأهله ، أي بالَّذِين يمكرونه[1] .

٣٦ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ سُنَّةَ الأَوَّلِين .. ﴾ ؟** [آية ٤٣] .

أي فهل ينتظرون إلاَّ سُنَّة الأوَّلين[2] في العذاب حين كفروا ؟

٣٧ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ .. ﴾** [آية ٤٥] .

قال أبو عبيدة : يعني النَّاسَ خاصَّة[3] .

وعن عبد الله بن مسعود ما يدلُّ على أنه يعني النَّاسَ وغيرهم .

= الشركُ ، قال ابن عباس : لاينزل عاقبةُ الشرك إلّا بمن أشرك واختاره الطبري .
والثاني : أنه المكرُ والخديعةُ برسول الله ﷺ وبالمؤمنين ، وهو الأظهر والأشهر .

(١) قال ابن جزي : والمعنى : لا يُحيط وبالُ المكرِ السيِّء إلاَّ بمن مَكَره ودبَّره ، وقال كعبٌ لابن عباس : إنَّ في التوراة « مَنْ حَفَر حُفْرةً لأخيهِ وقع فيها » فقال ابن عباس : وأنا أجد هذا في كتاب الله تعالى ، قال أين ؟ قال في قوله تعالى ﴿ ولايَحِيقُ المكرُ السَّيِّءُ إلاَّ بأهلِهِ ﴾ اهـ التسهيل ٣/٣٤٨ .

(٢) السُنَّة : الطريقة والعادة ، والمعنى : هل ينتظرون إلاَّ عادة الله وسنتَّه في الأمم المتقدمة من إهلاكهم وتعذيبهم ؟ .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٢/١٥٤ وإلى هذا ذهب الأخفش والحسين بن الفضل ، قالوا : أراد بالدابة الناس وحدهم ، وانظر القرطبي ١٤/٣٦١ .

قال : كاد الجُعَلُ[1] يُعذَّبُ بذنبِ بني آدم[2] ، ثم تلا ﴿ **وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ**[3] .. ﴾ الآية .

قال قتادة : قد فُعِلَ ذلكَ في أيّامِ نوحٍ صلى الله عليه وسلم[4] .

وقولُه تعالى ﴿ عَلَى ظَهْرِها[5] ﴾ [آية ٤٥] .

قيل : قد عُرِف أن المعنى على ظهر الأرض .

قال أبو جعفر : والأجودُ أن يكونَ الإضمارُ يعودُ على ما جَرَى

---

(١) الجُعَلُ : قال في المصباح : وزان عمر : الحرباء ، وجمعه جُعْلان .

(٢) الحديث أخرجه الطبراني وابن المنذر ، والحاكم ، وصحَّحه عن ابن مسعود ، ولفظه « إنْ كاد الجُعَلُ ليُعذَّب في جُحره من ذنب ابن آدم ، ثم قرأ الآية ﴿ ولو يُؤاخذُ اللَّهُ النَّاسَ .. ﴾ الآية ، وانظر الدر المنثور ٥/٢٥٦ .

(٣) قال القرطبي : والقول الأول أظهر أن المراد به جميع الحيوان مما دبَّ أو درج كما قال ابن مسعود لأنه عن صحابي كبير . اهـ .

(٤) مراده أن الله أغرق كلَّ من على وجه الأرض ، من إنسان وحيوان ، في زمن نوح عليه السلام ، ولم ينج من الغرق إلاَّ من ركب مع نوح في السفينة ، كما قال سبحانه ﴿ فاحملْ فيها من كلٍّ زوجين اثنين ﴾ الآية فدلَّ على أن الطوفان كان عاماً ، شمل الإنسان والحيوان .

(٥) سقطت من المخطوطة وأثبتناها من كتابه إعراب القرآن ، وعبارتُه هناك ﴿ عَلَى ظَهْرِهَا ﴾ يعود على الأرض وقد تقدَّم ذكرها .

ذكرهُ[1] ، في قولِهِ سبحانه ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ ﴾ .

٣٨ ــ **وقولُه جل وعز : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً ﴾** [آية ٤٥] .

﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ ﴾ أي أجلُ عقابهم[2] .

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً ﴾ أي بصيراً بما يستحقُّ كلُّ فريقٍ منهم .

* * *

« إنتهت سورة فاطر »

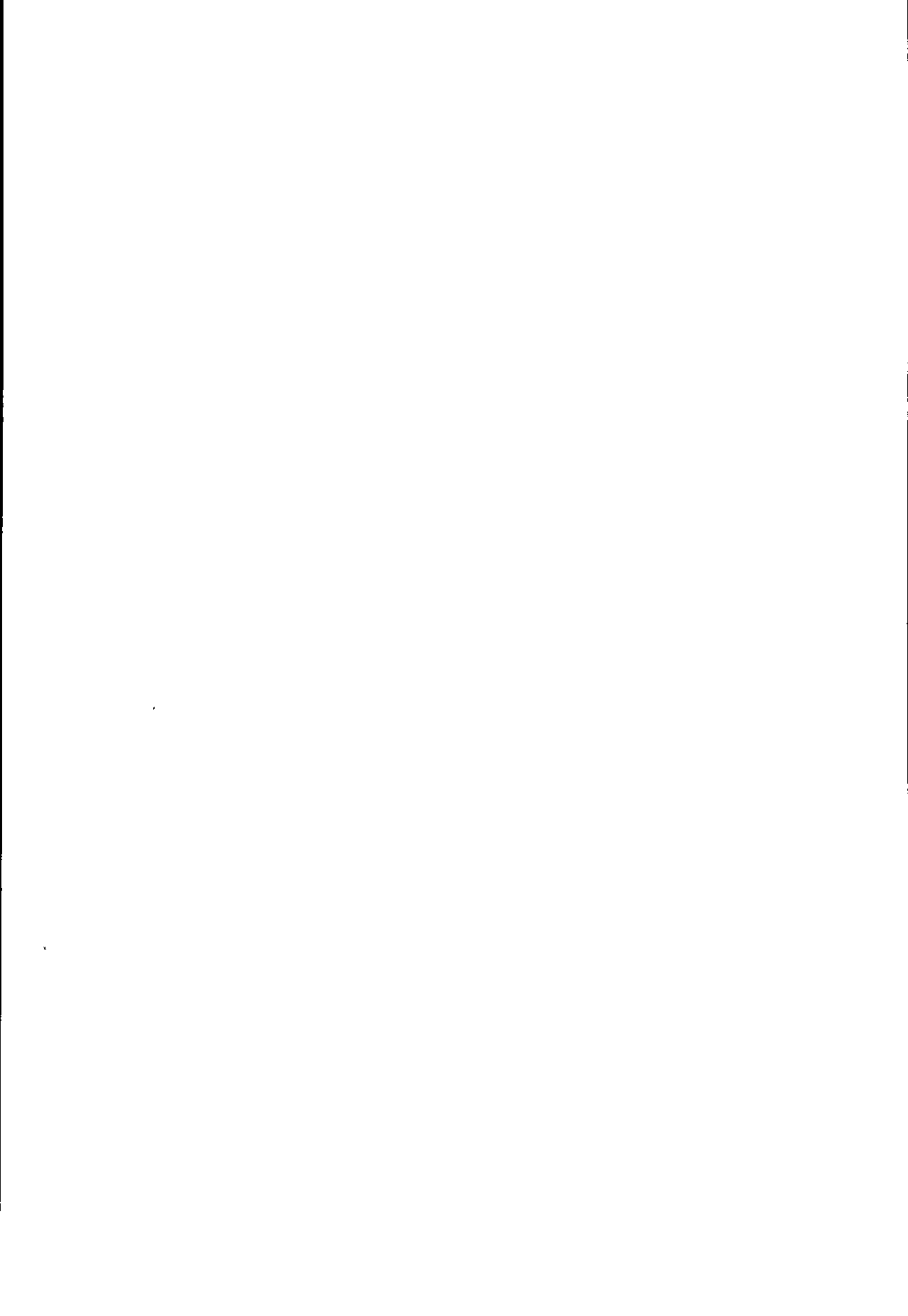
---

(١) قال الحافظ ابن كثير ٥٤٦/٦ : والمعنى : لو آخذهم اللهُ بجميع ذنوبهم ، لأهلكَ جميعَ أهلِ الأرض ، وما يملكونه من دوابٍّ ، وأرزاق . اهـ .

(٢) هذا كما يقول علماء اللغة : من باب « الحذف والإيجاز » والمرادُ : أجلُ عقابهم ، وعبارة الطبري كما في تفسيره ١٤٧/٢٢ : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ ﴾ يقول تعالى ذكره : فإذا جاء أجلُ عقابهم ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً ﴾ مَنْ الذي يستحقُّ أن يُعاقب منهم ، ومن الذي يستوجب الكرامة ، ومن الذي كان منهم في الدنيا له مطيعاً ، ومن كان فيها به مشركاً ، لا يخفى عليه أحد منهم ، ولا يعزُبُ عنه علمُ شيءٍ من أمرهم . اهـ .

تفسير سورة يس

مكية وآياتها ٨٣ آيـة



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يس وهي مكية[1]

١ ــ **من ذلك قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ يَسِنْ . وَالقُرْآنِ الحَكِيمِ ﴾** [آية ٢] .

وقرأ عيسى[2] **﴿ يَاسِينَ ﴾** بفتح النون .

رَوَى سفيان عن أبي بكرٍ الهُـذلي عن الحسين ﴿ يَسٓ ﴾ قال : افتتاح القرآن[3] .

ورَوَى هُشَيمٌ ، عن حُصَيْن ، عن الحَسَنِ قال : ﴿ يَسِ ﴾ قال : يا إنسان[4] ، وكذلك قال الضحاك .

---

(١) هي مكية بإجماع وهي ثلاث وثمانون آية ، واستثنى بعض العلماء من السورة قوله تعالى ﴿ إنا نحن نُحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم ﴾ فقال : إنها مدنية لأنها نزلت في « بني سلمة » من الأنصار ، حين أرادوا أن يتركوا ديارهم ، وينتقلوا إلى جوار مسجد رسول الله ﷺ ، وتسمى هذه السورة قلب القرآن ، فقد روى الترمذي عن أنس مرفوعاً (إن لكل شيء قلباً ، وقلب القرآن يسٓ) .

(٢) هو « عيسى بن عمر » مقرئ الكوفة المتوفى سنة ١٥٦هـ وانظر ترجمته في طبقات القراء لابن الجزري ٦١٢/١ . وهذه القراءة بفتح النون ﴿ يسنَ ﴾ من القراءات الشاذة كما في المحتسب ٢٠٣/٢ .

(٣) يعني أن « يسٓ » من الحروف المقطَّعة التي تبتدئ بها أوائل السوار ، للتنبيه على إعجاز القرآن .

(٤) ذكر هذا الأثر القرطبي ٤/١٥ وابن كثير ٥٤٨/٦ وفي الدر المنثور ٢٥٨/٥ .

وقال عكرمةُ : هو قسمٌ[1] .

وقال مجاهد : من فواتح كلامِ اللّهِ جلَّ وعزَّ[2] .

وقال قتادة : هو اسمٌ للسورة[3] .

وقراءةُ عيسى تحتمل أن تكون اسماً للسورة ، ونُصِبَ بإضمارِ فعْلٍ[4] .

ويجوز أن يكون الفتح لالتقاء الساكنَيْنِ .

قال سيبويه : وقد قرأ بعضُهم ﴿ **يَسَنَ . والقرآنَ** ﴾[5] و﴿ **قَ . والقرآنَ** ﴾ يعني بنصبهما جميعاً .

قال : فمن قال هذا ، فكأنه جعله اسماً أعجميًّا ، ثم قال : اذكر ياسينَ .

---

(١) هذا القول مروي عن كعب أيضاً كما في القرطبي ٥/١٥ فقد قال كعب « يسٓ » قسَم أقسم الله به قبل أن يخلق السماء والأرض بألفي عام قال يا محمد : إنك لمن المرسلين ، قال النقاش : لم يقسم الله لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلّا له عليه السلام ، وفيه من تمجيده وتعظيمه ما فيه ، وحكى القشيري عن ابن عباس قال : قالت كفار قريش لست مرسلاً ، وما أرسلك الله إلينا ، فأقسم الله بالقرآن المحكم أن محمداً من المرسلين .

(٢ــ ٣) الأثر عن مجاهد ، وقتادة أخرجهما الطبري ١٤٨/٢٢ وابن الجوزي ٤/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٢٥٨/٥ .

(٤) هذا قول الزجاج في معانيه ٢٧٧/٤ على معنى أتلُ يسنَ قال : والتسكين أجود لأنها حروف هجاء .

(٥) هذه قراءة عيسى بن عمر الكوفي كما تقدم ، وعدَّها ابن جني في المحتسب من القراءات الشاذة ٢٠٣/٢ وكذلك قراءة الضم ﴿ يَسنُ ﴾ وقراءة الجمهور ﴿ يَسنْ ﴾ بإظهار النون .

قال أبو جعفر : هذا يدلُّ على أن مذهب « سيبويهِ » في « يسٓ » أنه اسمُ السورة ، كما قال قتادة[1] .

قال سيبويه : ويجوز أن يكون ﴿ **يسٓ** ﴾ و﴿ **صاد** ﴾ اسمين غير متمكنين ، فيُلزما الفتحَ ، كما أُلْزِمت الأسماءُ غيرُ المتمكِّنةِ الحركاتِ ، نحو « كَيْفَ ، وَأَيْنَ ، وحَيْثُ ، وأَمْسِ »[2] .

٢ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾** [آية ٣و٤] .

خبرٌ بعد خبر[3] .

ويجوز أن يكون ﴿ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ من صلة

---

(١) قول قتادة أنه اسم للسورة تقدَّم ، والأثر ذكره الطبري في تفسيره ١٤٨/٢٢ .

(٢) قال القرطبي ٣/١٥ : سبيلُ حروف الهجاء أن يوقف عليها ، وذكر سيبويه النصب ، وجعله من جهتين :

إحداهما : أن يكون مفعولاً ، ولا يصرفه لأنه عنده اسم أعجمي ، بمنزلة « هابيل » والتقدير اذكر ياسين .

وقوله الآخر : أن يكون مبنياً على الفتح ، مثل : كيفَ ، وأينَ . اهـ.

(٣) أي جملة ﴿ على صراط مستقيم ﴾ خبرٌ ثان بعد الخبر الأول ، وهو قوله : ﴿ إنك لمن المرسلين ﴾ الذي هو المقسم عليه واختاره الزجاج ٢٧٧/٤ قال النيسابوري في غرائب القرآن ٦/٢٣ : كثيراً ما يستعمل القسم ، بعد إفحام الخصم الألدِّ ، كيلا يقول إنك قد أفحمتني بقوة جدالك ، وأنت في نفسك خبيرٌ بضعف مقالك ، وأيضاً الابتداء بصورة اليمين يدل على أن المقسم عليه أمر عظيم ، والأمر العظيم تتوفر الدواعي على الإصغاء عليه ، وكانت العرب يتحرزون من الأيمان الفاجرة ، ويقولون : إنها تدع الديار بلاقع . اهـ.

المرسلين ، أي لمن المرسلين على استقامةٍ من الحقِّ .

٣ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ تَنْزِيلُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾** [آية ٥] .

أي الذي أوحي إليك ، تنزيلُ العزيزِ الرحيمِ .

والنصبُ لأنه مصدرٌ[١] .

٤ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ لِتُنْذِرَ قَوْمَاً مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴾** [آية ٦] .

قال قتادة : قال قومٌ : لِتُنْذِرَ قوماً ما أتى آباءَهُمْ قبلَكَ من نذير .

وقال قوم : لِتُنذِرَ قَوْماً مثلَ ما أُنِذرَ آباؤُهُمْ[٢] .

قال أبو جعفر :إ المعنى على القول الثاني : لتنذر قوماً بما أُنذر

---

(١) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ﴿تنزيلُ العزيزِ الرَّحيمِ﴾ بالرفع ، وقرأ ابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ، وحفص عن عاصم ﴿ تنزيلَ العزيز ﴾ نصباً ، وكلاهما من السبع ، فقراءة الرفع على أنه خبرٌ لمبتدأٍ محذوف ، تقديره : هذا القرآن تنزيل العزيز الرحيم ، وقراءة النصب على المدح ، أو على المصدرية ، أي نزل تنزيل ، وانظر روح المعاني ٢١٢/٢٢ .

(٢) الأثر في الطبري ١٥٠/٢٢ و ﴿ ما ﴾ على قول قتادة نافية ، والمعنى : لتنذر قوماً لم يُرسل إليهم ولا لآبائهم رسول ينذرهم ، وعلى القول الثاني « ما » اسم موصول بمعنى الذي ، والمعنى : لتنذر قوماً مثل الذي أُنذره آباؤهم ، والقول الأول أرجح ، وهو اختيار الأكثرين من المفسرين لقوله تعالى : ﴿ فهم غافلون ﴾ يعني أن غفلتهم بسبب عدم إنذارهم ، ويؤيد هذا الوجه قوله تعالى : ﴿ وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير ﴾ وقوله تعالى ﴿ لتنذر قوماً ما آتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون ﴾ أي لم يأتهم نبي ، ولهذا اشتهروا بأنهم أهل الفترة .

آباؤهم ، كما قال سبحانه ﴿ فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً ﴾[1] .

٥ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ لَقَدْ حَقَّ القَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [آية ٧] .

أي وَجَبَ القولُ عليهم بكفرهم ، بأنَّ لهم النَّارَ[2] .

وقيل : عقوبةً على كفرهم .

٦ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً .. ﴾ [آية ٨] .

في معنى هذا أقوالٌ :

قال الضحاك : منعْنَاهم من النفقةِ في سبيل الله[3] ، كما قال تعالى ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ﴾[4] .

وقيل : هذا في يوم القيامة ، إذا دخلوا النَّارَ .

---

(١) لم يوضح المصنِّف وجه التمثيل في الآية التي استشهد بها ولو أكملها لوضح المعنى وهي قوله تعالى ﴿ فإن أعرضو فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ ويكون معنى الآية لتنذر قوماً مثل ما أنذر آباؤهم ، فيتمّ وجه الاستدلال .

(٢) المراد بالقول ما وعد الله به إبليس وأتباعه ، من مَلْءِ جهنم بهم ، وهو قوله تعالى ﴿ لأملأنَّ جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين ﴾ فهو وعيد مقطوع للكفرة المجرمين .

(٣) عزاه صاحب الدر المنثور إلى الضحاك ٢٥٩/٥ والطبري إلى ابن عباس ١٥١/٢٢ وقال : يعني بذلك أن أيديهم موثقة إلى أعناقهم ، لا يستطيعون أن يبسطوها بخير ، وهو كقول الله تعالى ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك .. ﴾ الآية ، وكذا نقله عن ابن عباس الحافظ ابن كثير ٥٤٩/٦ .

(٤) سورة الإسراء آية ٢٩ .

والماضي بمعنى المستقبل[1] ، أو لأنَّ اللَّهَ جلَّ وعزَّ أخبر به .

أو على إضمار « إذَا كَانَ »[2] .

وقيل : جعلنا بمعنى وصفنا أنهم كذا[3] .

وقد حَكَى سيبويه أنَّ « جَعَلَ » تأتي في كلام العرب على هذا المعنى ، وهو أحدُ أقواله في قولِهم : جَعَلتَ متَاعَك بعضَه فوقَ بعض ، وقولِهِ جلَّ وعزَّ ﴿ **وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا** .. ﴾[4] .

---

(١) هذا القول حكاه ابن الجوزي في زاد المسير عن الماوردي ٧/٧ وهو محمول على أن اللفظ ورد على حقيقته ، وأنه سيُفعل بهم ذلك في جهنم ، من وضع الأغلال والسلاسل في أعناقهم غداً في النار كقوله تعالى ﴿ إذِ الأغلالُ في أعناقهم والسلاسل ﴾ وأخبر عنه بلفظ الماضي « إنا جعلنا » لأنه أمر مقطوع مؤكد كقوله سبحانه ﴿ أتى أمر الله ﴾ .

(٢) توضيحه أن المعنى : إذا كان يوم القيامة ، جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان ..

(٣) هذا القول بعيد ، وخلاصة القول في الآية ما ذهب إليه الجمهور ، أنه من باب « التمثيل والتصوير » شبَّههم بمن جُعل في عنقه غلٌّ ، يمنعه من الالتفات ، وغُطِّي على بصره ، فصار كالأعمى لا يُبصر ، وهذا ما اختاره ابن كثير ، وأبو السعود ، وابن جُزيٍّ ، قال في تفسير الجلالين : وهذا تمثيل ، والمراد أنهم لا يُذعنون للإيمان ، ولا يخفضون رءوسهم له . اهـ.ومما يرجح هذا الرأي قوله تعالى قبلها ﴿ فهم لا يؤمنون ﴾ وقوله بعدها ﴿ وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ قال القرطبي وعزاه إلى ابن سلَّام وأبي عُبيدة : إنه مثلٌ ضربه الله تعالى لهم ، في امتناعهم من الهدي ، كامتناع المغلول ، وهذا كما يقال : فلان حمار ، أي لا يبصر الهدى ، وكما قال « لهم عن الرشد أغلال وأقياد » . اهـ.القرطبي ٨/١٥ وانظر تفسير ابن كثير ٥٤٩/٦ .

(٤) سورة الزخرف آية رقم ٤٣ .

٧ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴾** [آية ٨] .

والمعنى : فأيديهم إلى الأذقان ، ولم يَجْرِ للأيدي ذِكرٌ ، لأنَّ المعنى قد عُرِفَ ، كما قال :

فَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ وَجْهاً
أُرِيدُ الخَيْرَ أَيُّهمَا يَلِينِي
أَأَلْخَيرُ الَّذِي أَنَا أَبْتَغِيهِ
أَمِ الشَّرُّ الَّذِي لا يَأْتَلِينِي[1]

وفي قراءة عبدِ اللهِ بن مسعود ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا في أَيْمَانِهِمْ أَغْلَالاً ﴾[2] .

ثم قال تعالى ﴿ فَهُمْ مُقْمَحُونَ[3] ﴾ [آية ٨] .

قال مجاهد : أي رافعوا رءوسِهم ، وأيديهم على أفواههم[4] .

---

(١) البيتان لسُحَيم بن وثيل الرياحي ، وهما من شواهد الفراء في معاني القرآن ٢/٢٧٣ والطبري ٢٢/١٥١ وقد أوردهما الزجاج في معانيه ٤/٢٧٩ وعزاهما إلى المثقب العبدي ، والشاهد فيه أنه ذكر الخير في قوله « أريدُ الخير » ولم يذكر الشرَّ ، لعلمه من السياق ، ودلالة الكلام عليه .

(٢) هذه القراءة شاذة ، وهي محمولة على التفسير ، وليست من القراءات السبع المعتمدة ، ولا يقرأ بما خالف المصحف كما نبه على ذلك الإمام النحاس في كتابه إعراب القرآن ٢/٧١٠ .

(٣) قال أهل اللغة : الإقماحُ : رفع الرأس ، وغضُّ البصر ، يُقال : أُقمِح البعير إذا رفع رأسه عند الحوض ، وامتنع من الشُّرب ، وانظر القاموس المحيط ، مادة قمح .

(٤) الأثر ذكره الطبري عن مجاهد ٢٢/١٥١ وابن كثير ٦/٥٥٠ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٢٥٩ .

وقال الفراء : هو الرافع رأسَهُ ، الغاضُّ بَصَرَه[1] .

وقال أبو عُبيدة : هو الذي يُجْذَبُ ، وهو رافعٌ رأسه[2] .

قال أبو جعفر : المعروف في اللغة : أن « المُقْمح » الرافعُ رأسَه لمكروهٍ ، ومنه قيل لِكَانُونَيْنِ[3] : « شَهْرَا قِمَاحٍ » لأن الإبل إذا وردت فيهما الماءَ ، رفعتْ رؤُوسَها من البَرْدِ ، ومنه قوله :

وَنَحْنُ عَلَى جَوانِبِها قُعُوْدٌ
نَغُضُّ الطَّرْفَ كَالْإِبِلِ القِمَاحِ[4]

٨ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا .. ﴾ [آية ٩] .

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٣٧٣ .

(٢) عبارة أبي عُبيدة كما في مجاز القرآن ٢/١٥٧ : المُقْمح والمُقْنع واحدٌ ، تفسيره أي يَجْذب الذَّقْن حتى يصيرَ في الصَّدْر ، ثم يرفع رأسه ، قال بشر الأسدي :

ونحن على جوانبها قُعُودٌ   نَغُضُّ الطَّرْفَ كالإبل القِمَاح

أي كالإبل ترفع رأسها وتغمض عينيها بعد أن تشرب من الماء .

(٣) هما شهرا « كانون الأول » و « كانون الثاني » الأول نهاية العام الميلادي ، والثاني بداية العام الميلادي أعني ـ ميلاد السيد المسيح ـ وهما أشد شهور الشتاء برداً ، قال في القاموس : الكانون : شهران في قلب الشتاء . اهـ. وفي تاج العروس : شهران في قلب الشتاء ، الأول ، والآخر ، رومية ، وهما عند العرب : الهَرَّاران ، والهَبَّاران وهما شَهرا قِماح ، بكسر الأول وضمِّه . اهـ.

(٤) البيت لبشر بن أبي خَازِم الأسدي ، يصف سفينة ، وانظر مجاز القرآن ٢/١٥٧ وتفسير الطبري ١٥/٨ .

قال أبو جعفر : السَّدُّ ، والسُّدُّ : الجبلُ ، والمعنى أعميناهم[1] ،

كما قال :

وَمِنَ الحَوَادِثِ ـــ لا أَبَالَكِ ـــ أَنَّنِي
ضَرَبتْ عَلَـــيَّ الأرضُ بالأَسْدَادِ[2]
لَا أَهْتَـدِي فِيهَـا لِمَـوْضِعِ تَلْعَـةٍ
بيـنَ العُـذَيْبِ وَبَيْـنَ أَرْضِ مُرَادِ

قال عكرمة : كلُّ ما كان من صنعةِ اللَّهِ عز وجل فهـو سَدٌّ ، وما كان من صنعة المخلوقين فهو سُدٌّ[3] .

وقال ابنُ أبي إسحقَ : كلُّ ما لا يُرى فهو سَدٌّ ، وما رُئِيَ فهو سُدٌّ .

ويُروى أنهم أرادوا النبيَّ ﷺ بسوءٍ ، فأحـال اللـه جلَّ وعـزَّ

---

(١) في الآية استعارة تمثيلية ، فقد شُبهت حال الكفار في امتناعهـم من الهدى والإيمان ، بشخص غُلَّت يده إلى عنقه بالسلاسل والأغلال ، فأصبح رأسه مرفوعاً ، لا يستطيـع خفضاً له ولا التفاتاً ، وبمن سُدَّت الطُّرُق في وجهه ، فلم يهتد لمقصوده ، وعلى هذا أكثر المفسرين .

(٢) البيتان للأسود بن يَعْفُر النَّهْشَلي كما في المفضليات ص ٢١٦ وقد ذكره في لسان العرب مادة « سَدَد » على أن جمـع الأسداد سُدٌ ، واستشهـد به الأزهري في تهذيب اللغة ١٢/٢٧٨ وقال معناه : سُدَّت عليَّ الطُّرق ، وعَمِيَتْ عليَّ مذاهبي ، قال : وواحد الأسداد سُدٌّ . اهـ.

(٣) هذا قول الزجاج في معانيه ٤/٢٨٠ وفي لسان العرب سَدَد قال : وحكـى الزجـاج ما كان مسدوداً خِلْقَةً فهو « سُدٌّ » وما كان من عمل الناس فهـو « سَدٌّ » وعلى ذلك وجَّه قراءة من قرأ ﴿ حتى إذا بلغ بين السَّدَّين ﴾ بالفتح والضم . اهـ.

بينهم وبينه ، أي فصاروا كأنَّ بينهم وبينه سَدَّاً ، وكأنَّ في أعناقهم أغلالاً ، كذا قال عكرمة ، ونزلت في أبي جهلٍ[1] .

٩ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾** [آية ٩] .

التَّغْشيةُ : التَّغطيةُ ، ورُوي عن ابن عباس ، وعمرَ بن عبد العزيز ﴿ **فَأَعْشَيْنَاهُمْ** ﴾ بالعين غير مُعجمة[2] ، كما قال تعالى ﴿ **وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ** ﴾[3] .

١٠ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ .. ﴾** [آية ١٢] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري في تفسيره ١٥٢/٢٢ بسنده عن عكرمة قال : قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً لأفعلن وأفعلن ، فنزلت ﴿ إنا جعلنا .. ﴾ الآية فكانوا يقولون : هذا محمد ، فيقول : أين هو ؟ أين هو ؟ لا يبصره ، وذكره القرطبي في تفسيره ٧/١٥ ورواه ابن الجوزي في زاد المسير ٦/٧ عن مقاتل قال : حلف أبو جهل لئن رأى النبي ﷺ يصلي ليدمغنَّه ، فجاءه وهو يصلي فرفع حجراً فيبست يده ، والتصق الحجر بيده ، فرجع إلى أصحابه فأخبرهم الخبر ، فقام رجل منهم فأخذ الحجر ، فلما دنا من رسول الله ﷺ طمس الله على بصره فلم يره ، فنزلت ، قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف ص ١٣٩ رواه ابن أبي إسحاق في السيرة ورواه أبو نُعيم في الدلائل بنحوه .

أقول : وأصله في البخاري ٧٢٤/٨ قال ابن عباس : قال أبو جهل : « لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة ، لأطأنَّ على عنقه .. » الحديث ، وانظر الدر المنثور للسيوطي ٢٥٨/٥ .

(٢) هذه من القراءات الشاذة ، كما في المحتسب لابن جني ٢٠٤/٢ وهي من عَشِي يَعْشَى إذا ضعف بصره .

(٣) سورة الزخرف آية رقم ٣٦ والمعنى : ومن يَتَعَامَ ويُعرض عن عبادة ربه وطاعته ، نُهيء له شيطاناً ونسلِّطه عليه ، فهو صاحبٌ ملازم .

رَوَى سِمَاكٌ عن عكرمة عن ابن عباس : « كانت الأنصار بعيدةً من المسجد ، فقالوا : نأخذُ أمكنةً تقربُ من المسجد ، فأنزل اللهُ جلَّ وعزَّ ﴿ **وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوْا وَآثَارَهُمْ** ﴾ فقالوا : نثبتُ مكاننا[1] .

وقال مسروقٌ : مَا منْ رَجلٍ يَخطُو خُطْوةً إلاَّ كتب اللَّهُ له حسنةً أو سيِّئةً[2] .

وقال مجاهد وقتادة : ﴿ **آثَارَهُمْ** ﴾ : خُطَاهم[3] .

وقال سعيدُ بن جُبير : ﴿ **نَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا** ﴾ أعمالهم ، و﴿ **آثَارَهُمْ** ﴾ ما سَنُّوا بعدهم[4] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري في تفسيره ١٥٤/٢٢ من رواية ابن عباس بهذا اللفظ ، وذكره ابن كثير ، والسيوطي في الدر المنثور ٢٦٠/٥ وقد جاءت روايته في صحيح مسلم ٤٦٢/١ من حديث جابر بن عبد الله ولفظه قال : « خَلَتِ البقاع حول المسجد ، فأراد بنو سَلِمَةَ أن ينتقلوا إلى قرب المسجد ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم : إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد ، قالوا : نعم يا رسول الله ، قد أردنا ذلك ، فقال : يا بني سَلِمة : دياركم تكتبْ آثاركم ، دياركم تكتب آثاركم » ــ أي الزموا دياركم يكتب لكم ثواب المشي إلى المسجد والرجوع منه ــ وفي بعض الروايات في مسلم : « فقالوا : ما كان يسرُّنا أنا كنَّا تحوَّلنا » . اهـ.

(٢) الأثر أخرجه عبد بن حميد عن مسروق بلفظه وانظر الدر المنثور ٢٦٠/٥ وهذا يدل على أن آثار الخطى تكتب سواء كانت للمسجد أو غيره .

(٣) هذا الأثر أخرجه الطبري ١٥٥/٢٢ والقرطبي ١٢/١٥ وهذا قول الحسن البصري أيضاً وفي الطبري قال الحسن : « وآثارهم » خطاهم . وقال قتادة : لو كان مُغْفِلاً شيئاً من شأنك يا ابن آدم ، أغفل ما تعفي الرياح من هذه الآثار .

(٤) هذا قول ابن عباس أيضاً واختاره الفراء ، وابن قتيبة ، والزجاج كما في زاد المسير ٩/٧ ويؤيده=

١١ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَاضرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾** [آية ١٣] .

قال عكرمة : هي أنطاكيةُ[١] .

قال أبو جعفر : يُقال : عندي ضُرُوبٌ من هذا ، أي أمثالٌ[٢] .

فالمعنى على هذا : ومثِّلْ لهم مَثَلاً أي اذكر لهم مثلاً ﴿ **أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ** ﴾ على البدلِ ، أي اذكرْ أصحابَ القرية .

والمعنى : واذكر خبرَ أصحابَ القريةِ إذْ جَاءَها المرسلون .

١٢ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ .. ﴾** [آية ١٤] .

= حديث مسلم « من سنَّ في الإسلام ستَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أُجورهم شيء ، ومن سَنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها .. » الحديث .

(١) هذا قول الأكثرين من المفسرين أنها « أنطاكية » بأرض الروم ، واستشكل الحافظ ابن كثير هذا القول لأن أهل أنطاكية قد آمنوا ، وأهل هذه القرية قد ذكر الله تعالى أنهم كذبوا رسله ، وأنه أهلكهم بصيحة واحدة . أو تكون أنطاكية مدينة أخرى غير هذه المعروفة المشهورة .

(٢) مراد المصنف أن معنى « اضربْ » مثِّل أي مثِّل لهم مثلاً من قولهم عندي من هذا الضرب كذا أي من هذا المثال ، وهذه الأشياء على ضرب واحد على مثال واحد ، ومعنى الآية : اذكر لقومك هذه القصة العجيبة التي هي في الغرابة كالمثل .

قال قتادة : أُرْسَلَ إليهم عيسى ﷺ ، اثـنين من الحواريِّين ، فكذَّبوهما[1] .

وقال كعبٌ ووهبٌ : أرسل الله جلَّ وعزَّ إلى « أنطيخس »[2] الفرعون بأنطاكية ــ وكان يعبد الأصنام ــ اثنين ، ثم عزَّزَ بثالث .

قال الفراء : الثالثُ أُرسل قبل الإثنين ، وفي التلاوة كأنه أُرسل بعدهما ،

قال : ومعنى ﴿ **فَعزَّزْنَا بِثَالِثٍ** ﴾ : فعزَّزنا بتعليم الثالث[3] .

---

(١) ذكره الطبري ١٥٥/٢٢ وفي البحر ٣٢٦/٧ وفي زاد المسير ١١/٧ وهذا القول المروي عن قتادة هو أحد قولين للمفسرين ، واختاره صاحب الجلالين ، والكشاف . وهو قول مرجوح . والقول الثاني : أنهم رسل الله أرسلهم الله إلى أهل القرية ، وهذا قول ابن عباس ، وكعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، وهو الأظهر والأرجح للآتي :

أولاً : إن ظاهر القرآن يدل على أنهم رسل الله عز وجل لقوله ﴿إذْ أرسلنا﴾ وقوله ﴿فعزَّزنا بثالث﴾ وقولهم ﴿إنا إليكم مرسلون﴾ وقولهم ﴿ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾ ولو كانوا من الحواريين لقالوا : إنا رسل عيسى إليكم . فإسناد الرسالة إلى الله يدل على أنهم رسل من عند الله .

ثانياً : قول المشركين لهم « ما أنتم إلا بشر مثلنا » فإن هذا إنما يقال لمن ادعى أن الله أرسله . وهذا القول هو الذي رجحه الحافظ ابن كثير . وأبو حيان في البحر المحيط . وصاحب التسهيل ، وهو قول جمهور المفسرين .

(٢) بالنون والخاء ، وفي الطبري ١٥٦/٢٢ أن اسمه « ابطيحس بن ابطيحس » بالباء والحاء .

(٣) عبارة الفراء في معاني القرآن ٣٧٣/٢ : والثالث قد كان أُرسل قبل الإثنين فكُذِّب ، وقد تراه في التنزيل كأنه بعدهما ، وإنما معنى قوله ﴿ فَعَزَّزنا بثالث ﴾ بالثالث الذي قبلهما ، وكلامه كما قال المصنف ليس بظاهر .

قال : وفي قراءة ابن مسعود : « فعزَّزنا بالثَّالثِ »[1] وأهل وأهلُ التفسير على خلاف قوله ، وقَوْلُهُ ليسَ بالبيِّن ، والله أعلم.

قال الحسن ومجاهد : ﴿ **فَعَزَّزْنَا** ﴾ فشدَّدنا[2] .

قال الفراء : **وقرأ عاصمٌ** ﴿ **فَعَزَزْنَا** ﴾ خفيفة[3] ، قال : وهو مثل : شَدَدْنا ، وشدَّدنا .

قال أبو جعفر : والمعروفُ في اللغة أن معنى « عَزَزْنا » غلبْنَا وقهَرْنَا ، والمستقبل « يَفْعُل »[4] بالضم .

١٣ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا[5] بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ .. ﴾ [آية ١٨] .

---

(١) هذه القراءة ذكرها أبو حيان في البحر ٣٣٧/٧ وهي ليست من القراءات السبع .

(٢) عزَّزه : قوَّاه وشدَّ من أزره ، وفي المصباح المنير : تعزَّز : تقوَّى ، وعزَّزته بآخر : قوَّيته بالتثقيل ، وبالتخفيف ، من باب قتل . اهـ.

(٣) هذه قراءة عاصم في رواية أبي بكر والمفضل عنه ، وقرأ الباقون بالتشديد . اهـ. السبعة في القراءات ٥٣٩/٢ .

(٤) مراد المصنف أن « عززنا » بالتخفيف مضارعه يعزُزُ مثل قَتَل يَقتُل ، وأما قراءة التشديد فالمضارع يُعَزِّزُ مثل : قتَّل يُقَتِّلُ .

(٥) التطيُّر : التشاؤم ، وأصله مأخوذ من الطير ، إذا طار إلى جهة اليسار ، تشاءَم العرب به ، قال في المصباح : تطيَّر من الشيء ، واطيَّر منه ، والاسم الطِّيَرة وزن عِنَبة وهي التشاؤم ، وكانت العرب إذا أرادت المضيَّ لمهمٍّ ، مرَّت بمجاثم الطير وأثارَتْها هل تمضي أو ترجع ، فنهى الشارع عن ذلك . اهـ.

قال قتادة : أي ما أصابنا من شرٍّ فهو بكم[1] .

ثم قال تعالى ﴿ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوْا لَنَرْجُمَنَّكُمْ ﴾ أي لنقتلنَّكم رجماً[2] .

١٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴾ [آية ١٩] .

رُوي عن مجاهد عن ابن عباس قال ﴿ طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ﴾ أي الأرزاقُ والأقدارُ تتبعكُمْ[3] .

قال أبو جعفر : ومن هذا قوله جل وعزَّ **﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾**[4] أي ما يَطِيرُ له من الخيرِ والشرِّ ، فهو لازمٌ له في عنقه ، على التمثيل[5] .

---

(١) عبارة الطبري ١٥٧/٢٢ : قال قتادة ﴿ إِنَّا تَطَيَّرنا بكم ﴾ أي تشاءمنا بكم ، إن أصابنا شرٌّ فإنما هو من أجلكم . اهـ.

(٢) أي بالحجارة وهو قول قتادة ، وقال مجاهد : ﴿لنرجمنكم﴾ بالشتم أي لنشتمنَّكم ، والراجح الأول وانظر ابن كثير ٥٥٥/٦ .

(٣) ذكره الطبري في تفسيره ١٥٧/٢٢ والقرطبي ١٦/١٥ وهو قول لبعض المفسرين . والأظهر أن معنى ﴿ طَائِركم معكم ﴾ أي ليس شؤمكم بسببنا ، وإنما شؤمكم من أفعالكم ، بكفركم ، وعصيانكم ، وسوء أعمالكم ، وهذا ما رجحه جمهور المفسرين ، وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى ابن عباس قال : شؤمكم معكم .

(٤) سورة الإسراء آية رقم ١٣ .

(٥) قوله على التمثيل أي : إنَّ الآية واردة بأسلوب التمثيل ، فإن الإنسان مرهون بعمله ، مجزيٌّ عليه ، وعمله ملازم له ملازمة القلادة للعنق ، لا ينفك عنه أبداً ، فالطائر هنا تمثيلٌ للعمل الذي اكتسبه الإنسان .

ثم قال تعالى : ﴿ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ ﴾ قال قتادة : أي أَإِنْ ذُكِّرتم تطيَّرتم[1] ؟

وقَرَأ أبو رَزِين[2] ﴿ أَأَنْ ذُكِّرْتُمْ ﴾[3] .

والمعنى على قراءته : آلْأَنْ ذُكِّرتم باللَّهِ ، أو بالعذابِ ، تَطَيَّرتُمْ ؟

وقرأ عيسى : ﴿ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَينَ ذُكِّرْتُمْ ﴾[4] .

وقرأ الحسنُ : ﴿ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ ﴾ وفسَّره : حيثُ ذُكِّرتُمْ طائرُكُم معكُمْ[5] .

١٥ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى المَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى .. ﴾ [آية ٢٠] .

قال مجاهد : هو « حَبِيبُ النَّجارُ »[6] .

---

(١) هذا شرط حُذف منه الجواب للدلالة عليه ، والتقدير : أإنْ ذُكِّرتم ونُصِحتم تشاءمتم وكفرتم ؟

(٢) أبو رَزِين العُقَيلي صحابي مشهور ، واسمه لقيط بن صَبِرة بكسر الباء وفتح الصاد ، ويُقال : لقيط بن عامر العقيلي ، وانظر ترجمته في أسد الغابة ٥٢٢/٤ وتقريب التهذيب لابن حجر ١٣٨/٢ .

(٣) حكى الفراء أن هذه القراءة قراءة أبي رزين ٣٧٢/٢ وعلى هذه القراءة تكون للتعليل أي لأجل أن ذكِّرتم كفرتم ؟ .

(٤ ــ ٥) القراءتان عن الحسن ، وعيسى ، كلاهما من القراءات السبع ، وانظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٥٤٠ .

(٦) هذا هو المشهور الذي عليه جمهور المفسرين ، أن اسمه « حبيب النجار » كان رجلاً برًّا تقياً ،=

قال قتادة : كان يعبدُ اللّـهَ جلّ وعزَّ في غارٍ ، فلمَّـا سمع بخبرِ المرسلين [جاء يسعى ، فقـال للمـرسلين : أتطلبـــون على ما جئتم به أجـراً ؟ قالـوا : لا ، ما أجرُنـا إلاَّ على اللـــه ، فقـــال يا قوم اتَّبِعُـــوا المرسلين][1] إلى قوله ﴿ **إِنِّـي آمَـنْـتُ بِرَبِّـكُـمْ فَاسْمَعُـونَ** ﴾ يقـول هذا للمرسلين .

وقال كعبٌ ووهبٌ : قال هذا لقومه[2] .

قال قتادة : فَرَجَمَه قومُه فقال : اللهمَّ اهـدِ قومـي ـــ أحسبـه قال ـــ فإنهم لايعلمون ، فلم يَزَالوا يرجمونه حتـى أَقْـعَصُوه[3] ، فأدخلـهُ

= وكان يسكن في أقصى المدينة ، فلما سمع بخبر الرسل ، جاء مسرعـاً إلى قومـه لينصحهـم في عدم التعرض لرسل الله بالأذى ، قال الإمام القرطبي ١٥/١٨ : « كان حبيب مجذوماً ، وكان يعكـف على عبادةِ الأصنام سبعين سنة يدعوهم لعلهم يرحمونه ويكشفون ضُرَّه ، فما استجابوا له ، فلمـا أبصر الرسل ودعوه إلى الله ، قال : هل من آية ؟ قالوا : نعم ، نحن ندعـو ربنـا القـادر فيفـرّج عنك ما بك ، فقال : إن هذا لعجيب ، إني أدعـو هذه الآلهة سبـعين سنـة لتفـرَّج عنـي فلـم تستطع ، فكيف يُفرِّجه ربكم في غداة واحدة ؟ قالوا : ربنا على ما يشاء قديـر ، وهـذه لا تنفـع شيئـاً ولا تضر ، فآمـن ودعـوا ربهم ، فكشـف الله ما به ، فلمـا همَّ قومـه بقتل الرسل جاءهـم مسرعاً وقال ما قصَّه القرآن . اهـ .

(١) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وقد أثبتناه من القرطبي ١٥/١٨ وبه تتم فائدة الكلام .

(٢) ظاهر الآية أن الخطـاب كان لقومـه أي اسمعـوا قولي واعملـوا بنصيحتـي ، وقـال ابـن مسعـود : خاطب الـرسل بأنـه مؤمـن بالله ربهم ، ومعنـى ﴿ فاسمعـون ﴾ أي فاشهـدوا لي بالإيمان وكونـوا شهوداً لي يوم القيامة .

(٣) أقعصوه : أي قتلوه قتلاً سريعاً قال في اللسان : القَـعْصُ : القتـل المعجَّـلُ ، يُقـال : مات فلان قَعْصَاً : إذ أصابته ضربةٌ أو رميةٌ فمات مكانه ، وقعصتُه ، وأقعصتُه إذ قتلته قتـلاً . اهـ اللسـان لابن منظور .

اللهُ جلَّ وعزَّ الجنة ، ولم يُنْظِر اللَّهُ قومَه حتَّى أهلكهم[1] .

قال كعبٌ ووهبٌ : وثَبُوا عليه وَثْبَة رجلٍ واحدٍ ، فقتلوه ، فإذا هم خامدون[2] .

١٦ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾ [آية ٢٦] .

قال مجاهد : في قوله تعالى **﴿ قِيلَ ادْخُلِ الجَنَّةَ ﴾** قال : قيل له وَجَبَتْ لكَ الجَنَّةُ[3] .

١٧ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إنْ كَانَتْ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ [آية ٢٩] .

وقرأ أبو جعفر[4] ﴿ إنْ كَانَتْ إلاَّ صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ .

والمعنى على قراءته : إن وقعتْ عقوبَتهُمْ إلاَّ صيحةٌ واحدةٌ ،

---

(١) أخرج هذا الأثر الطبري في تفسيره ١٦١/٢٢ وابن كثير ٥٥٧/٦ والسيوطي في الدر المنثور ٢٦١/٥/٥ قال القرطبي : وقال قتادة : أدخله الله الجنة وهو حي فيها يرزق . اهـ.

(٢) هذه رواية ابن إسحاق عن ابن عباس ، وكعب ، ووهب ، كما ذكره ابن كثير ٥٥٧/٦ والطبري ١٦١/٢٢ والقرطبي ١٩/١٥ ومعنى ﴿ خامدون ﴾ ميِّتون لا حراك لهم ، تشبيهاً لهم بالرَّماد الخامد ، وقال قتادة : هلكى ، والمعنى متقارب .

(٣) ذكر هذا الأثر الطبري ١٦٢/٢٢ والقرطبي ١٩/١٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٦٢/٥ وإنما نَحَى مجاهد هذا المنحى ، لأن دخول الجنة إنما يُستحق بعد الموت . اهـ.

(٤) « أبو جعفر » هو أبو جعفر بن القعقاع أحد القراء المشهورين ، وعدَّها ابن جنى في المحتسب ٢٠٦/٢ من القراءات الشاذة ، وعلى هذه القراءة تكون « كان » تامة .

﴿ فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾[1] أي ساكنون بمنزلة الرَّمادِ الخامد .

١٨ ــ **وقوله جل وعزَّ ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى العِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾** [آية ٣٠] .

وفي حَرْف أُبَيّ[2] ﴿ **يا حَسْرَةَ العِبَادِ** ﴾ أي هذا موضعُ حُضورِ الحَسْرةِ[3] .

قال أبو جعفر : وحقيقةُ الحَسْرةِ في اللُّغَةِ : أن يَلْحقَ الإنْسانَ من النَّدمِ ما يصيرُ بِهِ حَسِيراً[4] .

١٩ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ القُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾** [آية ٣١] .

---

(١) قال في المصباح : خَمَدت النار من باب قَعَد : هَمَدت ، فلم يبق منها شيء ، وخمد الرجل : مات ، أو أغمي عليه .

(٢) قوله « وفي حرفِ أبيٍّ » أي وفي مصحف أبيٍّ بن كعب ﴿ يا حسرة العباد ﴾ على الإضافة ، وهي قراءة الضحاك ومجاهد أيضاً ، وقد عدَّها ابن جني في المحتسب ٢٠٨/٢ من الشواذ .

(٣) الحسرة معناها : التفجُّع ، والحُزن ، والأسى ، ونداء الحسرة إنما هو من باب الاستعارة ، لغرض التهويل والتعظيم ، كأنه يقول : يا حسرةً احضري فهذا وقتُك ، فإن هؤلاء الكفرة المكذبين ، أحقَّاء بأن يتحسَّر عليهم المتحسرون ، قال الحافظ ابن كثير : ومعنى الآية : يا حسرتهم وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب ، كيف كذبوا رسل الله ؟ وخالفوا أمر الله ؟ وقال ابن عباس معناه : يا ويل العباد . اهـ.

(٤) قال في اللسان : حَسِرَ يحْسَرُ حَسَراناً فهو حَسِيرٌ ، وحَسْران : إذا اشتدت ندامته على أمر فاته ، والحسرة : أشدُّ الندم ، حتى يبقى النَّادم كالحسير من الدوابِّ ، الذي لا منفعة فيه . اهـ. لسان العرب مادة حسر .

قال سيبويه : هو بدلٌ من « كَمْ » أي ألم يروا أنَّ القُرونَ التي أهلكناهم ، أنَّهم لا يَرْجعون ؟!

قال محمد بن يزيد[1] : هذا لايصحُّ ولا يجوز ، ومعنى ﴿ **أَلَمْ يَرَوْا** ﴾ ؟ ألم يعلموا[2] ؟ لأنهم إنما أُخبِروا بهذا ، و﴿ **كَمْ** ﴾ نصبٌ بـ ﴿ **أهلكنا** ﴾ .

والمعنى : ألم يعلموا كم أهلكنا قبلهم من القرون ؟ أي بأنهم إليهم لا يرجعون ، أي بالاستئصال .

قال : والدليلُ على هذا أنها في قراءة عبدالله بن مسعود ﴿ مَنْ[3] **أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ** ﴾ .

وقرأ الحسن : ﴿ **إِنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ** ﴾[4] .

٢٠ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ** ﴾ [آية ٣١] .

---

(١) هو الإمام المبرّد أبو العباس البصري أحد أعلام اللغة المتوفى سنة ٢٨٥ وقد تقدمت ترجمته ١/٥٥ .

(٢) الرؤية هنا ليست بصرية ، وإنما هي قلبية ، بمعنى العلم ، والمعنى : ألم يعلم هؤلاء المكذبون من كفار مكة ، كم أهلكنا من الأمم قبلهم بعذاب الاستئصال ؟ أهلكناهم بحيث لا رجوع لهم إليهم ، ليعتبروا ويتعظوا ؟ .

(٣) ذكرها الطبري ٢٣/٣ فقال : وقد ذُكر أن ذلك في قراءة ابن مسعود ﴿ ألم يروا مَن أهلكنا ﴾ ؟ وذكرها القرطبي ١٥/٢٤ وليست من القراءات السبع ، بل هي شاذة ، فتنبّه والله يرعاك .

(٤) قراءة الكسر ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ ذكرها الطبري ٢٣/٣ والقرطبي ١٥/٢٤ وابن الجوزي في زاد المسير = ٧/١٥ .

« إنْ » بمعنى « ما » و « لَمَّا » بمعنى « إلاَّ »[1] .

وحكى **النحويُّون** : باللَّهِ لَمَّا قمتَ ، بمعنى إلاَّ .

وفي حرفِ أبيِّ بنِ كعبٍ[2] ﴿ **وَإِنْ منهُمْ إلاَّ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ** ﴾ .

٢١ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ المَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا .. ﴾ [آية ٣٣] .

أي وعلامةٌ تدلُّ على قدرةِ اللَّـهِ عزَّ وجلَّ ، وإحيائهِ الموتى ، الأرضُ الميتةُ أَحْيَيْنَاهَا[3] .

٢٢ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ .. ﴾ [آية ٣٥] .

---

(١) هذه على قراءة التشديد ﴿ لمَّا ﴾ والمعنى : وما كلٌّ إلا جميع لدينا محضرون ، وهي قراءة عاصم وحمزة . وقرأ بالتخفيف الباقون « لَمَا » فتكون « إنْ » مخفَّفة من « إنَّ » الثقيلة ، واللامُ لامُ التأكيد ، دخلت على « ما » المزيدة ، وانظر التسهيل ٣/٣٥٥ .

(٢) أي وفي مصحف أبيٍّ بن كعب ، وانظر القرطبي ١٥/٢٥ وهذه القراءة ليست من السبع ، بل هي شاذة .

(٣) الأرض الميتة : هي الأرض اليابسة الهامدة التي لا نبات فيها ولا زرع ، شبهت بالميِّت ليُبسها وجفافها . وإحياؤها بالمطر ، فإذا أنزل الله عليها الماء ، اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، قال القرطبي : نبَّههم تعالى بهذه الآية على إحياء الموتى ، وذكَّرهم على توحيده ، وكمال قدرته ، بالأرض الميتة أحياها بالنبات ، وإخراج الحب منها ، فمن الحب يأكلون ، وبه يتغذَّون . اهـ.

رُويَ عن ابن عباس : أي ولم تعمله أيديهم[1] .

وتُقْرأ ﴿ وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ بمعنى : والذي عملتْ أيديهم[2] .

٢٣ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا .. ﴾ [آية ٣٧] .

أي الأصناف من الثمرات ، والحيوان ، وغيرهما .

٢٤ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾ [آية ٣٧] .

يُقال : سلختُ الشيءَ من الشيءِ : أي أزلتهُ منه ، وخلَّصتُه حتى لم يبقَ منه شيءٌ ﴿ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾.

﴿ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾ أي داخلون في الإظلام[3] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن كثير عن ابن عباس وقتادة ٥٦١/٦ وذكره القرطبي ٢٥/١٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٦٣/٥ و « ما » على هذا القول نافية ، أي ولم تعمله أيدي الناس ، ولا يقدرون على حلقه ، وإنما هو من رحمة الله بهم ، وهذا القول هو الذي اختاره الحافظ ابن كثير .

(٢) هذه قراءة حمزة والكسائي كما في السبعة لابن مجاهد ٥٤٠/٢ و « ما » هنا اسم موصول بمعنى الدي ، قال السيوطي في إعجاز القرآن ص ٤٠٨ : أي ليأكلوا من ثمره ، ومما عملت أيديهم بالحرث ، والزراعة ، والغِراسة ، واختاره الطبري ، وهو الأظهر ، فالثمر من خلق الله ، وفيه آثار من كدِّ البشر .

(٣) هذه صورة بديعة من صور الجمال الفني في تعبير القرآن ، فالليل والنهار كأنهما جسد وعورة سُتِرا بلباس من الأنوار ، فإذا نُزِع الثوب وأُزيل ، بدت ظلمة الليل الحالك ، كعورة الجسد =

٢٥ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ والشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ ﴾ [آية ٣٨] .

قيل المعنى : إلى موضع قرارها ، كما جاء في الحديث : (تذهبُ فتسجدُ بين يديْ ربِّها جلَّ وعزَّ ، ثم تستأذنُ بالرجوع ، فيُؤْذَنُ لها ..)[١] .

آي وآيةٌ لهم الشمسُ تجري لمستقرٍّ لها .

ويجوز أن تكون مبتدأةً ، و﴿ لِمُسْتَقرٍّ لَهَا ﴾ الخبرُ ، أي لأَجَلٍ لها .

ورُوِي عن ابن عباس أنه قرأ ﴿ لاَ مُسْتَقَرَّ لَهَا ﴾[٢] أي جارية ، لا تثبتُ في موضعٍ واحدٍ .

ورَوَى الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال : (سألتُ رسول الله ﷺ عن قول الله جلَّ وعزَّ

= المكشوف ، وهكذا الأرض تتزين بالنهار بأبهى الحلل ، ثم يُنزع الستار ، ويُسلخ النهار ، فإذا بالظلام يلفُّ الكون بشبح مخيف ، وهذه هي الصورة الرائعة في أسلوب القرآن ﴿ وآية لهم الليل تسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ﴾ فما أروعه وأبدعه من تصوير وبيان !!

(١) الحديث أخرجه البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، وانظر تخريجه في الصفحة التالية .

(٢) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي ١٩/٧ والقرطبي ٢٨/١٥ وفي البحر المحيط ٣٣٦/٧ وذكر أنها قراءة ابن مسعود وعطاء وعكرمة ، وهي من القراءات الشاذة كما في المحتسب ٢١٢/٢ وعلى هذه القراءة يكون المعنى : إن الشمس تجري لا قرار لها ، ولا وقوف ، فهي جارية أبداً إلى يوم القيامة .

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ قال : مستقرُّها تحت العرش)[1] .

وقيل : إلى أبعدِ منازِلها في الغروبِ ، ثم ترجعُ ولا تجاوزُهُ .

٢٦ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَالْقَمَرُ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ [آية ٣٩] .

أي وآيةٌ لهم القمرُ[2] .

ويجوز أن يكون مبتدأً ، والخبرُ ﴿ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ ﴾ والتقديرُ :

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ١٥٤/٦ ومسلم ١٣٩/١ والترمذي ١٥٥/٢ وقال : حديث حسن صحيح ، ولفظ البخاري : عن أبي ذر رضي الله عنه قال : « كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس فقال يا أبا ذرٍّ : أتدري أين تغربُ الشمس ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش ، فذلك قوله تعالى ﴿ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ وزاد البخاري في بعض الروايات « ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها ، ويقال : ارجعي من حيث جئت ، فتطلع من مغربها » وفي رواية الترمذي « وكأنها قد قيل لها : اطلعي من حيث جئت فتطلع من مغربها » . اهـ.

أقول : وسجود الشمس تحت العرش حقيقة ، نؤمن بها ولا نعرف كيفيتها ، فإن كل شيء في الكون يسجد لعظمة الله وكبريائه كما قال سبحانه ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب .. ﴾ الآية .

(٢) هذا على قراءة الرفع « والقمرُ » وهي من القراءات السبع ، قرأ بها ابن كثير ونافع وأبوعمرو كما في النشر ٣٥٣/٢ وعلى قراءة النصب « والقمرَ » وهي قراءة حمزة وعاصم والكسائي يكون منصوباً على الاشتغال أي قدرنا القمر منازل . اهـ.

قدَّرنـــاه ذا منـــازِل ، كما قال سبحانــه ﴿ وَإِذَا كَالُوهُـــم ﴾[1] أي كالوا لهم .

٢٧ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾** [آية ٣٩] .

قال قتادة : أي كالعِذْقِ اليابسِ المنحني ، من النَّخلة[2] .

قال أبو جعفر : الَّذي قاله قتادة ، هو الذي حكاه أهلُ اللغة ،

والعِذْقُ بكسر العينِ : هو الكِباسةُ والقِنْوُ ، وأهـــلُ مصرَ

---

(١) سورة المطففين آية رقم ٣ ، واستشهاده بالآية إنما يصحُّ على الوجه الثاني ، فقد قال النحاس في كتابه إعراب القرآن ٧٢١/٢ : فإن قيل : القمرُ ليس هو المنازل ، فكيف قال ﴿ قدَّرناه منازل ﴾ ؟ ففي هذا جوابان : أحدهما : أن تقديره قدَّرناه ذا منازل مثل «واسأل القرية» والتقدير الآخر قدَّرنا له منازل ، ثم حذف اللام .. إلخ. فيكون استشهاده بالآية وجهاً .

(٢) الأثر ذكره الطبري ٧/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٦٣/٥ وهو قول ابن عباس ومجاهد ، والعُرجون من الانعراج وهو الانعطاف ، وهو عود عذق النخلة الذي فيه عناقيد الرطب ، ومعنى الآية ﴿ حتى صار كالعرجون القديم ﴾ أي حتى صار كغصن النخل اليابس ، وهو عنقود التمر حين يجفُّ ، ويصفرُّ ، ويتقوَّس ، قال الطبري : وإنما شبهه جلَّ ثناؤه بالعرجون القديم ــ وهو اليابس ــ لأن ذلك من العِذق ، لا يكاد يوجد إلا متقوِّساً منحنياً ، إذا قدم ويبس ، ولا يكاد يوجد مستوياً معتدلاً ، كأغصان سائر الأشجار ، فكذلك القمر في آخر الشهر ، قبل استسراره ــ اختفائه ــ صار في انحنائه وتقوسه مثل ذلك العرجون . اهـ.

أقول : شُبِّه القمر بالعرجون من ثلاثة أوجه : الدقة ، والانحناء ، والصفرة ، فالقمر إذا انتهى في النقصان في آخر الشهر ، صار دقيقاً ، رفيعاً ، منحنياً ، مصفراً ، ثم يختفي بعد ذلك ، ليظهر مرة أخرى من جهة المغرب ، علامةً على دخول الشهر الجديد ، فسبحان من صوَّره ، ونوَّره ، وكوَّره ، وجعل له ثمانية وعشرين منزلاً ، ذلك تقدير العزيز العليم !!

يسمُّونه الإسباطة ، وإذا جفَّ شُبِّه به القمرُ ، في آخرِ الشهرِ وأوَّله .

والعَذْق بفتح العين : النَّخْلَةُ[1] .

٢٨ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ، وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ .. ﴾ [آية ٤٠] .

قال الضحاك : أي لاتجيءُ الشمسُ ، فيغلبُ ضوُؤها ضوءَ القمر ، ولا يَطْلعُ القمرُ ، فيخالط ضَوْءُه ضوءَ الشمس **﴿ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ﴾** قال : أي لايزول من قبلِ أن يجيءَ النهار[2] .

٢٩ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ[3] ﴾ [آية ٤٠] .

---

(١) في الصحاح ١٥٢٢/٣ : العَذْقُ بالفتح : النخلة بحملها ، والعِذْقُ بالكسر : الكُباسة ، وعدقتُ النخلة : قطعتُ سعفها . اهـ.

(٢) الأثر ذكره الطبري ٨/٢٣ وابن كثير ٥٦٥/٦ والسيوطي في الدر المنثور ٢٦٤/٥ وعبارته : لا يعلو هذا ضوء هذا ، ولا هذا على هذا . اهـ. وفي التفسير الكبير للفخر الرازي ٧٣/٢٥ : والآية إشارة إلى أن كل شيء من الأشياء المذكورة خُلق على وفق الحكمة ، فالشمس لم يكن لها سرعة الحركة ، بحيث تدرك القمر ، وإلَّا لكان في شهر واحد صيف وشتاء ، فلا تدرك الثمار ، وحركة الشمس كل يوم درجة . وقد خلق الله في جميع الكواكب حركة أخرى غير حركة الشهر والسنة ، وهي الدورة اليومية ، وبهذه الدورة لا يسبق كوكب كوكباً أصلاً ، وفي قوله ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ﴾ إشارة إلى حركتها البطيئة التي تتم الدورة في سنة ، وفي قوله ﴿ ولا الليل سابق النهار ﴾ إشارة إلى حركتها اليومية ، التي بها تعود من المشرق إلى المشرق مرة أخرى في يوم وليلة . اهـ.

(٣) سبحان الله ما أعظم قدرة الله ، وما أبدع صنعه !! إن الشمس تدور حول نفسها ، وكان المعتقد السائد أنها ثابتة في موضعها الذي تدور فيه حول نفسها ، وجاء العصر الحديث ــ عصر العلم والاكتشاف ــ ليكشف لنا صدق ما قرره القرآن ، قبل أربعة عشر قرناً من الزمان ، أن =

كُلُّ من سار سَيْراً فيه انبِساطٌ فهو سابحٌ[1] .

٣٠ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَآيَةٌ لَهُـمْ أَنَّا حَمَلْنَـا ذُرِّيَّتَهُـمْ فِي الفُـلْكِ المَشْحُونِ ﴾ [آية ٤١] .

= الشمس ليست مستقرة في مكانها ، إنما هي تجري وتسير ، تجري فعلاً في اتجاه واحد في هذا الفضاء الهائل ، بسرعة حسبها الفلكيون باثني عشر ميلاً في الثانية ، والله الخبير بها وبجريانها يقول : إنها تجري لمستقر لها ، هذا المستقر الذي تنتهي إليه ، لا يعلمه إلا هو جل وعلا ، خالق السموات ومبدع الكائنات .

وحين يتصور الفكر البشري ، أن حجم هذه الشمس يبلغ حوالي مليون ضعف لحجم الكرة الأرضية ، وأن هذه الكتلة الهائلة المشتعلة ، تتحرك وتجري في الفضاء ، لا يسندها شيء ، يدرك الإنسان عظمة القدرة التي تمسك هذا الكون ، وتصرِّفه عن حكمة ، وقوة ، وعلم ، والمسافات بين النجوم والكواكب ، مسافات هائلة ، يكاد يضيق عن تصورها الخيال ، فالمسافة بين أرضنا وبين الشمس تقدَّر بنحو ٩٣ مليون ميل ، والقمر يبعد عن الأرض ٢٤٠ ألف ميل ، وهذه المسافة ــ على بعدها ــ ليست شيئاً يذكر حين تقاس إلى البعد ما بين المجموعة الشمسية ، وأقرب نجم من نجوم السماء إلينا ، وهي تقدر بـ ٤ سنوات ضوئية ، بسرعة الضوء ١٨٦ ألف ميل في الثانية الواحدة ، أي فإن أقرب نجم إلينا يبعد عنا بنحو « مائة وأربعة مليون مليون ميل » .

وقد قدَّر الله خالق هذا الكون ، أن تتحرك هذه الكواكب وتدور ، دون أن يصطدم نجم بنجم ، أو يخرج عن مداره الذي حدَّده الله له ، ليحفظه بقدرته من التصادم والتصدع ، حتى يأتي الأجل المعلوم بخراب العالم ، فتتناثر النجوم ، ويُجمع بين الشمس والقمر ، وتتشقق السموات ، وتندكُّ الجبال ، وتتفجر البحار ، وتنتهي حياة البشرية عن سطح هذا الكوكب الأرضي ، فسبحان القاهر القادر القائل ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار وكل في فَلك يسبحون ﴾ !! انظر تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب .

(١) معنى ﴿ يسبحون ﴾ يدورون ويجرون ، وهو مستعار من السَّبح بمعنى العَوْم في الماء ، شُبِّهت الكواكب في دورانها بالسَّابح يسبحُ في الماء ، والتنوين في ﴿ كُلٌّ ﴾ تنوين عوض عن الإضافة ، أي كلٌّ من الشمس ، والقمر ، والنجوم تدور في فلك السماء ، وفي الآية دلالة ظاهرة على أن =

قال أبو جعفر : أحسنُ ما قيل في هذا أنَّ المعنى : وآيـةٌ لأهـل مكة ، أنا حملنا ذريَّاتِ القرون الماضية ، في الفُلْك المشحون[1] .

۳۱ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴾** [آية ٤٢] .

قال ابن عباس ، وأبو مالك ، وأبـو صالح ، والحسن : يعنـي السُّفنَ[2] .

وقـال عبـدالله بن شدَّاد بن الهاد ، وعكرمـــة ، ومجاهـــد ، وقتادة : يعني الإبل[3] .

= جميع الكواكب تحت السموات بما فيها الشمس والقمر ، لأن الله تعالى أخبر أنها تدور وتجري ، ولو كانت داخل السماء ، لكان هناك شقٌّ وخرقٌ لها أثناء سيرها ودورانها ، وقد ذكر القرطبي عن الحسن البصري أنه قال : الشمس والقمر والنجوم في فلك بين السماء والأرض ، غير ملتصقة بشيء ، ولو كانت ملتصقة ما جرت .. والغرضُ من الآية بيان قدرة الله في تسيير هذا الكون ، بنظام دقيق ، فالشمس لها مدار ، والقمر له مدار ، وكل كوكب من الكواكب له مدار ، لا يتجاوز في جريانه أو دورانه ، ولا يطغى أحدهما على الآخر ، ولو حدث شيء من هذا لخرب العالم .

(١) قال الطبري ٢٣/٩ : الفُلك هي السفينة ، والمشحون المملوء الموقر ، والمعنى : علامة على قدرتنا أننا حملنا من نُجِّيَ من ولد آدم ، في سفينة نوح عليه السلام . اهـ.

(٢) هذا الأثر ذكره الطبري ٢٣/١٠ وابن الجوزي ٧/٢٢ وابن كثير ٦/٥٦٦ ولفظه : قال ابن عباس تدرون ما معنى ﴿ وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ﴾ ؟ قلنا : لا ، قال : هي السفن ، جُعلت من بعد سفينة نوح على مثلها ، وذكر ابن كثير عنه قولاً آخر أنها الإبل .

(٣) انظر الأثر في الطبري ٢٣/١٠ والقرطبي ١٥/٣٥ والدر المنثور ٥/٢٦٤ وللمفسرين في هذه الآية قولان : الأول أنها السفن ، خلق الله لهم من مثل سفينة نوح ما يركبون ، واختاره المصنف ، وهو الأظهر لقوله بعده ﴿وإن نشأ نُغْرِقْهُم﴾ والثاني أنه الإبل فإنها سفن البر ، يحملون عليها ويركبونها مثل السفن المركوبة في البحر ، والعرب تسمي الإبل سفن الصحراء .

قال أبو جعفر : والإبـلُ ، والـدوابُّ في البـرِّ ، بمنزلِة السُّفـنِ في البحـرِ ، إلاَّ أنَّ الأوَّلَ أشبـهُ بتأويـل ذلكَ ، لدَلالـة قولــه ﴿ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ ﴾ وإنما الغرقُ في الماء[1] .

٣٢ ــ وقولـه جل وعـز : ﴿ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴾ [آية ٤٣] .

قال قتادة : أي فلا مغيثَ لهم[2] .

٣٣ ــ وقولـه جل وعـز : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ ..﴾ [آية ٤٥] .

قال قتـادة : أي ما بين أيديكــم من الوقائــع ، فيمــن كان قَبْلَكم ، ﴿ وَمَا خَلْفَكُمْ ﴾ قال : من الآخرة[3] .

---

(١) هذا ما رجحه الإمام الطبري حيث قال في تفسيره ١١/٢٣ : وأشبهُ القـولين بتأويـل الآية قول من قال : عنى بذلك السفن ، وذلك لدلالة قوله تعالى ﴿ وإن نشأ نغرقهـم فلا صريخ لهم ﴾ وذلك أن الغرق معلوم أنه لا يكون إلا في الماء ، ولا غرق في البر . اهـ.

(٢) قول قتادةذكـره الطبري ١١/٢٣ والقرطبـي ٣٥/١٥ وفي الـدر المنثــور ٢٦٥/٥ و « صريخ » بمعنى مُصْرِخ أي لا مغيث ولا مجير قال في المصبـاح المنير : صَرَخَ صُرَاخـاً فهـو صارخ وصريخ إذا صاح ، واستصرختُه أي استغثتُ به فأغاثني ، فهو صريخ أي مغيث . اهـ.

(٣) ذكره في البحر المحيط عن قتادة ومقاتل ٣٤٠/٧ والقرطبي ٣٦/١٥ وابن الجوزي ٢٣/٧ وتوضيح قول قتادة أنه إذا قيـل للـمشركين احـذروا سخـط الله وغضبـه ، واعـتبروا بما حلَّ بالأمم السابـقين قبلكـم من العـذاب ، واحـذروا ما وراءكم من عذاب الآخرة ، أعـرضوا واستـكبروا ولم يلتفتـوا إلى ذلك النصح والتـذكير .

والمعنى على قول الحَكَم بنُ عُتَيْبَةَ[1] ﴿ **مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ** ﴾ من الدنيا أي مثلَ ما أصابَ عاداً وثموداً ﴿ **وَمَا خَلْفَكُمْ** ﴾ الآخرة .

وعلى قول مجاهد ﴿ **مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ** ﴾ من ذنوبكم . وما لم تعملوه[2] .

وعلى قول ابن عباس وسعيد بن جبير ﴿ **مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ** ﴾ الآخرةَ ﴿ **وَمَا خَلْفَكُمْ** ﴾ الدنيا ، وكذلك قالا في قول الله جلَّ وعز ﴿ **ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ** ﴾[3] .

والتقديرُ في العربية : وإذا قيل لهم اتَّقُوا ما بين أيديكم ، وما خلفَكُمْ ، أعرَضُوا .

(١) الحَكَم بن عُتَيبة : هو أبو محمد الكندي الكوفي ، ثقة ثبت فقيه من الخامسة توفي سنة ١١٣هـ وانظر تقريب التهذيب ١٩٢/١ .

(٢) قال الطبري ١٢/٢٣ : وقول مجاهد « ما مضى من ذنوبهم » قريب المعنى من قول قتادة ، لأن معناه : اتقوا عقوبة ما بين أيديكم من ذنوبكم ، وما خلفكم مما تعملون من الذنوب ولم تعملوه بعد ، فذلك تخويف لهم بعد تخويف . اهـ.

(٣) سورة الأعراف آية رقم ١٧ وعبارته كما في تفسير ابن كثير ٣٩٠/٣ وعن ابن عباس : ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم﴾ أشكِّكهم في آخرتهم ﴿ ومن خلفهم ﴾ أرغبهم في دنياهم . اهـ.

أقول : هذا أحد الوجوه في تفسير الآية ، واختار الطبري أن المعنى : لآتينهم من جميع وجوه الحق ، والباطل ، فأصدُّهم عن الحقِّ ، وأحسِّن لهم الباطل ، قال ابن عباس : ولم يقل من فوقهم لأن رحمة الله تنزل عليهم من فوقهم . اهـ.

ودلَّ على هذا الحذف[1] ، قوله تعالى ﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ .

٣٤ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ .. ﴾ [آية ٤٧] .

قال الحسن : هم اليهودُ[2] .

٣٥ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ .. ﴾ [آية ٤٧] .

يقولون هذا على التهزُّؤ[3] .

٣٦ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ [آية ٤٩] .

---

(١) حذفُ ما دل عليه اللفظ كثير في العرب ، وهو من أساليب البلاغة ، فإن قوله تعالى ﴿ إلا كانوا عنها معرضين ﴾ أغنى عن ذكر الجواب ، وهو « أعرضوا » أي عن النصح والتذكير .

(٢) ذكره القرطبي ٣٦/١٥ ولفظه : قال الحسن : يعني اليهود ، أُمروا بإطعام الفقراء . اهـ. وذكره في البحر أيضاً ٣٤٠/٧ قال : واللفظ أعمُّ فإنه في كل كافر بخيل يضنُّ بماله على الفقراء والمساكين ، ورُوي أنها نزلت في العاص بن وائل ، كان إذا سأله المسكين قال : اذهب إلى ربك فهو أولى مني بك ، ويقول : قد منعه الله أفأطعمه أنا ؟ وانظر حاشية الجمل على الجلالين ٥١٧/٣ .

(٣) أي كانوا يقولون على سبيل السخرية والاستهزاء : أننفق أموالنا على هؤلاء المساكين ، لا والله لا نفعل ، أيفقرهم الله ونطعمهم نحن ؟

وفي حرفِ أُبَيٍّ ﴿ وهم يَخْتَصِمُونَ ﴾[1] والمعنى واحدٌ .

ويُقرأُ ﴿ يَخْصِمُونَ ﴾[2] أي يَخصم بعضُهم بعضاً .

ويجوز أن يكون معناه : وهم يَخْصِمون عند أنفسهم بالحجَّةِ ، من آمن بالسَّاعة[3] .

٣٧ ـــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [آية ٥٠] .

أي لا يُمْهَلونَ حتَّى يُوَصُّوا .

﴿ وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي يموتون مكانهم[4] .

---

(١) هذه القراءة قراءة أبي بن كعب على الأصل ، فإن ﴿ يخِصِّمُون ﴾ أصلها يختصمون ، أدغمت التاء في الصاد ، وحركت بالكسر تخلصاً من التقاء الساكنين .

(٢) هذه قراءة حمزة والأعمش بإسكان الخاء وتخفيف الصاد وانظر النشر ٣٥٤/٢ .

(٣) هذا المعنى بعيد ـــ والله أعلم ـــ وإنما المعنى كما هو الظاهر والمتبادر ، أن الصيحة تأخذهم بغتة ، وهم يتخاصمون في معاملاتهم وأسواقهم ، ويتشاجرون ، وهذا ما أيده الحديث الصحيح (ولتقومنَّ الساعة وقد نشر الرجلان ثوباً بينهما ، فلا يتبايعانه ولا يطويانه ..) الحديث ، وقد اختاره الحافظ ابن كثير .

(٤) قوله ﴿ فلا يستطيعون توصيةً ﴾ أي لا يقدرون أن يوصوا بما لهم وما عليهم ، لشدة الفزع والهول ﴿ ولا إلى أهلهم يرجعون ﴾ أي لا يستطيعون أن يرجعوا إلى منازلهم لسرعة الأمر ، وهذه النفخة هي نفخة الفزع ، وهي التي أشارت إليها آية النمل ﴿ونُفخ في الصُّورففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ ثم تليها نفخة الصَّعق ـــ أي نفخة الموت ـــ وهي التي أشارت إليها آية الزمر ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض .. ﴾ ثم بعد ذلك تكون نفخة البعث والنشور وهي التي أشارت إليها الآية هنا ﴿ ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون ﴾ واختار الطبري ، وابن كثير ، أن عدد النفحات ثلاث ، وحقَّق القرطبي أنهما اثنتان لا ثالث لهما ، وانظر تفسيره ٢٤٠/١٣ .

ويجوز أن يكون المعنى : ولا يرجعون إلى أهلهم قولاً .

٣٨ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ .. ﴾ [آية ٥١] .

قال أبو عُبَيْدَةَ : هو جمع صُورَة[١] .

يذهب إلى أن المعنى : ونُفخ في الأجسام ، واحتجَّ بقول الشاعر :

لَمَّا أَتَى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ
سُورُ المَدِينَةِ وَالجِبَالُ الخُشَّعُ[٢]

قال أبو جعفر : الذي قاله أبو عُبيدة ، لا يعرفهُ أهلُ التفسير ، ولا أهلُ اللغةِ .

والحديثُ على أنه الصُّورُ الذي يَنْفُخ فيه إسرافيلُ صلى الله عليه[٣] .

وأهلُ اللغة على أنَّ جمع « صُوْرة » صُوَرٌ .

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٦٣/٢ وهذا القول شاذ وضعيف ، وقد نسب إلى قتادة أنه قال : نفخ في الصُّوَر والأرواح ، جمع صورة كما ذكره القرطبي عنه ٤٠/١٥ ولكن المفسرين على خلافه ، والصحيح ما قاله المصنف .

(٢) البيت لجرير كما في ديوانه صفحة ٢٧٠ طبعة دار بيروت .

(٣) الصحيح ما ذهب إليه جمهور المفسرين أن الصور هو قرن من نور ، ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام ، يشبه البوق ولكنه عظيم جداً للحديث الصحيح « كيف أنعم وقد التقم صاحب الصور القرن وأصغى بسمعه ينتظر الأمر . » الحديث .

وسيبويه وغيره يذهب إلى أن سُورَ المدينة ليس بجمع سورة[1] .

٣٩ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [آية ٥١] .

أي القبور ، يُقال للقبر : جَدَثٌ ، وجَدَفٌ[2] .

﴿ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ قال أبو عبيدة : أي يُسرعون[3] .

٤٠ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ..﴾ [آية ٥٢] .

وفي قراءة عبدالله ﴿ مَنْ أَهَبَّنَا مِنْ مرقدنا ﴾[4] .

---

(١) قال في المصباح : سُورُ المدينة : البناء المحيط بها ، والجمع أسوار ، مثل نور وأنوار . اهـ.

(٢) الأجداث : جمع جدث وهو القبر ، كفرَس وأفراس ، وهذه لغة تهامة ، وأما أهل نجد فيقولون : جَدَف بالفاء ، وانظر المصباح المنير ، وتفسير الطبري ١٥/٢٣ .

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٦٣/٢ قال : والذئب يَعْسِل ويَنْسِل . اهـ. وقال القرطبي ٤٠/١٥ يقال : عَسَل الذئب ونَسَل ، يَعْسِل ويَنْسِل من باب ضرب ، وهو الإسراع في المشي ، فالمعنى : يخرجون مسرعين ، كقوله تعالى : ﴿ يوم يخرجون من الأجداث سراعاً ﴾ .

(٤) هذه من القراءات الشاذة وهي كما قال ابن الأنباري محمولة على التفسير ، قال ابن جني ٢١٤/٢ : ومن ذلك قراءة أُبي بن كعب « مَن هَبَّنا من مَرْقدنا » قال : وقد أثبت أبو حاتم عن ابن مسعود « مَن أهبَّنا » بالهمزة ، وهي أقيسُ ، يُقال : هبَّ من نومه أي انتبه ، وأهبَبْتُه أنا أي أنبهتُه . فأمَّا هبَّني أي أيقظني ، فلم أرَ لها في اللغة أصلاً ، ولعلَّها لغة قليلة . اهـ. المحتسب ٢١٤/٢ .

قال أُبَيُّ بنُ كعبٍ : ينامون نومةً قبل البعث [فيجدون لذلك راحةً فيقولون : يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا][1] .

قال الأعمش[2] : بلغني أنه يُكَفُّ عنهم العذابُ بين النفختين ، فإذا نُفخ في الصور قالوا : مَنْ بعثنا من مرقدنا ؟[3] .

قال مجاهد وقتادة : هذا قولُ الكفار ، فقال لهم المؤمنون **﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾**[4] .

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وقد أثبتناه من الدر المنثور للسيوطي ٥/٢٦٦ لكمال المعنى ، وفي التسهيل لعلوم التنزيل ٣/٣٦٠ : قال أُبيُّ بن كعب ومجاهد : إن البشر ينامون نومةً قبل الحشر إلخ . قال ابن عطية : هذا غير صحيح الإسناد ، وإنما الوجه في معنى قولهم ﴿ من مرقدنا ﴾ أنها استعارة وتشبيه يعني : أن قبورهم شُبِّهت بالمضاجع ، لكونهم فيها على هيئة الرقاد ، وإن لم يكن رقاد في الحقيقة . اهـ.

(٢) الأعمش : هو « سليمان بن مِهْران الأسدي الكوفي » أبو محمد ثقة ، حافظ ، عارف بالقراءة توفي سنة ١٤٧هـ وانظر تقريب التهذيب ١/٣٣١ .

(٣) هذا الأثر نُسب إلى ابن عباس أيضاً كما في روح المعاني ٢٣/٣٢ أن العذاب يُرفع عنهم بين النفختين فيرقدون ، فإذا بُعثوا بالنفخة الثانية ، وشاهدوا الأهوال ، قالوا ذلك .. وقد ردَّ أبو حيان في البحر المحيط هذا القول ٧/٣٤٠ ، وقال : إنه غير صحيح الإسناد ، واختار أن المرقد استعارة عن مضجع الميت .

أقول : وهو الأظهر ، فإنه لا راحة للكفار في القبر ، ولا نوم لهم ولا هدوء ، لأن العذاب مستمر عليهم لا ينقطع لقوله تعالى عن قوم فرعون ﴿ النار يُعرضون عليها غُدُواً وعَشِياً ، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشدَّ العذاب ﴾ والمراد بالنار هنا نار القبر لا نار الجحيم ، بدليل العطف عليه بقوله ﴿ ويوم تقوم الساعة ﴾ اللهم نجنا من عذاب القبر .

(٤) هذا الأثر ذكره الطبري ٢٣/١٦ والقرطبي ١٥/٤٢ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٢٦٦ ولفظه : عن قتادة قال : أوَّلُ الآية للكفار ، وآخرها للمسلمين ، قال الكفار ﴿ يا ويلنا من بعثنا من =

وقيل :هذا من قولِ الملائكةِ لهم[1] .

وقيل : التَّمامُ عند قوله ﴿ هَذَا ﴾[2] .

والمعنى : الَّذِي وعَدَ الرحمنُ حقٌ .

٤١ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الجَنَّةِ اليَوْمَ في شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴾ [آية ٥٥] .

يُقال : فلانٌ فَاكِهٌ أي ذو فاكهةٍ ، وتَامِرٌ أي ذو تمرٍ ، كما قال الشاعر :

أَغَرَرْتَنِي وَزَعَمْتَ انَّكَ
لَابِنٌ بِالصَّيْفِ تَامِرٌ[3]

= مرقدنا ﴾ ؟ وقال المسلمون ﴿ هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ وعن مجاهد إذا صيح بأهل القبور يقول الكافر : يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ؟ فيقول المؤمن إلى جنبه : هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون . اهـ. وهذا ما رجحه الطبري وابن كثير وهو أصح الأقوال .

(١) هذا قول آخر ذكره المفسرون ، وهو منقول عن الحسن البصري ، كما ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢٦/٧ .

(٢) هذا قول حكاه الزجاج ٢٩١/٤ ، وهو قول غريب خلاف الظاهر ولهذا قال : والمفسرون على القول الأول ، وهو قول أهل اللغة ، والمعنى على قوله : من بعثنا من مرقدنا هذا ؟ فيكون لفظ الإشارة « هذا » صفة للمرقد ، ثم يبتدىء ﴿ ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ أي حق ، وهو تمحُّلٌ ظاهر .

(٣) هذا البيت للحطيئة وهو في ديوانه ص ١٦٨ وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ١٦٤/٢ وانظر الطبري ١٩/٢٣ والشاهد فيه قوله : لابنٌ ، وتامرٌ أي ذو لبن ، وذو تمر ، كما يقال : فلان لاحمٌ ، وشاحم .

رَوَى ابنُ أبي طَلْحةَ عن ابن عباس ﴿ فَاكِهِينَ ﴾ : فرحين[1] .

وفي بعض التفاسير : ناعمين[2] .

فأمَّا ﴿ فَكِهُونَ ﴾ فقال الفراء : معناه كمعنى فاكِهين ، كما يُقال : حَذِرٌ ، وحَاذِرٌ ، وهذا أَوْلَاهَا[3] .

وقال أبو زيد[4] : يُقال رجلٌ فَكِهٌ : إذا كان طيِّبَ النَّفسِ ضَحُوكاً .

وقال أبو عُبَيْدَةَ : يُقال : هو فكِهٌ بالطعام ، أو بالفاكهة ، أو بأعراض النَّاس[5] .

---

(١) الأثر ذكره الطبري ٢٣/١٩ وابن كثير ٥٦٨/٦ وابن الجوزي في زاد المسير ٢٨/٧ .

(٢) هذا قول أبي مالك ، ومقاتل ، كما حكاه ابن الجوزي في زاد المسير ٢٨/٧ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٣٨٠/٢ وعلى هذا القول ، لا فرق في اللغة بين اللفظين ﴿ فاكهين ﴾ و ﴿ فكهين ﴾ فمعناهما واحد ، كما يقال : فلان حاذر وحذر ، كما قال سبحانه في المطففين ﴿ وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين ﴾ وقد قرأ بها أبو جعفر ، وحفص .
قال الزمخشري : الفاكه والفَكِه : المتنعم والمتلذذ ، ومنه الفاكهة لأنها مما يتلذذ به ، وكذلك الفكاهة وهي المزاحة . اهـ. الكشاف ٢٩٠/٣ .

(٤) أبو زيد هو سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري ، من أئمة اللغة والأدب صاحب كتاب الأنوار المتوفى ٢١٥هـ وقد تقدمت ترجمته ٢٥٣/٣ .

(٥) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٦٣/٢ واستشهد على ذلك بقول الخنساء :
فَكِهَةٌ على حِينِ العَشَاءِ إذا ... حَضَرَ الشِّتَاءُ وعَزَّتِ الجُزُرُ

وقال قتادة : ﴿ فَكِهُونَ ﴾ : مُعْجَبون[1] .

٤٢ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾ [آية ٥٦] .

﴿ فِي ظِلَالٍ ﴾ جمع ظِلٍّ .

ويجوز أن يكون جمعَ ظُلَّةٍ ، فأمَّا « ظُلَلٌ » فهو جمع ظُلَّةٍ لا غيرُ[2] .

قال ابن عباس وقتادة : ﴿ الأَرَائِكُ ﴾ : السُّرُر في الحِجَالِ[3] .

وقيل : الفُرُش في الحِجَالِ .

---

(١) الأثر في الدر المنثور ٢٦٦/٥ وهو قول مجاهد والحسن ، كما ذكره الطبري ١٩/٢٣ وانظر زاد المسير ٢٨/٧ وقد أشارت الآية الكريمة إلى أن أهل الجنة لا يأكلون عن جوع ، وإنما عن لذة ، كما قال سبحانه ﴿ إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ﴾ وأما شُغلهم فقد قال ابن عباس : شَغَلهم فضُّ الأبكار ، وسماع الأوتار ، عن أهاليهم من أهل النار ، لا يتذكرونهم لئلا يتنغَّصوا .

(٢) قال الجوهري في الصحاح : الظِلُّ معروف والجمع ظلال ، وهو إنما يكون من ضوء شعاع الشمس ، وظل ظليل أي دائم الظل ، والظُلَّة بالضم السحابة تظل . اهـ.

أقول والمقصود من الآية الكريمة الإخبار عن أهل الجنة أنهم في سرور وحبور ، وأنهم مع أزواجهم في ظلال الجنان الوارفة ، حيث لا شمس ولا زمهرير ، متكئين على السرر المزينة بالذهب والفضة وأنواع الحرير .

(٣) الحِجَال : جمع حَجَلَة وهو بيت للعروس يزين بالثياب ، والأَسِرَّة ، والستور ، قال في اللسان : والحَجَلة مثل القُبَّة ، وحجلة العروس معروفة ، وهي بيت يُستر بالثياب والأَسرَّة . اهـ

وقيل : هي الفُرُش أيـن كانت ، وهـذا معـروفٌ في كلام العرب ، قال ذو الرُّمَّة .

خُدُوْدَاً جَفَتْ في السَّيْرِ حَتَّى كأنَّما

يُبَاشِرْنَ بِالمَعْزَاءِ مَسَّ الأَرائِكِ[1] .

٤٣ ـ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ﴾ [آية ٥٧] .

قال أبو عُبيدة : أي ما يتمنَّون ، يُقال : ادَّعِ عَلَيَّ ما شئت ، أي تَمَنَّ[2] .

قال أبو جعفر : هو مأخوذٌ من الدُّعاءِ بالشيءِ ، أي كلَّما دَعَوْا بشيءٍ أُعْطوه[3] .

٤٤ ـ ثم قال جل وعزَّ : ﴿ سَلَامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ ﴾ [آية ٥٨] .

---

(١) انظر ديوان ذي الرمة ص ٥٠٩ والمعزاء : الأرض الصبة ذات الحجارة ، والأرائك : السُّرر ، واحدتها أريكة يقول : إنهم من شدة النوم ، يرون الأرض الصلبة ذات الحجارة ، مثل الفرش على الأسرَّة .

(٢) انظر معاني القرآن لأبي عبيدة ١٦٤/٢ والقرطبي ٤٥/١٥ .

(٣) هذا اختيار الزجاج في معانيه ١٩٢/٤ وهو في زاد المسير ٢٨/٧ والمعنى كل ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم دون تأخير ، ويمكن الجمع بين القولين أنهم ينالون كل ما يطلبون ويشتهون لقوله تعالى ﴿ وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين ﴾ وفي الدر المنثور عن أبي أمامة رضي الله عنه قال « إن الرجل من أهل الجنة ليشتهي الشراب من شراب الجنة فيجيء إليه الإبريق فيقع في يده ، فيشرب فيعود إلى مكانه » . اهـ. الدر المنثور ٢٦٦/٥ .

قال الفراء : أي لهم ذلك سلامٌ أي مُسَلَّم[1] .

قال أبو إسحاق[2] : ﴿ **سلامٌ** ﴾ بدلٌ من ﴿ **مَا** ﴾ أي ولهم أن يُسلِّم اللَّهُ جلَّ وعزَّ عليهم ، وذلكَ غايةُ أمنيَّتِهِم[3] .

وفي قراءة عبدالله ﴿ **سَلَاماً** ﴾[4] .

قال أبو إسحاق : ﴿ **قَوْلاً** ﴾ أي يقول اللَّهُ ذلكَ السَّلامَ قولاً .

قال الفراء : يجوز أن يكون المعنى : ولهم ما يَدَّعُونَ قولاً ، كما تقول : عِدَةً[5] .

---

(١) قال الفراء في معاني القرآن ٢/٣٨٠ ﴿ سلام قولاً ﴾ من رفع قال : ذلك لهم سلام قولاً أي ما يدَّعون هو لهم مسلَّم خالص . اهـ.

(٢) أبو إسحاق هو الزجاج وقد تقدمت ترجمته ١/٧٤ .

(٣) ما ذهب إليه الزجاج يؤيده حديث جرير البجلي أن رسول الله ﷺ قال « بينا أهل الجنة في نعيمهم ، إذ سطع لهم نور ، فرفعوا رءوسهم فإذا الرب تعالى قد اطلع عليهم من فوقهم ، فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله ﴿ سلام قولاً من رب رحيم ﴾ فينظر إليهم وينظرون إليه ، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ، ما داموا ينظرون إليه ، حتى يحتجب عنهم ، فيبقى نوره وبركاته عليهم في ديارهم » رواه الثعلبي والقشيري ، قال القرطبي : ومعناه ثابت في صحيح مسلم .

(٤) هي قراءة أُبي بن كعب ، وابن مسعود ، والجحدري كما في زاد المسير ٧/٢٩ والمحتسب ٢/٢١٥ وهي من الشواذ .

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/٣٨١ وعبارته : ونصبُ القول إن شئت على أن يخرج من السلام ، كأنك قلت : قاله قولاً ، وإن شئت جعلته نصباً من قوله ﴿ ولهم ما يدَّعون ﴾ قولاً ، كقولك : عِدَةً من الله . اهـ.

٤٥ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾** [آية ٥٩] .

أي انفرِزُوا عن المؤمنين ، يُقال : مِزْتُه فانماز ، وامتاز ، وميَّزتهُ فتميَّز[١] .

٤٦ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ .. ﴾** [آية ٦٠] .

أي ألم أتقدَّمْ إليكم وأُوصِيكُم[٢] ؟! .

٤٧ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا .. ﴾** [آية ٦٢] .

قال مجاهد : أي خَلْقاً[٣] .

قال أبو جعفر : فيه سبعةُ أوجُهٍ ، قُرِىء منها بخمسة .

فأما الخمسة التي قُرِىء بها فهي **﴿ ولَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا ﴾**

---

(١) قال الجوهري : مِزْتُ الشيء أميزُه مَيْزاً : عزلته وفرزته ، وكذلك ميَّزته تمييزاً فانماز وامتاز كله بمعنى واحد . اهـ.

قال في البحر ٣٤٣/٧ : ﴿ وامتازوا اليوم ﴾ أي انفردوا عن المؤمنين ، لأن المحشر جَمَعَ البرَّ والفاجر ، فأُمر المجرمون بأن يكونوا على حِدَةٍ من المؤمنين . اهـ. وقال القرطبي ٤٦/١٥ : يُقال لهم هذا عند الوقوف للسؤال أي اخرجوا من جملتهم .

(٢) العهد ههنا بمعنى الوصية أي ألم أوصكم وأبلغكم على ألسنة الرسل ؟ والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يُغويه ويزينه .

(٣) الأثر ذكره القرطبي ٤٧/١٥ والطبري ٢٣/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٦٧/٥ قال في اللسان : الجِبْلَة ، والجُبْلَة ، والجِبِلُّ ، والجِبِلَّةُ : الأمَّة من الخلق ، والجماعة من الناس ، وفي التنزيل ﴿ ولقد أضَلَّ منك جِبِلًّا كثيراً ﴾ أي خلقاً كثيراً . اهـ. لسان العرب مادة جبل .

و﴿ جِبْلاً ﴾ و﴿ جُبُلّاً ﴾ و﴿ جُبْلاً ﴾ و﴿ جَبْلاً ﴾ .

وأما الإثنان اللَّذان لم يُقْرأْ بهما فـ « جُبَلاً » و« جِبَلاً »[1] .

٤٨ ـ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ .. ﴾ [آية ٦٥] .

وفي قراءة عبدالله بن مسعود : ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أفْوَاهِهِمْ وَلِتُكَلِّمَنَا أَيْدِيهِمْ ﴾[2] .

في الكلام حذفٌ على هذه القراءة ، كما قال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ وَلِيَكُونَ مِنَ المُوْقِنِينَ ﴾[3] .

---

(١) كل هذه الألفاظ من حيث اللغة صحيحة ، كما ذكره ابن منظور والجوهري وغيرهما من علماء اللغة ، وأما من حيث القراءات فمنها ما هو من القراءات السبع ، ومنها ما هو شاذ ، كما نبَّه عليه في المحتسب ٢١٦/٢ .

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب ٢١٦/٢ وقد ذكر أنها قراءة طلحة عن أبيه عن جدِّه ، قال ابن جنِّي : الكلام محمول على محذوف أي نختم على أفواههم ، ولِتُكلِّمنا أيديهم ، ولتشهد أرجلهم ، كقولك : أحسنت إليك ولِشكرك أحسنت إليك ، كما قال الشاعر : أحببتُها ولعيني كان حُبِّيها . اهـ. المحتسب .

(٣) سورة الأنعام آية رقم ٧٥ والشاهد في الآية ﴿ وليكون من الموقنين ﴾وأمَّا الختم وتكلُّم الأيدي والأرجل ، الذي ورد في الآية ، فقد وضحته السنة النبوية المطهرة ، كما ورد في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (كنا عند رسول الله ﷺ فضحك ، فقال : هل تدرون ممَّ أضحك ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : من مخاطبة العبد ربَّه ، يقول : يا ربِّ ألم تُجِرْني من الظلم ؟ قال : يقول : بلى ، فيقول : فإني لا أُجيزُ على نفسي إلا شاهداً مني ، قال : فيقول : =

٤٩ ــ وقوله جل وعزَّ : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ .. ﴾ [آية ٦٦] .

قال الحسنُ : أي لتركناهُمْ عُمْياً يتردَّدُون[١] .

قال أبو جعفر : المطموسُ ، والطَّميسُ عند أهل اللغةِ : الأعْمى الذي ليس في عينيهِ شَقٌّ .

﴿ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ ﴾ أي ليجوزوا .

قال مجاهد : ﴿ الصِّرَاطُ ﴾ : الطَّريقُ[٢] ، ثم قال تعالى ﴿ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴾ أي فمن أين يُبصِرون ؟ .

= كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً ، وبالكرام الكاتبين شهوداً !! قال : فيُختم على فيه ، ويقال لأركانه انطقي ــ أي لأعضائه وجوارحه ــ قال : فتنطق بأعماله ، ثم يُخلَّى بينه وبين الكلام ، فيقول : بُعْداً لَكُنَّ وسُحْقاً فعنكنَّ كنتُ أناضل) .

(١) الأثر ذكره ابن كثير ٥٧٣/٦ والسيوطي في الدر المنثور ٢٦٨/٥ والقرطبي ٤٩/١٥ وهو قول الحسن والسدي ، وعليه أكثر المفسرين أن المراد من الطمس : هو العمى حقيقة ، أي لو أردنا لأعميناهم ، فكيف يبصرون حينئذ الطريق ، إذا أرادوا المشي ؟ وقيل : المراد عمى البصيرة أي أعميناهم عن الهدى فيكون الكلام بطريق الاستعارة .

(٢) اتفق علماء السلف على أن المراد بالصِّراط الطريق ، ولكنَّهم اختلفوا هل يراد بن الطريق الحسِّي أم المجازي ؟ فذهب ابن عباس وابن زيد إلى أن المراد به طريق الهدى والحقِّ ، فيكون المعنى : لو نشاء لأعميناهم عن الهدى ، فلا يهتدون أبداً إلى طريق الحق ، وذهب الحسن والسُّدّي ومجاهد إلى أن المراد به الطريق المحسوس ، والمعنى : لو نشاء لأعميناهم ، فلا يبصرون طريقاً إلى تصرفهم في أسفارهم ومنازلهم ، وهو الظاهر ، وعليه الأكثرون ، لأن حقيقة الطمس إذهابُ نور البصر ، وهذا ما رجحه الطبري ٢٥/٢٣ .

٥٠ ــ ثم قال جل وعزَّ ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ .. ﴾ [آية ٦٧] .

قال الحسن : أي لأقعدناهم[١] .

وعن ابن عباس قال : أي لو نشاء لأهلكناهم في مساكنهم[٢] .

قال أبو جعفر : المَكَانُ والمَكَانَةُ واحدٌ[٣] .

٥١ ــ وقوله جل وعزَّ : ﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الخَلْقِ ، أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [آية ٦٨] .

قال قتادةُ : هو الهَرَمُ ، يتغيرَّ سمعُهُ ، وبَصَرُه ، وقوَّتُه كما رأيتَ[٤] .

---

(١) الأثر ذكره في البحر ٣٤٤/٧ عن الحسن وقتادة ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣٣/٧ والقرطبي ٥٠/١٥ ولفظُه : المسخُ : تبديل الخلقة وقلبها حجراً ، أو جماداً ، أوبهيمة . قال الحسن : أي لأقعدناهم فلا يستطيعون أن يمضوا أمامهم ولا يرجعوا وراءهم . اهـ. وفي البحر : والظاهر أن المسخ حقيقة ، وهو تبديل صورهم بصور شنيعة . وقد قال ابن عباس : لو نشاء لمسخناهم قردةً وخنازير . اهـ.

(٢) هذه رواية أخرى عن ابن عباس حكاها الطبري ، وابن كثير ، والقرطبي ، والرواية الأولى عنه أظهر وأشهر .

(٣) قال الراغب في المفردات : المكان عند أهل اللغة : الموضع الحاوي للشيء ، ويُقال : مكان ومكانة ومنه ﴿ اعملوا على مكانتكم ﴾ .

(٤) الأثر ذكره الطبري ٢٦/٢٣ والقرطبي ٥١/١٥ والمعنى : من نطل عمره ننكس خلقه ، فنجعل =

٥٢ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ .. ﴾ [آية ٦٩] .

أي ما ينبغي أن يقوله[1] .

قال أبو إسحاق : ليس هذا يوجب أن يكون النبيُّ ﷺ لم يتمثَّلْ بيتَ شعرٍ ، ولكنَّهُ يوجبُ أنه ﷺ ليس بشاعرٍ ، وأن القرآن لا يُشبِهُ الشِّعْرَ .

قال قتادة : بلغني أن عائشة قالت : لم يتمثل النبي ﷺ بيتَ شِعر ، إلاَّ بيت طرفة :

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ ما كُنْتَ جَاهِلاً
وَيَأْتِيكَ بَالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

فقال : ويأتيك من لم تُزَوِّد بالأخبار .

فقال أبو بكر : ليس هو كذلك يارسول الله !!

فقال : إنِّي لا أُحْسِنُ الشِّعْرَ ، ولا ينبغي لي[2] .

= مكان القوة الضعف ، وبدل الشباب الهرم ، فنرده إلى أرذل العمر كما قال سبحانه : ﴿ ومنكم من يُرَدُّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ﴾ .

(١) أي ما يليق له ، وما يصلح له أن يحدث الشعر من تلقاء نفسه ، لأن الشعر له أوزان وبحور ، والنبي عليه السلام لا يعرف هذه الأوزان ، وإصابته الوزن أحياناً لا توجب أنه يعلم الشعر ، فالذي نفاه الله عن نبيه ﷺ هو العلم بالشعر وأصنافه ، أو بحوره وقوافيه .

(٢) الحديث رواه أحمد في المسند ٣١/٦ من حديث عائشة قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا =

٥٣ ـ وقوله جلَّ وعز : ﴿ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّاً ، وَيَحِقَّ القَوْلُ عَلَى الكَافِرِينَ ﴾ [آية ٧٠] .

= استراب الخبر ، تمثَّل فيه ببيت طرفة « ويأتيك بالأخبار من لم تزود » وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٦٨/٥ من رواية قتادة رضي الله عنه ولفظه : قال بلغني أنه قيل لعائشة هل كان رسول الله ﷺ يتمثَّل بشيء من الشعر ؟ قالت : كان أبغض الحديث إليه ، غير أنه كان يتمثل ببيت أخي بني قيس ، يجعل آخره أوَّله ، وأوله آخره ، ويقول : ويأتيك من لم تزود بالأخبار .. » إلخ.
وقال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية ﴿ وما ينبغي له ﴾ أي وما هو في طبعه ، ولا تقتضيه جبلَّته ، فلا يحسنه ولا يحبه ، ولهذا ورد أنه عليه السلام كان لا يحفظ بيتاً على وزن منتظم ، بل إن أنشده زَحَّفه ، فقد تمثل بهذا البيت « كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهياً » فقال أبو بكر : يا رسول الله إنما قال الشاعر : « كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً » أشهد أنك رسول الله ، يقول الله تعالى ﴿ وما علَّمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ وثبت في الصحيحين أنه عليه السلام تمثَّل يوم حفر الخندق بأبيات ابن رواحة ، ولكن تَبَعاً لقول أصحابه ، فإنهم كانوا يرتجزون وهم يحفرون فيقولون :

اللهمَّ لولا أنتَ ما اهتدينا ... ولا تَصَدَّقْنا ولا صَلَّينا
فأنزلَنْ سكينةً عَلَيْنا ... وَثَبِّت الأقدامَ إن لاقينا
إن الأولى قد بَغَوْا علينا ... إذا أرادوا فتنةً أبينا

ويرفع صوته بقوله « أبَيْنا » ويمدُّها .
وكذلك ثبت أنه قال يوم حُنين ، وهو راكبُ البغلة ، يتقدَّم بها في نحور العدوِّ :

أنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ ... أنَا ابنُ عبدِ المُطَّلِبْ

لكن قالوا : هذا وقع اتفاقاً من غير قصد لوزن شعر ، بل جرى على اللسان من غير قصد إليه . ثم قال : وكلُّ هذا لا ينافي كونه ﷺ ما عُلِّم شعراً ، ولا ينبغي له ، وإنما علَّمه الله القرآن العظيم ، الذي ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ وقد كانت سجيَّته ﷺ تأبى صناعة الشعر ، طبعاً وشرعاً ، كما روى أبو داود من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لأن يمتلئ جوفُ أحدكم قيحاً ، خيرٌ له من أن يمتلئ شعراً » . اهـ. تفسير ابن كثير ٥٧٦/٦ . وقال الإمام القرطبي في تفسيره ٥٢/١٥ ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ : الآية ردٌّ على الكفار في قولهم إنه شاعر ، وإن القرآن شعر ، وكذلك كان رسول الله ﷺ =

﴿ حَيًّا ﴾ قيل : عاقلاً[1] .

وقيل : مؤمناً .

وقال قتادة : حيُّ القلب[2] .

= لايقول الشعر ولايزنه ، وإصابته الوزن أحياناً لا يوجب أنه يعدم الشعر ، وكذلك ما يأتي أحياناً من نثر كلامه ما يدخل في وزن ، كقوله يوم حنين وغيره :

هَلْ أَنْتِ إِلَّا أُصْبَعٌ دَمِيتِ وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَا لَقِيتِ

فقد يأتي مثل ذلك في آيات القرآن ، وفي كل كلام ، وليس ذلك شعراً ولا في معناه ، وقد قال الزجاج في قوله تعالى ﴿ وما علمناه الشعر ﴾ أي ما جعلناه شاعراً ، وهذا لا يمنع أن يُنشد شيئاً من الشعر ، ومن قال قولاً موزوناً ، لا يقصد به إلى شعر ، فليس بشعر ، وإنما وافق الشعر ، والذي نفاه الله عن نبيه عليه السلام ، إنما هو العلم بالشعر وأصنافه ، وأعاريضه وقوافيه .. » انتهى بشيء من الإيجاز وانظر معاني الزجاج ٢٩٤/٤ .

وقال أبو حيان في البحر المحيط ٣٤٥/٧ : وزعمهم في الرسول أنه شاعر مكابرة ، وإيهام للجاهل بالشعر ، وأين هو من الشعر ، والشعر إنما هو كلام موزون مقفّى ، يدلُّ على معنى تنتخبه الشعراء من كثرة التخييل ، وترويق الكلام ، وغير ذلك ، مما يتورع المتديِّن عن إنشاده ، فضلاً عن إنشائه ، وكان عليه السلام لايقول الشعر . وإذا أنشد بيتاً أحرز المعنى دون وزنه ، وربما أنشد البيت متزناً في النادر ، كما أنشد بيت ابن رواحة :

يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بالمُشْرِكِينَ المَضَاجِعُ

ولا يدل إجراء البيت على لسانه متزناً أنه يعلم الشعر .. انتهى باختصار ، وانظر التسهيل لعلوم التنزيل ٣٦٢/٣ ففيه كلام نفيس .

(١) هذا قول الضحاك كما في القرطبي ٥٥/١٥ وزاد المسير ٣٧/٧ قال الزجاج : من كان يعقل ما يُخاطب به فهو الحيُّ ، فإن الكافر كالميت في عدم الانتفاع من النذير ، وعبارة الطبري ٢٧/٢٣ : لينذر من كان حيَّ القلب ، يعقل ما يُقال له ، ويفهم ما يُبيَّن له ، غير ميّت القلب بليد . اهـ.

(٢) ذكره الطبري ٢٨/٢٣ وابن كثير ٥٧٨/٦ ولفظه : إنما ينتفع بنذارته من كان حيَّ القلب ، مستنير البصيرة ، كما قاله قتادة . اهـ.

٥٤ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا .. ﴾** [آية ٧١] .

العربُ تستعمل اليد في موضع القوة[1] ، واللَّهُ أعلمُ بما أراد .

٥٥ ــ **وقوله جل وعزَّ : ﴿ فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾** [آية ٧١] .

أي ضَابطُون[2] ، لأن المقصود ههنا التَّذْليلُ ، وأنشد سيبويه :

أَصْبَحْتُ لَا أَمْلِكُ السِّلَاحَ وَلَا
أَمْلِكُ رَأْسَ البَعير إِنْ نَفَرَا[3]

٥٦ ــ **وقولـه جلَّ وعزَّ : ﴿ لَايَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ ، وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ ﴾** [آية ٧٥] .

---

(١) قال ابن قتيبة : يجوز أن يكون المعنى : مما عَمِلناه بقوتنا وقدرتنا ، وفي اليد القدرة والقوة على العمل ، فتستعار اليد فتوضع موضعها . وقال بعض المفسرين : ذكرُ الأيدي ههنا يدل على انفراده بما خلق ، والمعنى : لم يشاركنا أحد في إنشائنا ، وإذا قال أحدنا : عملتُ هذا بيدي ، دل على انفراده بعمله ، وقال أبو سليمان الدمشقي : المعنى : مما أوجدناه بقدرتنا وقوتنا ، وهذا إجماع . اهـ. من تفسير زاد المسير لابن الجوزي ٣٨/٧ .

(٢) عبارة الطبري كما في تفسيره ٢٨/٢٣ : أي فهم مصرِّفون لها كيف شاء بالقهر والضبط . اهـ. وفي ابن كثير ٥٧٨/٦ : وقال قتادة ﴿ فهم لها مالكون ﴾ مطيقون أي جعلهم يقهرونها وهي ذليلة لهم لا تمتنع منهم ، بل لو جاء صغير إلى بعير لأناخه ، ولو شاء لأقامه وساقه ، وكذا لو كان القطار مائة بعير ، لسار الجميع بسير صغير . اهـ.

(٣) البيت للربيع بن منيع الفَزَاري ، وقد سُئل عن حاله بعد بلوغه سن الشيخوخة ، وقد استشهد به الألوسي في روح المعاني ٥٠/٢٣ وذكره أبو حيان في تفسيره البحر المحيط ٣٤٧/٧ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٨/٧ .

أي أنهم يعبدونهم ويقومون بنصرتهم ، فهم لهم بمنزلة الجند[1] .

قال قتادة : يغضبون لهم في الدنيا[2] .

وهذا بيِّنٌ حسنٌ .

وقيل : تفسيرُ هذا ما رُوي في الحديث (أنه يُمثَّل لكلِ قومٍ ما كانوا يعبدون من دونِ اللَّهِ جلَّ وعزَّ ، فيتَّبعونه إلى النار ، فهم لهم جند محضرون إلى النار)[3] .

٥٧ ــ وقوله جل وعز : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ [آية ٧٧] .

رَوَى هُشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال : أخذ

(١) أي هؤلاء المشركون كالجند والخدَّام للأصنام ، يذبُّون عنهم ، ويكافحون من أجلهم ، وهم لا ينفعونهم أيَّ نفع .

(٢) ذكره القرطبي ١٥/٥٧ وابن الجوزي في تفسيره ٧/٣٩ ولفظه : وقال قتادة : المشركون جند للأصنام ، يغضبون لها في الدنيا ، وهي لا تسوق لهم خيراً ، ولا تدفع عنهم شراً . اهـ. واختاره ابن جرير .

(٣) أشار المصنف رحمه الله إلى الحديث الذي رواه البخاري ، ومسلم ، وأحمد في المسند ٢/٢٧٥ (يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعه ، فيتَّبع من كان يعبدُ الشمس الشمسَ ، ومن كان يعبد القمر القمرَ ، ومن كان يعبد الطواغيت الطواغيتَ ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها ، فيأتيهم الله عز وجل في غير الصورة التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون نعوذ بالله منك ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون ..) الحديث .

« العاصُ بنُ وائِلٍ » عظماً حائلاً[1] ففتَّهُ ، فقال يا محمد : أيُحيي اللهُ هذا بعْدَ ذَا ؟ فقال : نعم ، يميتك اللهُ ثم يبعثك ، ثم يدخلك نار جهنم[2] ، فأنزل الله عزَّ وجل ﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الإنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ ، فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ . وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ..** ﴾ ؟ إلى آخر السورة .

قال مجاهد وقتادة : نزلت في « أُبيِّ بنِ خَلَفٍ »[3] .

قال أبو جعفر : يُقال : رمَّ العظمُ ، فهو رميمٌ ، ورُمَامٌ[4] .

٥٨ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾** [آية ٨٠] .

---

(١) حائلاً أي متغيراً من طول الزمن قال في المعجم الوسيط مادة حول : أحالت الدار تغيَّرت ، وأتت عليها أحوال ، أي سنون . اهـ .

(٢) ذكره في الدر المنثور ٢٦٩/٥ وابن كثير ٥٨٠/٦ والطبري ٣٠/٢٣ من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس ، ورواه الحاكم عن ابن عباس وصححه ، وهو أحد أقوال ثلاثة في سبب نزول الآية .

(٣) ذكره الحافظ ابن كثير ٥٧٩/٦ عن السدي ومجاهد وقتادة قال : جاء « أُبيّ بن خلف » إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظم رميم ، وهو يُفتّته ، ويُذرّيه في الهواء وهو يقول : يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا ؟ فقال : نعم يميتك الله تعالى ثم يبعثك ، ثم يحشرك إلى النار ، فنزلت هذه الآيات ، قال في البحر ٣٤٨/٧ وهذا القول أصحها .

(٤) قال في المصباح : الرميم مثل الرِّمة : العظام البالية ، ورَمَّ العظمُ من باب ضَرَب : إذا بلي . اهـ.

هو المَرْخُ ، والعَفَارُ ، تستعمل الأعرابُ منه الزُنود[1] .

٥٩ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى .. ﴾** [آية ٨١] .

كما قال سبحانه ﴿ **لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ** ﴾[2] .

و﴿ **بَلَى** ﴾ تأتي بعد النفي ، ولا يجوز أن يُؤْتى بـ « نَعَمْ » لو قال لك قائل : أَمَا قام زيدٌ ؟ فقلتَ : نعم ، انقلب المعنى ، فصار نعم ما قام ، فإذا قلتَ : بَلَى ، صَحَّ المعنى[3] .

---

(١) الزَّنْد : الذي يُقدح به النار ، قال في اللسان : والجمع أَزْنُدٌ ، وأزناد ، وزُنودٌ . اهـ . والمَرْخ والعَفَار شجرتان فيهما نار ، يُستقدح بهما الزناد ، وفي أمثال العرب : « في كل الشجر نار ، واستمجد المَرْخُ والعَفَار » أي كثرت فيهما النار ، قال الإمام القرطبي ٥٩/١٥ ﴿ الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً ﴾ نبَّه تعالى بهذه الآية على وحدانيته ، ودلَّ على كمال قدرته في إحياء الموتى ، بما يشاهدونه من إخراج المحرق اليابس من العود النديّ الرطب ، فالشجر الأخضر من الماء ، والماء بارد رطب ضدُّ النار وهما لا يجتمعان ، فأخرج الله منه النار ، فهو القادر على إخراج الضدِّ من الضد ، وهو على كل شيء قدير . اهـ.

أقول : وما أبدع قول الشاعر :

جَمْـعُ النَّقِيضَيْـنِ مِنْ أَسْرَارِ قُدْرَتِـهِ ... هَذَا السَّحَـابُ بِهِ مَاءٌ بِهِ نَارُ

(٢) سورة غافر آية رقم ٥٧ .

(٣) توضيح الأمر أن لفظةَ « تعم » تفيد التصديق ، سواء كان المخبر عنه نفياً أو إيجاباً ، ولهذا قال ابن عباس في قوله تعالى ﴿ ألست بربكم قالوا بلى ﴾ قال : لوقالوا نعم لكفروا ، لأن المعنى يصبح نعم لستَ ربنا ، بخلاف « بلى » فإنها حرف جواب وتختص بالنفي وتفيد إبطاله فيصبح المعنى بلى أنت ربنا ، فتنبه له فإنه دقيق .

وهـي عنـد الكوفـيِّين « بَلْ » زيـدت عليها اليـاءُ ، لأنَّ « بَلْ » عندهم إيجابٌ بعد نفي ، فاختـيرتْ لهذا ، وزيـدت عليها اليـاءُ ، لتـدل على هذا المعنى ، وتخرج من النَّسق .

٦٠ ـــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ فَسُبْحَانَ الَّـذِي بِيَـدِهِ مَلَكُـوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْـهِ تُرْجَعُونَ ﴾** [آية ٨٣] .

أي تنزيهاً للذي بيـده مُلْكُ كلِّ شيء وخزائنـهُ ، فهـو يقـدرُ على إحياءِ الموتى وما يريد .

﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي تُردُّون وتصيرون بعد مماتكم .

« تمت سورة يسۤ »

* * *

تم الجزء الخامس من
معاني القرآن الكريم
بحمد الله وتوفيقه في البلد الحرام
« مكة المكرمة »



مطابع مؤسسة مكة للطباعة والإعلام
مكة المكرمة - ت: ٥٢٠٣٠٥٤